كتاب التوحيد لابن عبد الوهاب

كتاب التوحيد، وقول الله تعالى: وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين نبينا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين.

قال شيخ الإسلام والمسلمين مُجَدِّد الدعوة والدين الشيخ محمد بن عبد الوهاب -رحمه الله تعالى-: كتاب التوحيد، وقول الله تعالى: [illegible] وقوله تعالى: [illegible] وقوله تعالى: [illegible] وقوله تعالى: [illegible] وقوله تعالى: [illegible]

قال ابن مسعود [illegible] من أراد أن ينظر إلى وصية محمد [illegible] التي عليها خاتمه فليقرأ قوله تعالى: [illegible] إلى قوله: [illegible].

وعن معاذ بن جبل [illegible] قال: [illegible] كنت رديف النبي [illegible] على حمار، فقال: يا معاذ أتدري ما حق الله على العباد وما حق العباد

على الله؟ قلت: الله ورسوله أعلم. قال: حق الله على العباد أن يعبدوه ولا يشركوا به شيئا، وحق العباد على الله ألا يعذب من لا يشرك به شيئا. قلت: يا رسول الله أفلا أبشر الناس قال: لا تبشرهم فيتكلوا أخرجاه.

 الحمد لله الذي بعث عباده المرسلين بتوحيده، فأقاموا الحجة على العباد، واتفقوا من أولهم إلى آخرهم على ألا معبود حقٌ إلا الله، وعلى أن عبادة غيره باطلة، وأنه ما عُبِدَ غير الله إلا بالبغي والظلم والعدوان، وأشهد ألا إله إلا الله وحده لا شريك له تأكيدا بعد تأكيد، ببيان مقام التوحيد ، وأشهد أن محمدا عبد الله ورسوله صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم تسليما كثيرا إلى يوم الدين، أما بعد.

فهذا الكتاب، وهو كتاب التوحيد للإمام المصلح المجدد شيخ الإسلام والمسلمين محمد بن عبد الوهاب وهو غني عن التعريف؛ لما جعل الله -جل وعلا- لدعوته من أثر في شرق الأرض وفي غربها وفي شمالها وفي جنوبها ذلك أنها دعوة محمد بن عبد الله عليه الصلاة والسلام.

وكتاب التوحيد -الذي نحن الآن بصدد شرحه- كتاب عظيم جدا ، وأجمع العلماء أعني: علماء التوحيد على أنه لم يُصَنَّف في الإسلام في موضوعه مثلُه، فهو كتاب وحيد وفريد في بابه ؛ لأنه -رحمه الله- طرق في هذا الكتاب مسائل توحيد العبادة، وما يضاد ذلك التوحيد إما من أصله وإما يراد كماله، وهذا

على نحو التفصـيل الـذي سـاق به الشـيخ -رحمه اللـه- تلك المسـائل والأبـواب لم يوجد في كتـاب على نحو سـياقته مجموعا.

ولهذا طالب العلم لا يستغني ألبتة عن هذا الكتـاب من جهة معرفته بمعانيه ؛ لأنه مشـتمل على الآي والحـديث، وقد شـبه بعض العلماء هذا الكتاب بأنه قطعة من صحيح البخـاري -رحمه الله- وهذا ظاهر في أن الشـيخ -رحمه اللـه- جعل هـذا الكتـاب ككتاب البخاري من جهة أن الترجمة فيها آية وحديث، والحديث دال على الترجمة، والآية دالة على الترجمة، وما بعـدها مُفَسِّـر لها، وما ساق من كلام أهل العلم من الصحابة أو من التابعين، أو من كلام أئمة الإسـلام، فهو على نسق طريقة أبي عبد الله البخـاري -رحمه اللـه- فإنه يسـوق أقـوال أهل العلم في بيـان المعاني.

هذا الكتاب صنَّفه إمام الـدعوة ابتـداءً في البصـرة لما رحل إليها، وكان الداعي إلى تأليفه ما رأى من شـيوع الشـرك بالله -جل جلالـه- ومن افتقـاد التوحيد الحق في المسـلمين، فـرأى مظاهر الشرك الأكبر والأصغر والخفي، فابتدأ في البصرة جمْـعَ هذا الكتاب وتحرير الدلائل لمسائله.

ذكر ذلك تلميذه وحفيده الشيخ الإمام عبد الرحمن بن حسن -رحمه الله- في المقامات ثم حرَّره الشيخ -رحمه اللـه- وأكمله لما قدم نجدا، وصار هذا الكتاب كتاب دعوة فهو يمثل الـدعوة

إلى التوحيد ؛ لأن الشـيخ -رحمه اللـه- بيَّن فيه أصـول دلائل التوحيد، بيَّن فيه معناه وفضله، وبيَّن ضده والخـوف من ضـده، بيَّن أفراد توحيد العبادة، وأفراد توحيد الأسماء والصفات إجمالا.

وبيَّن الشرك الأكبر وصورا من الشرك الأكـبر، وبيَّن الشـرك الأصغر وصورا من الشرك الأصـغر، وبيَّن الوسـائل، وبيَّن حماية التوحيـد، وما يكـون بـه، وبيَّن أيضا شـيئا من أفـراد توحيد الربوبية، فهذا الكتاب -كتاب التوحيد- كتاب عظيم جدا.

ولهـذا يعظم أن تعتـني به عناية حفظ ودرس وتأمل ؛ لأنك أينما كنت فأنت محتاج إليه في نفسك، أو في تبليغ العلم لمن وراءك، سواء كان ذلك في البيت أم كان في المسجد، أم كان في العمل، أم في أيِّ جهة ، فمن فهم هذا الكتـاب فهم أكـثر مسائل توحيد العبادة، بل فهم جُلَّها وأغلبها.

نبتدأ الشرح، وقد كنت نظرت في كيف تكـون طريقة شـرح هـذا الكتـاب، والكتـاب كما تعلمـون طويـل، لا يمكن شـرحه بتوسط أو ببسط في نحو ثمانية عشر درسـا، والعلمـاء الـذين شـرحوه -وهم كُـثر- كـانوا بين مطيل ومتوسط ومختصِـر ، فنظرت في ذلك فتقرر أن يكون الشرح فيه ذكر للفوائد الـتي كثـيرا ما تلتبس على طلبة العلم، وفيه بيـان مناسـبة الآي والأحاديث في الترجمة.

وفيه بيـان وجه الاسـتدلال من الآية أو من الحـديث على المقصـود، وفيه ذكر شـيء من تقرير الحجج مع الخصـوم في

هذه المسائل ربما بما لا يطالعه كثير منكم في الشروح، وهذه الطريقة الـتي سنسـلكها طريقة مختصـرة سـوف نـأتي بها إن شاء الله تعالى، ونسـأله المـدد منه والإعانة والتوفيـق، سـنأتي بها على الكتاب كله بإذن الله، مع عـدم الإخلال بإفهامه وعـدم الإخلال بمعانيه.

قوله: كتاب التوحيد، وقول الله تعـالى: □□□□□□□ □□□□□□□□ □□□□□ □ □ □□□□ □□□□□□□□□□□□□□ □□□□ □□□□□□□□ عادة المصنفين والمؤلفين أن يضعوا بعد البسملة، والحمد له خطبة للكتـاب يـذكرون فيها طـريقتهم في هذا الكتاب، ومـرادهم من تأليفه ، وهاهنا سـؤال معـروف، وهو أن الشيخ -رحمه الله- خـالف طريقة المصـنفين فلم يجعل للكتاب خطبة يبين فيها طريقته، بل قـال: كتـاب التوحيد وقـول الله تعالى: □ □□□□ □□□□□□□□□□□□□□ □□□□ □□□□□□□□ □□□□□□□ □□□□□□□□ □□□□□ □ فأخلاه من الخطبة والسـببب في ذلك والسر فيه فيما يظهر لي أن التوحيد الـذي سـيبينه الشـيخ -رحمه اللـه- في هـذا الكتـاب هو توحيد الله جل جلاله.

وتوحيد الله بيَّنه الله -جل وعلا- في القرآن، فكان من الأدب في مقـام التوحيد ألا يجعل فاصلا بين الحـق، والـدال على الحق، وكلام الـدال عليه فـالحق الـذي لله هو التوحيـد، والـذي دل على هـذا الحق هو الله -جل جلالـه- ، والـدليل عليه هو كلامه، وكلام رسوله □ .

وهذا من لطائف أثر التوحيد على القلب كما صنع البخاري -رحمه الله- في صحيحه؛ إذ لم يجعل لصحيحه خطبة بل جعل صحيحه مبتدئا بالحديث ذلك أن كتابه كتاب سنة، ومن المعلوم أن الأدب ألا يتقدم بين يدي الله ورسوله، فلم يقدم كلامه على كلام رسوله ﷺ فجعل البخاري صحيحه مفتتحا بقول الرسول ﷺ «إنما الأعمال بالنيات وإنما لكل امرئ ما نوى» وكتابه كتاب سنة، فجعل كتابه في ابتدائه مبتدئا بكلام صاحب السنة -عليه الصلاة والسلام- وهذا من لطيف المعاني التي يرعاها مَن نوَّر الله قلوبهم لمعرفة حقه، وحق رسوله ﷺ .

كتاب التوحيد ، التوحيد مصدر وحَّد يوحد توحيدا، وقد جاء هذا اللفظ التوحيد بقلة، وجاء في السنة الدعوة إلى توحيد الله كما جاء في صحيح البخاري أن النبي ﷺ لما بعث معاذ بن جبل إلى اليمن قال: «إنك تأتي قوما أهل كتاب فليكن أول ما تدعوهم إليه إلى أن يوحدوا الله» إلى أن يوحدوا الله - يوحدوا مصدره التوحيد.

وفي الرواية الأخرى من حديث ابن عباس هذا الذي فيه قصة بعث معاذ إلى اليمن، وهي في الصحيحين قال: «فليكن أول ما تدعوهم إليه شهادة ألا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله» فدل على أن التوحيد هو: شهادة ألا إله إلا الله، وأن محمدا رسول الله، وتحقيق هاتين الشهادتين هو تحقيق التوحيد.

التوحيد جعل الشيء واحـدا، وحَّد يعـني جعله واحـدا، نقـول: وحـــدت المتكلم إذا جعلته واحـــدا، ووحَّد المســـلمون الله إذا جعلـوا المعبـود واحـدا وهو الله -جل وعلا- والتوحيد المطلـوب يشمل ما أمر الله -جل وعلا- به في الكتـاب من توحيـده، وهو ثلاثة أنواع:

الأول: توحيد الربوبية.

والثاني: توحيد الألوهية.

والثالث: توحيد الأسماء والصفات.

توحيد الربوبية معنـاه توحيد الله بأفعالـه، أفعـال الله كثـيرة منهـا: الخلق والـرزق، والإحيـاء، والإماتـة، وتـدبير الملـك، والنفع والضر، والشفاء ، والإجارة يجـير ولا يجـار عليـه، وإجابة دعـوة المضطر، وإجابة دعوة الـداعي، ونحو ذلك من أفـراد الربوبيـة. فالمتفرد بذلك على الكمـال هو الله -جل وعلا- فتوحيد الربوبية توحيد الله بأفعاله، سبحانه.

وتوحيد الألوهية مـأخوذٌ من أَلِـهَ يأله إلهة وألوهة إذا عبد مع المحبة والتعظيم، يقـال: تأله إذا عبد معظما محبا فَفَرْقٌ بين العبادة والألوهـة، فـإن الألوهة عبـادة فيها المحبة والتعظيم، والرضا بالحـال، والرجاء والرَّغَب والرَّهَب ـ فمصدر أله، يأله ، ألوهة، وإلهة ــ ولهـذا قيـل: توحيد الإلهية وقيـل: توحيد الألوهية، وهما مصدران لأله يأله، ومعنى أله في لغة العرب يعني: عبد مع المحبة والتعظيم، والتألـه: العبادة على ذاك النحو قال الراجز:

لله در الغانيات المدف	**سبحن واسترجعن من تأله**

يعـــني: من عبادتـــه، فتوحيد الإلهية أو توحيد الألوهية هو توحيد العبادة يعني جعل العبادة لواحد، وهو الله ، جل جلاله.

والعبـــادة أنـــواع، والعبـــادة يفعلها العبد والله -جل وعلا- هو المسـتحق للألوهة وللعبـادة يعـني: هو ذو الألوهـة، وهو ذو العبـادة على خلقه أجمعين.

توحيد الألوهيـة: هو توحيد الله بأفعـال العبـد، أفعالك متنوعة التي تفعلها تقربا، فإذا توجهت بها لواحد كنت لواحد، وهو الله -جل وعلا- كنت موحدا توحيد الإلهية، فإذا توجه العبد بها لله ولغيره كان مشركا في هذه العبادة.

والنـوع الثـالث من التوحيد توحيد الأسـماء والصـفات ومعنـــاه أن يعتقد العبد أن الله -جل جلالـــه- واحد في أســـمائه وصفاته لا مماثل له فيهما ـ وإن شـرك بعض العبـاد الله -جل وعلا- في أصل بعض الصــفات لكنهم لا يشــركونه -جل وعلا- في كمــال المعنى، بل الكمال فيها لله وحده دون من سواه.

فمثلا المخلوق قد يكون عزيزا، والله -جل جلالـه- هو العزيـز، له للمخلوق من صفة العزة ما يناسب ذاته الحقيرة الوضيعة الفقـيرة، والله -جل وعلا- له من كمال هذه الصفة منتهى ذلـك، ليس له فيها مثيل، وليس له فيها مشابه على الوجه التام قال جل وعلا: [illegible]

هذه الأنواع الثلاثة من التوحيد ذكرها الشيخ -رحمه اللـه- في هذا الكتاب لكن لما كانت التصانيف قبله اعتـنى فيها العلمـاء -أعني: علماء السنة والعقيدة- ببيان النوعين الأول والثـالث، وهو توحيد الربوبية، وتوحيد الأسماء والصفات ، هما توحيد الربوبيـة، وتوحيد الأسـماء والصـفات؛ لما اعتـنى العلمـاء بهما لم يبسط الشيخ -رحمه الله- القول فيهما، وإنما بسط القول فيما النـاس بحاجة إليه، ويفتقدون التصنيف فيه.

وهـذه طريقة الإمـام -رحمه اللـه- فـإن كتاباته مختلفـة، وإن مؤلفات الشيخ إنما كـانت للحاجة ليست للتكـاثر، أو للاسـتكثار أو للتفنن، وإنما كتب فيما النــاس بحاجة إليــه، لم يكتب لأجل أن يكتب، ولكن كتب لأجل أن يدعو وبين الأمـرين فـرق، فـإن الشيخ -رحمه الله- في هذا الكتاب بين توحيد الإلهية والعبوديـة، وبيَّن أفراده من التوكل والخوف والمحبة والرجاء والرغبة ونحو ذلك، والاستعانة والاستغاثة، والذبح والنذر كل هـذه عبـادات لله سبحانه دون من سواه.

والشـــيخ -رحمه اللـــه- لما بسط ذلك بيَّن أيضا ضـــده وهو الشرك فهذا الكتاب كتاب التوحيد الذي فيه بيان توحيد العبـادة والربوبية والأسـماء والصـفات، وفيه أيضا بيـان ضد ذلـك، وضد التوحيد الشرك، والشرك اتخاذ الشـريك يعـني أن يجعل واحـدا شريكا لآخر، يقال: أشرك بينهما إذا جعلهما اثنين أو أشرك في أمره غيره إذا جعل ذلك الأمر لاثنين، فالشرك فيه تشريك.

والله -جل وعلا- نهى عن الشــرك، كما ســيأتي الشــرك في كلام أهل العلم مبيــــنين ما دلت عليه النصــــوص يقسم إلى قسـمين باعتبـار ويقسم إلى ثلاثة باعتبـار آخـر، الشـرك يقسم إلى شـرك أكـبر وإلى شـرك أصـغر، ويقسم أيضا باعتبـار آخر إلى شرك أكبر وشرك أصغر وشرك خفي، والشـرك هو اتخـاذ الشريك مع الله -جل وعلا- في الربوبية، أو في العبــادة أو في الأسماء والصفات، والمقصـود هنا النهي عن اتخـاذ الشـريك مع الله -جل وعلا- في العبادة والأمر بتوحيده سبحانه.

التقسيم الأول: أن يكون الشرك أكـبر وأصـغر، الأكـبر هو المُخرج من الملة، والأصـغر ما حَكَمَ الشـارع عليه بأنه شـرك، وليس فيه تنديد كامل يلحقه بالشــرك الأكــبر، وعــبر عنه بعض العلمـاء بقولـه: ما كـان وسـيلة إلى الشـرك الأكـبر، على هـذا يكون الشرك الأكبر ثَمَّ منه ما هو ظاهرٌ وثَمَّ منه ما هو بــاطن خفيّ.

الظـاهر من الشـرك الأكـبر كشـرك عبـاد الأوثـان والأصـنام، وعباد القبور، والأموات، والغـائبين، والبـاطن كشـرك المتـوكلين على المشـــايخ، أو على الآلهة المختلفـــة، أو كشـــرك وكفر المنافقين؛ لأن المنافقين مشركون في الباطن، فشركهم خفي، ولكنه أكبر وفي الباطن وليس في الظاهر.

الشرك الأصغر على هذا التقسيم منه ما هو ظاهر، ومنه ما هو بــاطن خفي، الظــاهر من الشــرك الأصــغر كلبس الحلقــة،

والخيط وكالتمائم ، وكالحلف بغير الله، ونحو ذلك من الأعمال والأقوال.

والباطن من ذلك الخفي كيسير الرياء، ونحو ذلك فيكون إذن الرياء على هذا التقسيم منه ما هو أكبر كرياء المنافقين □ □□□□□ □□□□□□□ □□□□ □□□□ □□□□□□□□□□□ □□□□ □□□□□□□□ □□□□□□□□ □□□□□□□□□□□□ ومنه رياء المؤمنين، رياء المسلمين حيث يتصنع في صلاته، أو يحب التسميع أو المراءاة.

التقسيم الثاني للشرك: أن يكون ثلاثة أقسام أكبر، أصغر، خفي ، وهذا التقسيم يعنى به أن الأكبر ما هو مخرج من الملة، مما فيه صرف العبادة لغير الله -جل جلاله-.

والأصغر ما كان وسيلة لذلك الشرك الأكبر، فيه تنديد لا يبلغ به من ندَّد أن يخرج من الإسلام، وقد حكم الشارع على فاعله بالشرك أو حقيقة الحال أنه ندد وأشرك.

الشرك الخفي هو يسير الرياء، ونحو ذلك في هذ التقسيم، من أهل العلم من يقول بالأول، ومنهم من يقول بالثاني، وهما متقابلان، وهما متساويان أحدهما يوافق الآخر ليس بينهما اختلاف، فإذا سمعت من يقول: إن الشرك أكبر وأصغر، هذا صحيح، وإذا سمعت -وهو قول أئمة الدعوة- أن الشرك أكبر وأصغر وخفي ، فهذا أيضا صحيح.

إذا تبين ذلك فالشرك يعبر عنه بالتنديد، ولهذا قال جل وعلا: □ □□□□□□□□ □□ □□□□□□□□□□□ □□□□ □ وقال النبي □ حينما □ سئل: أي

الذنب أعظم؟ قـال: أن تجعل لله نـدا وهو خلقك التنديد منه تنديد أعظم ومنه تنديد ليس فيه صرف العبادة لغير الله، فـإذا كان التنديد في جعل العبادة لغـير الله صـار التنديد أكـبر صـار شركا أكبر، وإذا كـان التنديد فيه جعل غـير الله -جل وعلا- نـدا لله في عمل، ولا يبلغ ذلك الشـرك الأكـبر ، فإنه يكـون تنديـدا أصغر، وهو الشرك الأصغر، هـذه مقـدمات وتعـاريف مهمة بين يدي شرح هذا الكتاب العظيم.

قال إمام هذه الـدعوة -رحمه اللـه-: "كتـاب التوحيـد، وقـول الله -تعالى-" قول هذه كما في صحيح البخاري تنطقها إما على العطف كتـاب التوحيد وقـول الله يعـني وكتـاب قـول الله ، أو على الاستئناف، وقول الله -تعالى- قـال: وقـول الله -تعـالى-: هذه الآية فيها بيان التوحيـد، وجه ذلك أن السـلف فسـروا إلا ليعبـدون يعـني إلا ليوحدون.

دليل هــذا الفهم أن الرسل إنما بعثت لأجل التوحيــد، توحيد العبادة فقوله: يعني إلا ليوحدون، قوله: هذا فيه حصر، ومعلوم أن "ما" النافية مع "إلا" تفيد الحصر والقصر ، معنى الكلام خلقت الجن والإنس لغاية واحدة هي العبادة دون ما سواها، ففيه قصر علة الخلق على العبادة، وقوله: إلا هذه تسمى أداة استثناء مفرغ، مفـرغ من أعم الأحـوال، كما يقـول النحـاة

يعني: وما خلقت الجن والإنس لشيء أو لغاية من الغايات أبـدا إلا لغاية واحدة وهي أن يعبدوني.

وقوله: [illegible] اللام هذه تسمى لام التعليل، ولام التعليل هذه قد يكون المعنى تعليل غايـة، أو تعليل علـة. تعليل الغاية يكــون ما بعــدها مطلوبا لكن قد يكــون، وقد لا يكــون، يعني: هذه الغاية ويسميها بعض العلماء لام الحكمة، وفـرق بين العلة والحكمة يعـــــني: ما الحكمة من خلق الجن والإنس؟ أن يعبـدوا الله وحـده دون ما سـواه هـذا التعليل بقولـه: [illegible] قلنــا: تعليل عناية مثلا قلت لك لما أحضــرت الكتاب؟ قلت: أحضرته لأقـرأ ، فيكـون علة الإحضـار أو الحكمة من الإحضار القـراءة، قد تقـرأ، وقد لا تقـرأ بخلاف اللام الـتي يكــون معناها العلة الـتي يـترتب عليها معلولهـا، والـتي يقــول العلماء في نحوها: الحكم دائر مع علته وجودا وعدما.

هـذه علة القيـاس الـتي لا يتخلف فيها المعلـول عن العلـة، فهنا اللام هـــــــذه لام علة الغاية ؛ لأن من الخلق من أوجد وخلقه الله -جل وعلا- لكن عبد غيره ، ولام الحكمة شرعية ما بعدها يكـون مطلوبا شـرعا، قـال جل وعلا هنـا: [illegible] نفهم من هذا أن هذه الآية دالة على التوحيد من جهة أن الغاية من الخلق هو التوحيد ، والعبادة هنا هي التوحيـد، حقيقة العبـادة الخضـوع والـذل، فـإذا انضافت إليها المحبة والانقياد صارت عبادة شرعية.

قال طرفة في وصف ناقة:

تباري عتاق الناجيات وأتبعت   وظيفـا وظيفـا فوق مور معبد

المـور الطريـق، والمعبد هو الـذي ذلل من كـثرة وطء الأقـدام عليه.

وقال أيضا في معلقته:

إلى أن تحامتني العشيرة كلها   وأفـردت إفراد البعير المعبد

يعني الذي صار ذليلا ؛ لأنه أصيب بالمرض فجعل بعيدا عن باقي الأبعرة فصار ذليلا؛ لعدم المخالطة.

في الشـرع العبـادة هي امتثـال الأمر والنهي على جهة المحبة والرجاء والخوف ، قال بعض العلماء: إن العبـادة هي ما أمر به من غير اقتضاء عقلي ولا اضطراب عرفي، وهذا تعريف الأصوليين.

وقال شيخ الإسلام في بيـان معناها في أول "رسـالة العبوديـة": العبـادة اسم جـامع لما يحبه الله ويرضـاه من الأقـوال والأعمـال الظاهرة والباطنة. إذن فيكون دلالة هذه الآية أن كل فرد من أفراد

العبادة يجب أن يكون لله وحده دون ما سواه ؛ لأن الذي خلقهم خلقهم؛ لأجل أن يعبدوه فكونهم يعبدون غيره، وهو الذي خلقهم هذا من الاعتداء والظلم ؛ لأنه ليس من يخلق كمن لا يخلق قال جل وعلا: .

قال الشيخ -رحمه الله-: وقوله

هذه الآية تفسير للآية قبلها، الآية قبلها فيها بيان الغرض من الخلق، وأنه لأجل العبادة ، هذه العبادة أرسلت بها الرسل بدليل قوله: بعثت الرسل بهاتين الكلمتين ففي قوله: إثبات ، وفي قوله: نفي .

وهذا معنى التوحيد وهو أنه مشتمل على إثبات ونفي: لا إله إلا الله لأن النفي فيه اجتناب الطاغوت وهو كل إله عبد بالبغي والظلم والعدوان، والإثبات إثبات العبادة لله وحده دون ما سواه ففي قوله: التوحيد المثبت، وفي قوله: نفي الإشراك.

والطاغوت هو فعلوت من الطغيان، وهو كل ما جاوز به العبد حدَّه من متبوع أو معبود أو مطاع . قال: وقوله:

[illegible] قضى -كما فسرها عدد من الصحابة- هنا بمعنى أمر ووصى، وأمر ووصى فيها معنى القـول دون حروف القول.

فتكون أن لا تعبدوا أن هنا تفسيرية يعـني أمر ووصى بمـاذا بلا تعبدوا إلا إياه [illegible] قوله: [illegible] هذا معنى لا إله إلا الله بالمطابقة ؛ لأن "لا" نفي في الجملـتين، وهنا تعبـدوا وفي كلمة التوحيد "إلـه" ، والإله هو المعبـــود [illegible] يعـــني احصروا العبادة فيه وحده دون ما سواه أمر بهذا، ووصى بهذا، وهـذا معـنى التوحيـد، فـإن دلالة الآية على التوحيد ظـاهرة في أن التوحيد إفـراد العبـادة للـه، أو تحقيق كلمة لا إله إلا اللـه، وهذا الذي دلت عليه هذه الآية.

قـال: [illegible] يعـني: وأحسـنوا بالوالـدين إحسانا، قال: وقوله تعالى: [illegible] هذا أيضا فيه إثبات ونفي، فيها أمر ونهي ، أما الأمر ففي قوله: [illegible] والنهي في قوله: [illegible] .

وقد مر معك دلالة قوله: [illegible] مع النفي على توحيد الله قوله هنا: [illegible] لاحظ أن لا هنا نافية، ومن المتقرر في علم الأصول أن النفي إذا تسـلط على نكرة فإنه يفيد العموم، ولا بعدها نكرة وهو المصـدر المسـتكن

في الفعل؛ لأن الفعل المضارع مشتمل على مصدر وزمن يعني لا إشراكا به فتشركوا متضمنة لمصدر، والمصدر نكرة.

فيكون قوله: يعني بأي نوع من الشرك و"شيئا" هنا أيضا نكرة في سياق النهي فدلت على عموم الأشياء، فصار إذن عندنا في قوله -تعالى -: ثَمَّ عمومان:

الأول: دلت الآية على النهي عن جميع أنواع الشرك وذلك ؛ لأن النهي تسلط على الفعل، والفعل فيه مصدر مستكن، والمصدر نكرة.

والثانية: أن مفعول تشرك شيئا، وشيئا نكرة، والنكرة جاءت في سياق النهي وذلك يدل على عموم الأشياء يعني لا الشرك الأصغر مأذون به، ولا الأكبر ولا الخفي بدلالة قوله: .

وكذلك ليس مأذونا أن يشرك لا بملك ولا بنبي ولا بصالح ولا بعالم ولا بطالح ولا بقريب ولا ببعيد بدلالة قوله: وهذا استدلال ظاهر الوضوح في الدلالة على التوحيد بالجمع بين النفي والإثبات، قال: وقوله تعالى:

يعني يا مَن حرَّم بعض الأنعام، وافترى على الله في ذلك

[illegible]

قــال العلمــاء: "أن" هنا تفســيرية متعلقة بمحــذوف تقــديره وصــاكم؛ لأن "أن" التفســيرية تتعلق كما ذكــرت لك بكلمة فيها معنى القول دون حروف القول وحــددوها بقولــه: [illegible]؛ لأنه في آخر الآي جـــــــاء [illegible] في الآية الأولى، ثم [illegible] في الآية الثانيـــــة، ثم [illegible] في الآية الثالثة كلها فيها الوصية.

فــإذن يكــون تقــدير الكلام: "قل تعــالوا أتلو ما حــرم ربكم عليكم وصاكم ألا تشركوا به شيئا" يعــني: أمــركم، والوصــية هنا شرعية، وإذا كــانت الوصــية من الله شــرعية، فهي أمر واجب، فقوله: [illegible] دلالتها على التوحيد كدلالة آية النساء قبلها.

ثم ساق الشيخ -رحمه الله- ـ أثر ابن مسعود قال: قــال ابن مســـعود: "من أراد أن ينظر إلى وصـــية محمد [illegible] الـــتي عليها خاتمه، فليقرأ قوله تعالى: [illegible] إلى قوله: [illegible].

يعني: الـتي كـانت من آخر ما وصَّـى بـه، من آخر ما أمر به يعني: التي لو قُـدِّرَ أنه وصى وختم على هـذه الوصـية، وفتحت

بعد وفاته -عليه الصـلاة والسـلام- وانتقاله إلى الرفيق الأعلى لكانت هذه الآيات التي فيها الوصايا العشر.

هـذا من ابن مسـعود للدلالة على عظم شـأن هـذه الآيـات التي افتتحت بالنهي عن الشـرك، والنـبي ابتـدأ دعوته بـالأمر بعبادة الله وحـده، والنهي عن الشـرك، واختتمها أيضا -كما دل عليه كلام ابن مسعود هذا- بالأمر بالتوحيد، والنهي عن الشرك، فـدل على أن ذلك أولى المطـالب وأول المطـالب وأهم المطالب.

قـال -بعد ذلـك-: وعن معـاذ بن جبل قـال: كنت رديف النبي على حمار فقـال لي: يا معـاذ! أتـدري ما حق الله على العباد، وما حق العباد على الله؟ قلت: الله ورسوله أعلم. قال: حق الله على العباد أن يعبدوه ولا يشركوا به شيئا .

هذا موطن الشاهد حق العبـاد على الله   حق الله على العباد أن يعبدوه ولا يشركوا به شيئا وهذا قد مر بيان معناه، لكن الشاهد من هـذا الحـديث، ومناسـبته للابتـداء ابتـداء كتـاب التوحيد أنه أتى فيه بلفظ حق أتـدري ما حق الله على العباد، ثم قال: حق الله على العبـاد أن يعبـدوه ولا يشـركوا به شيئا هذا الحق حق واجب لله -جل وعلا- لأن الكتاب والسنة؛ بل ولأن المرسـلين جميعا أتـوا بهـذا الحق وببيانـه، وأنه أوجب الواجبات على العباد.

ثم قـال: ﴿ وحق العبـاد على الله ألا يعـذب من لا يشـرك به شـيئا ﴾ حق العبـاد على اللــه، هــذا حق أحقه الله على نفسه باتفـاق أهل العلم، وبإيجابه على نفسه في بعض أقـوالهم، كما قاله الشيخ تقي الدين ابن تيمية -رحمه الله-.

حق العباد على الله، هل هذا الحق واجب أم لا؟ نقـول: نعم هو حق واجب، لكن بإيجـاب الله ذلك الحق على نفســه، والله -جل وعلا- يحـــرم على نفسه ما يشـــاء بما يوافق حكمتـــه، ويــوجب على نفسه ما يشــاء بما يوافق حكمته ﴿ إني حــرمت الظلم على نفسي وجعلته بينكم محرما فلا تظالموا ﴾ .

حرم الله الظلم على نفسه، كذلك أوجب على نفسه أشياء، بعض أهل العلم تحاشى لفظ الإيجـاب على اللــه، وقـال: يعـبر بأنه حــق، يتفضل بــه، حق تفضل لا حق إيجــاب، وهــذا ليس بمتعين ؛ لأن الحق الـواجب أوجبه الله على نفســه، والعبـاد لا يوجبون على الله -جل وعلا- شيئا من الحقوق، وهو -جل وعلا- أوجبه على نفسه ؛ لأنه تفضل على عبـــاده بـــذلك، والله -جل جلاله- لا يخلف الميعاد.

باب

فضل التوحيد، وما يكفر من الذنوب

باب: فضل التوحيد، وما يكفر من الذنوب، وقول الله -تعـالى-: □
□□□□□□□□□ □□□□□□ □□□□□□□□□□□□□ □□□□□□□□□ □□□□□□□□□□□□ □□□□□□□□□□□□□ □□□□□□ □□□□□□□□□□□ □□□□□□□□□□
□ □□□□ □□□□□□□□□□□□ □□□□□ وعن عبادة بن الصامت □ قال: قال رسـول الله □ □ من شـهد أن لا إله إلا الله وحـده لا شـريك لـه، وأن محمـدا عبـده ورسـوله، وأن عيسى عبد الله ورسـوله وكلمته ألقاها إلى مـريم وروح منـه، والجنة حق والنـار حق أدخله الله الجنة على ما كان من العمل □ أخرجاه.

ولهما في حديث عتبان: □ فإن الله حرم على النـار من قـال لا إله إلا الله يبتغي بذلك وجه الله □ وعن أبي سـعيد الخـدري عن رسـول الله □ قـال : □ قـال موسـى: يا رب علمـني شـيئا أذكـرك وأدعـوك به قـال: قل يا موسى لا إله إلا اللـه. قـال: يا رب كل عبادك يقولون هـذا. قـال: يا موسـى! لو أن السـماوات السـبع وعـامرهن غـيري والأرضـين السـبع في كفـة، ولا إله إلا الله في كفة مـالت بهن لا إله إلا الله □ رواه ابن حبـان والحاكم ، وصححه.

وللترمـذي وحسـنه عن أنس سـمعت رسـول الله □ يقـول: □ قال الله -تعالى-: يا ابن آدم لو آتيتني بقـراب الأرض خطايا ثم لقيتني لا تشرك بي شيئا لأتيتك بقرابها مغفرة □ .

هذا الباب باب فضل التوحيد، وما يكفر من الـذنوب، التوحيد بأنواعه له فضل عظيم على أهلـه، ومن أعظم فضـله أنه به تكفر الذنوب ولهذا قال الشيخ -رحمه الله- في التبويب:

باب فضل التوحيد وما يكفر من الـذنوب ما يكفـر، "مـا" هنا موصولة موصول حرفي يعني: تقدر مع ما بعدها بمصـدر يكـون المعـنى: بـاب فضل التوحيد وتكفـيره الـذنوب، فالتوحيد يكفر الـذنوب جميعا لا يكفر بعض الـذنوب دون بعض. فـإن التوحيد حسنة عظيمة لا تقابلها معصية إلا وأحرق نور تلك الحسـنة أثر تلك المعصية إذا كمل ذلك النور.

بـاب فضل التوحيد وما يكفر من الـذنوب يعـني وتكفـيره الذنوب ، فالتوحيد يعني: مَن كمَّله كمَّل توحيد الربوبيـة، وتوحيد الإلهية وتوحيد الأسماء والصفات، فإنه تكفر ذنوبـه، كما سـيأتي في الباب بعده، أنه من حقق التوحيد دخل الجنة بغير حسـاب، وكلما زاد التوحيد كلما محا من الـذنوب بمقـدار عظمـه، وكلما زاد التوحيد كلما أمن العبد في الـدنيا، وفي الآخـرة بمقـدار عظمه.

وكلما زاد العبد في تحقيق التوحيد كلما كان متعرضا بدخول الجنة على ما كان عليه من العمـل، بهـذا سـاق الإمـام -رحمه الله- آية الأنعام فقال: باب فضل التوحيد وما يكفر من الـذنوب وقـول الله تعـالى... ، من أهل العلم من قـال: إن قولـه: وما يكفر من الذنوب، "ما" هنا موصول اسمي يعني: والـذي يكفـره من الذنوب، وهذا أيضا سائغ ظاهر الصحة.

وقول الله -تعالى-: [illegible]

الظلم هنا هو الشرك كما جاء في الصحيحين من حديث ابن مسعود: أن النبي قال في هذه الآية حينما استعظم الصحابة هذه الآية وقالوا: يا رسول الله! أينا لم يلبس إيمانه بظلم؟ فقال: ليس الذي تذهبون إليه الظلم الشرك ألم تسمعوا لقول العبد الصالح: .

فالظلم هنا في مراد الشيخ هو الشرك فيكون معنى الآية بما يناسب هذا الباب "الذين آمنوا ولم يلبسوا إيمانهم بشرك أولئك لهم الأمن وهم مهتدون" ففضل الذي آمن يعني وحَّد، ولم يلبس إيمانه بشرك لم يلبس توحيده بشرك أن له الأمن التام، والاهتداء التام.

وجه الدلالة: أن قوله: أن قوله: هنا نكرة في سياق وهذا يدل على عموم أنواع الظلم، هل العموم هنا العموم المخصوص أو العموم الذي يراد به الخصوص؟ هنا يراد العموم الذي يراد به الخصوص ؛ لأننا قلنا فيما سبق لك آنفا: إن النكرة في سياق النفي أو النهي تدل على العموم.

العموم عند الأصوليين تارة يكون باقيا على عمومه هذه حالة، وتارة يكون عموما مخصوصا، يعني دخله التخصيص، وتارة يكون عموما مرادا به الخصوص، يعني: لفظه عام ولكن

يراد به الخصوص، وهذا الثالث هو الـذي أراد به الشـيخ -رحمه الله- وجه الاستدلال من النهاية.

فيكــون الظلم هنا صــحيح نكــرة في ســياق لم تــدل على العموم؛ لأنه عموم مراد به الخصوص، وهو خصوص أحد أنــواع الظلم، وهو الشـرك فيصـير العمـوم في أنـواع الشـرك، لا في أنــواع الظلم كلهــا؛ لأن من أنــواع الظلم ما هو من جهة ظلم العبد نفسه بالمعاصــي، ومن جهة ظلم العبد غــيره ، بــأنواع التعــــــديات، ومنه ما هو ظلم من جهة حق الله -جل وعلا- بالشرك.

فهــذا هو المــراد بهــذا العمــوم، فيكــون عموما في أنــواع الشرك، وبهذا يحصل وجه الاسـتدلال من الآية فيكـون المعـنى: "الذين آمنوا ولم يلبسوا إيمانهم يعني توحيدهم بنوع من أنــواع الشرك، أولئك لهم الأمن، وهم مهتدون".

والأمن هنا هو الأمن التـام في الـدنيا، المـراد به أمن القلب وعدم الحزن على غير الله -جل وعلا- والاهتداء التام في الدنيا وفي الآخرة.

وكلما صــار ثَمَّ نقص في التوحيد بغشــيان العبد بعض أنــواع الظلم الـذي هو الشـرك، الشـرك الأصـغر، أو الشـرك الخفي، وسائر الشرك ونحو ذلك، فيذهب منه من الأمن والاهتداء بقدر ذلك، هذا من جهة تفسير الظلم بأنه الشرك.

فـــإذا فســـرت الظلم بأنه جميع أنـــواع الظلم كما ذكر ذلك شـيخ الإسـلام ابن تيميـة، فإنه يكـون هنـاك مقابلة بين الأمن والاهتـــداء، وبين حصـــول الظلم فكلما انتفى الظلم وجد الأمن والاهتـــداء، كلما كمل التوحيـــد، وانتفت المعصـــية عظم الأمن والاهتداء، وإذا زاد الظلم قلَّ الأمن والاهتداء بحسب ذلك.

قال: وعن عبادة بن الصامت قـال: قـال رسـول الله   من شهد أن لا إله إلا الله وحـده لا شـريك لـه، وأن محمـدا عبـده ورسوله وأن عيسى عبد الله ورسوله وكلمته ألقاها إلى مـــريم وروح منه وأن الجنة حق والنـــار حق أدخله الله الجنة على ما كان من العمل .

مناسبة هذا الحديث للباب قوله: على ما كـان من العمل وقوله: "على ما كـان" يعـني على الـذي كـان عليه من العمـل، ولو كان مقصرا في العمل، وعنده ذنوب وعصـيان، فـإن فضل توحيـــده لله وشـــهادته لله بالوحدانية ولنبيه بالرســـالة، ونفي إشراك المشركين بعيسى، وإقراره بـالغيب وبـالبعث، فـإن ذلك له فضل عليه، وهو أن يدخله الله الجنة، ولو كـان مقصـرا في العمل، وهذا من فضل التوحيد على أهله.

قال: ولهما في حديث عتبان فإن الله حرم على النـــار من قال لا إله إلا الله يبتغي بذلك وجه الله .

قوله: من قال لا إله إلا الله المراد بالقول هنا الذي معه تمام الشروط ، كقول النبي   الحج عرفة يعني: إذا أتى ببقية الأركان والواجبات.

قوله هنا: من قال لا إله إلا الله يعني باجتماع شروطها ، وبالإتيان بلازمها يبتغي بذلك وجه الله؛ ليخرج حال المنافقين ؛ لأنهم حين قالوها لا يبتغون بذلك وجه الله، فإن الله حرَّم عليه النار، وقوله: حرم على النار .

التحريم في نصوص الكتاب والسنة يأتي على درجتين، تحريم النار في نصوص الكتاب والسنة على درجتين: الأولى تحريم مؤبد، والثانية تحريم بعد أمد.

التحريم المؤبد يقتضي أن من حرم الله عليه النار فإنه إذا كان التحريم تحريما مؤبدا، فإنه لن يدخلها ، يغفر الله له، أو يكون من الذين يدخلون الجنة بلا حساب ولا عذاب.

وإذا كان التحريم بعد أمد ، يعني: ربما يدخلها، ثم يحرم عليه البقاء فيها، وهذا الحديث يحتمل الأول، ويحتمل الثاني، فإن الله حرم على النار من قال: لا إله إلا الله، والذي أتى بالتوحيد وانتهى عند ضده وكانت عنده بعض الذنوب والمعاصي، ومات من غير توبة فهو تحت المشيئة إن شاء الله عذبه، ثم حرم عليه النار، وإن شاء الله غفر له ، وحرم عليه النار ابتداء.

فإذا وجه الشاهد من الآية وجه الشاهد من الحديث للباب أن هذه الكلمة، وهي كلمة التوحيد ، وسيأتي بيان معناها مفصلا ، إن شاء الله تعالى ، هذه الكلمة لما ابتغى بها صاحبها وجه الله، وأتى بشروطها وبلوازمها تفضل الله عليه، وأعطاه ما يستحقه من أنه حرم عليه النار، وهذا فضل عظيم، نسأل الله -جل وعلا- أن يجعلنا من أهله.

حديث أبي سعيد الخدري بعد ذلك فيه: قال موسى: يا رب علمني شيئا أذكرك وأدعوك به قال: قل يا موسى لا إله إلا الله. قال: يا رب كل عبادك يقولون هذا ... .

في هذا الحديث دلالة على أن أهل الفضل والرفعة في الدين والإخلاص والتوحيد قد يُنَبَّهُون على شيء من مسائل التوحيد، فهذا موسى -عليه السلام- وهو أحد أولي العزم من الرسل، وهو كليم الله -جل وعلا- أراد شيئا يختص به غير ما عند الناس، وأعظم ما يختص به أولياء الله وأنبياؤه ورسله وأولو العزم منهم هو كلمة التوحيد لا إله إلا الله، فأراد شيئا أخص فعلم أنه لا أخص من كلمة التوحيد، فهي أفضل شيء، وهي التي دل عليها أولي العزم من الرسل، ومن دونهم من الناس.

 قال: يا رب كل عبادك يقولون هذا. قال: يا موسى لو أن السماوات السبع وعامرهن غيري- يعني ومن في السماوات السبع من الملائكة ومن عباد الله غير الله -جل وعلا- -

والأرضين السبع في كفة- يعني لو تمثلت السماوات أجساما والأرض جسما - والجميع سيوضع في ميزان له كفتان وجاءت لا إله إلا الله في الكفة الأخرى كما قال هنا- ولا إله إلا الله في كفة لمالت بهن لا إله إلا الله .

لا إله إلا الله كلمة توحيد فيها ثقل لميزان من قالها، وعظم في الفضل لمن اعتقدها، وما دلت عليه؛ فلهذا قال: مالت بهن لا إله إلا الله وجه الدلالة أنه لو تصور أن ذنوب العبد بلغت ثقل السماوات السبع وثقل ما فيها من العباد والملائكة وثقل الأرض، لكانت لا إله إلا الله مائلة بذلك الثقل من الذنوب، وهذا هو الذي دل عليه حديث البطاقة حيث جعل على أحد العصاة سجلات عظيمة فقيل له: هل لك من عمل؟ فقال: لا؟ فقيل له: بلى ثم أخرجت له بطاقة فيها لا إله إلا الله فوضعت في الكفة الأخرى فطاشت سجلات الذنوب وثقلت البطاقة .

وهذا الفضل العظيم لكلمة التوحيد إنما هو لمن قويت في قلبه، ذلك أنها في قلب بعض العباد تكون قوية ؛ لأنه مخلص فيها مُصَدِّق لا ريب عنده فيما دلت عليه ، معتقد ما فيها محب لما دلت عليه فيقوى أثرها في القلب ونورها ، وما كان كذلك فإنها تحرق ما يقابلها من الذنوب.

وأما من لم يكن من أهل تمام الإخلاص فيها، فإنه لا تطيش له سجلات الذنوب، فإذن يكون هذا الحديث وحديث البطاقة

يـدل على أن لا إله إلا الله لا يقابلها ذنب، ولا تقابلها خطيئـة، لكن هــــــذا في حق من كملها وحققها بحيث لم يخالطها في قلبه في معناها ريب، ولا تردد.

ومعناها مشـــتمل على الربوبية بالتضـــمن وعلى الأســـماء والصـفات بـاللزوم، وعلى الإلهية بالمطابقـة، فـإذن يكـون من يكمل له الانتفاع بهذه الكلمـة، ولا يقابلها ذنـوب وسـجلات، ولو كانت في ثقل السـموات وما فيها والأرض يكـون ذلك في حق من كمل ما دلت عليه من التوحيد، وهـذا معـنى هـذا الحـديث، وحديث البطاقة.

وهـذا أيضا هو الـذي دل عليه الحـديث الآخر في البـاب عن أنس قال: سـمعت رسـول الله ﷺ يقـول: ﴿ قـال الله -تعـالى-: يا ابن آدم لو آتيتني بقراب الأرض خطايا ثم لقيتني لا تشـرك بي شيئا لآتيتك بقرابها مغفرة ﴾ .

وهــذا من فضل التوحيد وتكفــيره الــذنوب، ومناســبة هــذا الحديث للباب ظاهرة، وهي أنه ممن أتى بـذنوب عظيمـة، ولو كانت كقـراب الأرض خطايا يعـني كعظم وقـدر الأرض خطايا ، ولكنه لقي الله لا يشرك به شيئا لأتى الله لـذلك العبد بمقـدار تلك الخطايا مغفرة .

وهـذا لأجل فضل التوحيـد، وعظم فضل الله -جل وعلا- على عبـاده بـأن هـداهم إليه ثم أثـابهم عليـه، هـذا بعض ما تيسـر،

وأســـأل الله -جل وعلا- لي ولكم التوفيق والرشد والســـداد، وصلى الله وسلم وبارك على نبينا محمد.

باب

من حقق التوحيد دخل الجنة بغير حساب

الحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسـلم وبـارك على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

قال المصنف -رحمه الله تعالى-: باب من حقق التوحيد دخل الجنة بغير حساب، وقول الله تعالى: [illegible] وقوله: [illegible] وعن حصين بن عبد الرحمن قال: كنت عند سـعيد بن جبـير [illegible] فقـال: أيكم رأى الكـوكب الـذي انقض البارحـة؟ قلت: أنـا، ثم قلت: أما إني لم أكن في صـلاة ولكـني لـدغت. قـال فما صـنعت؟ قلت: اسـترقيت، قـال: فما حملك على ذلـك؟ قلت: حـديث حـدثناه الشـعبي. قـال: وما حدثكم؟ قلت: حدثنا عن بريـدة بن الحصـيب أنه قـال: [illegible] لا رقية إلا من عين أو حُمَة [illegible] قال: قد أحسن من انتهى إلى ما سمع.

ولكن حدثنا ابن عبـاس عن النـبي [illegible] أنه قـال: [illegible] عرضت عليَّ الأمم فرأيت النبي، ومعه الرهط، والنبي ومعه الرجل والرجلان ، والنبي وليس معه أحد؛ إذ رفع لي سـواد عظيم فظننت أنهم

أمتي فقيل لي: هذا موسى وقومه، فنظرت فإذا سواد عظيم، فقيل لي: هذه أمتك ومعهم سبعون ألفا يدخلون الجنة بغير حساب ولا عذاب فنهض فدخل منزله فخاض الناس في أولئك .

فقال بعضهم: فلعلهم الذين صحبوا رسول الله [illegible] وقال: بعضهم فلعلهم الذين ولدوا في الإسلام فلم يشركوا بالله شيئا، وذكروا أشياء فخرج عليهم رسول الله [illegible] فأخبروه فقال: هم الذين لا يسترقون ولا يكتوون ولا يتطيرون، وعلى ربهم يتوكلون، فقام عكاشة بن محصن فقال: يا رسول الله! ادع الله أن يجعلني منهم. قال: أنت منهم، ثم قام رجل آخر فقال: ادع الله أن يجعلني منهم قال: سبقك بها عكاشة [illegible] .

[illegible]

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله وعلى آله وصحبه ومن اهتدى بهداه أما بعد:

فإن الاهتمام بالعلم، والرغب فيه، والحرص عليه، والإقبال عليه دليل صحة القلوب ؛ لأن القلب إذا صحا لنفسه وعرف ما ينفعه فإنه سيحرص على العلم؛ ذلك لأن الله -جل جلاله- مدح أهل العلم ورفعهم على غيرهم درجات قال سبحانه: [illegible]

[illegible]

وقال -جل وعلا-: [illegible]

[illegible] .

فعدم استواء من يعلم مع من لا يعلم، هذا إنما يذكره ويعيه أهل الألباب: [illegible] وأما الجاهل فهو لا يعـرف أنه جاهـل، ويقنع بالجهالـة، ثم هو لا يعلم معـنى العلم وأهمية العلم، وأن العلم هو الشرف الأعظم في هذه الحياة.

ولهــذا قــال العلمــاء: من دلائل أهمية العلم أن الله -جل جلاله- ما أمر نبيه [illegible] أن يدعو بالازديـاد من شـيء إلا من العلم فقال سبحانه لنبيـه: [illegible] وما أمـره بالازدياد أو بدعاء الازدياد من غير العلم وكفى بذلك شرفا.

العلم يشترك كثيرون في الاهتمـام بـه، لكن لا يسـتوون في أخــذه، ولا في طريقة أخــذه ، وهم طبقــات فمنهم المتعجل الــذي يظن أن العلم يحصل في أسـابيع أو في أشـهر، أو في سـنين معـدودة، وهـذا بعيد عن الصـواب ؛ لأن العلم لا ينتهي حتى يموت المرء، وبقي من العلم أشياء كثيرة لم يعلمها، فإن العلم واسع الأطراف واسع الجنبات .

والله -جل وعلا- هو ذو العلم الكامــــــــل، وأعطى البشر بمجموعهم أعطـاهم بعض علمـه، فهـذا يفـوت عليه شـيء من العلم، وذاك يفوت عليه شيء من العلم ، ولكن بمجموعهم لو جمع علم من فيها لكان شيئا قليلا جـدا من علم الله كما تضع الإبرة في البحر ثم تخرجها لم تنقص من ماء البحر شيئا.

وإذا كان كذلك فإن رَوْم العلم لا يمكن أن يكون بإطلاق بل ينبغي لطالب العلم أن يكون متدرجا فيه، والتدرج سنة لا بد منها، هي سنة النبي وهي سنة الصحابة، وهي سنة أهل العلم بعدهم.

فالنبي -عليه الصلاة والسلام- ما علم الصحابة العلم جملة واحدة وإنما علمهم في سنين عددا . في مكة علمهم أصل الأصول الذي به سلامة القلب وصحته وسلامة العقل وصحته ألا وهو توحيد الله -جل جلاله- والبراءة من كل ما سوى الرب -جل وعلا- .

ثم بعد ذلك أتى العلم شيئا فشيئا لصحابة رسول الله وكل أخذ من العلم بقدر ما يسر له وقدر له، هكذا أهل العلم من بعد الصحابة لا تجد أن أولئك خاضوا العلم خوضا واحدا، فمنهم من برز في علم العربية، ومنهم من برز في علم الأصول، ومنهم من برز في التفسير ، ومنهم من برز في الحديث، ومنهم من برز في علوم الآلة الأخرى كالمصطلح ونحوه، ومنهم من برز في الفقه، وهكذا في علوم شتى.

وإذا كان كذلك كانت وصية ابن شهاب الزهري التي لا بد أن نحفظها كانت وصيته نِعْم الوصية حيث قال: "من رام العلم جملة ذهب عنه جملة، إنما يطلب العلم على مر الأيام والليالي".

فالمتعجلون لا يُحَصِّلون العلم فلا بد إذن من التــدرج، ثُمَّ ثَمَّ صـــــــنف آخر أيضا من الشــــــباب أو من طلاب العلم وهم المتذوقون، المتذوقون أهل التذوق في أخذ العلم يـأتي ويطلب علما ما مـدة قليلـة، ثم يـأتي ويحكم على هـذا العلم أو يحكم على مَن يعلم ذاك العلم، وأيضا ينتقل إلى آخر، ثم يحكم على ذلك العلم الآخر، وعلى من يعلم ذلك العلم الآخر.

وهــذا دليل نقص في العلم ونقص في الإدراك والعقل ؛ لأن العلــوم لا يحكم عليها إلا من حواها من جميع جنباتهــا، وأحــاط من ورائها، وهذا لا يتأتى لأكثر الشباب الذين يتــذوقون تجد أنه في مــدة من الــزمن، أشــهر أو ســنة حضر عند فلان من أهل العلم، أو من المعلمين من طلبة العلم، فحكم على نفســه، أو على ذلك المعلم بأنه كذا وكذا، ثم انتقل إلى غيره.

ثم في الآخر تجد أن هذا النوع ييأس، ولا يُحَصِّل علما كثـيرا ذلك ؛ لأنه تعجل وكان متذوقا في العلم والتذوق بمعـنى كـثرة التنقل، والأخذ من هذا بشـيء، والأخذ من ذاك بشـيء، هـذا لا يكون المرء به عالما، ولا طـالب علم، وإنما كما قـال الأولـون: يكون أديبا ؛ لأنهم عرفوا الأدب بأنه الأخذ من كل علم بطرف، وهذا مما لا ينبغي أن يسلك.

يعني: أن يكـون طـالب العلم الـذي أراد صـحة العلم وصـحة السـلوك فيه ، لا يصـلح أن يكـون متـذوقا، إذن فرجع السـبيل إلى أن يكون مؤصلا نفسه متـدرجا في العلم، والتأصـيل أمـره

عزيز جدا، تأصيل العلم وتأصيل طـالب العلم، وأن يحفظ كما حفظ الأولون.

انظر إن كنت معتبرا، انظر كتب التراجم، حيث تـرجم أولئك المصـنفون لأهل العلم تجد أنه في ترجمة إمـام من الأئمـة، وحافظ من الحفـاظ تجد أنهم يـذكرون في أوائل ترجمتـه، أنه قرأ الكتاب الفلاني من الكتب القصيرة من المتون المختصـرة، وقرأ الكتاب الفلاني، وحفظ كـذا ، وحفظ كـذا، لمـاذا يـذكرون هذا ويجعلونه منقبة لأولئك؟

لأن حفظ تلك المتـون وقـراءة تلك المختصـرات هي طريقة العلم في الواقع، وهذه سنة العلماء، ومن تركها فقد ترك سنة العلمـاء في العلم والتعليم منذ تشـعب العلم بعد القـرن الرابع الهجري؛ لهذا ينبغي لك أن تكون حريصا على التـأني في طلب العلم، وأن تُحْكِم ما تسمع وما تقرأ شيئا فشيئا.

ومن المهمـات أيضا ألا تـدخل عقلك إلا صـورة صـحيحة من العلم، لا تهتم بكثرة المعلومات بقدر ما تهتهم بألا يدخل العقل إلا صورة صحيحة للعلم، إذا أردت أن تتناولها تناولتها بالاحتجـاج أو بالذكر أو بالاستفادة تناولتها تناولا صحيحا.

أما إذا كنت تــدخل في عقلك مســائل كثــيرة، وإذا أتى النقاش لاحظت من نفسك أن هـذه المسـألة فهمتها على غـير وجهها، والثانية فهمتها على غير وجهها لها قيد لم تهتم بـه، لها

ضوابط ما اعتنيت بها فتكون الصور في الـذهن كثـيرة، وتكـون المسائل كثيرة، لكن غير منضبطة وليس ذلك بالعلم.

إنما العلم أن تكــون الصــورة في الــذهن للمســألة العلمية منضبطة من جهة الصـورة، صـورة المسـألة، ومن جهة الحكم، ومن جهة الـدليل، ومن جهة وجه الاسـتدلال فهـذه الأربع تهتم بها جدا.

أعيدها: الأولى: صورة المسألة.

الثانيـــة: حكم المســـألة في أي علم في الفقـــه، أو في الحـديث، أو في المصـطلح، أو الأصـول، أو النحـو، أو التفسـير إلى آخره، حكم المسألة.

الثالث: دليلها، ما دليل هذا الذي قال كذا وكذا.

الرابع: ما وجه الاسـتدلال؟ اسـتدل بـدليل كيف أعمل عقله في هذا الـدليل فاسـتنبط منه الحكم؟ فـإذا عـودت ذهنك على هذه الأربع سرت مسيرا جيدا في فهم العلم.

والذي يحيط بـذلك الاهتمـام باللغة العربية والاهتمـام بألفـاظ أهل العلم ؛ لأن من لم يهتم بألفـــاظ أهل العلم، وبلغة العلم لم يدرك مراداتهم من كلامهم هذه كلمة لأجل أن بعض الإخوة طلب أن تكون مقدمة لهذا الدرس حتى يجتمع من يريد حضور درس التوحيد، ولو تهيأ أن نجعل كل يوم عشر دقائق في بيان وصية أو في بيان شيء مما تهتمون به لكـان ذلك مناسـبا، إن شاء الله تعالى، وصلى الله وسلم على نبينا محمد.

هذا الباب باب من حقق التوحيد دخل الجنة بغير حساب، وقد ذكر في الباب قبله، فضل التوحيد، وما يكفر من الذنوب، وهذا الباب أرفع رتبة من بيان فضل التوحيد، فإن فضل التوحيد يشترك فيه أهله، وأهل التوحيد هم أهل الإسلام، فلكل من التوحيد فضل، ولكل مسلم نصيب من التوحيد وله بالتالي نصيب من فضل التوحيد وتكفير الذنوب .

أما خاصة هذه الأمة فهم الذين حققوا التوحيد؛ ولهذا عطف هذا الباب على ما قبله ؛ لأنه أخص ، باب من حقق التوحيد دخل الجنة بغير حساب، وتحقيق التوحيد هو مدار هذا الباب تحقيقه بمعنى تحقيق الشهادتين لا إله إلا الله محمد رسول الله.

ومعنى تحقيق الشهادتين تصفية الدين يعني ما يدين به من شوائب الشرك والبدع والمعاصي، فصار تحقيق التوحيد يرجع إلى ثلاثة أشياء: الأول: ترك الشرك بأنواعه الأكبر والأصغر والخفي. والثاني: ترك البدع بأنواعها. والثالث: ترك المعاصي بأنواعها، وتحقيق التوحيد صار تصفيته من أنواع الشرك، وأنواع البدع، وأنواع المعاصي.

وتحقيق التوحيد يكون على هذا على درجتين: درجة واجبة ودرجة مستحبة، وعليها يكون الذين حققوا التوحيد على درجتين أيضا، فالدرجة الواجبة أن يترك ما يجب تركه من

الثلاث التي ذكـرت يـترك الشـرك خفيه وجليه صـغيره وكبـيره، ويترك البدع، ويترك المعاصي هذه درجة واجبة.

والدرجة المسـتحبة من تحقيق التوحيـد، وهي الـتي يتفاضل فيها النــاس من المحققين للتوحيد أعظم تفاضــل، ألا وهي ألا يكــون في القلب شــيء من التوجه أو القصد لغــير الله -جل وعلا- يعــني: أن يكــون القلب متوجها إلى الله بكليته ليس فيه التفـات إلى غـير اللـه، نطقه لله وفعله وعمله للـه، بل وحركة قلبه لله -جل جلاله- .

وقد عبر عنها بعض أهل العلم أعني: هـذه الدرجة المسـتحبة أن يـترك ما لا بـأس به حـذرا مما به بـأس، يعـني في مجـال أعمال القلوب وأعمال اللسان وأعمال الجوارح.

فـإذا انوجد تحقيق التوحيد الـذي هـذا فضـله، وهو أن يـدخل أهله الجنة بغــير حســاب ولا عــذاب رجع إلى تينك المرتبــتين، وتحقيقه تحقيق الشهادتين لا إله إلا الله محمد رسول الله.

هذا الباب، باب: "من حقَّق التوحيد دخل الجنة بغير حساب"، وقد ذكر في الباب قبله فضل التوحيـد، وما يكفر من الـذنوب، وهــذا البــاب أرفع رتبة من بيــان فضل التوحيــد، فــإن فضل التوحيد يشترك فيه أهله، وأهل التوحيد هم أهل الإسلام، فلكل من التوحيد فضل، ولكل مسلم نصيب من التوحيد، وله بالتـالي نصيب من فضل التوحيد وتكفير الذنوب.

أما خاصة هذه الأمة فهم الذين حققوا التوحيد؛ ولهـذا عطف هذا الباب على ما قبله؛ لأنه أخف.

بــاب: "من حقق التوحيد دخل الجنة بغــير حســاب" وتحقيق التوحيد هو مدار هـذا البـاب، تحقيقه بمعـنى تحقيق الشـهادتين "لا إله إلا الله، محمد رسـول اللـه" ومعـنى تحقيق الشـهادتين: تصـفية الـدين يعـني: ما يـدين به من شـوائب الشـرك والبـدع والمعاصي، فصار تحقيق التوحيد يرجع إلى ثلاثة أشياء:

الأول: ترك الشرك بأنواعه: الأكبر، والأصغر، والخفي.

والثاني: ترك البدع بأنواعها.

والثالث: ترك المعاصي بأنواعها.

وتحقيق التوحيد صار تصفيته من أنواع الشرك، وأنواع البدع، وأنواع المعاصي، وتحقيق التوحيد يكون على هذا على درجـتين، درجة واجبة، ودرجة مستحبة، وعليها يكون الذين حققوا التوحيد على درجتين -أيضـا-، فالدرجة الواجبـة: أن يـترك ما يجب تركه من الثلاث الـتي ذكـرت، يـترك الشـرك خفيه وجليـه، صـغيره وكبيره، ويترك البدع، ويترك المعاصي، هذه درجة واجبة.

والدرجة المســتحبة من تحقيق التوحيد وهي الـــتي يتفاضل فيها النــاس من المحققين للتوحيد أعظم تفاضــل، ألا وهي ألا يكــون في القلب شــيء من التوجه أو القصد لغــير الله -جل وعلا-، يعني: أن يكون القلب متوجها إلى الله بكليتـه، ليس فيه التفات إلى غير اللـه، نطقه للـه، وفعله وعمله للـه، بل وحركة

قلبه لله -جل جلالــه-، وقد عــبر عنها بعض أهل العلم -أعــني هــذه الدرجة المســتحبة- أن يـترك ما لا بـأس به حـذرا مما به بأس، يعني: في مجال أعمال القلوب، وأعمال اللسان، وأعمال الجوارح.

فـإذا رجع تحقيق التوحيد الـذي هـذا فضـله، وهو أن يـدخل أهله الجنة بغـير حسـاب ولا عـذاب، رجع إلى تينك المرتبـتين، وتحقيقه تحقيق الشهادتين "لا إله إلا الله، محمد رسول اللــه"؛ لأن في قولــه: "لا إله إلا اللــه" الإتيــان بالتوحيــد، والبعد عن الشرك بأنواعه؛ ولأن في قوله: "أشهد أن محمدا رسـول اللـه" البعد عن المعصية، والبعد عن البدع؛ لأن مقتضى الشهادة بـأن محمدا رسول الله: أن يطاع فيما أمـر، وأن يصـدق فيما أخـبر، وأن يجتنب ما عنه نهى وزجـــر، وألا يعبد الله إلا بما شـــرع، فمن أتى شيئا من المعاصي والـذنوب، ثم لم يتب منهـا، أو لم تكفر لــه، فإنه لم يحقق التوحيد الــواجب، وإذا أتى شــيئا من البـدع، فإنه لم يحقق التوحيد الـواجب، وإذا لم يـأتِ شـيئا من البدع، ولكن حسَّـنها بقلبـه، أو قـال: لا شـيء فيهـا، فـإن حركة القلب كانت في غير تحقيق التوحيد، في غير تحقيق شهادة أن محمدا رسـول اللـه، فلا يكـون من أهل تحقيق التوحيـد، كـذلك أهل الشرك بأنواعه ليسوا من أهل تحقيق التوحيد.

وأما مرتبة الخاصة التي ذكـرت، ففيها يتنـافس المتنافسـون، وما ثم إلا عفو الله ومغفرته ورضوانه.

باب "من حقق التوحيد دخل الجنة بغير حساب" استدلَّ الشيخ في هذا الباب بآيتين وبحديث، أما الآية الأولى قال -رحمه الله-: وقول الله -تعالى-: هذه الآية فيها الدلالة على أن إبراهيم -عليه السلام- كان محققا للتوحيد.

وجه الدلالة: أن الله -جل وعلا- وصفه بصفات، الأولى: أنه كان أمة، والأمة هو الإمام الذي جَمَع جميع صفات الكمال البشري، وصفات الخير، وهذا يعني: أنه لم ينقص من صفات الخير شيئا، وهذا هو معنى تحقيق التوحيد.

والأمة تطلق في القرآن إطلاقات، ومن تلك الإطلاقات: أن يكون معنى الأمة الإمام المقتدى به في الخير، وسمي أمة؛ لأنه يقوم مقام أمة في الاقتداء؛ ولأنه يكون من سار على سيره غير مستوحش ولا متردد؛ لأنه ليس مع واحد فقط، وإنما هو مع أمة.

الوصف الثاني الذي فيه تحقيق التوحيد إنه قال: وهاتان الصفتان، " قانتا لله": صفة، "حنيفا": صفة، ولكن هذه وهذه متلازمتان؛ لأن القنوت لله معناه دوام الطاعة، وملازمة الطاعة لله -جل وعلا- فهو ملازم الطاعة لله -جل وعلا-، "حنيفا" هذا فيه النفي، ففي قوله: "قانتا لله" الإثبات، في لزوم الطاعة، ولزوم إفراد التوحيد، وفي قوله: "حنيفا" النفي، قال العلماء: الحنيف هو ذو الحنف، وهو الميل

عن طريق المشركين، مائلا عن طريق المشركين، مائلا عن هدي وسبيل المشركين، فصار إذن عنده ديمومة، وقنوت، وملازمة للطاعة، وبعد عن سبيل المشركين.

ومعلوم أن سبيل المشركين الذي صار إبراهيم -عليه السلام- حنيفا عن ذلك السبيل، يعني: مائلا عن ذلك السبيل بعيدا عنه معلوم أنه يشتمل على الشرك والبدعة والمعصية، فهما أخلاق، فهي ثلاث أخلاق المشركين، شرك وبدعة، ومعصية من غير إنابة ولا استغفار.

قال: □ □□□□□ □□□□□□□□□□□□□□□□□ □□□□ □□□□ □□□□□□ □ "لم يك": يك هذه هي يكن، وفي النفي يجوز حذف النون، نون يكن في مثل هذا □ □ □□□□□ □□□□□□□□□□□□□□□□□ □□□□ □□□□ □□□□□□ وفي آية أخرى □□□□□□ □ □ □□□□□ □□□□□□□□□□□□□□□□□ □□□□ □□□□ وهما جائزان في اللغة، إذا جاءت يكن في سياق النفي -كما هي معلوم-.

□ □□□□□ □□□□□□□□□□□□□□□□□ □□□□ □□□□ □□□□□□ □ المشركين: جمع تصحيح للمشرك، والمشرك: اسم فاعل الشرك، و"ال" -كما هو معلوم في العربية- إذا جاءت قبل اسم الفاعل، أو اسم المفعول، فإنها تكون موصولة، كما قال ابن مالك في الألفية:

وصفة صريحة صلة "ال"   **وكونها بمعرب الأفعال قل**

والاسم الموصول عند الأصـوليين يـدل على العمـوم، فكـان إذن المعـنى [illegible] يعـني: ولم يك فاعلا للشرك بأنواعه، لم يك منهم، ولم يك من الذين يفعلــون الشرك بأنواعه، و-أيضا- دل قوله: [illegible] على أنه ابتعد عنـــه؛ لأن "من" تحتمل أن تكـــون تبعيضـــية؛ فتكـون المباعـدة بالأجسـام، ويحتمل أن تكـون بيانيـة؛ فتكـون المباعدة بمعنى الشرك.

المقصود أن الشيخ -رحمه اللـه- استحضر هـذه المعـاني من الآية، فدلته الآية على أنها في تحقيق التوحيد، قال -جل وعلا-: [illegible]؛ ذلك لأن من جمع تلك الصـــفات، فقد حقق التوحيـــد، ومن حقق التوحيد دخل الجنة بغير حساب.

في تفسـير إمـام الـدعوة المصـنف الشـيخ محمد بن عبد الوهاب-رحمه الله-، في تفسيره لآخر سورة النحـل، فسر هـذه الآيـة، فقـال -رحمه اللـه-: "إن إبـراهيم كـان أمة لا يسـتوحش مسالك الطريق من قلة السالكين"، "قانتا للـه": لا للملـوك ولا للتجار المترفين، "حنيفا": لا يميل يمينا ولا شمالا، كحال العلماء المفتـــونين، [illegible] خلافا لمن كـــثر ســـوادهم، وزعم أنه من المســـلمين، وهو من التفاســـير الرائقة الفائقة البعيدة المعاني [illegible] .

قال بعد ذلك: وقوله:

هـذه من آيـات في سـورة المؤمنـون، وهي في مـدح خاصة المؤمـنين، ووجه الاسـتدلال من الآية على البـاب أنه قـال: "لا يشركون" نفي للشرك، كما ذكـــرت لكم من قبل أن النفي إذا تســـلط على الفعل المضارع، فإنه يفيد عموم المصدر الذي استكن بالفعـل، يعـني: كأنه قال -جل وعلا-: " والذين هم بربهم لا يفعلون شركا، أو لا يشركون، لا بشرك أكبر، ولا أصغر، ولا خفي"، والذي لا يشرك هو الموحد، فصار عندنا لازم، وهو أن من لم يشرك أي أنــواع من الشرك، فإنه ما ترك الشرك إلا لتوحيده.

قال العلماء: قدَّم هنا قوله: "بربهم" ؛ لأن الربوبية تسـتلزم العبوديـة، فصـار عـدم الإشراك في الربوبية معناه عدم الإشـراك في الطاعـة، وعـدم الإشراك في العبودية، وهـذا وصف الـذين حققـوا التوحيـد؛ لأنه يلزم من عدم الإشراك ألا يشرك هواه، وإن أشرك المرء هواه أتى بالبدع، أو أتى بالمعصـية، فصـار نفي الشـرك نفيا للشـرك بأنواعه، ونفيا للبدعـة، ونفيا للمعصـية، وهـذا هو تحقيق التوحيد لله -جل وعلا.

فـإذن الآية دالة على ما تـرجم به الإمـام -رحمه اللــه- من قوله: "بـاب من حقق التوحيد دخل الجنة بغـير حسـاب" وأولئك

قال فيهم الله -جل وعلا-: ﴿ [illegible] ﴾ .

أما الحديث فهو حديث طويل، وموضع الشاهد منه قوله -عليه الصلاة والسلام-: « فنظرت، فإذا سواد عظيم، فقيل لي: هذه أمتك، ومعهم سبعون ألفا يدخلون الجنة بغير حساب ولا عذاب، ثم نهض، فدخل منزله، فخاض الناس في أولئك، فقال بعضهم: فلعلهم الذين صحبوا رسول الله ﷺ فقال بعضهم: فلعلهم الذين ولدوا في الإسلام، فلم يشركوا بالله شيئا، وذكروا أشياء، فخرج عليهم رسول الله ﷺ فأخبروه، فقال هم: الذين لا يسترقون ولا يكتوون ولا يتطيرون وعلى ربهم يتوكلون » .

هذه في صفة الذين يدخلون الجنة بغير حساب ولا عذاب، وهذه صفة من صفاتهم، وتلك الصفة خاصة بهم لا يلتبس أمرهم بغيرهم؛ لأن هذه الصفة كالشامة يعرفون بها، من هم الذين حققوا التوحيد؟ قال: « هم الذين لا يسترقون، ولا يكتوون، ولا يتطيرون » فذكر أربع صفات: الأولى: أنهم لا يسترقون، ومعنى يسترقون يعني: لا يطلبون الرقية، والطالب للرقية في قلبه ميل للراقي؛ حتى يرفع ما به من جهة السبب، وهذا النفي « لا يسترقون » لأن الناس في شأن الرقية تتعلق قلوبهم جدا أكثر من تعلقهم بالطب ونحوه، فالرقية عند العرب في الجاهلية، وهكذا حال أكثر الناس لهم

تعلق بها، فالقلب يتعلق بـالراقي، ويتعلق بالرقيـة، وهـذا ينـافي كمال التوكل على الله -جل جلاله-.

وأما ما جـاء في بعض الروايـات أنهم ﴿ الـذين لا يرقـون ﴾ فهذا غلـط؛ لأن الـراقي محسن إلى غـيره، وهي لفظة شـاذة، والصـــواب ما جـــاء في هـــذه الرواية من أنهم ﴿ الـــذين لا يسـترقون ﴾ يعـني: لا يطلبـون الرقيـة؛ وذلك لأن طـالب الرقية يكـون في قلبه ميل إلى هـذا الـذي رقـاه، وإلى الرقيـة، ونـوع توكل، أو نوع استرواح لهذا الذي يرقى، أو للرقية.

قال: ﴿ ولا يكتوون ﴾ والكي مكروه في أصله؛ لأن فيه تعــذيبا بالنار، مع أنه مأذون به شرعا، لكن فيه كراهـة، والعـرب تعتقد أن الكي يحـدث المقصـود دائمـا؛ فلهـذا تتعلق قلـوبهم بـالكي، فصـار تعلق القلب بهـذا الكي من جهة أنه سـبب يـؤثر دائمـا، ومعلـــوم أن الكي يـــؤثر بـــإذن الله -جل وعلا- إذا اجتمعت الأسباب، وانتفت الموانـع، فـالنفي لأجل أن في الكي بخصوصه ما يتعلق الناس به من أجله.

قال: ﴿ ولا يتطيرون ﴾ والطيرة: شيء يعـرض على القلب من جراء شيء يحدث أمامه، إما أن يجعله يقـدم على أمـر، أو أن يحجم عنه، وهذه صفة من لم يكن التوكل في قلبه عظيم.

قــال بعــدها: ﴿ وعلى ربهم يتوكلــون ﴾ وهي جامعة للصــفات السابقة، هذه الصفات لا يعنى بذكرها أن الذين حققـوا التوحيد لا يباشرون الأسباب، كما فهمه بعضهم من أن تحقيق التوحيـد،

أو أن الكمال ألا يباشر سببا البتة، أو ألا يتداول بتة، هذا غلط؛ لأن النبي رقي -عليه الصلاة والسلام-؛ ولأنه -عليه الصلاة والسلام- تداوى، وأمر بالتداوي، وأمر -أيضا- بعض الصحابة بأن يكتوي ونحو ذلك.

فليس فيه أن أولئك لا يباشرون الأسباب مطلقا، أو لا يباشرون أسباب الدواء، وإنما فيه ذكر لهذه بخصوصها، هذه الثلاث بخصوصها؛ لأنها يكثر تعلق القلب، والتفاته إلى الراقي، أو إلى الكي، أو الكاوي، أو إلى التطير، ففيها إنقاص من التوكل.

أما التداوي فهو مشروع، إما واجب، أو مستحب، وفي بعض الأحوال يكون مباحا، وقد قال النبي   تداووا عباد الله، ولا تتداووا بحرام المقصود من هذا أن التداوي فعلا يعني: أن يفعل التداوي ، وأن يطلب الدواء ليس خارما لتحقيق التوحيد، ولكن الذي هو من صفة أهل تحقيق التوحيد أنهم لا يسترقون بخصوص الرقية، ولا يكتوون بخصوص الكي، ولا يتطيرون، وأما ما عدا ذلك مما أذن به، فلا يدخل في ما يختص به أهل تحقيق التوحيد، فإذا يكون الأظهر عندي مما في هذا الحديث أنه مخصوص بهذه الثلاثة لا يسترقون ولا يكتوون ولا يتطيرون .

أما الأسباب الأخرى المأذون بها فلا تدخل في صفة الذين حققوا التوحيد، قال: فقام عكاشة بن محصن فقال: ادع الله

أن يجعلني منهم. فقال: أنت منهم، ثم قام رجل آخر فقال: ادع الله أن يجعلني منهم. فقال: سبقك بها عكاشة هـذا فيه دليل على أن أهل تحقيق التوحيد قليل، وليسـوا بكثـير ؛ ولهـذا جـاء عديدهم في هذا الحديث بأنهم سبعون ألفـا، قد جـاء في بعض الروايـات عند الإمـام أحمد وعند غـيره بـأن الله -جل وعلا- أعطى النـبي مع كل ألف من السـبعين ألفا أعطـاه سـبعين ألفا، فيكون العدد قرابة خمسة ملايين من هذه الأمة، فإن كان ذلك الحديث صحيحا، فقد صحَّح إسـناده بعض أهل العلم، فإنه لا يكـون للعـدد في هـذا الحـديث مفهـوم، أو كـان قبل سـؤال النبي أن يزاد في عدد أولئك الذين حققوا التوحيد.

ما معـنى أن يـزاد في عـددهم ؟ يعـني: أن الله -جل وعلا- يمن على أنـاس من هـذه الأمة أكـثر من السـبعين ألفا ممن سـيأتون، فيـوفقهم لعمل تحقيق التوحيـد، والله -جل وعلا- هو الذي يوفق، وهو الذي يهدي، ثم هو الـذي يجـازي، فما أعظمه من محسن بر كريم رحيم.

البـاب الثـالث الـذي بعد بـاب "من حقق التوحيـد" هو بـاب "الخـوف من الشـرك" وكل من حقق التوحيد فلا بد أن يخـاف من الشرك؛ ولهذا سـيد المحققين للتوحيد محمد -عليه الصـلاة والسلام- كـان يكـثر من الـدعاء بـأن يبعد عنه الشـرك، وكـذلك إبـراهيم -عليه السـلام- كـان يكـثر من الـدعاء بـأن لا يدركه الشرك، أو عبادة الأصنام.

فمناسبة هـذا البـاب لما قبله ظـاهرة من أن تحقيق التوحيد عند أهله معه الخـوف من الشـرك، وقل من يكـون مخـاطرا بتوحيـده، أو غـير خـائف من الشـرك، فيكـون على مـراتب الكمـال، بل لا يوجـد، فكل محقق للتوحيـد، كل راغب فيه حريص عليه يخـاف من الشـرك، وإذا خـاف من الشـرك، فـإن الخـوف -وهو فـزع القلب وهلعه وهربه من ذلك الشـيء- فـإن هذا الذي يخاف من الشرك سيسعى في البعد عنه.

والخـوف من الشـرك يثمر ثمـرات منهـا: أن يكـون متعلما للشرك بأنواعه حتى لا يقع فيه.

ومنها: أن يكـون متعلما للتوحيد بأنواعه حـتى يقـوم في قلبه الخوف من الشرك، ويعظم ويستمر على ذلك.

ومنها: أن الخائف من الشرك يكون قلبه دائما مستقيما على طاعة الله مبتغيا مرضـاة اللـه، فـإن عصى أو غفل كـان اسـتغفاره اسـتغفار من يعلم عظم شـأن الاسـتغفار، وعظم حاجته للاسـتغفار؛ لأن الـذين يسـتغفرون أنـواع، لكن من علم حق الله -جل وعلا- وسعى في توحيده، وتعلم ذلك وسـعى في الهرب من الشرك، فإنه إذا غفل وجد أنه أشد ما يكـون حاجة إلى الاستغفار؛ لهذا لصلاح القلب بـوَّب الشـيخ-رحمه اللـه- هـذا البـاب "بـاب الخـوف من الشـرك"، وكأنه قـال لـك: إذا كنت تخاف من الشرك كما خـاف منه إبـراهيم -عليه السـلام-، وكما توعد الله أهل الشـرك بأنه لا يغفر شـركهم، فـإذن تعلم ما

سيأتي في هذا الكتاب، فإن هذا الكتـاب إنما هو لأجل الخـوف من الشرك، ولأجل تحقيق التوحيد.

فهذا الكتاب موضوع لتحقيق التوحيد، وللخـوف من الشـرك، والبعد عنه، فما بعد هذين البابين -باب من حقق التوحيد، وباب الخـوف من الشـرك- ما بعد ذلك تفصـيل لهـاتين المسـألتين العظيمتين -تحقيق التوحيد، والخـوف من الشـرك ببيـان معنـاه، وبيان أنواعه-.

ذكرت لك فيما سـبق أن الشـرك: هو إشـراك غـير الله معه في نوع من أنواع العبادة، فقد يكـون أكـبر، وقد يكـون أصـغر، وقد يكون خفيا، قـال الشـيخ-رحمه اللـه-: وقـول الله [illegible]

[illegible] هذه الآية من سورة النساء فيها قوله: [illegible] والمغفرة: هي الستر لما يخـاف وقـوع أثـره، وفي اللغة يقـال: غفر إذا سـتر، ومنه سـمي ما يوضع على الـرأس "مغفـرا"؛ لأنه يسـتر الـرأس، ويقيه الأثر المكروه من وقع السيف ونحوه على الـرأس، فمـادة المغفـرة راجعه إلى ستر الأثر الذي يخاف منه، والشرك أو المعصية لها أثرها إما في الـدنيا، وإما في الآخـرة، أو فيهما جميعـا، وأعظم ما يمن به على العبد أن يغفر ذنبه، وذلك بأن يستر عليه، وأن يمحى أثره، فلا يؤاخذ به الدنيا، ولا يؤاخذ به في الآخرة، ولـولا المغفرة لهلك الناس.

قال -جل وعلا- هنا: [illegible] "لا يغفر" يعني: أبدا لا يغفر أن يشرك به، يعنى أنه بوعده هـذا لم يجعل مغفرته لمن أشرك به، قال هنا: [illegible] قال العلماء: في هذه الآية دليل على أن المغفـرة لا تكون لمن أشرك شركا أكبر، أو أشـرك شـركا أصـغر؛ فـإن الشرك لا يدخل تحت المغفرة، بل يكون بالموازنة، ما يغفر إلا بالتوبة ، فمن مات على ذلك غير تائب فهو غـير مغفـور له ما فعله من الشرك، قد يغفر غير الشرك كما قال: [illegible] فجعلـوا الآية دليلا على أن الشـرك الأكبر والأصغر لا يدخلون تحت المشيئة.

وجه الاستدلال من الآية أن قوله: [illegible] "أن يشـرك" "هـذه أن موصـول حـرفي" مع "يشـرك": فعـل، وتقدر "أن" المصدرية مع ما بعـدها من الفعل -كما هو معلـوم- بمصـــدر، والمصـــدر نكـــرة وقع في ســـياق النفي، وإذا وقعت النكرة في سياق النفي عمَّت، قالوا: فهذا يدل على أن الشرك هنا الذي نفي الأكبر والأصغر و -أيضا- الخفي، كل أنواع الشرك لا يغفرها الله -جل وعلا- وذلك لعظم خطيئة الشـــرك؛ لأن الله -جل وعلا- هو الذي خلق ، وهو الذي رزق ، وهو الـذي أعطى، وهو الـذي تفضَّـل، فكيف يتوجه القلب عنه إلى غـيره، لا شك أن هــذا ظلم، وهو ظلم في حق الله -جل وعلا -، ولــذلك لم يغفر، وهذا اختيار شيخ الإسلام ابن تيمية، وأكثر علماء الدعوة.

قال آخرون من أهل العلم: إن قوله هنا: دالة على العموم، ولكن هذا عموم مخصوص، هذا عموم مراد به خصوص الشرك الأكبر يعني: الشرك الأكبر فقط دون غيره، وأما ما دون الشرك الأكبر، فإنه يكون داخلا تحت المشيئة، فيكون العموم في الآية مرادا، يكون العموم مرادا به الخصوص لماذا؟ قالوا: لأن القرآن فيه هذا اللفظ "أن يشرك به" ونحو ذلك، ويراد به الشرك الأكبر دون الأصغر غالبا.

فالشرك غالبا ما يطلق في القرآن على الأكبر دون الأصغر، قال -جل وعلا-: "من يشرك بالله" هنا يشرك -أيضا- فعل داخل في سياق الشرط فيكون عاما، فهل يدخل الشرك الأصغر والخفي فيه؟ بالإجماع لا يدخل؛ لأن تحريم الجنة، وإدخال النار والتخليد فيها إنما هو لأهل الموت على الشرك الأكبر، فدلنا ذلك على أن المراد بقوله: إنهم أهل الإشراك في الشرك الأكبر، فلم يدخل الأصغر، ولم يدخل ما دونه، أو أنواع الأصغر، فيكون إذا فهم آية "النساء" على فهم آية "المائدة" ونحوها ،

 في الشرك الأكبر ونحو ذلك، فيكون إذا على هذا القول المراد بما نفي هنا، أن يغفر الشرك الأكبر .

ولما كـان اختيـار إمـام الـدعوة كما هو اختيـار عـدد من المحققين كشـيخ الإسـلام وابن القيم وكغيرهما أن العمـوم هنا للأكبر والأصغر والخفي بأنواع الشرك، كان الاستدلال بهذه الآية صحيحا؛ لأن الشرك أنـواع، وإذا كـان الشـرك بأنواعه لا يغفـر، فهذا يوجب الخوف منه أعظم الخوف، إذا كان الرياء لا يغفـر، إذا كان الشرك الأصغر، الحلف بغـير اللـه، أو تعليق التميمة أو حلقة أو خيط، أو نحو ذلك من أنواع الشـرك الأصـغر، ما شـاء الله وشئت، نسبة النعم إلى غـير اللـه، إذا كـان لا يغفـر، فإنه يوجب أعظم الخوف منه، كذلك الشرك الأكبر، وإذا كان كـذلك فيجتمع إذا في الخوف من الشرك.

منهم على غـير التوحيد يعـني: من يعبـدون غـير اللـه، ويستغيثون بغير الله، ويتوجهـون إلى غـير اللـه، ويـذبحون لغـير اللـه، وينـذرون لغـير اللـه، ويحبـون محبة العبـادة غـير اللـه، ويرجون غير الله رجاء العبادة، ويخـافون خـوف السر من غـير الله إلى غير ذلك، يكون هؤلاء أولى بالخوف، يكون هؤلاء أولى بـالخوف من الشـرك؛ لأنهم وقعـوا فيما هو متفق عليه في أنه لا يغفر، كذلك يقع في الخوف، ويكون الخوف أعظم ما يكـون في أهل الإسـلام الـذين قد يشـركون بعض أنـواع الشـرك من

الشرك الخفي، أو الشرك الأصغر بأنواعه، وهم لا يشعرون، أو وهم لا يحذرون.

فيكون الخوف إذا علم العبد المسلم أن الشرك بأنواعه لا يغفر وأنه مؤاخذ به، فليست الصلاة إلى الصلاة يغفر بها الشرك الأصغر، وليس رمضان إلى رمضان يغفر به الشرك الأصغر، وليست الجمعة إلى الجمعة يغفر به الشرك الأصغر، فإذا يغفر بماذا؟ يغفر بالتوبة فقط، فإن لم يتب، فإنه ثم الموازنة بين الحسنات وبين السيئات، وما ظنكم بسيئة فيها التشريك بالله مع حسنات من ينجو من ذلك؟ ليس ثم إلا من عظمت حسناته، فزادت على سيئة ما وقع فيه من أنواع الشرك، ولا شك أن هذا يوجب الخوف الشديد؛ لأن المرء على خطر في أنه توزن حسناته وسيئاته، ثم يكون في سيئاته أنواع الشرك، وهي -كما هو معلوم- عندكم أن الشرك بأنواعه من حيث الجنس أعظم من الكبائر، كبائر الأعمال المعروفة.

إذا وجه الاستدلال من آية "النساء" أن قوله -جل وعلا- ﴿ [illegible] ﴾ أن فيها عموما يشمل أنواع الشرك جميعا، وهذه لا تغفر؛ فيكون ذلك موجبا للخوف من الشرك، وإذا وقع أو حصل الشرك في القلب، فإن العبد يطلب معرفة أنواعه حتى لا يشرك، ومعرفة أصنافه وأفراده حتى لا يقع فيها، وحتى يحذر أحبابه، ومن حوله منها؛ لذلك كان أحب الخلق، أو أحب الناس، وخير الناس للناس من

يحذرهم من هذا الأمر، ولو لم يشعروا، ولو لم يعقلـوا، قـال -جل وعلا: [illegible] ؛ لأنهم يـدلون الخلق على ما ينجيهم، فالـــذي يحب للخلق النجـــاة هو الـــذي يحذرهم من الشرك بأنواعه، ويدعوهم إلى التوحيد بأنواعه؛ لأن هذا أعظم ما يدعى إليه.

ولهــذا لما حصل من بعض القــرى في زمن إمــام الــدعوة تـردد، وشـك، ورجـوع عن مناصـرة الـدعوة، وفهم ما جـاء به الشيخ-رحمه الله-، وكتبـوا للشـيخ وغلظـوا، وقـالوا: إن ما جئت به ليس بصحيح، وإنك تريد كذا وكذا، قال في آخرها: قــال بعد أن شــرح التوحيد وضــده ورغَّب ورهَّب قــال في آخرها -رحمه اللـــه-: "ولو كنتم تعقلـــون حقيقة ما دعـــوتكم إليه لكنت أغلى عندكم من آبائكم وأمهاتكم وأبنائكم، ولكنكم قوم لا تعقلــون" ، وهذا صحيح، ولكن لا يعقله إلا من عــرف حق الله -جل وعلا-، رحمه الله -تعــالى-، وأجــزل له المثوبــة، وجــزاه الله عنا وعن المســلمين خــير الجــزاء، ورفع درجته في المهــديين والنبــيين والصالحين.

ثم ســاق الشــيخ-رحمه اللــه- بعد هــذه الآية قــول الله -جل وعلا-: [illegible] الذي دعا بهذه الدعوة هو إبراهيم -عليه السلام-، ومر معنا في الباب قبله أن إبــراهيم قد حقق التوحيــد، وقد وصــفه الله بأنه كــان أمة قانتا لله حنيفــا، وبأنه لم يك من المشــركين، فمن كــان على هــذه

الحال هل يطمئن من أنه لن يعبد غير الله، ولن يعبد الأصنام أم يظل على خوفه؟ حال الكُمَّل الذين حققوا التوحيد هل هم يطمئنون أم يخافون؟

هذا إبراهيم -عليه السلام- كما في هذه الآية خاف الشرك، وخاف عبادة الأصنام، فدعا الله بقوله: [illegible] فكيف ممن دون إبراهيم ممن ليس من السبعين ألفا فهم عامة هذه الأمة؟ والواقع أن عامة الأمة لا يخافون من الشرك فمن الذي يخاف؟ هو الذي يسعى في تحقيق التوحيد، قال إبراهيم التيمي-رحمه الله من سادات التابعين- لما تلا هذه الآية قال: "ومن يأمن البلاء بعد إبراهيم"، إذا كان إبراهيم -عليه السلام- هو الذي حقق التوحيد، وهو الذي وصف بما وصف به، وهو الذي كسَّر الأصنام بيده، ويخاف فمن يأمن البلاء بعده؟، إذا ما ثم إلا غرور أهل الغرور.

وهذا يوجب الخوف الشديد؛ لأنه ما أعطى إبراهيم الضمانة على ألا يشرك، وعلى ألا يزغ قلبه مع أنه سيد المحققين للتوحيد في زمانه، بل وبعد زمانه إلى نبينا [illegible] فهو سيد ولد آدم، ومع ذلك خاف، قوله هنا: [illegible] الأصنام: جمع صنم، والصنم هو ما كان على صورة مما يعبد من دون الله، يصور صورة على شكل وجه رجل، أو على شكل جسم حيوان، أو رأس حيوان، أو على

شكل صورة كوكب، أو نجم، أو على شكل الشمس والقمر ونحو ذلك، فإذا صوَّر صورة، فتلك الصورة يقال لها: صنم.

والوثن هو ما عبد من دون الله مما هو ليس على شكل صورة، فالقبر وثن، وليس بصنم، والمشاهد، مشاهد القبور عند عبادها هذه أوثان، وليست بأصنام، وقد يطلق على الصنم أنه وثن، كما قال -جل وعلا- في قصة إبراهيم في سورة العنكبوت: قد يطلق على قلة، وقال بعض أهل العلم: هم عبدوا الأصنام، وعبدوا الأوثان جميعا، فصار في بعض الآيات ذكر الأصنام لعبادتهم الأصنام، وفي بعض ذكر الأوثان لعبادتهم الأوثان، والأول أظهر في أنه قد يطلق على الصنم أنه وثن؛ ولهذا قال النبي اللهم لا تجعل قبري وثنا يعبد فدعا الله أن لا يجعل قبره وثنا، فصار الوثن ما يعبد من دون الله مما ليس على هيئة صورة.

قال-رحمه الله-: وفي الحديث أخوف ما أخاف عليكم الشرك الأصغر فسئل عنه قال: "الرياء" الرياء قسمان: رياء المسلم، ورياء المنافق، رياء المنافق: رياء في أصل الدين. يعني: راءى بإظهار الإسلام، وأبطن الكفر، ورياء المسلم الموحد أن يحسن صلاته من أجل نظر الرجل ، أو أن يحسن تلاوته لأجل التثنية، أن يمدح ويثنَّى، لا لأجل التأثير.

فالريـاء مشـتق من الرؤيـة، فما كـان من جهة الرؤيـة، يعني: أن يحسن عبادة لأجل أن يُرَى من المتعبـدين، يطيل في صلاته، يطيل في ركوعه في سجوده، يقرأ في صلاته أكـثر من العادة من أجل أن يُـرَى ذلك منـه، يقـوم الليل لأجل أن يقـول الناس عنه أنه يقوم الليل، هذا شرك أصـغر، والشـرك الأصـغر هـذا الـذي هو الريـاء قد يكـون محبطا لأصل العمل الـذي تعبد به، وقد يكون محبطا للزيادة التي زادهـا؛ فيكـون محبطا لأصل العمل الذي تعبد به إذا ابتدأ النية بالرياء، يعـني: فيما لو صـلى دخل الصلاة لأجل أن يُرى أنه يصلي، ليس عنــده رغبة في أن يصلي الراتبة، لكن لما رأى أنه يُرى، ولأجل أن يمدح بما يــراه الناس منه صلى، فهذا عمله يعني: تلك الصلاة حابطة، ليس له فيها ثواب، وإن جاء الرياء في أثناء العبادة، فـإن ما زاده لأجل الرؤية يبطـل، كما قـال عليه -الصـلاة والسـلام-: « قـال الله -تعـالى-: أنا أغـنى الشـركاء عن الشـرك من عمل عملا أشـرك فيه معي غيري تركته وشركه » .

الشاهد من الحديث قوله -عليه الصلاة والسلام-: « أخـوف ما أخاف عليكم الشرك الأصـغر » هو أخـوف الـذنوب الـتي خافها النبي -عليه الصلاة والسلام- على أهل التوحيـد؛ لأنهم ما دامـوا أهل توحيـد، فـإنهم ليســوا من أهل الشـرك الأكـبر، فبقي أن يخاف عليهم الشرك الأصغر، والشـرك الأصـغر تـارة يكـون في النيات ، وتـارة يكـون في الأقـوال، وتـارة يكـون في الأعمـال، يعـني: في القلب يكـون الشـرك الأصـغر، وفي المقـال، وفي

الفعال -أيضا-، وسيأتي في هذا الكتاب بيان أصناف من كل واحدة من هذه الثلاث.

إذن النبي -عليه الصلاة والسلام- قال: أخوف ما أخاف عليكم الشرك الأصغر فهو أخوف الذنوب على هذه الأمة؛ لماذا خافه -عليه الصلاة والسلام -، وكان أعظم الذنوب خوفا ؟ لأجل أثره وهو أنه لا يغفر، ولأجل أن الناس قد يغفلون عنه ؛ ولهذا خافه عليهم -عليه الصلاة والسلام-، والشيطان حرصه على أهل التوحيد أن يدخل فيهم الشرك الأصغر من جهة الرياء، ومن جهة الأقوال، والأعمال، والنيات أعظم من فرحه بغير ذلك من الذنوب.

بعد ذلك ساق حديث ابن مسعود قال: وعن ابن مسعود أن رسول الله قال: من مات وهو يدعو من دون الله ندا دخل النار وجه الاستدلال منه أنه قال: من مات وهو يدعو من دون الله ندا ودعوة الند من دون الله من الشرك الأكبر؛ لأن الدعاء عبادة، وهو أعظم العبادة، فقد جاء في الحديث الصحيح الدعاء هو العبادة وفي معناه حديث أنس الذي في السنن الدعاء مخ العبادة فهو أعظم أنواع العبادة، فمن مات وهو يصرف هذه العبادة، أو شيئا منها لغير الله -ند من الأنداد- فقد استوجب النار.

وقوله: "دخل النار" يعني: كحال الكفار "خالدا فيها"؛ لأن الشرك الأكبر إذا وقع من المسلم فإنه -ولو كان أصلح

الصالحين- يحبط العمل0 قد قال -جل وعلا- لنبيه: [illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible] فلو أشرك النبي -عليه الصلاة والسلام- فإن الله عظيم، والله أكبر، وخلقه هم المحتاجون إليه، العبيد له سبحانه، فلو أشــرك النبي -عليه الصـلاة والسـلام- لحبط عمله ، ولكـان في الآخـرة من الخاسـرين ، أفلا يـوجب هـذا أن يخـاف من هو دونه ممن يدعي الصلاح والعلم من الشرك ؟ بل قد شاع في هــذه الأمة أن بعض المنتسبين إلى العلم يدعو إلى الشرك، ويحض عليــه، ويكره ويبغض في التوحيـد، وهـذا كما قـال الله -جل وعلا- عن أسـلافهم: [illegible]

[illegible]

[illegible] .

فإذن وجه الاستدلال ظـاهر، من مـات وهو يـدعوا لله نـدا [illegible] من مات وهو يدعو من دون الله ندا دخل النار [illegible] وذلك يـوجب الخوف؛ لأن قصد المسلم، بل قصد العاقل أن يكـون ناجيا من النار، ومتعرضا لثواب الله في الجنة.

لفظ: [illegible] من دون الله [illegible] يكثر في القـرآن والسـنة، "ومن دون الله" عند علماء التفسير وعلماء التحقيق، يراد بها شيئان:

الأول: معـنى "مـع": يـدعو من دون اللــه. يعـني: مع اللــه، والثــاني: أن كــل، وهــذا بل قبل الثــاني تتمه للأول، الأول أن

تكـون بمعـنى ما "من دون اللـه" ، يعـني: مع اللـه، وعـبر عن المعية بلفظ "من دون اللـــه"؛ لأن كل من دُعي مع الله فهو دون الله -جل وعلا-، فهم دونه، فالله -جل وعلا- هو الأكبر، هو العظيم، وفي هذا دليل على بشاعة عملهم.

والثـاني: أن قولـه: "من دون اللـه" يعـني: غـير الله من مات وهو يدعو من دون الله يعني: وهو يـدعو إله غـير اللـه، فتكـون "من دون اللـه" يعـني: أنه لم يعبد اللـه، وأشـرك معه غيره، بل دعا غـيره اسـتقلالا، فشـملت من دون الله الحـالين: من دعا اللـــه، ودعا غـــيره، ومن دعا غـــير اللـــه، وتوجه إليه استقلالا، قال: رواه البخاري.

ولمسلم عن جابر أن رسول الله قال: من لقي الله لا يشـرك به شـيئا دخل الجنـة، ومن لقيه يشـرك به شـيئا دخل النار   من لقي الله لا يشرك به شيئا ذكرت لكم بـالأمس أن قولـه: لا يشـرك به شـيئا هـذا فيه نوعـان من العمـوم: عمـوم في أنـواع الشـرك، فهي منفيـة، وعمـوم في المتوجه إليهم، في المشـرك بهم، في قولـه: "شـيئا" من لقي الله لا يشـرك يعـني: بـأي أنـواع من الشـرك، "به شـيئا" يعـني: لم يتوجه إلى أي أحد لا لملك، ولا لنبي، ولا لصالح، ولا لجني، ولا لطالح، ولا لحجر، ولا لشجر، إلى غير ذلك.

 دخل الجنة يعني: أن الله -جل وعلا- وعده بـدخول الجنة برحمته -سبحانه- وتفضله، وبوعده الصادق الذي لا يخلف، قـال:

 ومن لقيه يشـرك به شـيئا دخل النـار فكل مشـرك متوعد بالنار، بل وجه الدلالـة، كما يسـتقيم مع اسـتدلال الشـيخ بالآية بأن من لقي وهو على شيء من الشرك الأكبر، أو الأصـغر، أو الخفي فإنه سـينال العقوبة والعـذاب في النـار -والعيـاذ باللـه-. قال: ومن لقيه يشرك به شيئا فهـذه فيها عمـوم -أيضا كما ذكرنا-؛لأن "من" هنا شرطية، و"يشـرك" فيها نكـرة، وهي عامة لأنـــواع الشـــرك، و"شـــيئا" عامة في المتوجه إليه من لقيه يشرك به شيئا دخل النار وهنا دخـول النـار هل هو أبـدي أم أمدي؟ بحسب الشرك، فإن كان الشرك أكبر، ومات عليه فإنه يـدخل النـار دخـولا أبـديا، وإن الشـرك ما دون الشـرك الأكـبر، أصغر أو خفي، فإنه متوعد بالنار، وسيدخل النـار ويخـرج منهـا؛ لأنه من أهل التوحيد.

هل يدخل الشرك الأصغر في الموازنة أم لا، ذكـرت لك في أول الـدرس أن الشـرك الأصـغر يـدخل في الموازنـة، موازنة الحسنات والسيئات، وأن من رجحت حسناته أنه لا يعـذب على الشرك الأصغر، لكن هـذا ليس في كل الخلـق، لكن منهم من يعـــذب على الشـــرك الأصـــغر؛ لأن الموازنة بين الحســـنات والسـيئات ليست في كل الخلـق، وليست في كل الـذنوب، بل قد يكون من الذنوب ما يستوجب النـار، ولو رجحت الحسـنات على السـيئات فإنه يسـتوجب الجنة ، ولكن لا بد من أن يطهر في النار، وهذا دليل على وجوب الخوف من الشرك ؛ لأن من

لقي الله وهو « من لقي الله يشرك به شيئا دخل النار » فـإذا كان كذلك.

وهذا يشـمل الشـرك الأكـبر والأصـغر والخفي ، فـإن المـرء يجب عليه أن يهـرب أشد الهـرب من ذلـك. والشـرك الأصـغر والخفي يستعيذ المرء بالله -جل وعلا- منه، ويقـول: « اللهم إني أعوذ بك أن أشرك بك شيئا أعلمه، وأسـتغفرك لما لا أعلمه » ؛ لأنه إذا علم، فأشرك، فإنه سـيترتب الأثر الـذي ذكرنـاه، وهو عـدم المغفـرة ففي هـذا الـدعاء الـذي علمنـاه رسـولنا -عليه الصـلاة والسـلام- فيه التفريق بين الشـرك الأصـغر مع العلم، والشـرك الأصـغر مع الجهـل، فقـال: « أعـوذ بك أن أشـرك بك شـــيئا أعلمه » ؛ لأن أمر الشـــرك الأصـــغر مع العلم عظيم؛ فيستعيذ المرء بالله من أن يشرك شـركا أصـغر، وما هو أعلى منه من باب أولى، وهو يعلم.

قـال: « وأسـتغفرك لما لا أعلم » لأن المـرء قد يكـون شـيئا على فلتات لسانه، وهو لا يعلم ولم يقصد ذلـك، ويسـتغفر الله -جل وعلا- منـه، هـذا يـدلكم على أن الشـرك أمـره عظيم، ولا يتهاون أحد بهذا الأمر؛ لأن من تهاون بالشـرك وبالتوحيد ، فإنه تهاون بأصل دين الإسـلام، بل تهـاون بـدعوة النـبي -صـلى الله على وسـلم- في مكة سـنين عـددا، بل تهـاون بـدعوة الأنبيـاء والمرسـلين، فـإنهم اجتمعـوا على شـيء ألا وهو العقيـدة، وهو توحيد العبـادة، والربوبيـة، والأسـماء والصـفات، وأما الشـرائع

فشتى؛ لهذا وجب عليك الحذر كل الحذر من الشرك بأنواعه ، وأن تتعلم ضـده، وأن تتعلم -أيضـا- أفـراد الشـرك، وأفـراد التوحيد، وإنما يستقيم العلم بذلك إذا تعلمت الأفراد، أما التعلم الإجمالي بذلك، فهذا كما يقال نحن على الفطرة، لكن إذا أتت الأفـراد ربما رأيت بعض النـاس فيما بين ظهـرانيكم يخوضـون في بعض الأقوال، أو الأعمال التي هي من جنس الشرك، وهم لا يشعرون؛ وذلك لعدم خوفهم وهربهم من الشرك، نسأل الله -جل وعلا- العفو والعافية.

فإذن أحرص على تعلم هذا الكتاب، ومدارسـته، وعلي كـثرة مذاكرتـه، وفهم ما فيه من الحجج والبينـات؛ لأنه هو خـير ما يكون في صدرك بعد كتاب الله -جل وعلا- وسنة نبيه .

الحمد للـه، والصـلاة والسـلام على رسـول اللـه، وعلي آله وصحبه ومن اهتدى بهداه.

أما بعد:

فأسـأل الله -جل وعلا- لي ولكم العلم النـافع، والعمل الصـالح، وأن يسـتعملنا فيما يحب ويرضـى، وأن يجعل العلم حجة لنا لا حجة علينا، هذا وإن من المهمات في مسير طـالب العلم أن يعتـني بحفظ العلم المنتخب، وأعـني بحفظ العلم المنتخب الذي يتصـيَّده من الكتب، أو مما سـمعه من العلمـاء،

أو المشـــايخ، أو طلبة العلم، ذلك أن تعليم العلم يكـــون معه فوائد قد لا يجدها الأكثرون في الكتب؛ ولهذا لا بد من التقييد.

والتقييد يكون في دفتر خاص، وقلما تجد أحد، قلما تجد أحد من أهل العلم إلا وكان له في ثني الطلب دفـتر خـاص، أوراق مجموعة يكتب فيها ما ينتخبه من المهمــات مما يقــرأ أو مما يسـمعه من الشـيوخ؛ لأنك إذا كنت تقـرأ سـتجد أشـياء كثـيرة، ليست ملفتة للنظـــــر، ولست بحاجة إليها في فترتك الـــــتي تعيشها، وتارة تجد أشياء مهمة، كذلك فيما تسمعه من العلماء، أو من المعلمين، فإن ثمة أشـياء مهمـة، وثمة أشـياء من قبيل الوصـــــف، الوصف يمكن أن يـــــدرك بمراجعة بعض المراجع القريبة ونحو ذلك، أما ما كان من قبيل التعارف، أو التقاسـيم، أو التصوير، أو ذكر الخلاف، أو ذكر الـراجح، أو ذكر الـدليل، أو ذكر وجه الاسـتدلال، فهــذا لا بد من تقييــده، إذن فكــان من اللوازم لك أن تتخذ لك كراسة خاصة تكتب فيها الفوائد.

والفوائد هذه إما أن تكون مقروءة، أو مسموعة، والذي أريد أن تكتبه في هــذا المنتخب، أو الكراسة أن تعتــني فيه بكتابة التعـــاريف، أو الضـــوابط؛ لأن العلم نصـــفه في التعـــاريف والضوابط، وأن تعتـني فيها بـذكر القيـود، إذا سـمعت قيـدا في مسألة، فإن القيد أهميته كأهمية أصل المسألة؛ لأنه بدون فهم القيد يكون تصور أصل المسألة غـير جيـد، بل قد يكـون خطـأ، فتنزلها في غـير منزلتهـا، أو التقاسـيم تجد في بعض كتب أهل

العلم -مثلا- قول بأن هذه المسألة تنقسم إلى ثلاثة أقسام، أو هذه السورة لها ثلاث حالات، لها خمس حالات، لها حالتان، وكل حالة تنقسم إلى حالتين.

يقول ابن القيم-رحمه الله تعالى-: "العلم إدراكه في إدراك تقاسيمه" فذهنك من الحسن، بل من المتأكد أن على تعوده على ضبط التعاريف، ضبط القيود على إدراك التقسيمات، إذا رأيت في كلام بعض أهل العلم أن هذه تنقسم لكذا وكذا، فمن المهم أن تسجل ذلك، وأن تدرسه، وأن تتحفظه؛ لأن في التقسيمات ما يجلو المسألة، وبدون التقاسيم تتدخل بعض الصور في بعض، وتدخل بعض المسائل في بعض، أما إذا قسمت فإن في التقسيم ما يوضح أصل المسألة؛ لأن لكل حالة قسما.

أيضا من المهمات لك في مسيرك في طلب العلم، فيما تقيده أن يكون لك تقييم بعد كل فترة من الزمن فيما كتبته في تلك الكراسة أو الكراسات، ستجد أنك -مثلا- بعد مضي سنة من طلبك للعلم تجد أنك تستغرق ما كتبته في تلك السنة بعد مدة، لماذا؟ لأنك أول ما كتبت كانت المكتوبات، كانت المسائل جديدة عليك، فكتبت لتحفظ، وبعد أن حفظت ودرست، وكررت ما كتبته في هذه الكراسة صارت واضحة وضوح اسمك لديك، وبالتالي فإن المعلومات تزيد، وكلما ازدادت المعلومات بحفظ ما سبق يكون السابق واضحا لديك،

لست محتاجا لعنــاء في تناوله من العقل أو الــذهن؛ لأنه صــار محفوظا متصورا بقيوده وبضوابطه.

إذن من المهم أن ترتب نفسك في أن تنتخب مما تقــرأ، أو مما تســمع أشــياء مهمة تتعلق بما ذكرنــا، إما بالتعــاريف، وإما بالضـــوابط، أو بـــالقيود، أو بالتقاســـيم، أو بالـــدليل، أو بوجه الاســتدلال، وهــذا يشــمل جميع العلــوم، ســواء من ذلك العلــوم الصــناعية، يعــني: علــوم الآلــة، أو العلــوم الأصــلية الــتي هي المقصــودة، حبــذا لو تبــدأ بهــذا من اليــوم، وتجعل لك منتخبا تنتخب فيه الفوائد، ثم تتحفظها، ثم بعد مدة سترى أنها صارت سهلة ميسورة؛ فتنتقل إلى غيرها؛ فيجتمع العلم بعد مدة.

أســـــأل الله -جل وعلا- أن يجعلنا وإيـــــاكم ممن يسر عليه العلم، ويسر عليه العمل وصــلى الله وســلم على نبينا محمــد. نعم.

باب

الدعاء إلى شهادة أن لا إله إلا الله

الحمد لله رب العــالمين، والصــلاة والســلام على أشــرف الأنبياء والمرسلين، نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

وبعد:

قال المصنف -رحمه الله تعالى-: باب: الدعاء إلى شهادة أن لا إله إلا الله، وقول الله -تعالى-:

وعن ابن عباس -رضي الله عنهما- أن رسول الله لما بعث معاذا إلى اليمن قال: إنك تأتي قوما من أهل الكتاب، فليكن أول ما تدعوهم إليه شهادة أن لا اله إلا الله وفي رواية: إلى أن يوحدوا الله- فإن هم أطاعوك لذلك؛ فأعلمهم أن الله افترض عليهم خمس صلوات في كل يوم وليلة، فإن هم أطاعوك لذلك؛ فأعلمهم أن الله افترض عليهم صدقة تؤخذ من أغنيائهم، فترد على فقرائهم، فإن هم أطاعوك لذلك، فإياك وكرائم أموالهم، واتق دعوة المظلوم، فإنه ليس بينها وبين الله حجاب أخرجاه.

ولهما عن سهل بن سعد أن رسول الله قال يوم خيبر: لأعطين الراية غدا رجلا يحب الله ورسوله، ويحبه الله ورسوله، يفتح الله على يديه، فبات الناس يدوكون ليلتهم أيهم يعطاها، فلما أصبحوا غدوا على رسول الله كلهم يرجو أن يعطاها، فقال: أين علي بن أبي طالب؟ فقيل: هو يشتكي عينيه، فأرسلوا إليه؛ فأوتي به، فبصق في عينيه؛ فبرأ كأن لم يكن به وجع، فأعطاه الراية، فقال: انفذ على رسلك حتى تنزل بساحتهم، ثم ادعهم إلى الإسلام، وأخبرهم بما يجب عليهم من حق الله -تعالى- فيه، فوالله لأن يهدي الله بك رجلا واحدا خير لك من حمر النعم يدوكون: يخوضون.

هذا الباب هو بـاب "الـدعاء إلى شـهادة أن لا إله إلا اللـه"، باب الدعوة إلى التوحيد، وقد ذكر في البـاب قبله الخـوف من الشرك، وقبله ذكر فضل التوحيد، وما يكفر من الذنوب، وبـاب من حقق التوحيد دخل الجنة بغير حساب، ولما ذكر بعـده بـاب الخوف من الشـرك اجتمعت معـالم حقيقة التوحيد في النفس، في نفس الموحـــد، فهل من اجتمعت حقيقة التوحيد في قلبه بأن عرف فضـله، وعـرف معنـاه، وخـاف من الشـرك، ومعـنى ذلك أنه اســتقام على التوحيــد، وهــرب من ضــده، هل يبقي مقتصــرا على نفسه أم أنه لا تتم حقيقة التوحيد في القلب إلا بــأن يــدعو إلى حق الله الأعظم؟، ألا وهو إفــراده -جل وعلا- بالعبــادة، وبما يســتحقه -ســبحانه وتعــالى- من نعــوت الجلال، وأوصاف الجمال.

بوَّب الشيخ في هذا البـاب ليـدل على أن من تمـام الخـوف من الشـرك، ومن تمـام التوحيد أن يـدعو المـرء إلى التوحيـد، فإنه لا يتم في القلب حتى تدعو إليه، وهـذه حقيقة شـهادة أن لا إله إلا الله؛ لأن الدعوة إلى شـهادة أن لا إله إلا الله علمت حيث شهد العبد المسـلم لله بالوحدانيـة، قـال: أشـهد أن لا إله إلا اللـه، وشـهادته معناها اعتقـاده، ونطقـه، وإخبـاره الغـير بما دلت عليــه، فلا بد -إذن- في حقيقة الشــهادة وفي تمامها من أن يكـون المـرء المكلف الموحد أن يكـون داعيا إلى التوحيـد؛ لهذا ناسب أن يذكر هذا الباب بعد الأبواب قبله، ثم له مناسبة أخـرى لطيفـة، وهي أن ما بعد هـذا البـاب هو تفسـير للتوحيد

وبيان أفراده، وتفسير للشرك وبيان إفراده، فيكون -إذن- الدعوة إلى شهادة أن لا إله إلا الله الدعوة إلى التوحيد دعوة إلى تفاصيل ذلك، وهذا من المهمات؛ لأن كثيرين من المنتسبين للعلم من أهل الأمصار يسلمون بالدعوة إلى التوحيد إجمالا، ولكن إذا أتى التفصيل في بيان مسائل التوحيد، أو جاء التفصيل ببيان أفراد الشرك، فإنهم يخالفون في ذلك وتغلبهم نفوسهم في مواجهة الناس في حقائق إفراد التوحيد وإفراد الشرك.

إذن فالذي تميزت بها هذه الدعوة -دعوة الإمام المصلح رحمه الله- أن الدعوة فيها إلى شهادة أن لا إله إلا الله دعوة تفصيلية، ليست إجمالية، أما الإجمال فيدعو إليه كثيرون، نهتم بالتوحيد، ونبرأ من الشرك، لكن لا يذكرون تفاصيل ذلك، والذي ذكره الإمام-رحمه الله- في بعض رسائله أنه لما أراد هذا الأمر يعني: الدعوة إلى التوحيد عرضه على علماء الأمصار قال: وافقوني على ما قلت، وخالفوني في مسألتين: في مسألة التكفير، وفي مسألة القتال، وهاتان المسألتان سبب المخالفة -مخالفة أولئك العلماء فيها- أنهما فرعان ومتفرعتان عن البيان والدعوة إلى أفراد التوحيد، والنهى عن أفراد الشرك.

إذن الدعاء إلى شهادة أن لا إله إلا الله، هو الدعاء إلى ما دلت عليه من التوحيد، والدعاء إلى ما دلت عليه من نفي

الشريك في العبادة، وفي الربوبية، وفي الأسماء والصفات عن الله -جل وعلا-، وهذه الدعوة دعوة تفصيلية لا إجماليـة؛ ولهـذا فصَّل الإمام-رحمه الله- في هذا الكتـاب أنـواع التوحيـد، وأفـراد توحيد العبادة، وفصل الشرك الأكـبر والأصـغر، وبيَّن أفـرادا من ذا وذا.

يأتي تفسير شهادة أن لا إله إلا الله في البـاب الـذي بعـده؛ لأنه باب تفسير التوحيد، وشهادة أن لا إله إلا الله، قـال رحمه الله: وقول الله -تعالى-: [illegible] هـذه الآية من آخر سـورة "يوسـف" هي في الدعوة إلى الله، وسـورة "يوسـف" -كما هو معلـوم- من تأملها هي في الـــدعوة إلى الله من أولها إلى آخرهـــا، موضـــوعها الدعوة؛ ولهذا جاء في آخرها قواعد مهمة في حال الدعاة إلى الله، وحال الرسل الذين دعوا إلى الله، وما خالف به الأكثرون الرسـل، واسـتيئاس الرسل من نصـرهم، ونحو ذلك من أحـوال الــدعاة إلى اللــه، في آخر تلك السـورة قـال الله -جل وعلا- لنبيه: [illegible] هذه سبيلي أنني أدعو إلى الله.

فمهمة الرسل هي الـــدعوة إلى الله -جل وعلا- [illegible] وأحسن الأقوال قول من دعا إلى اللـــه، وأحسن الأعمـــال عمل من دعا إلى الله -جل

وعلا-؛ ولهذا قال سبحانه: قال الحسن البصري-رحمه الله- في تفسير هـذه الآية ما معنـاه قـال: "هـذا حبيب الله، هذا ولي الله، هذا صفوة الله من خلقه، أجاب الله في دعوته، ودعا الناس إلى ما أجاب الله فيه من دعوته، هـذا خليل الله، هـذا حـبيب اللـه"، وهـذا أمر عظيم في أن الـداعي إلى الله هو أحسن أهل الأقـوال قـولا .

قال -جل وعلا-هنا: قوله: هذا موطن الشاهد، فإنه دعاء إلى الله -جل وعلا- لا إلى غـيره، وهـذه فيها فائـدتان الأولى: أن الـدعوة إلى الله دعـوة إلى توحيـده، دعـوة إلى دينه -كما سـيأتي- تفسـير هـذه الكلمة في الحـديثين بعـدها حـديث ابن عباس في إرسـال معـاذ إلى اليمن، وحـديث سـهل بن سـعد -رضى الله عنه- في إعطاء عليّ الراية، قال -جل وعلا-: الفائدة الأولى: أن الدعوة إلى التوحيد، الثانية: أن في قوله: التنبيه على الإخلاص، وهذا يحتاجه من أراد الدعاء إلى شـهادة أن لا اله إلا الله، والدعاء إلى الإسلام، يعني: الدعوة إلى الإسلام يحتـاج أن يكـون مخلصا في ذلـك؛ ولهـذا قـال الشـيخ-رحمه اللــه- في مسائل هـذا البـاب في قولـه: "إلى اللـه" التنبيه على الإخلاص؛

لأن كثيرين وإن دعوا إلى الحق، فإنما يدعون إلى أنفسـهم، أو نحو ذلك.

قال: "على بصيرة" والبصيرة هي العلم، البصيرة على معرفة لم يدع إلى الله على جهالـة، قـال: □ □ □□□□□□□□□□□□ □□□□□□ □□□□□□ □□□□□□ □ يعني: أدعو أنا إلى الله ومن اتبعني ممن أجاب دعـوتي، فـإنهم يدعون إلى الله -أيضـا- على بصـيرة، وهـذا -أيضـا- من مناسـبة إيـراد الآية تحت هـذا البـاب؛ لأن من اتبع النـبي □ يـدعون إلى الله.

فإذن المتبوعون للرسول -عليه الصلاة والسلام- الموحدون لا بد لهم من الـدعوة إلى اللـه، بل هـذه صـفتهم الـتي أمر الله نبيه أن يخـبر عن صـفته وعن صـفتهم، قـال: "قـل" يعـني: يا محمد □□□□□□□□□□ □□□□□□ □ □□□□ □□□□□ □□□□□□□□□□□ □□□□□□□□□□ □□□□□□□□□ □ □ □ □□□□□□□□□□□ □□□□□□ □□□□□□ فهذه -إذن- خصلة أتباع الأنبيـاء أنهم لم يخافوا من الشرك فحسب، ولم يعلمـوا التوحيد ويعملـوا به فحسـب، بل أنهم دعـوا إلى ذلـك، وهـذا أمر حتمي ؛ لأن من عـرف عظم حق الله -جل وعلا- فإنه يغـار على حق الــرب -سبحانه وتعالى-، يغار على حق مولاه، يغـار على حق من أحبه فوق كل محبـوب ، أن يكـون توجه الخلق إلى غـيره بنـوع من أنواع التوجهات ، فلا بد -إذن- أن يدعو إلى أصل الـدين، وأصل الملة الذي اجتمعت عليه الأنبياء والمرسلين ، ألا وهو توحيده -

جل وعلا- في عبادته، وفي ربوبيته، وفي أسـمائه وصـفاته -جل وعلا وعز سبحانه-.

ثم ساق الإمـام-رحمه اللـه- حـديث ابن عبـاس أنه قـال: لما بعث النبي معاذا إلى اليمن قال: إنك تأتي قوما أهل كتـاب، فليكن أول ما تــدعوهم إليه شــهادة أن لا إله إلا الله -وفي روايــة: إلي أن يوحــدوا الله هــذا مــوطن الشــاهد، وهو أن النبي أمر معاذا إذا دعا أن يكون أول الدعوة إلى شهادة أن لا إله إلا اللــه، وفســرتها الرواية الأخــرى للبخــاري في كتــاب التوحيد من صحيحه قال: إلى أن يوحدوا الله فشهادة أن لا إله إلا الله، الدعوة إليها مأمور بها، وهي الـدعوة إلى التوحيـد، فالنبي -عليه الصـلاة والسـلام- أمر معـاذا أن يـدعو أهل اليمن، وهم من أهل الكتاب يعـني: من أهل الكتـاب الـذي هو التـوراة والإنجيل ، بعضــهم يهــود ، وبعضــهم نصــارى ، أما المشــركون فهم فيهم قليل، بل أكثرهم على أحد أتباع الملتين.

قال العلماء في قوله -عليه الصلاة والسـلام- لـه: إنك تـأتى قوما أهل الكتــاب فيه تــوطين، وفيه توطئة للنفس أن يهـيئ نفسه لمنــاظرتهم، ومعــاذ بن جبل من العلمــاء بــدين الإســلام، ومن علماء الصـحابة -رضـوان الله عليهم أجمعين-، فقـال له -عليه الصلاة والسلام- ذلك ليهيئ نفسه لمنــاظرتهم، ولــدعوتهم، ثم أمره أن يكون أول الـدعوة إلى أن يوحــدوا الله -جل وعلا- في قوله هنا: فليكن أول ما تدعوهم إليه شـهادة أن لا اله إلا

الله » هـذه تقـرأ على وجهين: الأول: « فليكن أولُ ما تـدعوهم إليه شهادةَ أن لا اله إلا الله » فتكون "أولُ" اسم يكن، وتكون "شهادةَ" هي الخبر، وهذا من جهة المعنى معناه أنه أخبره عن الأولين، فابتدأ بالأولية، ثم أخبره بذلك الأول. والضبط الثاني، أو القـــراءة الثانية أن تقر هكـــذا: « فليكن أولَ ما تـــدعوهم إليه شـــهادة أن لا إله إلا الله » فيكـــون "أولَ" خـــبر يكن مقـــدم، و"شـهادةُ" اسم يكن مـؤخر مرفـوع، وهـذا معنـاه الإخبـار عن الشـهادة بأنها أول ما يـدعى إليـه، وهـذان الوجهـان جـائزان، والمشـهور هو الوجه الثـاني، هـذا بجعل "أول" منصـوبة؛ وذلك لأن مقام ذكر الشهادة والابتـداء بها هو الأعظم، وهو المقصـود ليلتفت السامع والمتلقي -وهو معاذ- إلى ما يـراد أن يخـبر عنه من جهة الشهادة.

فإذن موطن الشاهد من هذا الحديث، ومناسبة إيراد هـذا الحـديث في البـاب هو ذكر أن أول ما يـدعى إليه هو التوحيد، وهو شهادة أن لا إله إلا الله، ثم سـاق -أيضـا- حـديث سهل بن سعد الذي في الصحيحين أن النبي ﷺ قال يوم خيـبر: « لأعطين الراية غـــــدا رجلا يحب الله ورســــوله، ويحبه الله ورسوله، يفتح الله على يديه، فبات الناس يدوكون ليلتهم » .

"بات" البيتوتـة: هي المكث في الليـل، معه نـوم، أو ليس معه نوم، « بـات النـاس يـدوكون ليلتهم » يعـني: يخوضـون في

تلك الليلة، باتوا يعني: ظلوا ليلا يتحـدثون من دون نـوم لشـدة هذا الفضل الذي ذكره عليه الصلاة والسلام.

جـزى الله فضـيلة الشـيخ خـير الجـزاء، ونفعنا وإيـاكم بما سمعنا.

ثم ساق أيضا حديث سهل بن سعد الذي في الصـحيحين أن النبي-صلى الله عليه وسلم- قال يوم خيبر: «لأعطين الراية غدا رجلا يحب الله ورســوله ، ويحبه الله ورســوله يفتح الله على يديه فبات الناس يدوكون ليلتهم » بات: البيتوتة هي المكث في الليل، معه نوم أو ليس معه نوم « بات النـاس يـدوكون ليلتهم » يعني: يخوضون في تلك الليلة، باتوا يعني ظلـوا ليلا يتحـدثون من دون نـوم؛ لشـدة هـذا الفضل الـذي ذكـره -عليه الصـلاة والسلام-.

قال: «فلما أصـبحوا غَـدَوْا على رسـول الله ﷺ كلهم يرجو أن يُعْطَاهَا فقال: أين علي بن أبي طالب؟ فقيل: هو يشـتكي عينيه ، فأرسلوا إليه فأتى به فبصق في عينيه، ثم دعا له فـبرأ كـأن لم يكن به وجع فأعطـاه الراية فقـال: انفذ على رسـلك حـتى تنزل بساحتهم ثم ادعهم إلى الإسلام » هذا موطن الشاهد.

والمناسبة لإيراد هذا الحديث في الباب قال: «ثم ادعهم إلى الإسـلام وأخـبرهم بما يجب عليهم من حق الله -تعـالى- فيه » الدعوة إلى الإسلام هي الدعوة إلى التوحيد؛ لأن أعظم أركـان الإسـلام شـهادة أن لا إله الله وأن محمـدا رسـول اللـه، وضم

إليها -عليه الصلاة والسلام- أن يــدعوهم أيضا إلى حق الله فيه يعني: إلى ما يجب عليه من حق الله فيه.

قـال: وأخــبرهم بما يجب عليه من حق الله فيـه، يعـني: في الإســـلام من جهة التوحيد ومن جهة الفـــرائض، واجتنـــاب المحرمات، ولهذا كانت الدعوة إلى الإسلام يجب أن تكـون في أصله، وهو التوحيد، وبيان معنى الشهادتين ثم بيـان المحرمـات والواجبات؛ لأن أصل الأصول هو المقدم فهو أول واجب.

لاحظ أن الآية، آية سورة يوسف فيها بيـان أن كل الصـحابة دعاة إلى الله -جل وعلا- دعاة إلى التوحيـد، وحـديث معـاذ فيه أن معاذ كان من الدعاة إلى الله، وفصّل فيه نوع تلك الــدعوة إلى الله -جل وعلا- .

وكــذلك حــديث ســهل بن ســعد الــذي فيه قصة عليّ، فيه الدعوة إلى الإسلام يكون هذان الحــديثان كالتفصــيل لقوله في الآية:

□ □ □□□□□□□□□□□ □□□□□□□ □□□□□□□ □□□□□□□□□□ □□□□□□□ □ □□□□ □□□□□ □□□□□□□□□□□ □

فالدعوة على بصيرة هي الـدعوة إلى شـهادة أن لا إله إلا الله إلى أن يوحــدوا الله ، الــدعوة إلى الإســلام ، وما يجب على العباد من حق الله فيه.

باب

تفسير التوحيد وشهادة أن لا إله إلا الله

قَالَ -رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى-: باب تفسير التوحيد وشهادة أن لا إله إلا الله وقول الله -تعالى-: [illegible] .

وقوله: [illegible] وقولـه: [illegible] وقوله: [illegible] .

وفي الصحيح عن النبي [illegible] أنه قـال: [illegible] من قـال: لا إله إلا الله وكفر بما يُعْبَد من دون الله حرم ماله ودمه وحسابه على الله [illegible] وشرح هذه الترجمة ما بعدها من الأبواب.

باب تفسـير التوحيد وشـهادة أن لا إله إلا الله ، مر معنا أن التوحيد هو شـهادة أن لا إله إلا الله ، ولهـذا قـال العلمـاء: العطف هنا التوحيد ، وشهادة أن لا إله إلا الله، هذا من عطف المترادفـات، ولكن هـذا فيه نظر من جهة أن الـترادف غـير موجود ، الترادف الكامل، لكن الترادف الناقص موجود ، فـإذن هو من قبيل عطف المترادفـات الـتي معناها واحد لكن يختلف بعضها عن بعض في بعض المعنى.

فالتوحيد مر معنا تعريفه بأول الكتاب وقوله: باب تفسير التوحيد، يعني: الكشف والإيضاح عن معنى التوحيد، وقد قلت لك: إن التوحيد هو اعتقاد أن الله -جل وعلا- واحد في ربوبيته لا شريك له واحد في إلاهيته لا نِدَّ له ، واحد في أسمائه وصفاته لا مثل له سبحانه وتعالى، قال جل وعلا: [illegible] .

ويشمل ذلك أنواع التوحيد جميعا، فإذن التوحيد هو اعتقاد أن الله واحد في هذه الثلاثة أشياء .

وشهادة أن لا إله إلا الله يعني: تفسير شهادة أن لا إله إلا الله، هذه الشهادة أعظم كلمة قالها مكلف، ولا شيء أعظم منها؛ وذلك لأن معناها هو الذي قامت عليه الأرض والسماوات، وما تعبَّدَ المتعبدون إلا بتحقيقها وبامتثالها، شهادة أن لا إله إلا الله ، الشهادة تارة تكون شهادة حضور وبصر ، وتارة تكون شهادة علم يعني: يشهد على شيء حضره ورآه أو يشهد على شيء علمه ، هذان نوعان بمعنى الشهادة.

فإذا قال قائل: أشهد فيحتمل أنه سيشهد بشيء رآه أو بشيء علمه ، وأشهد أن لا إله إلا الله هذه شهادة علمية، ولهذا في قوله: أشهد العلم ، والشهادة في اللغة وفي الشرع، وفي تفاسير السلف لآي القرآن التي فيها لفظ شهد كقوله: [illegible]

وكقوله: [illegible] .

شهد تتضمن أشياء الأول: الاعتقـاد بما سـينطق بـه، الاعتقـاد بما شـهده ، شـهد أن لا إله إلا الله يعـني: اعتقد بقلبه معـنى هذه الكلمـة، وهـذا فيه العلم ، وفيه اليقين بـأن الشـهادة فيها الاعتقاد، والاعتقاد لا يسمى اعتقادا إلا كان ثم علم ويقين.

الثـــاني: التكلم بها شــــهد الله أنه لا إله إلا هو والملائكة وأولوا العلم صار اعتقادا وصار أيضا إعلاما ونطقا بها.

والثالث: الإخبار بذلك، والإعلام به فينطقه بلســانه من جهة الواجب ، وأيضا لا يسمى شاهدا حتى يخبر غيره بما شهد، هذا من جهة الشهادة ، فإذن يكون: أشهد أن لا إله إلا الله، معناها أعتقد وأتكلم وأعلم، وأخبر بأن لا إله إلا الله.

فـافترقت إذن عن حـال الاعتقـاد، وافـترقت إذن عن حـال القول ، وافـترقت إذن عن حـال الإخبـار المجـرد عن الاعتقـاد، فلا بد من الثلاثة مجتمعة؛ ولهذا نقـول في الإيمـان: إنه اعتقـاد الجنان ، وقول اللسان ، وعمل الجوارح والأركان.

لا إله إلا الله هـــذه هي كلمة التوحيـــد، وهي مشــتملة من حيث الألفاظ على أربعة ألفـاظ الأول: "لا" الثـاني "إلـه" الثـالث "إلا" الرابع لفظ الجلالة (الله) .

أما لا هنا فهي النافية للجنس تنفى جنس اسـتحقاق الألوهية عن أحد إلا الله -جل وعلا- يعني في هذا السـياق وإذا أتى بعد

النفي "إلا" وهي أداة الاستثناء صارت تفيد معنى زائدا وهو الحصر والقصر ، فيكون المعنى الإلهية الحقة أو الإله الحق هو الله ، بالحصر والقصر ليس ثم إله حق إلا هو دون من سواه.

وكلمة (إله) فِعَال يعني من جهة الوزن فعال، قالوا: فعال تأتى أحيانا بمعنى فاعل، وتأتى أحيانا بمعنى مفعول، وننظر هنا فنجد أن كلمة أله في اللغة بمعنى عبد، وقال بعض اللغويين: أله يأله إذا تحير، أله فلان يأله أو تأله إذا تحير، وسمي الإله عندهم إلها؛ لأن الألباب تحيرت في كنه وصفه، وكنه حقيقته.

وهذا القول ليس بجيد ، بل الصواب أن كلمة إله فعال بمعنى مفعول وهو المعبود ، فإله معناها معبود ويدل على ذلك ما جاء في قراءة ابن عباس أنه قرأ في سورة الأعراف: " أتذر موسى وقومه ليفسدوا في الأرض ويذرك وإلهتك " .

كان ابن عباس يقرأها هكذا "ويذرك وإلهتك" قال: لأن فرعون كان يُعْبَد ولم يكن يَعْبُد ، فصوب القراءة بـ □□□□□□□□□ □ □ □ □□□□□□□□□□□□□ يعني وعبادتك، وقراءتنا وهي قراءة السبعة □ □ □□□□□□□□□□□□ □□□□□□□□□ □ يعني المتقدمين، فهذا معناه أن ابن عباس فهم من الإلهة معنى العبادة ، قد قال الراجز في شعره المعروف الذي ذكرته لكم من قبل:

لله در الغانيات المدف	**سبحن واسترجعن من تأله**

يعني: من عبادتي، فإذن يكون الإله هو المعبود لا إله يعني لا معبود إلا الله هنا لا معبود ، لا النافية للجنس -كما تعلمون- تحتاج إلى اسم وخبر ؛ لأنها تعمل عمل "إن" جعل لا++ في نكرة، فأين خبر لا النافية للجنس ؟ كثير من الناس من المنتسبين للعلم قدروا الخبر لا إله موجود إلا الله.

وهذا يحتاج إلى مقدمة قبله، وهو أن المتكلمين والأشاعرة والمعتزلة ومن ورثوا علوم اليونان قالوا: إن كلمة إله هي بمعنى فاعل؛ لأن فعال تأتي بمعنى مفعول أو فاعل .

فقالوا: هي بمعنى أله ، والإله هو القادر ففسروا الإله بأنه القادر على الاختراع ، ولهذا تجد في عقائد الأشاعرة ما هو مسطور في شرح العقيدة السنوسية التي تسمى عندهم بـ "أم البراهين" قال ما نصه فيها: " الإله هو المستغني عما سواه ، المفتقر إليه كل ما عداه، قال: فمعنى لا إله إلا الله: لا مستغنيا عما سواه ولا مفتقرا إليه كل ما عداه إلا الله ، ففسروا الإله الألوهية بالربوبية ، وفسروا الإله بالقادر على الاختراع أو بالمستغني عما سواه ، المفتقر إليه كل ما عداه.

وبالتالي يقدرون الخبر موجود، لا إله موجود، يعني: لا قادر على الاختراع والخلق موجود إلا الله، لا مستغنيا عما سواه ، ولا مفتقرا إليه كل ما عداه موجود إلا الله؛ لأن الخلق جميعا محتاجون إلى غيرهم ، وهذا الذي قالوه هو الذي فتح باب الشرك في المسلمين؛

لأنهم ظنوا أن التوحيد هو إفراد الله بالربوبية؛ فإذا اعتقد أن القادر على الاختراع هو الله وحـده صـار موحـدا، إذا اعتقد أن المسـتغني عما سواه، والمفتقر إليه كل من عداه هو الله وحـده صـار عنـدهم موحدا.

وهذا من أبطل الباطل أين حال مشركي قريش الذين قـال الله -جل وعلا- فيهم: [illegible] وفي آية أخرى: [illegible] ونحو ذلك من الآيات وهي كثيرة كقوله: [illegible] الآيات من سـورة يونس.

وهـذا معلـوم أن مشـركي قـريش لم يكونـوا ينـازعون في الربوبية، فإذن صارت هذه الكلمة دالة على غير ما أراد أولئك، وهو ما ذكرناه آنفا من أن معنى لا إله يعني: لا معبود، فيكـون الخبر إما أن يكون تقـديره موجـود ، فيكـون المعـنى: لا معبـود موجود إلا الله ، وهذا باطل؛ لأننا نرى أن المعبودات كثـيرة قد قـال جل وعلا: [illegible] مخـبرا عن قـول الكفـار [illegible]

فالمعبودات كثيرة والمعبودات موجودة .

فإذن تقدير الخبر بموجود غلط ، ومن المعلوم أن المتقرر في علم العربية أن خبر لا النافية للجنس يكثر حذفُه في لغة العرب، وفي نصوص الكتاب والسنة؛ ذلك أن خبر لا النافية للجنس يحذف إذا كان المقام يدل عليه، وإذا كان السامع يعلم ما المقصود من ذلك.

وقد قال ابن مالك في آخر باب لا النافية للجنس حينما ساق هذه المسألة:

وشاع في ذا الباب ....

يعني باب لا النافية للجنس:

وشاع في ذا الباب إسقاط الخبر ... إذا المراد مع سقوطه ظهر

إذا ظهر المراد مع حذف الخبر فإنك تحذف الخبر؛ لأن الكلام الأنسب أن يكون مختصرا كما قال -عليه الصلاة والسلام-: لا عدوى ولا طيرة ولا هامة ولا صفر ولا نوء ولا غول .

أين الخبر ؟ كلها محذوفات؛ لأنها معلومة لـدى السـامع؛ إذن فالخبر هنا معلوم ، وهو أنه ليس الخـبر موجـودا ، يعـني يقـدر بموجود؛ لأن الآلهة التي عبدت مع الله موجودة ، فيقدر الخــبر بقولك بحـــق، أو حق لا إله بحق يعـــني لا معبـــود بحق أو لا معبود حق إلا الله .

إن قدرت الظرف فلا بأس ، أو قـدرت كلمة مفـردة حق لا بأس ، لا معبود حق إلا اللـه، هـذا معـنى كلمة التوحيد فيكـون إذن كل من عُبِدَ غير الله -جل وعلا- عُبِـدَ نعم ، ولكن هل عبد بالحق أم عبد بالباطل، والظلم والطغيان والتعدي عبد بالباطل، والظلم والطغيان والتعدي، وهذا يفهمه العربي من سماع كلمة لا إله إلا الله.

ولهـذا بئس قـوم كما قـال الشـيخ محمد بن عبد الوهـاب -رحمه اللـــه-: بئس قـــومٍ أبو جهل أعلم منهم بلا إله إلا الله ، يفهم هـذه الكلمة وأبى أن يقولهـا، ولو كـانت كما يـزعم كثـير من أهل هــذا العصر وما قبله لقالوها بســهولة، ولم يــدروا ما تحتها من المعـاني لكن يعلم أن معناها لا معبـود حق إلا الله ، وأن عبادة غيره إنما هي بـالظلم، ولن يقر بـالظلم على نفسه وبالبغي ، ولم يقر بأنه باغٍ متعد، وبالتعدي والعـدوان، وهـذا هو حقيقة معـنى لا إله إلا اللــه، وفيها الجمع بين النفي والإثبـات، كما سيأتي في بيان آية الزخرف: [illegible]

.

قال الإمام -رحمه الله- وقول الله -تعالى-:

هذه الآية تفسير للتوحيد ، وذلك أننا عَرَّفَنَا التوحيدَ بأنه إفراد الله بالعبادة، وهو توحيد الإلهية، وهذه الآية اشتملت على الثناء على خاصة عباد الله بأنهم وحَّدوا الله بالإلهية، وهذه مناسبة الآية للباب فقد وصفهم الله -جل وعلا- بقوله: ويدعون بمعنى يعبدون؛ لأن الدعاء هو العبادة، والدعاء نوعان -كما سيأتي تفصيله-: دعاء مسألة ، ودعاء عبادة.

قال هنا: يعني يعبدون الوسيلة هي الحاجة ، الوسيلة هي القصد والحاجة يعني أن حاجاتهم يبتغونها إلى ربهم ذو الربوبية إلى ربهم ذي الربوبية الذي يملك الإجابة .

وفي قول الله -جل وعلا- في سورة المائدة:

سئل ابن عباس -رضي الله عنهما- وهي من مسائل نافع بن الأزرق المعروفة سئل عن قوله الوسيلة في قوله: ما معنى الوسيلة ؟ قال: الوسيلة الحاجة ، فقال له: وهل تعرف العرب ذلك ؟ قال: نعم ، ألم تسمعا إلى قول الشاعر، وهو عنترة يخاطب امرأة:

إن الرجال لهم إليك وسيلة — أن يؤخـذوك تكحـلي وتخضبي

لهم إليك وسيلة يعني: لهم إليك حاجة .

ووجه الاستدلال من آية المائـدة أنه قـال: [illegible] فقدم الجار والمجـرور على لفظ الوسـيلة، وتقـديم الجار والمجرور ، وحقه التأخير يفيد الحصر والقصر، وعند عدد من علمــاء المعــاني يفيد الاختصــاص، وهــذا أو ذلك ، فوجه الاستدلال ظاهر في أن قوله تعالى في آية الإسراء: [illegible] أن حاجاتهم إنما يبتغونها عند الله، وقد اختص الله -جل وعلا- بذلك، فلا يتوجهون إلى غيره.

وقد حصـروا وقصـروا التوجه لله -جل وعلا- وقد جـاء بلفظ الربوبية دون لفظ الألوهية يعني قـال: [illegible] ولم يقل يبتغون إلى الله الوسيلة؛ لأن إجابة الدعاء والإثابة هي من مفــردات الربوبيــة؛ لأن ربوبية الله على خلقه تقتضي أن يجيب دعــائهم، وأن يعطيهم ســؤلهم؛ لأن ذاك من أفراد الربوبيـة، فـإذن ظهر من قولـه: [illegible] أن فيها تفســير التوحيــد، وهو أن كل حاجة من الحاجات إنما تنزلها بالله -جل وعلا- "يدعون" يعبدون.

وهم إنما يطلبون حاجاتهم من الله -جل وعلا- ، فلا يعبدون بنوع من العبادات ويتوجهون به لغير الله، فإذا نحروا فإنما ينحرون يبتغون إلى ربهم الحاجة، وإذا صلوا إنما يصلون يبتغون إلى ربهم الحاجة، وإذا استغاثوا فإنما يستغيثون بالله يبتغون إليه الحاجة دون ما سواه إلى آخر مفردات توحيد العبادة .

فهذه الآية دالة بظهور على أن قوله يدعون: [illegible] أنه هو التوحيد، وقد استشكل بعض أهل العلم في إيراد هذه الآية في هذا الباب وقال: ما مناسبة هذه الآية لهذا الباب، وبما ذكرت لك تتضح المناسبة جلية قال جل وعلا: [illegible] وهذه حال خاصة بعباد الله أنهم جمعوا بين العبادة وبين الخوف وبين الرجاء فيرجون رحمته يخافون عذابه، وهم إنما توجهوا إليه وحده دون ما سواه فأنزلوا الخوف والمحبة والدعاء والرغب والرجاء لله -جل وعلا- وحده دون ما سواه، وهذا هو تفسير التوحيد .

قال -رحمه الله- وقوله: [illegible]

[illegible] وجه الاستدلال من هذه الآية في قوله: [illegible] هذه الجملة فيها البراءة وفيها الإثبات. البراءة مما يعبدون قال: بعض أهل العلم تبرأ من العبادة ومن المعبودين قبل أن يتبرأ من العابدين لأنه إذا تبرأ

من أولئك فقد بلغ به الحنق والكراهة والبغضـــاء، والكفر بتلك العبادة مبلغها الأعظم.

وقد جاء تفصيل ذلك في آية الممتحنة كما هو معلــوم . إذن مناسبة هذه الآية للباب أن قوله: اشتملت على نفي وإثبات فهي مساوية لكلمة التوحيد بل هي دلالة كلمة التوحيد ففي هـــــــذه الآية تفسير شهادة أن لا إله إلا الله؛ ولهذا قـال -جل وعلا- بعـدها: ما هذه الكلمة؟ هي قول لا إله إلا الله كما عليه تفاسير السلف.

فإذن قوله جل وعلا: هذا فيه النفي الذي نعلمه من قوله "لا إله" فتفســير شــهادة أن لا إله إلا الله في هذه الآية "لا إله" معناها أنني براء مما تعبـدون "إلا الله" معناها إلا الذي فطرني .

فإذن في آية الزخرف هذه أن إبـراهيم -عليه السـلام- شـرح لهم معنى كلمة التوحيد بقوله: إنني براء مما تعبـدون، والـبراءة هي الكفر والبغضـاء ، والمعـاداة تـبرأ من عبـادة غـير الله إذا أبغضها وكفر بها وعاداها، وهذه لا بد منهـا، لا يصح إسـلام أحد حتى تقوم هذه البراءة في قلبه ؛ لأنه إن لم تكن هذه البراءة في قلبه ، فلا يكــون موحــدا ، الــبراءة هي أن يكــون مبغضا لعبادة غير الله ، كافرا بعبادة غير الله ، معاديا لعبادة غير الله .

كما قال هنا: أما البراءة من العابــدين فإنها من اللــوازم ، وليست من أصل كلمة التوحيــد، الــبراءة من العابــدين فقد يعــادي، وقد لا يعــادي ، وهــذه لها مقامات منها ما هو مُكَفِّر، ومنها ما هو نـوع مـوالاة ، ولا يصل بصاحبه إلى الكفر.

إذن تَحَصَّـل لك أن الـبراءة الـتي هي مضـمَّنَة في النفي "لا إلـه" بغض لعبـادة غـير اللـه، وكفر بعبـادة غـير الله ، وعـداوة لعبادة غير الله .

وهذا القدر لا يستقيم إسلام أحد حتى يكون في قلبه ذلك . قال: وهذا استثناء كما هو الاسـتثناء في كلمة التوحيد لا إله إلا الله، قال بعض أهل العلم: قــال ذكر الفطر دون غـيره؛ لأن في ذلك التـذكير بأنه إنما يســتحق العبــادة مَن فَطَــرَ ، أما من لم يفطر ، ولم يخلق شيئا فإنه لا يستحق شيئا من العبادة.

إذن مناسـبة هـذه الآية ظـاهرة في البـاب، ووجه الاسـتدلال منها ومعــنى الــبراءة ومعــنى النفي والإثبــات فيها وفي كلمة التوحيد. قال: وقوله: أربابــا: الربوبية أربابــا: جمع رب ، والربوبية هنا هي العبادة ، يعني اتخذوا أحبارهم ورهبانهم معبــودين من دون الله يعني مع الله، وذلك أنهم أطاعوهم في تحليل الحرام ، وتحريم

الحلال، والطاعة من التوحيد فـرد من أفـراد العبـادة أن يطيع في التحليل والتحريم .

فإذا أطـاع غـير الله في التحليل وفي التحـريم، فإنه قد عبد ذلك الغير فهـذه الآية فيها ذكر أحد أفـراد التوحيد ، أحد أفـراد العبـادة وهو الطاعة ، وسـيأتي إيرادها في بـاب مسـتقل -إن شاء الله تعالى- مع بيان ما تشتمل عليه من المعاني.

قـال: وقولـه: أثبت الله -جل وعلا- أنهم اتخـذوا من دون الله أنـدادا يعـني مع الله أو من دونه أنـدادا، جعلـوهم يستحقون شـيئا من العبـادات، ووصـفهم بـأنهم يحبـونهم يعـني: المشـركين يحبـونهم كحب اللـه، وقوله هنـا: المفسرون من السلف فمَن بعدهم هنا على قولين:

منهم من يقول: هي كلها في الذين اتخذوا أندادا يعني يحبون أندادهم كحبهم لله .

وقال آخرون: يعني يحبونهم كحب المؤمـنين لله ، فالكـاف بمعـنى مثل هنا كقولـه: كالحجارة: الكـاف هنا اسم بمعـنى مثـل؛ لأنه عطف عليها اسم آخر قال: .

يعني ساووا محبة تلك الآلهة بمحبة اللـه، فهم يحبـون الله حبا عظيمـا، ولكنهم يحبـون تلك الآلهة

أيضا حبا عظيما ، وهـذا التسـاوي هو الشـرك، والتسـوية هـذه هي الـتي جعلتهم من أهل النـار كما قـال جل وعلا في سـورة الشعراء مخبرا عن قول أهل النار: [illegible] ومعلـوم أنهم ما سـووا تلك الآلهة بـرب العـالمين في الخلق والـرزق ومفـردات الربوبية ، وإنما سووهم برب العالمين في المحبة والعبادة .

فإذن هنا يكون قوله جل وعلا: [illegible] يعني يحبـونهم محبة مثل محبتهم للـه، وهـذا الوجه أرجح من الوجه الآخر الذي تقديره كحب المؤمـنين لله [illegible] .

وجه الاسـتدلال من الآية ومناسـبتها من البـاب ظـاهرة في أن التشـريك في المحبة منـافٍ لكلمة التوحيـد، منـافٍ للتوحيد من أصـله ، بل حكم الله عليهم بـأنهم اتخـذوا أندادا من دون الله ووصفهم بـأنهم اتخـذوا الأنـداد في المحبـة، والمحبة محركة، وهي التي تبعث على التصرفات.

فـإذن هنا فيه ذكر للمحبـة، والمحبة نـوع من أنـواع العبـادة، ولما لم يفردوا الله بهذه العبادة صاروا متخذين أندادا من دون الله، وهذا معنى التوحيد، ومعنى شهادة أن لا إله إلا الله .

ثم قال -رحمه الله-: في الصحيح عن النبي [illegible] أنه قـال: [illegible] من قال لا إله إلا الله وكفر بما يُعْبَد من دون الله حرم ماله ودمه وحسـابه على الله [illegible] في هـذا الحـديث بيـان التوحيد وشـهادة

أن لا إله إلا اللــه؛ ذلك أن ثمة فرقا بين قــول لا إله إلا الله ، وبين التوحيد وشهادة أن لا إله إلا الله فالتوحيد والشهادة أرفع درجة، ومختلف عن مجرد القول.

وهــذا الحــديث فيه قيد زائد عن مجــرد القــول، قــال -عليه الصــلاة والســلام-: ﴿من قــال لا إله إلا الله وكفر بما يعبد من دون الله ﴾ فيكــون الــواو هنا تعطف ويكــون ما بعــدها غــير ما قبلها؛ لأن الأصل في العطف المغايرة ، ويكون ﴿ كفر بما يعبد من دون الله ﴾ هذه زيادة على مجرد القــول ، فيكــون قــال لا إله إلا الله ومع ذلك ومع قولــه: ﴿كفر بما يعبد من دون الله ﴾ يعني تبرأ مما يعبد من دون الله ، هذا قول .

والقول الثاني: أن الــواو هنا ليست عاطفة عطف مغـايرة شــيء عن شــيء أصلا ، وإنما هي من بــاب عطف التفســير يعني يكون ما بعدها بعض ما قبلها كقوله جل وعلا: ﴿ [illegible] ﴾ جبريل وميكال بعض الملائكة فعطفهم وخصــــهم بالـــذكر، وأظهر اسم جبريل وميكــال ؛ لبيــان أهمية هــذين الاســمين وأهمية الملكين؛ لأن أولئك اليهود لهم كلام في جبريل وميكـال، المقصـود أن يكـون العطف هنا عطف خــاصٍ بعد عــام، أو عطف تفســير؛ لأن ما بعدها داخل فيما قبلها ، وهذا تفسير لقوله: "لا إله إلا الله" .

فيكون إذن لا إله إلا الله ، على هذا القـول الثـاني متضـمنة للكفر بما يعبد من دون اللـــه، وهــذا هو الـــذي ذكرته لك في

معنى البراء في آية الزخرف: □□□□ □□□□□□□□□□□□ □□□□□□ □□□□□□□□□ □□□□□□□□ □□□□□□□□ □
□ □□□□□□□□□□ □□□□□□□ □□□□ .

قلنـا: الـبراءة تتضـمن البغض والكفر والمعـاداة ، الكفر بما يعبد من دون الله ، وهذا تفسير ظاهر لكلمة التوحيد .

قـال -عليه الصـلاة والسـلام-: □ من قـال لا إله إلا الله وكفر بما يعبد من دون الله □ هـذا تفسـير ، وهـذا الوجه الثـاني هو الأظهر والأنسب لسياق الشيخ -رحمه الله تعـالى- بل هو الـذي يتوافق مع ما قبله من الأدلة . قال: □ حـرم دمه وماله وحسـابه على الله □ □ ذلك أنه صـار مسـلما ، من قـال لا إله إلا اللـه، وكفر بما يعبد من دون الله صــار مســلما ، والمســلم لا يحل دمه إلا بإحـدى ثلاث ، ولا يحل ماله ، ولهـذا قـال هنـا: □ حـرم ماله ودمه □ .

إذن يظهر لك من هـــذه الترجمـــة، وما فيها من الآيـــات والحديث أن تفسير التوحيد هو تفسير شهادة أن لا إله إلا الله يحتــاج منك إلى مزيد عناية ونظر وتأمل وتــأني حــتى تفهمه بحجته، وبيان وجه الحجة في ذلك .

بعد ذلك قال الشيخ -رحمه الله-: "وتفسـير هـذه الترجمة ما يــأتي بعــدها من أبــواب " فالكتــاب كله هو تفســير للتوحيــد، وتفسير لكلمة لا إله إلا اللـه، وبيـان ما يضـاد بـذلك، وبيـان ما ينافي أصل التوحيـد، وما ينـافي كمـال التوحيـد، وبيـان الشـرك الأكـبر والشـرك الأصـغر، والشـرك الخفي، وشـرك الألفـاظ ،

وبيان بعض مستلزمات التوحيـد، توحيد العبـادة من الإقـرار لله بالأسماء والصفات، وبيان ما يتضمن توحيد العبـادة من الإقـرار لله جل وعلا بالربوبية .

هذا وآمل من الإخوة إذا خرجت ألا يتبعني أحد لأن فيه شيئا من الإحراج ، هذا وصلى الله وسلم وبارك على نبينا محمد .

الأربـــاب جمع الـــرب والربوبية هنا بمعـــنى الطاعة بمعـــنى العبادة الرب هو المعبـود كقوله في مسـائل القـبر: "من ربـك" يعني من معبودك هذا يأتي مفصلا في الربوبية والألوهية معـنى هذه وهذه إن شاء الله .

الحمد لله والصـــلاة والســـلام على رســـول الله ، وعلى آله وصحبه ومن اهتدى بهـداه أما بعد . فموضـوع كلمة هـذا اليـوم عن نفسية طالب العلم حين يتلقى الدرس، والمستمعون للعلم يختلفون ، يختلفـون من جهة رغبتهم فيما يسـمعون، ويختلفـون أيضا من جهة اسـتعداداتهم، فليست الرغبـات واحـدة ، وليست الاسـتعدادات واحـدة، الرغبـات مختلفة منهم من يسـتمع للعلم رغبة في تحصـــيله، هـــذا هو الغـــالب ولله الحمـــد، ومنهم من يسـتمع للعلم رغبة في تقـييم المعلم أو في معرفة مكانته من العلم وحسن تعليمه أو حسن استعدادته للعلوم .

ومنهم من يأتي مرة ويترك عشر مـرات، وهـذه في رغبـات أيضا متنوعة، ويهمنا منها من يأتي للعلم رغبة في العلم، فحين

يأتي طالب العلم للـدرس راغبا في الاسـتفادة ينبغي أن يكـون على نفسية وحالة قلبية خاصة وحالة عقلية أيضا خاصة.

أما الحالة القلبية والنفسية، فأن يكون قصده من هـذا العلم أن يرفع الجهل عن نفسه، وهذا هو الإخلاص في العلم.

لأن طلب العلم عبـــادة، والإخلاص فيه واجب، والإخلاص في العلم بأن ينوي بتعلمه رفع الجهل عن نفسه، وقد سئل الإمـام أحمد عن النية في العلم كيف تكـون ؟ فقـال: " أن ينـوي رفع الجهل عن نفسه "

فإذا كان في طلبه للعلم يروم أن يكـون معلما أو أن يكـون داعيا أو أن يكـــون مؤلفـــا، ونحو ذلك فالنية الصـــالحة فيه والإخلاص في ذلك يكــون بشــيئين: الأول: أن ينــوي رفع الجهل عن نفسه. الثاني: أن ينوي رفع الجهل عن غيره.

فإذا لم ينو أحد هذين، أو لم ينوهما معا، فإنه ليس بصـاحب نية صـحيحة، فـإذا رام أحــدنا أن يطلب العلم فلا بد أن يكونا ناويا رفع الجهل عن نفســـه، وإذا نـــوى هـــذه النية يكـــون مستحضـــرا -بـــالطبع- أن الله -جل جلالـــه- خلقه وله عليه أمر ونهي في أصل الأصول ألا وهو حقه جل وعلا: التوحيد .

وكـذلك في الأمر والنهي في الحلال وفي الحـرام ، وسـبب الإقدام على المنهيات في العقائد، وكذلك في السـلوك الجهـل، من أســباب ذلك الجهــل، ثم أســباب أخــرى. فــإذا علم ورفع الجهل عن نفسه، كان عالما بمـراد الله -جل وعلا- ثم بعد ذلك

يستعين الله -جل وعلا- في امتثال مُرَادَاتِـهِ الشـرعية هـذا أمر نفسي مهم.

والأمر النفسي الثـــــاني المهم أيضا أنه حين يتلقى العلم يتلقى وهو واثق من علم المعلم، يعني أن يكون في نفسه أن الأصل في المعلم أنه يعلم على الصـــواب، فـــإذا دخل وفي نفسه أن المعلم يعلم غلطا أو أن معلوماته مشوشـــة، أو أنه كذا وكذا مما يضعفه في العلم، فإنه لن يستفيد من ذلـك؛ لأنه إذا استمع سيستمع بنفس المُعارض .

فسيأتي إذا قال كلمة أخذ يفكر بعدها نصف دقيقة أو دقيقة فيما قال، قال: هذا صحيح وفي اطلاعاته، وقد اطلع كـذا وكـذا مما يعارض كلام المعلم، ثم في هذه الدقيقة يكـون المعلم قد أتى بشيء آخر، فإذا انتهى هذا من تفكيره سمع جملة أخرى ، فتكـون مشوشة أيضا فيـدخل في اعتراضـات ، وهـذا يحـرم المســتمع العلم ، وإذا كــان عند طــالب العلم فيما يســمع إشـكالات أو إيـرادات فيكـون عنـده ورقة أو كراسة بين يديه يكتب الإشكال ثم لا يفكر فيه.

وهو يسـتمع العلم يكتب بحث هـذه المسـألة. المسـألة كـذا وكذا ثم بعد ذلك إذا فرغ من هذا الدرس يذهب هو ذلك اليوم أو بعـده يـذهب ويبحث هـذه المسـألة، أو يسـأل عنهـا، ومن المعلـوم أنه ليس من شـرط المعلم أن يكـون محققا ، وليس من شـــرط المعلم أن يكـــون مصـــيبا دائمـــا، فقد يكـــون له

اختيارات، أو آراء تخالف المشهور، أو تكـون له توجيهـات غلط فيها.

لكن الشأن أن يكـون المعلم مشـهودا له بـالعلم مؤصلا في العلم، يعـرف ما يتكلم بــه، فــإذا عــرف ما يتكلم به وعــرف أقــوال النــاس، وعلم العلم فإنه قد يكــون عنــده غفلة في مســألة، أو في حكم، أو نحو ذلك فيغلط مــرة أو يغلط في تصــور ونحو ذلــك، هــذا ليس بعجيب؛ لأن المعلم بشر والبشر خطاءون.

إذن المهم أن تتلقى العلم ممن وثقت بعلمــــــه، وأنت في نفسية غير معارضة، وهذا يحرم كثيرين علما واسعا؛ حيث إنهم يتلقون العلم بنفسية السؤال بنفسية من يستشكل ، ولهذا من أكثر السؤال في حلقات العلم لا يكون مجيدا.

وقد حضــرت مــرة عند الشــيخ عبد الــرزاق عفيفي العلامة المعــروف -رحمه الله تعــالى- وكــان عنــده من يســأله عن المسائل في الحج فإذا أتى مستفتٍ يستفتي فيأتي هذا السائل ويقول له: فإن كان كذا؟ فيحاول أن يتعلم العلم بطرح مسائل أخرى غير المسألة التي استفتى فيها السائل .

فقــال له الشــيخ -رحمه اللــه-: العلم لا يــؤتى هكــذا ، وإنما يــؤتى العلم بدراســته ، وهــذا صــحيح؛ لأن المتعلم حين يحضر عند أهل العلم، فيســمع فإنه إذا عــرض لذهنه أنه في كل ما يأتي يســأل ، أو في كل ما يســمع يعــترض كما مر معنا كثـيرا

من بعض الإخـوان والشـباب في حلقـات العلم يريـدون أسـئلة ويريدون استشـكالات طبعا بحسب ما عنـدهم من العلم سـألوا واستشكلوا، ولو صبروا لكان خيرا لهم .

هـذه النفسـية تـؤثر على الـذهن وعلى صـفائه وعلى تصـور العلـوم في أثنـاء الـدرس؛ لهـذا ينبغي لنا أننا حين نتلقى العلم أن نتلقـاه بنفسـية من ليس عنـده علم ألبتة ، يسـمع ويسـمع ويســمع، وإذا استشــكل فيكــون بعد ذلك في محلــه، يقيد ثم يبحث أو يسأل عن ذلك .

طبعا هـذا في حق من وثقنا بعلمـه، فأخـذنا عنه العلم، عن ثقة بما يأتي به . نعم .

باب

من الشرك لبس الحلقة والخيط ونحوهما لرفع البلاء أو دفعه

الحمد لله رب العـالمين والصـلاة والسـلام على أشـرف المرسلين نبينا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين.

قـال المصـنف -رحمه الله تعـالى-: " بـاب من الشـرك لبس الحلقة والخيط ونحوهما لرفع البلاء أو دفعه ".

وقول الله -تعالى-:

[illegible] .

وعن عمران بن حصين [illegible] أن النبي [illegible] رأى رجلا في يده حلقة من صفر، فقال: ما هذا ؟ قال: من الواهنة. فقال: انزعها فإنها لا تزيدك إلا وهنا، فإنك لو مت وهي عليك ما أفلحت أبدا [illegible] رواه أحمد بسند لا بأس به.

وله عن عقبة بن عـــامر مرفوعا [illegible] من تعلق تميمة فلا أتم الله له ، ومن تعلق ودعة فلا ودع الله له [illegible] وفي رواية [illegible] من تعلق تميمةً فقد أشرك [illegible] .

ولابن أبي حـــاتم عن حذيفة [illegible] أنه رأى رجلا في يـــده خيط من الحمة فقطعه، وتلا قوله تعالى: [illegible] .

هذا باب شرع به الشيخ -رحمه الله- في تفصيل ما سبق فقال: "باب من الشـرك لبس الحلقة والخيط ونحوهما لرفع البلاء أو دفعه" .

هذا شروع في بيان التوحيد ببيان ضده، ومن المعلوم أن الشيء يعرف ويتميز بشيئين بحقيقته، وبمعرفة ضده، والتوحيد يتميز بمعرفته في نفسه بمعرفة معناه، وإفراده وبمعرفة ضده أيضا.

وقد قال الشاعر:

.... وبضدها تتميز الأشياء

وهذا صحيح فإن التوحيد إنما يعرف حسنه بمعرفة قبح الشرك ، والإمام -رحمه اللـه- بـدأ في ذكر ما هو مضـاد للتوحيد ، وما يضـاد التوحيـد، منه ما يضـاد أصـله، وهو الشـرك الأكـبر الـذي إذا أتى به المكلف فإنه ينقض توحيده، يعني: يكون مشركا شركا أكبر مخرجا من الملة، هذا يقال فيه: ينافي التوحيد، أو ينافي أصل التوحيد.

والثاني: ما ينافي كمال التوحيد الواجب، وهو ما كـان من جهة الشرك الأصغر ينافي كماله، فإذا أتي بشـيء منه فقد نـافى بـذلك كمـال التوحيـد؛ لأن كمـال التوحيد إنما يكـون بـالتخلص من أنـواع الشـرك جميعا ، وكـذلك الريـاء، فإنه من أغـراض الشـرك الأصـغر أعني يسير الرياء ، وهذا ينافي كمال التوحيد.

ومنها أشياء يقول العلماء فيها: إنها نـوع شـرك فيعـبرون عن بعض المسائل من الشركيات بأنها نوع شرك، أو نـوع تشـريك، فصار عندنا في ألفاظهم في هذا الباب أربعة:

الأول: الشرك الأكبر. الثـاني: الشـرك الأصـغر. الثـالث: الشـرك الخفي . الرابع: قولهم: نوع شرك أو نوع تشريك .

وذلك من مثل ما سيأتي في قوله جل وعلا: وفي نحو قوله: في قصة آدم وحــواء حين عبــدا ابنهما

للشـيطان . فهـذا في الطاعة كما سـيأتي بيانه مفصلا إن شـاء الله.

بدأ الشيخ -رحمه اللـه- في تفصـيل الشـرك ببيـان صـور من الشرك الأصغر التي يكـثر وقوعها ، وقـدم الأصـغر على الأكـبر انتقـالا من الأدنى إلى الأعلى؛ لأن الشــبهة في الأدنى ضـعيفة بخلاف الشبهة في الأعلى يعني: أن تعلق المتعلق بالخيط تعلق المتعلق بالتميمة، هذا شبهته أضعف ، فتعلق ذلك المتعلق بغير الله إذا وعى أنه تعلق بغـــير الله فإنه يكـــون مقدمة مهمـــة، ومنتجة للمطلوب في إقناعه بأن التعلق بغـير الله في الشـرك الأكبر أنه قبيح .

أما إذا أتى إلى ما هو من جهة الشـــرك الأكـــبر كـــالتعلق بالأولياء ودعائهم وسؤالهم، أو الـذبح للجن ، أو الـذبح للأوليـاء، فإنه يكون هناك شبهة، وهي أن أولئك لهم مقامات عند الله -جل وعلا- والنـاس الـذين يتوجهـون إلى أولئـك، ويشـركون بهم الشرك الأكبر المخـرج من الملة ، والعيـاذ باللـه، يقولـون: إنما أردنا الوسيلة، هؤلاء لهم مقامات عند الله، وإنما أردنا الوسيلة، كحال المشركين في زمن النـبي [illegible] الـذين قـال الله -جل وعلا- فيهم: [illegible] .

فـإذن الشـيخ -رحمه اللـه- بـدأ بما هو من الشـرك الأصـغر انتقـالا من الأدنى إلى الأعلى، حـتى يكـون ذلك أقـوى في

الحجــة، وأمكن في النفــوس من جهة ضــرورة التعلق باللــه، وإبطال التعلق بغيره .

قال -رحمه الله-: باب من الشرك "من" هذه تبعيضية، يعني: هذه الصورة التي في الباب هي بعض الشــرك . هل هي بعض أفـراده أو بعض أنواعـه؟ هي هـذه وهـذه ، فما ذكر وهو لبس الحلقة أو الخيط أحد نوعي الشرك، وهو الشـرك الأصـغر، وهو أحد أفراد الشرك بعمومه ، كأنها صورة من صور الأشراك .

قـال: بـاب من الشـرك لبس الحلقة والخيط ونحوهمـا، نحو الحلقة والخيط مثل الخــرز والتمــائم والحديد ، ونحو ذلك مما قد يلبس . كذلك مما يعلق أيضا في البيوت، أو في السيارات، أو يعلق على الصــغار، ونحو ذلك مما فيه لبس أو تعليــق، كل ذلك يدخل في هذا الباب، وإنه من الشرك .

قال: باب من الشرك لبس الحلقة أو الخيط، الحلقـة: إما أن تكون من صفر يعني من نحـاس، وإما أن تكـون من حديـد، أو تكـون من أي معــدن ، والخيط مجــرد خيط يعقــده في يــده، والخيط معــــــروف، الحلقة والخيط كانا عند العــــــرب فيها اعتقـادات، في أشـباههما مثل التمـائم وغيرها يعتقـدون أن من تعلق بشــيء من ذلك أثر فيه ونفعــه، إما من جهة دفع البلاء قبل وقوعــه، وإما من جهة رفع البلاء والمــرض، رفع البلاء أو المرض بعد وقوعه .

ولهــذا قــال الشــيخ -رحمه اللــه- لرفع البلاء أو دفعــه؛ لأن الحالتين موجودتان منهم من يعلق قبل أن يـأتي البلاء ليرفعـه، وهـذا أعظم أن يعلق خيطـا، أن يعلق حلقـة، يلبس حلقـة، أو يلبس خيط؛ ليدفع الشيء قبل وقوعه ، وهذا أعظم؛ لأنه يعتقد أن هـذه الأشـياء الخسيسة الوضـيعة أنها تـدفع قـدر الله جل وعلا.

وكذلك منها أن يلبس ليرفع البلاء بعد حصوله، مـرض فلبس خيطا ليرفع ذلك المرض، أصابته عين فلبس الخيط؛ ليرفع تلك العين ، وهكذا في أصـناف شـتى من أحـوال النـاس في ذلـك، واعتقادات الناس كثيرة .

هذه ، لبس الحلقة أو الخيط من الشرك، لم كان شركا ؟

قلنا: إنه شرك أصغر. لم كان شـركا أصـغر ؟ لأنه تعلق قلبه بها وجعلها سببا لرفع البلاء، أو سببا لدفعه، والقاعـدة في هـذا الباب أن إثبات الأسباب المؤثرة لا يجوز إلا أن يكـون من جهة الشرع، لا يجوز إثبات سبب، إلا أن يكـون سـببا شـرعيا، أو أن يكون سببا قد ثبت بالتجربة الواقعة أنه يؤثر ظاهرا لا خفيا.

فهذا، مَن لبس فإنه جعل سببا ليس بمأذون به في الشـرع، وكــذلك من جهة التجربــة، لا يحصل ذلك على وجه الظهــور، وإنما هو مجرد اعتقاد ممن لبس في هذا الشيء .

فقد يوافق القــدر أنه يشــفى حين لبس أو بعد لبســه، أو يــدفع عنه أشــياء يعتقد أنها ســتأتيه، فيبقى معلقا في ذلــك،

ويثبت أن تلك سبب من الأسباب ، وهذا باطل، إذن صار لبس الحلقة والخيط ونحوهما لرفع البلاء أو دفعه شـركا أصـغر؛ لأن من لبسـها تعلق قلبه بها وجعلها تـدفع أو تنفع أو جعلها تـؤثر في رفع الضرر عنه، أو في جلب المنافع له. وهذا إنما يسـتقل به الله -جل وعلا- وحده إذ هو النافع الضار هو -جل وعلا- الذي يفيض الرحمة ويفيض الخير أو يمسك ذلك .

وأما الأسـباب الـتي تكـون سـببا لمسـبباتها، فهـذه لا بد أن يكـون مأذونا بها في الشـرع، ولهـذا بعض العلمـاء يعـبر عما ذكرت بقوله: من أثبت سببا لله -يعني: يحـدث المسـبب يحـدث النتيجـة- لم يجعله الله سـببا لا شـرعا ولا قـدرا فقد أشـرك، يعني: الشرك الأصغر .

هـذه القاعـدة في الجملة صـحيحة، قد بعض الأمثلة يشـكل هل تـدخل أو لا تـدخل، لكن هو المقصـود من هـذا البـاب أن إثبـات الأسـباب لا بد أن يكـون إما من جهة الشـرع، وإما من جهة التجربة الظاهرة، مثل دواء الطـبيب، ومثل الانتفـاع ببعض الأسباب التي فيها الانتفاع ظاهرا تتدفأ بالنار، أو تتبرد بالماء أو نحو ذلك.

هذه هي أسباب ظاهرة بيّن أثرها، لكن إذا كان السـبب من جهة التعلق الذي لم يأذن به الشرع، فإن التعلق بشيء يعـني: التعلق القلبي بشيء لم يأذن به الشرع يكـون نـوع شـرك، إذا كان لدفع البلاء أو لرفعه .

وهذا مراد الشيخ في هذا الباب ، فـإن لبس الخيط والحلقة من الشرك الأصغر، كل أصناف الشرك الأصغر قد تكون شركا أكبر بحسب حال من فعلها، اللبس، تعليق التمائم، الحلف بغير اللـه، قـول: ما شـاء الله وشـئت ، ونحو ذلك من الأعمـال، والاعتقادات، أو الأقوال.

الأصل فيها أن نقـول: إنها شـرك أصـغر، لكن قد تكـون تلك شركا أكبر بحسب الحال .

يعـني: إن اعتقد في الحلقة والخيط مثلا أنها تـؤثر بنفسـها فهـذا شـرك أكـبر إذا اعتقد أنها ليست سـببا ، ولكن هي تـؤثر بنفسها؛ لأن هـذه تـدفع بنفسـها، تـدفع المـرض بنفسـها، تـدفع العين بنفسها، أو ترفع المرض بنفسها ، أو ترفع العين بنفسها؛ وليست أسـبابا، ولكن هي بنفسـها مـؤثرة، فهـذا شـرك بالله شرك أكبر؛ لأنه جعل التصرف في هـذا الكـون لأشـياء مع الله جل وعلا.

ومعلـوم أن هـذا من أفـراد الربوبية فيكـون ذلك شـركا في الربوبية، إذن عماد هذا الباب من جهة تعلق القلب، تعلق بهذه الأشـياء بالحلقة أو الخيط لـدفع ما يسـوءه أو لرفع ما حل به من مصائب.

الشـيخ -رحمه اللـه- سـاق بعد ذلك قـول الله -جل وعلا-: [illegible] قوله -جل وعلا- في هــذه الآية من ســورة

الزمر: [illegible] العلماء يقولون: إن الفاء إذا جاءت بعد همزة الاستفهام ، فإنها تكــون عاطفة على جملة محذوفة يدل عليها السياق.

وهذه الآية أولها: [illegible] يعني: قل: أتقرون بأن الذي خلق الســموات والأرض هو الله وحــده فتــدعون غــيره، فتتوجهــون لغيره، أتقرون بذلك فتفعلون هذه الأشياء قال جل وعلا: [illegible] .

أو يكون التقدير: أتقــرون بــأن الله هو الواحد في ربوبيته هو الذي خلق الســموات والأرض وحــده فــأقررتم فــرأيتم هــذه الأشياء التي تتوجهون لها من دون الله هل تدفع عنكم المضــار ، أو هل تجلب لي ضرا أو تجلب لكم رحمة من دون الله.

فإذن تكــون الفــاء هنا ترتيبية رتبت ما بعــدها على ما قبلهــا، وهــذا هو المقصــود أيضا من الاحتجــاج؛ لأن طريقة القــرآن أنه يحتج على المشــركين بما أقــروا به من توحيد الربوبية على ما أنكروه من توحيد الإلهية.

وهم أقــروا بالربوبية فــرتب على إقــرارهم أنه يلــزمهم أن يبطلوا عبادة غير الله -جل وعلا- قال: [illegible] "تــدعون" يعــني تعبــدون، وقد تكــون العبــادة بــدعاء المسألة، وقد تكون بأنواع العبادة الأخــرى، أو نقــول: "تــدعون"

هذه تشمل دعـاء المسـألة، ودعـاء العبـادة ؛ لأنهما حالتـان من أحوال الإشراك بالله.

و "مـا" هنا عامـة؛ لأنها اسم موصـول بمعـنى الـذي ، أفـرأيتم الـذي تدعونه من دون الله ، والذي يدعونه من دون الله الذي شملته هـذه الآية أنـواع، وهو كل ما دعي من دون الله مما جاء بيانه في القرآن.

وجاء في القرآن بيان أن الأصناف التي تشــرك بها من دون الله -جل وعلا- وتوجه لها بالعبادة أنواع:

الأول: الأنبياء بعض الأنبياء والرسل والصالحون كما قــال جل وعلا في آخر سورة المائدة: الآية ، فهذا في هذا النوع.

ونوع آخر اتخذوا الملائكة كما جاء في آخر سورة سـبأ بيـان ذلك .

هــذا في الملائكة نــوع آخر أيضا كــانوا يتوجهــون للكــواكب: الشمس القمر ، يعني: طائفة من الناس يتوجهون لهذه الأشياء فيعبدونها .

أيضا من الأنواع أنهم كانوا يتوجهـون إلى الأشـجار والأحجـار، ومن الأنواع أنهم كانوا يتوجهون للأصنام والأوثان فـإذن قولـه: [illegible] يدخل فيه توجه أولئك في كل ما أشــركوا به من دون الله -جل وعلا- في كل ما أشــركوا به مع الله -جل وعلا- في نــوع من أنــواع العبـادة يفيـدنا ذلك في معرفة وجه الاستدلال من هذه الآية ، كما سيأتي .

قال: [illegible] أبطل أن يكون بتلك الآلهة بأنواعها إضرار أو نفع [illegible] لا يســــتطيعون، إن أرادني الله -جل وعلا- برحمة هل هذه تدفع رحمة الله؟ لا تستطيع أيضـا، فـإذن بطل أن يكون ثم تعلق بتلك الآلهة العظيمة الــتي يظن أن لها مقامات عند الله -جل وعلا - موجبة لشفاعتها .

إذا تــبين ذلك فقد قــال بعض أهل العلم: إن هــذه الآية في الشـرك الأكـبر فلم جعلها الشـيخ -رحمه اللـه- في صـدر بيـان أصناف من الشرك الأصغر؟ والجواب عن ذلك من وجهين:

الوجه الأول: أن إيـراد الآيـات في الشـرك الأكـبر من جهة معنــاه ، والتعلق بغــيره ووجــوب التعلق بالله -جل وعلا- ونحو ذلك، هذا يورده السلف فيما هو من الشـرك الأصـغر، فالآيـات التي في الشرك الأكبر، تورد في إبطال الشرك الأصغر، بجامع

أن في كلا الشــركين تعلقا بغــير الله -جل وعلا- ، فــإذا بطل التعلق بالأعظم بطل التعلق فيما هو دونه من باب أولى .

الثاني: أن هذه الآية في الشرك الأكبر، ولكن المعنى الـذي دارت عليه هو أنه في إبطال إضـرار أحد من دون اللـه، أو أن الله إذا أصـاب أحـدا بضر أن ثَمَّ من يسـتطيع أن يرفعه بـدون إذن الله ، أو إذا أراد الله رحمة أن ثَمَّ من يصــــــــرف تلك الرحمة بدون إذنه جل وعلا .

وهذا المعنى الـذي هو التعلق بما يضر وبما ينفع هو المعـنى الذي من أجله تعلق المشرك الشرك الأصغر بالحلقة وبالخيـط؛ لأنه ما علق الخيط ولا علق الحلقــــة؛ أو لبس الحلقة والخيط إلا لأنه يعتقد أن في الحلقة تــأثيرا من جهة رفع البلاء، أو دفع الضر، وأنها تجلب النفع وتدفع الضر.

وهــذه أشــياء مهينة أشــياء وضــيعة فــإذا نفي عن الأشــياء العظيمة كالأنبيـاء والمرسـلين والملائكة والصـالحين أو الأوثـان الـتي لها روحانيـات كما يقولـون، فإنه انتفـاء النفع والضر عما سواها مما هو أدنى لا شك أنه أصغر في البرهان وأدنى.

طبعا في قوله: □ □□□□□□□ □□□□ □□□□□□□□□□□ □□□□ □ هنا "بضر" هـذه نكرة في سياق الشرط ، وهذا يعم جميع أنـواع الضـرر يعـني: فغير الله -جل وعلا- لا يسـتطيع أن يرفع ضـرا، أنزله الله -جل وعلا- إلا بإذنه سبحانه وتعالى .

ثم ساق -رحمه الله- عدة أحاديث قال عن عمران بن حصين أن النبي   رأى رجلا في يده حلقة من صفر، فقال: ما هذه ؟ قال: من الواهنة. فقال: انزعها فإنها لا تزيدك إلا وهنا ، فإنك لو مت وهي عليك ما أفلحت أبدا .

مناسبة الحديث للباب ظاهرة وهي أنه -عليه الصلاة والسلام- رأى رجلا في يده حلقة من صفر بحسب ما كان يعتقد أهل الجاهلية فقال -عليه الصلاة والسلام-: "ما هذه ؟" هذا الاستفهام هذا السؤال، من أهل العلم من قال: إنه استفهام إنكار، ولكن الرجل ما فهم أنه إنكار ، فهم أنه استفصال، فلذلك أجاب فقال: "من الواهنة" .

وقال آخرون من أهل العلم: قوله عليه الصلاة السلام: "ما هذه" يحتمل أن يكون استفهام استفصال، أو استفهام إنكار؛ فلهذا أجاب الرجل، فقال "من الواهنة"

والاستفهام الأول يعني في القول الأول للإنكار الشديد ، وهو الأظهر من حيث دلالة السياق عليه؛ لأن النبي -عليه الصلاة والسلام- في السياق ما ذكر الحالة الأخرى، والحالة الأخرى التي يمكن أن يكون لبسها من أجله أن تكون للتحلي.

والتحلي بالصفر غير أن يلبسه لدفع البلاء أو رفعه ، المقصود أن الاستفصال هنا في قوله: "ما هذه ؟" هذا السؤال لا يعني أنه يحتمل أن يكون اللبس شركا، ويحتمل أن يكون اللبس غير شرك، ولكن هذا للإنكار ، وإذا كان استفهام

استفصال فإنه لأجل أنه قد يلبس لأجل التحلي؛ لا لأجل التعلق ، تعلق القلب بـذلك ، فلما أجـاب "من الواهنـة" تعين على كلا القولين أنه لبسها لأجل تعلقه بها لرفع المرض أو لدفعه.

والواهنة نـــوع مـــرض من الأمـــراض يهن الجسم ويطرحه ويضعفه قواه فقال -عليه الصلاة والسلام-: "انزعها"، هـذا أمـر، وإنكار المنكر يكون باللسان إذا كان المأمور به يطيع . إذا كان المـــأمور به يطيع الأمر فإنك تـــأمره باللســـان، ولا تنكر عليه باليد، والنبي -عليه الصلاة والسلام- له ولاية ويـنزع هـذا المنكر بيده، لكن علم من حال ذاك أنه يمتثل الأمر، فقال لــه: انزعها فلا تعــارُض بين هــذا ، وبين ما ســيأتي من أن حذيفة قطع خيطا من رجل، فإن ذلك مبني على حال أخرى .

فالنبي -عليه الصلاة والسلام- أمره فامتثل ذلك الأمر. قـال: فإنها لا تزيـــدك إلا وهنا فإنها لا تزيـــدك إلا وهنا يعـــني: أن ضررها أقرب من نفعها، وهذا في جميع أنواع الشرك. فـإن ما أشرك به ضرره أعظم من نفعه لو فرض أن فيه نفعا.

قد قال العلماء هنـا: انزعها فإنها لا تزيـدك إلا وهنا يعـني لو كــان فيها أثــر، فــإن أثرها الإضــرار بــدنيا، وإن أثرها أيضا الإضرار روحيا ونفسـيا حيث تضـعف الـروح والنفس عن مقابلة الوهن والمرض؛ لأنه يكـون المـرء أضـعف ويتعلق بهـذه الحلقة أو بذلك الخيط .

قـال: ﴿ فإنها لا تزيـدك إلا وهنا ﴾ وهـذا حـال كل من أشـرك فإنه من ضررٍ إلى ضررٍ أكثر منه ، ولو ظن أنه في انتفاع. ثم قـال: ﴿ فإنك لو مت وهي عليك ما أفلحت أبـدا ﴾ هـذا القـول منه -عليه الصلاة والسلام- لأن حـال المعلق يختلـف، قد يكـون علقها اعتقادا فيها اسـتقلالا ، وقد يكـون علقها من جهة التثبت والاسـتقلال إذا كـان الـذي رئي في يد الصـحابي لا شك أنه منفي ، ولكن العـبرة هنا في هـذا اللفظ بالفائـدة منه لغـيره فإن من مات وهي عليـه، قد يحتمل أنه علقها لأجل الاسـتقلال أو علقها لأجل التثبت، وبالتالي يكون الفلاح على قسمين:

القسم الأول: الفلاح المنفي، هو الفلاح المطلق وهو دخـول الجنة والنجـاة من النـار، وهـذا في حـال من أشـرك الشـرك الأكـبر، بـأن اعتقد أن تلك الحلقة من الصـفر، أو ذلك الخيط الذي يعلق بأنه ينفع استقلال أو يكـون المنفي نـوع من الفلاح، أو مطلق الفلاح درجة من درجاته دعوى الفلاح ذلك إذا كـان فاعله جعل سـببا مما لم يجعله الله -جل وعلا- سـببا لا شرعا ، ولا قدرا.

يعـني: كـان مشـركا الشـرك الأصـغر، فإنه يكـون الفلاح هنا المراد به مطلق الفلاح يعـني درجة من درجـات الفلاح، وهـذان لفظـان يكـثران في كتب أهل العلم ، وفي التوحيد بخصوصـه: الأول مطلق الشيء ، والثاني الشيء المطلق.

يقـــــول مثلا: التوحيد المطلـــــق، ومطلق التوحيد الإســـــلام المطلـق، ومطلق الإسـلام، الإيمـان المطلق ، ومطلق الإيمـان، الشـرك المطلق ، ومطلق الشـرك ، الفلاح المطلـق، ومطلق الفلاح، الـدخول المطلق ، ومطلق الـدخول ، التحـريم المطلق يعـني: تحـريم دخـول الجنـة، أو تحـريم دخـول النـار، التحـريم المطلق، ومطلق التحريم .

ومن المهم أن تعلم أن الشيء المطلق هو الكامل، الإيمـان المطلق هو الكامل الإســـلام ، المطلق هو الكامـــل، التوحيد المطلق هو الكامـــل، الفلاح المطلق هو الكامـــل، وأما مطلق الشيء فهو أقل درجاته، أو درجة من درجاتـه، فمطلق الإيمـان هذا أقل درجاته فنقول: مثلا هذا ينافي الإيمان المطلـق، يعـني: ينـافي كمـال الإيمـان، أو نقـول: هـذا ينـافي كمـال الإيمـان أو نقول: ينافي مطلق الإيمـان، يعـني: ينـافي أقل درجـات الإيمـان فهو ينافي الإيمان من أصله.

فـــإذن هنا نقـــول الفلاح يحتمل أن يكـــون المنفي الفلاح المطلـــق، يعــني: كل الفلاح أو درجة من درجاته بحسب حـــال المعلـق، فكل من لبس حلقة أو خيطـا، ومـات وهي عليه من غير توبة، فإنه لن يفلح أبدا.

لن يفلح يعني لن يكون مفلحا، وهذا الفلاح بحسب اعتقـاده، إن كـان معتقـدا فيها كما ذكـرت أنها تنفع باسـتقلال، فهو من

أهل النار، أو كـان يعتقد أنها سـبب فهو من أهل النـار كعصـاة الموحدين .

ومن المهم أن تعلم أن الشيء المطلق هو الكامل، الإيمـان المطلق هو الكامل الإسـلام المطلق هو الكامل التوحيد المطلق هو الكامل الفلاح المطلق هو الكامـل، وأما مطلق الشـيء فهو أقل درجاته أو درجة من درجاتـه، فمطلق الإيمـان هذا أقل درجاته فنقول: مثلا: هذا ينـافي الإيمـان المطلق يعـني ينـافي كمـال الإيمـان، أو نقـول: هـذا ينـافي كمـال الإيمـان أو نقول: ينـافي مطلق الإيمـان يعـني ينـافي أقل درجـات الإيمـان فهو ينافي الإيمان من أصله .

فـإذن هنا نقـول: الفلاح يحتمل أن يكـون المنفي الفلاح المطلق يعـني كل الفلاح أو درجة من درجاته بحسب حـال المعلق فكل من لبس حلقه أو خيطا ومات وهي عليه من غير توبة فإنه لن يفلح أبدا لن يفلح يعـني لن يكـون مفلحا ، وهـذا الفلاح بحسب اعتقاده إن كان معتقدا فيها كما ذكرت أنها تنفع باستقلال فهو من أهل النـار أو كـان اعتقد أنها سـبب فهو من أهل النار كعصاة الموحدين.

قـال -رحمه اللـه-: وله عن عقبة بن عـامر مرفوعا من تعلق تميمة فلا أتم الله له ومن تعلق ودعة فلا ودع الله له المقصود من هذا الحديث ذكر لفظ التعلق ،

وتعلق يعـــــــني أنه علق وتعلق قلبه بما علق ، لفظ تعلق يشمل التعليق وتعلق القلب بما علق فهو لبس وتعلق قلبه بما لبس علق في صدره وتعلق قلبه بما علق قـال -عليه الصـلاة والسلام-: من تعلق تميمة فلا أتم الله له والتميمة لها بـاب يأتي -إن شاء الله تعالى- لكن هي نـوع خـرزات وأشـياء توضع على صدور الصغار أو يضعها الكبـار من أجل دفع العين أو دفع الضرر أو الحسد أو أثر الشياطين ونحو ذلك.

قـال من تعلق تميمة فلا أتم الله له هنا دعا عليه -عليه الصلاة والسـلام- ألا يتم الله له ؛ لأن التميمة أخـذت من تمـام الأمر سـميت تميمة ؛ لأنه يعتقد فيها أنها تتم الأمر فـدعا عليه --عليه الصلاة والسلام- بألا يتم الله -جل وعلا- له المراد قال: ومن تعلق ودعة فلا ودع الله له والودعة نوع من الصدف أو الخرز يوضع على صدور النـاس أو يعلق على العضد ونحو ذلك ، لأجل أيضا دفع العين ونحوها من الآفـــــــات أو رفع العين ونحوها من الآفـــات قـــال: ومن تعلق ودعة فلا ودع الله له يعني فلا تركه وذلك ولا جعله في دعة وسكون وراحة .

ودعاؤه -عليه الصلاة والسلام- عليه ذلك ؛ لأنه أشـرك بالله -جل وعلا- قال: وفي رواية: من تعلق تميمة فقد أشـرك ؛ لأن تعليق التمـائم والتعلق بها شـرك أصـغر بالله -جل وعلا- وقد يكـون أكـبر بحسب الحال كما سيأتي قـال: ولابن أبي حـاتم عن حذيفة أنه رأى رجلا في يـده خيط من الحمى فقطعه وتلا قوله -تعـالى-:

مناسبة هذا الحديث أو الأثر للبـاب ظـاهرة من أن حذيفة الصـحابي رأى رجلا في يــده خيط هــذا الخيط من الحمى، "من" هنا تعليلية ، يعــــني علق الخيط ؛ لأجل رفع الحمى، أو لأجل دفع الحمى، ومن لها اسـتعمالات شـتى مر في أول البـاب أنها تبعيضـية وهنا أيضا أنها تعليلية لها أحـوال كثـيرة جمعها ابن أم قاسم في نظمه لبعض حروف المعاني بقوله:

أتتنـا مـن لتبييـن وبعض — وتعلـيل وبـدء وانـتهـاء

وزائـدة وإبــدال وفصـل — ومعنـى عن وعلى وفي بعد

فمنها أن من تكــون للتعليل فقولــه: رأى رجلا في يــده خيط من الحمى يعني؛ لأجل دفع الحمى أو لأجل رفع الحمى فمن تعليل لوضع الخيط في اليد قــال: فقطعه وهــذا يــدل على أن هــذا منكر عظيم يجب إنكــاره ويجب قطعه قــال: وتلا قوله -تعالى-: قال السلف في هذه الآية: وما يؤمن أكثرهم بالله يعني بأن الله هو الـــرب وهو الـــرزاق وهو المحـــيي وهو المميت يعـــني توحيد الربوبية إلا وهم مشـــركون به -جل وعلا- في العبـــادة فليس توحيد الربوبية بمنج بل لا بد من أن يوحد الله في العبـــــادة، وهذا الدليل في الشرك الأكبر وقد قال المصنف -رحمه اللــه-:

إن فيه أن الصحابة يستدلون بما نزل في الشرك الأكبر على الشرك الأصغر.

باب

ما جاء في الرقى والتمائم

قَالَ -رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى-: باب ما جاء في الرقى والتمائم وفي الصحيح عن أبي بشير الأنصاري أنه كان مع النبي في بعض أسفاره فأرسل رسولا أن لا يبقين في رقبة بعير قلادة من وتر أو قلادة إلا قطعت وعن ابن مسعود قال: سمعت رسول الله يقول: إن الرقى والتمائم والتولة شرك رواه أحمد وأبو داود .

التمائم شيء يعلق على الأولاد من العين لكن إذا كان المعلق من القرآن فرخص فيه بعض السلف وبعضهم لم يرخص فيه ويجعله من المنهي عنه منهم ابن مسعود والرقى وهي التي تسمى العزائم وخص منها الدليل ما خلا من الشرك، فقد رخص فيه رسول الله من العين والحمى والتولة شيء يصنعونه يزعمون أنه يحبب المرأة إلى زوجها والرجل إلى امرأته وعن عبد الله بن عكيم مرفوعا من تعلق شيئا وكل إليه رواه أحمد والترمذي.

وروى أحمد عن رويفع قال: قال لي رسول الله يا رويفع لعل الحياة تطول بك فـأخبر النـاس أن من عقد لحيته أو تقلد وترا أو استنجى برجيع دابة أو عظم فـإن محمـدا بـريء منه وعن سـعيد بن جبـير قـال: من قطع تميمة من إنسـان كـان كعِـدْل رقبة رواه وكيع وله عن إبـراهيم قـال: كـانوا يكرهـون التمائم كلها من القرآن ومن غير القرآن

باب ما جاء في الرقى والتمـائم تلحظ أن البـاب الأول قـال فيه الإمام -رحمه اللـه-: بـاب من الشـرك لبس الحلقة والخيط وهنا قال: باب ما جاء في الرقى والتمـائم ، ولم يقل بـاب من الشـرك الـرقى والتمـائم ذلك ؛ لأن الـرقى منها ما هو جـائز مشروع ومنها ما هو شرك والتمائم منها ما هو متفق عليه أنه شرك ومنها ما قد اختلف الصـحابة فيه هل هو من الشـرك أم لا؟ بهـذا عـبر -رحمه اللــه- بقولــه: بــاب ما جــاء في الــرقى والتمائم وهذا من أدب التصنيف العالي.

الـــرقى جمع رقيـــة، والرقية معروفة قد كـــانت العـــرب تسـتعملها، وحقيقتها أنها أدعية وألفـاظ تقـال أو تتلى ثم ينفث بهـا، ومنها ما له أثر عضـوي في البـدن ومنها ما له أثر على الأرواح ومنها ما هو جائز مشروع ومنها ما هو شـرك والنـبي -عليه الصـلاة والسـلام- رَقى ورُقي، رَقى غـيره ورَقى نفسه -عليه الصـلاة والسـلام- ورُقي أيضا رقـاه جبريل ورقته عائشة ونحو ذلك فهذا البـاب معقـود لبيـان حكم الـرقى قـال بـاب ما

جاء في الرقى والتمائم ، وقد رخص الشرع من الرقى بالتي ليس فيها شرك بالرقى التي خلت من الشرك، وقد قال بعض الصحابة للنبي -عليه الصلاة والسلام- يسأله عن الرقى: فقال: اعرضوا علي رقاكم لا بأس بالرقى ما لم يكن شرك .

قال العلماء: الرقية تجوز بثلاثة شروط أجمع عليها:

الأول : أن تكون بالقرآن أو بأسماء الله أو بصفاته.

الثاني: أن تكون بالكلام العربي بلسان عربي معلوم يعلم معناه.

والثالث: ألا يعتقد أنها تنفع بنفسها بل الله -جل وعلا- هو الذي ينفع بالرقى.

قال بعض العلماء: يدخل في الأول السنة أيضا بما ثبت في السنة يعني يكون الشرط الأول أن تكون من القرآن أو السنة وبأسماء الله وبصفاته هذه شروط ثلاثة لكون الرقى جائزة بالإجماع إذا لم تكن من الأول أو الثاني يعني إذا تخلف الأول أو تخلف الثاني ففيها اختلاف بين أهل العلم ، والثالث لا بد منه شرط متفق عليه من أن الرقى لا بد لمن تعاطاها ألا يعتقد فيها وأما من جهة كونها بأسماء الله ، الله وصفاته أو بالكتاب والسنة أو أن تكون بلسان عربي مفهوم، فإن هذا مختلف فيه .

وقال بعضهم: يسوغ أن تكون الرقية بما يعلم معناه ويصح المعنى بلغة أخرى لا يشترط أن تكون بالعربية ولا يشترط أن

تكـون من القـرآن أو السـنة وهـذه مسـائل فيها خلاف وبحث ومن جهة تـأثير أيضا غـير القـرآن على الـراقي على المـرقي وفي هذا مسـائل نـرجئ تفصـيل ذلك إلى موضع آخر إن شـاء الله المقصود أن الـرقى الجـائزة هي بالإجمـاع هي ما اجتمعت فيه ثلاثة شروط.

وأما الرقى الشركية فهي التي فيها اسـتعاذة أو اسـتغاثة بغير الله، أو كـان فيها شـيء من أسـماء الشـياطين، أو اعتقد المرقي فيها بأنها تؤثر بنفسها، فهـذا تكـون الرقية غـير جـائزة ومن الرقى الشركية قد قال -عليه الصلاة والسلام- إن الرقى والتمائم والتولة شـرك كما سـيأتي إذن الحاصل من ذلك أن الـرقى منها ما هو جـائز مشـروع ومنها ما هو شـركي، علمنا ضابط الجائز المشروع، وعلمت ضابط ما هو من جهة الشرك.

والتمائم جمع تميمة وقد ذكر تفسيرها مختصـرا من قبل وهي تجمع أنواعا كثـيرة، فالتمـائم تجمع كل ما يعلق أو يتخذ مما يراد منه تتميم أمر الخير للعبد أو دفع الضرر عنـه، ويعتقد فيه أنه سـبب ولم يجعل الله ذلك الشـيء سـببا لا شـرعا ولا قـدرا، فالتميمة شـيء يعلق إما جلد مثلا يكـون من جلد خـاص يعلق على الصدر أو يكـون فيه أذكـار أو أدعية وتعـوذات تجعل أيضا معلقة على الصـدر أو في العضد أو خـرزات وحبـال ونحو ذلك تجعل على الصدر تعلق أو شيء يجعل على باب البيت أو يجعل في السـيارة أو يجعل في مكـان مـا، يجمع التمـائم أنها

شــيء يــراد منه تتميم أمر الخــير وتتميم أمر دفع الضر ونحو ذلك الشيء لم يؤذن به شرعا ولم يؤذن به أيضا قدرا .

فـإذن التميمة ليست خاصة بصـورة معينة بل تشـمل أحـوالا كثيرة تشـمل أصـنافا عديـدة منها مما هو في زمننا الحاضر ما تراه على الكثيرين من شيء يعلقونه في صدورهم يعلق شيء ثم تكون جلدة صـغيرة في الصـدر أو على العضد أو يربط في البطن تميمة لــدفع مثلا أمــراض البطن أو الإســهال أو التقيؤ ونحو ذلك أو شيء يتخذ في السيارة كما ترى بعض السـيارات فيها رأس دب مثلا أو أرنب، أو يضع بعض الأشـــكال كحـــدوة فرس، أو يضع خرز على المـرآة الأمامية أو يضع مسـبحة على شــكل معين من خشب ونحو ذلــك، هــذه وأصــنافها من أنــواع التمائم، ولها أشكال كثـيرة تختلف مع اختلاف الأزمـان ويحـدث النــاس منها شــيئا كثــيرا، أو يلبس سلسـلة وعليها شــكل عين صغيرة أو يعلق على مدخل الباب رأس ذئب أو رأس غزال أو يضع على مطرق الباب حذوة فرس هذه من التمائم التي يريد منها أصحابها أن تدفع عنهم العين أو أن تجلب لهم نفعا .

بعض الناس يقول: أعلق ولا أستحضر هذه المعـاني أعلق هــذا في السـيارة للزينة أعلقه في الـبيت للجمـال، ونحو ذلك من قول طائفة قليلة من الناس ونقول: إن علق التمائم للـدفع أو الرفع فإنه شـــرك أصـــغر إن اعتقد أنها ســـبب، وإن علقها للزينة فهو محرم؛ لأجل مشـابهته من يشـرك الشـرك الأصـغر،

فــإذن دار الأمر على أن التمــائم كلها منهي عنها ســواء اعتقد فيها أو لم يعتقد ؛ لأن حاله إن اعتقد فهو في شــرك أصــغر، وإن لم يعتقد فإنه شـــابه أولئك المشـــركين وقد قـــال -عليه الصلاة والسلام- ﴿ من تشبه بقوم فهو منهم ﴾ قَـالَ -رَحِمَـهُ اللَّهُ تَعَالَى-: في الصـحيح عن أبي بشـير الأنصـاري ﴿ ﴾ أنه كـان مع رســول الله ﴿ في بعض أســفاره فأرسل رســولا ألا يبقين في رقبة بعــير قلادة من وتر أو قلادة إلا قطعت ﴾ هــذا الحـــديث وجه الاستدلال منه على أن تعليق القلادة من الوتر على البعير مأمور بقطعه، والأمر بقطعه؛ لأجل أن العــرب تعتقد أنها تــدفع العين عن الأبعرة، تـدفع العين عن النعم فيعلقـون الأوتـار على شكل قلائد وربما نـاطوا بالأوتـار أشـياء إما خـرز وإما شـعر أو نحو ذلك ليدفعه ، فهذا نوع من أنـواع التمـائم ، فمناسـبة هـذا الحديث للباب ظـاهرة وهي أن قولـه: ﴿ لا يبقين في رقبة بعـير قلادة من وتر أو قلادة إلا قطعت ﴾ ظــــــــاهر في النهي عن التمائم وأن هذا النـوع يجب قطعه لم يجب قطعه ؟ ؛ لأن في تعليقه اعتقاد أنه يدفع أو أنه يجلب النفع وهذا الاعتقـاد اعتقـاد شركي.

قال: وعن ابن مسعود ﴿ قال سمعت رســول الله ﴿ يقـول: ﴿ إن الرقى والتمائم والتولة شرك ﴾ .

هــذا الحــديث فيه التأكيد قــال: ﴿ إن الــرقى والتمــائم والتولة شرك ﴾ ومعلوم أن دخـول "إن" على الجملة الخبرية يفيد تأكيد

ما تضـــمنته، والـــرقى هنا لما دخلت عليها الألف واللام عمت، فهذا الحديث أفـاد أن كل الـرقى من الشـرك وأن كل التمـائم من الشرك وأن كل التولة من الشرك قال: ﴿ إن الرقى شــرك ﴾ فكل الـرقى شـرك وقـال: ﴿ إن التمـائم شـرك ﴾ فـإذن كل التمائم شرك وقال: ﴿ إن التولة شرك ﴾ فـإذن كل أنـواع التولة شـرك وهـذا العمـوم خص في الـرقى بـالنص وحـدها، خصت الـرقى بقوله لا بـأس بـالرقى ما لم يكن شـرك وبـأن النـبي -عليه الصلاة والسلام- رقى ورقي -عليه الصلاة والسلام-.

فـإذن الـرقى دل الـدليل على أن العمـوم هاهنا مخصـوص وليس كل أنواع الرقية شرك بل بعض أنواع الرقية وهي الــتي اشتملت على شرك، فإذا العمـوم هنا مخصـوص بأنه خـرج من ذلك ما لم يكن فيه شرك ﴿ لا بأس بـالرقى ما لم تكن شـركا ﴾ وفي لفظ آخر قال: ﴿ لا بأس بالرقى ما لم يكن شرك ﴾ .

أما التمائم فلم يأت دليل يخص نوعا من نـوع بل يبقى هـذا اللفظ على عمومه إن الرقى والتمـائم والتولة شـرك فما جـاء ما يخص نوعا من التمـائم دون نــوع من الشـرك فتكـون إذن التمـــائم بأنواعها شـــرك ؛ لأن ما لم يـــرد فيه تخصـــيص من الشارع فإن العموم يجب أن يبقى ؛ لأن التخصيص شرع، وهذا الشرع لا بد أن يأتي من الشارع فنبقي العموم على عمومه.

قــال: ﴿ والتولة شــرك ﴾ والتولة كما فســرها الشــيخ -رحمه اللــه- شــيء يصــنعونه يزعمــون أنه يحبب المــرأة إلى زوجها

والرجل إلى زوجه نــوع من الســحر وهو يســمى عند العامة العطف، الصرف والعطف، نوع من السـحر يصـنع فيجلب شـيئا ويـدفع شـيئا في حسب اعتقـادهم، وهي في الحقيقة نـوع من أنواع التمـائم بأنها تصـنع ويكـون السـاحر هو الـذي يـرقى فيها الرقية الشـــركية فيجعل المـــرأة تحب زوجها أو يجعل الرجل يحب زوجته، وهذا نوع من أنواع السحر والسحر شـرك بالله -جل وعلا- وكفر .

وهذا أيضا عمـوم وكل أنواعه شـرك قـال وعن عبد الله بن عكيم مرفوعا من تعلق شـــيئا وكل إليه من تعلق شـــيئا، شيئا هنا نكرة في سياق الشرط فتعم جميع الأشـياء، فكل من علق شيئا وكل إليه فمن أخرج صورة من صـور التعليق كـانت الحجة عليه ؛ لأن هذا الدليل عام،

فهـذا الـدليل فيه أن من تعلق أي شـيء من الأشـياء فإنه يوكل إليه والعبد إذا وكل إلى غـــــير الله -جل وعلا- فـــــإن الخسارة أحاطت به من جنبات والعبد إنما يكـون عـزه ويكـون فلاحه وحسن وحسن عمله أن يكون متعلقا بالله وحـده، يتعلق بالله وحـــــده في أعماله في أقواله في مســــــتقبله في دفع المضـــار عنه قلبه يكـــون أنسه بالله يكـــون قلبه أنسه بالله وسروره بالله وتعلقه بالله وتفويض أمـره إلى الله وتوكله على الله --جل وعلا.

فمن كان كذلك وتوكل على الله وطرد الخلق من قلبه فإنه لو كادته السـماوات والأرض لجعل الله --جل وعلا- له من بينها مخرجا ؛ لأنه توكل وفـوض أمـره على العظيم جل جلالـه- وتقدست أسماؤه فقال هنا من تعلق شيءا شيئا وكل إليه فإذا تعلق العبد تميمة وكل إليها وما ظنك بمن وكل إلى خرقة أو إلى خـرز أو إلى حـدوة حصـان أو إلى شـكل حيـوان ونحو ذلك لا شك أن خسـارته أعظم الخسـارة قـال هنـا: من تعلق شيئا، وجه الاسـتدلال كما ذكـرت لك من أنه ذكر نتيجة التعلق وهو أنه يوكل إلى ذلك الشيء فمن تعلق شيئا وكل إليـه، وإذا وكل إليه فمعنى ذلك أنه خسر بذلك.

الشـيخ -رحمه اللـه- كما ذكـرت لك ما صـدر البـاب بحكم فيكون الاستدلال بهذه على ما دلت عليه الأحاديث قال: التمائم شيء يعلق على الأولاد يتقون به العين شيء يشمل أي شـيء يعلق دون صفة معينة بعض العلماء قال: التمائم خرز، وبعضهم قال: جلدة ونحو ذلك وهذا ليس بجيد بل التمـائم اسم يعم كل ما يعلق لـدفع العين لاتقـاء الضـرر أو لجلب خـير نفسي قـال: لكن إذا كان المعلق من القـرآن تـرخص فيه بعض السـلف إذا كـان المعلق من القـرآن بمعـنى أنه جعل في منزله مصـحفا ليـدفع العين أو علق على صـدره شـيئا سـورة الإخلاص أو آية

الكرسـي؛ ليـدفع العين، أو ليـدفع الضـرر عنه هـذا من حيث التعليق تميمة فهل هذه التميمة جائزة ؟ أم غير جائزة؟

قال الشيخ -رحمه الله- إن التمائم إذا كانت من القرآن فقد اختلف فيها السـلف، فقـال بعضـهم بجوازها رخص فيها بعض السلف ويعني ببعض السلف بعض كبار الصحابة، ومال إليه بعض أهل العلم الكبار وبعضهم لم يرخص فيها كابن مسعود وكأصحاب ابن مسعود الكبار إبراهيم وعلقمة وعبيدة والربيع بن خثيم والأسود وأصحاب ابن مسعود جميعا فالسلف اختلفـوا في ذلك.

ومن المعلـوم أن القاعـدة أن السـلف من الصـحابة فمن بعدهم إذا اختلفوا في مسألة وجب الرجوع فيها إلى الدليل والدليل دل على أن كل أنواع التمائم منهي عنها من تعلق شيئا وكل إليه   إن التمائم شرك   إن الرقى والتمائم والتولة شرك فمن تعلق القرآن من علقه كان داخلا في المنهي عنه لكن لما كان معلقا للقرآن فإنه لم يشرك ؛ لأنه علق شيئا من صفات الله --جل وعلا- وهو كلام الله -جل وعلا- فما أشرك مخلوقا ؛ لأن الشرك معناه أن تشرك مخلوقا مع الله -جل وعلا- ، والقرآن ليس بمخلوق بل هو كلام الباري -جل وعلا- منه بدأ وإليه يعود.

فـإذن صار تعليق التميمة من القـرآن خـرجت؛ لأجل كـون القرآن ليس بمخلوق من العموم وهو قوله: إن التمائم شـرك

 فبقي هل هي منهي عنها أم غــير منهي عنهــا؟ قــال -عليه الصلاة والسلام-: من تعلق شيئا وكل إليه ونهى عن التمائم بأنواعها فــدل ذلك على أن تخصــيص القــرآن بــالإذن من بين التمــائم ومن بين ما يعلق يحتــاج إلى دليل فيه ؛ لأن إبقــاء العمــوم على عمومه هــذا إبقــاء لدلالة ما أراد الشــارع الدلالة عليه من الألفاظ اللغوية، والتخصيص نوع من أنواع التشــريع لا بد فيه من دليل واضــح؛ لهــذا صــارت الحجة مع من يجعل التمــائم الــتي من القــرآن مما لا يــرخص فيه كــابن مســعود وكغيره من الصحابة -رضوان الله عليهم- وكذلك هو قــول عامة أهل العلم، وهو رواية عن الإمــام أحمد اختارها المحققــون من أصحابه، وعليها المذهب عند المتأخرين .

بقي أن نقــول: إن في إجــازة اتخــاذ التمــائم من القــرآن إن في تجويزها مفاسد، وفي تجويز اتخاذ التمائم من القرآن أنواع من المنكر .

الأول: أنه إذا اتخــذت التميمة من القــرآن، فإننا إذا رأينا من عليه التميمة فيشتبه علينا الأمر هل هــذه تميمة شــركية أو من القرآن؟ وإذا ورد الاحتمال، فإن المنكر على الشركيات يضــعف يقول: احتمال أنها من القرآن، فإجازة تعليق التمائم من القرآن فيه إبقاء التمائم الشــركية ؛ لأن حقيقة التميمة الــتي تعلق أنها تكون مخفية غالبا في جلد أو في نوع من القماش ونحو ذلــك، فإذا رأينا صورة التعليق.

وقلنا: هذا يحتمل أن يكون كـذا ويحتمل أن يكـون كـذا فـإذا استفصلت منه وقلت له هل هذه تميمة شـركية أو من القـرآن معلـوم أن صـاحب المنكر دائما سـيختار أن تكـون من القـرآن حتى ينجو من الإنكـار ؛ لأنه يعتقد في هـذه يريد أن يسـلم له تعليقها، فهذا من المفاسد العظيمة أن في إبقائها إبقاء للتمائم الشـــركية، وفي النهي عنها سد لذريعة الإشـــراك بالتمـــائم الشركية ولو لم يكن إلا هذا لكان كافيا .

الثاني: أن الجهلة من الناس إذا علقوا التمـائم من القـرآن فـإنهم يتعلقـون بها يتعلق قلبهم بهـا، ولا تكـون عنـدهم مجـرد أسـباب، وإنما يكـون عنـدهم فيها خاصـية من الخصـائص الـتي تقوم بنفسها يـأتي بالشـيء أو تـدفع الشـيء وهـذا لا شك فتح لبـاب اعتقـادات فاسـدة على النـاس يجب أيضا وصـده ومن المعلوم أن الشريعة جاءت بسد الذرائع.

أيضا من المفاسد المتحققة عامة في ذلك أنه إذا علق شـيئا من القـرآن فإنه يمتهنه ينـام عليه أو يـدخل به مواضع قذرة أو يكون معه في حالات لا يكـون من الحسن أن يكون معه قرآن فيها أو آيـات، وهـذا مما ينبغي اجتنابه وتركـه، إذن فتحصل أن تعليق التمائم جميعا بالـدليل وبالتعليل لا يجـوز فما كان منها من القرآن فنقول: يحرم على الصـحيح ولا يجـوز ويجب إنكاره، وما كان منها من غير القرآن وتعلق تمـائم عامة فهـذا نقـول: إنه من الشـرك بالله لقـول النـبي   إن الـرقى

والتمـائم والتولة شـرك والتخصـيص نـوع من العلم يجب أن يكـون فيه دليل نقف عند هـذا والله أعلم وصـلى الله وسـلم على نبينا محمد.

هـذا أيضا يسـأل ما حكم من يضع آية الكرسي في السـيارة أو يضع مجسما فيه أدعية أدعية ركوب السيارة وأدعية السـفر وغيرها من الأدعية نقول: هذا فيه تفصيل فـإن كـان وضع هـذه الأشياء ليتحفظها ويتذكر قراءتها فهذا جائز كمن يضع المصحف أمام السيارة أو يضعه معـه؛ لأجل أنه إذا صـارت عنـده فرصة هو أو من معه أن يقـرأ فيه فهـذا جـائز لا بـأس به لكن إن وضـعها تعلقا لأجل أن تـدفع عنه فهـذا هو الكلام في مسـألة تعليق التمائم من القـرآن فلا يجـوز ذلك على الصـحيح ويحـرم نكتفي بهذا القدر وصلى الله وسلم على نبينا محمد.

 - الحمد لله رب العـالمين - وصـلى الله وسـلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين أما بعد:

س: السـؤال الأول فضـيلة الشـيخ حفظه الله تعـالى: من يوصي أحـدا يبحث له عن راق يـرقي له دون أن يطلب الرقية من الراقي بنفسه هل هذا يدخل من الذين يسترقون ؟

ج) - الحمد لله والصـلاة والسـلام على رسـول الله وعلى آله وصحبه ومن اهتدى بهـداه، أما بعد فـإن قـول النـبي في

وصف السبعين ألفا الذين يـدخلون الجنة بلا حسـاب ولا عـذاب قـال: هم الـذين لا يسـترقون يعـني لا يطلبـون الرقية وفهم جـــواب الســـؤال يتبع فهم التعليل ذلك أن أولئك كـــانوا لا يسترقون يعني لا يطلبون الرقية؛ لأجل ما قام في قلوبهم من الاستغناء بالله وعدم الحاجة إلى الخلق، ولم تتعلق قلوبهم في الخلق في هذا الأمر الذي سـيرفع ما بهم، وكما ذكـرت لك أن مــدار العلة على تعلق القلب بــالراقي في رفع أو بالرقية في رفع ما بـالمرقي من أذى أو في دفع ما قد يتوقع من السـوء، وعليه فيكون الحالان سواء يعني إن كان طلب بنفسه أو طلب بغـــيره فإنه طـــالب والقلب متعلق بمن طلب منه الرقية إما بالأصالة أو بواسطة.

س) هـــذا يقـــول: يقـــول: أهلي يـــذبح الذبحة يوزعها على المساكين لدفع البلاء فهل تجوز تلك النية ؟

ج) هـذا فيه تفصـيل ذلك أن ذبح الـذبائح إذا كـان من جهة الصــدقة ولم يكن لــدفع شــيء متوقع أو لرفع شــيء حاصل ولكن من جهة الصدقة وإطعام الفقراء، فهذا لا بــأس به داخل في عموم الأدلة التي فيها الحض على الإطعام وفضيلة إطعـام المساكين، وأما إن كان الذبح ؛ لأن بالبيت مريضا فيــذبح لأجل أن يرتفع ما بــالمريض من أذى، فهــذا لا يجــوز ويحــرم قــال العلماء: سدا للذريعة ذلك ؛ لأن كثيرين يذبحون حين يكون بهم مرض لظنهم أن المرض كان بسبب الجن أو كان بســبب مــؤذ

من المـؤذين إذا ذبح الذبيحة وأراق الـدم فإنه ينـدفع شـره أو يرتفع ما أحـدث، وهـذا لا شك أنه اعتقـاد محـرم ولا يجـوز، والذبيحة لرفع المرض والصدقة بها عن المريض.

قـال العلمـاء: هي حـرام ولا تجـوز سـدا للذريعـة، وللشـيخ العلامة سـعد بن حمد بن عـتيق رسـالة خاصة في الـذبح للمريض، كذلك إذا كان الذبح لـدفع أذى متوقع مثلا كـان بالبلد داء معين فذبح لدفع هذا الداء أو كان في الجهـات الـتي حـول البيت ثَمَّ شيء يؤذي فيـذبح لينـدفع ذلك المـؤذي، إما لص مثلا يتسـلط على الـبيوت أو أذى يـأتي للـبيوت فيـذبح ويتصـدق بها لأجل أن يندفع ذلك الأذى، هذا أيضا غير جائز ومنهي عنه سـدا للذريعة ؛ لأن من الناس من يذبح لـدفع أذى الجن وهو شـرك بالله -جل وعلا.

فـإذن تحصل من ذلك أن قـول النـبي ‏ داووا مرضـاكم بالصـدقة فيما رواه أبو داود وغـيره وقد حسـنه بعض أهل العلم وضعفه آخـرون أن معـنى داووا مرضـاكم بالصـدقة يعـني بغـير إراقة الـدم فيكـون إراقة الـدم مخصـوص من ذلك من المـداواة بالصـدقة؛ لأجل ما فيه من وسـيلة إلى الاعتقـادات الباطلة، ومعلوم أن الشريعة جاءت لسد الذرائع جميعا إلا يعني الـذرائع الموصـلة إلى الشـرك، وجـاءت أيضا بفتح الـذرائع الموصـلة إلى الخـير، فما كـان من ذريعة يوصل إلى الشـرك والاعتقاد الباطل فإنه يُنهى عنه.

س) وهذا يقول ما رأي فضيلتكم ببعض الأواني التي يكتب عليها بعض الآيات والتي تباع في بعض المحلات التجارية ؟

ج) هذه الأواني يختلف حالها إن كان يستخدمها؛ لأجل أن يتبرك بما كتب فيها من الآيات فيجعل فيها ماء ويشربه؛ لأجل أن الماء يلامس هذه الآيات، فهذا من الرقية غير المشروعة ؛ لأن الرقية المشروعة ما كانت الآيات في الماء، وهذه الآيات لم تنحل في الماء ؛ لأنها من معدن أو من نحاس والتصاق الماء بتلك الكتابات آيات أو أدعية لا يجعل الماء بذلك مباركا أو مقروءا فيه، فإذا اتخذت لذلك فهذا من الرقية غير المشروعة، وأما إذا أخذها للزينة أو لجعلها في البيت أو لتعليقها فهذا كرهه كثير من أهل العلم ؛ لأن القرآن ما نزل لتزين به الأواني أو تزين به الحيطان، وإنما نزل للهداية [illegible]
[illegible] .

س) وهذا يقول بعض الناس يضع المصحف في درج السيارة وذلك بقصد أن للمصحف أثر في رد العين أو البلاء نرجو منكم التوضيح ؟

ج) إذا كان يقصد من وضع المصحف في درج السيارة أو على طبلون السيارة الأمامي أو خلف السيارة أن يدفع عنه وجود المصحف العين فهذا من اتخاذ المصحف تميمة، وقد مر معكم بالأمس حكم التمائم من القرآن، وأن الصحيح أنه لا يجوز أن يجعل القرآن تميمة ولا أن يجعل القرآن بوجوده يعني

المصـحف دافعا للعين لكن الـذي يـدفع العين قـراءة القـرآن والأدعية المشـروعة والاسـتعاذة بالله -جل وعلا- ونحو ذلك مما جاء في الرقية، فتحصل أن وضع القرآن لهذه الغاية داخل في المنهي عنه وهو من اتخاذ التمائم من القرآن لما كـان القـرآن غـير مخلـوق وهو كلام الله -جل وعلا- لم تصر هـذه التميمة شركية.

وإنما ينهى عنها ؛ لأن النبي لم يسـتعمل هـذا ، ولم يجعل في عنق أحد من الصـحابة لا الصـغار ولا الكبـار ولا أذن ولا وجه بـأن يجعل القـرآن في شـيء من صـدورهم أو في عضد أحدهم وفي بطنه، ومعلوم أن مثل هذا لو كـان دواء مشـروعا أو رقية سائغة أو تميمة مأذون بها لرخص فيها سيما مع شـدة حاجة الصـحابة إلى ذلـك، فتعليق القـرآن أيسر من البحث عن راق يرقي ويطلب منه وربما يكافأ على رقيتـه، فلما كـان هـذا أيسر والنبي لم يرشدهم إلى الأيسـر، وقد بعث ميسـرا علم مع ضميمة الأدلة الـتي ذكـرت لكم بـالأمس أن هـذا من جنس غير المشروع والله أعلم.

س) وهـذا يقـول قولـه: وعـامرهن غـيري قد يسـتدل به أهل البـدع على أن الله في كل مكـان نرجو التوضـيح ؟ بـارك الله فيك.

ج) في قوله -جل وعلا- في الحـــديث القدسي يا موسى لو أن السـماوات السـبع وعـامرهن غـيري السـماوات السـبع

معروفة طباق بعضها فوق بعض، وعامرهن هي من العمارة المعنوية يعني من عمرها بالتسبيح والتهليل وذكر الله وعبادته، وقد جاء في الحديث الصحيح أن النبي ﷺ قال: ﴿أطت السماء وحق لها أن تئط ما فيها موضع أربعة أصابع إلا وملك قائم أو ملك ساجد أو ملك راكع﴾ ففيها عمار كثيرون عمروها بعبادة الله -جل وعلا- قد قال -جل وعلا- في أول سورة الأنعام ﴿
[illegible]
[illegible] .

فالله -جل وعلا- هو المعبود سبحانه في السماوات وهو المعبود سبحانه في الأرض فقوله هنا: ﴿لو أن السماوات السبع وعامرهن غيري﴾ يعني من يعمر السماوات والله -جل وعلا- في هذا الاستثناء في قوله: غيري يعني إلا أنا هذا يحتمل أن يكون الاستثناء راجع إلى الذات وراجع إلى الصفات، ومعلوم أن الأدلة دلت على أن الله -جل وعلا- على عرشه مستو عليه بائن من خلقه -جل وعلا- والسماوات من خلقه -سبحانه وتعالى- فعلم من ذلك أن قوله: ﴿وعامرهن غيري﴾ راجع إلى عمارة السماء بصفات الله -جل وعلا- وبما يستحقه سبحانه من التأله والعبودية، وما فيها من علم الله ورحمته وقدرته وتصريفه للأمر وتدبيره ونحو ذلك من المعاني.

س) وهذا يقول رجل عنده ولد مريض مرض لم يجد له علاج فقال: أذهب إلى مكة وأضع ولدي عند البيت أدعو له

بالشفاء، ثم وقت الظهر سوف أعزم مائة شخص من فقراء الحرم على الغداء وأقول: ادعوا الله أن يشفي ولدي. فما رأيكم في هذا العمل ؟

ج) هذا العمل فيه تصدق ودعوة الفقراء إلى الطعام، وفيه طلب الدعاء منهم لولده، والتصدق بالطعام هذا من جنس المشروع كما ذكرت لكم، فإن كان فيه من الذبائح فعلى التفصيل الذي مر من قبل سواء أكانت دجاجا أو كان ضأنا أو غير ذلك مما يذبح يعني مما فيه إراقة دم ، وإن كان أطعمهم طعاما لإشباعهم والتصدق عليهم، هذا هو القصد وطلب منهم الدعاء، وهي المسألة الثانية فهذا راجع إلى هل يشرع طلب الدعاء من الغير بهذه الصفة؟ والظاهر أن هذا من جنس ما هو غير مشروع، وإذا قلنا: غير مشروع يعني مما ليس بمستحب ولا واجب وهل يجوز ذلك أم لا؟ طلب الدعاء من الآخرين قال العلماء فيه: الأصل فيه الكراهة.

والذي يتأمل ما روي عن الصحابة وعن التابعين فيمن طلب منهم الدعاء أنهم قهروه ونهوه وقالوا: أنحن أنبياء كما قال حذيفة، وكما قال معاذ وكما قال غيرهما، ومالك بن أنس ورحمه إمام دار الهجر ، كان ربما طلب منه الدعاء فنهى من طلب منه الدعاء لم ؛ لأنه إذا عرف عند الناس أن فلانا يطلب منه الدعاء بخصوصه، فإن القلوب تتعلق بذلك وإنما

يتعلق في طلب الــدعاء بالأنبيــاء أما من دونهم فلا يتعلق بهم في هذا الأمر.

لهـذا اختـار شـيخ الإسـلام ابن تيمية -رحمه اللـه- أن طلب الــدعاء من المســلم الحي يكــون مشــروعا إذا قصد به نفع الـداعي ونفع المـدعو لـه، إذا قصد الطـالب أن ينفع الجهـتين ينفع الداعي وينفع المدعو له فهذا محسن وطالب لنفسه فهـذا من المشـروع، وهـذا هو الـذي يحمل عليه ما جـاء في السـنة فيما رواه أبو داود والترمذي وغيرهما أن النبي □ قال لعمر لما أراد أن يعتمر قــال لــه: □ لا تنســنا يا أخي من دعائك □ وهــذا الحديث إسناده ضعيف وقد احتج به بعض أهل العلم .

وظاهر أن معناه أن النبي □ أراد أن ينفع عمر بهذه الدعوة، فالطالب للدعاء محتـاج إلى غـيره، المقصـود من هـذا أن فعل هذا السائل لأجل ولـده الأولى تركه لأجل ألا يتعلق قلبه بأولئك في دعائهم، ومن العلاج المناسب أن يلتزم بين الركن والمقـام يعني بين الحج الأسود وبين حاسر حد باب الكعبة وهو الملتزم يلـتزم ويلصق بطنه وصـدره وخـده بـبيت الله -جل وعلا- ويقف بالبــــاب مخبتا منيبا ســــائلا الله -جل وعلا- منقطعا عن الخلق عالما أنه لا يشـفي من الـداء في الحقيقة إلا الله -جل جلالـه- وأنه -جل وعلا- هو الـذي يشـفي وهو الـذي يعـافي كما قـال: □ [illegible]
[illegible] فهذا أعظم أثرا -إن شـاء اللـه- من

فعله الـذي يريد أن يفعله من دعـوة أولئـك، فالتضـرع لله في أوقات الإجابة وفي الأماكن الفاضلة وفي الأزمنة الفاضلة نرجو أن يكـون مع إجابة الـدعاء وشـفاء المـرض، هـذا ونكتفي بهـذا القدر ونبدأ بكتاب التوحيد.

باب

من تبرك بشجر أو حجر ونحوهما

الحمد لله رب العـالمين والصـلاة والسـلام على أشـرف المرسلين نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين قال المصنف -رحمه الله تعالى-: باب من تبرك بشجر أو حجر ونحوهما وقول الله -تعالى-

وعن أبي واقد الليـثي قـال: خرجنا مع رسـول الله إلى حنين ونحن حـدثاء عهد بكفر وللمشـركين سـدرة يعكفـون عنـدها وينوطـون بها أسـلحتهم يقـال لهـا: ذات أنـواط فمررنا بسدرة فقلنا: يا رسول الله اجعل لنا ذات أنـواط كما لهم ذات أنـواط فقـال رسـول الله الله أكـبر إنها السـنن قلتم والـذي نفسي بيده كما قالت بنو إسرائيل لموسى: لتركبن سنن من كان قبلكم رواه الترمذي وصححه.

قــال بعد ذلك -رحمه اللــه-: بــاب من تــبرك بشــجر وحجر ونحوهما وقول الله -تعالى- [illegible] الآيات باب من تبرك بشجر أو حجر ونحوهما يعــني ما حكمــه؟ باب من تبرك بشجر أو حجر ونحوهما ما حكمــه؟، الجــواب هو شــرك يعــني بــاب من تــبرك بشــجر أو حجر ونحوهما فهو مشــرك، وقولــه: من تــبرك التــبرك تفعل من البركة وهو طلب البركة، والبركة مأخوذة من حيث الاشتقاق من مــادة بــروك أو من كلمة بركــة، أما الــبروك فــبروك البعــير يــدل على ملازمته وثبوته في ذلك المكــان، والبركة وهي مجتمع المــاء تــدل على كــثرة المــاء في هــذا الموضع وعلى لزومه له وعلى ثباته في هذا الموضع، فيكون إذن معنى البركة كــثرة الشــيء الــذي فيه الخــير وثباته ولزومــه، فــالتبرك هو طلب الخــير الكثــير وطلب ثباته وطلب لزومه تبرك يعني طلب البركة .

والنصوص في القــرآن والســنة دلت على أن البركة من الله -جل وعلا- وأن الله -جل وعلا- هو الــذي يبــارك، وأن الخلق لا أحد يبارك أحدا وإنما هو -جل وعلا- الذي يبارك قال ســبحانه: [illegible] يعني عظم خير من نــزل الفرقــان على عبــده وكــثر ودام وثبت [illegible] وقــال ســبحانه: [illegible] وقال: [illegible] .

فالذي يبارك هو الله -جل وعلا- لا يجوز للمخلوق أن يقول باركت على الشيء أو أبارك فعلكم ؛ لأن لفظ البركة ومعنى البركة إنما هي من الله ؛ لأن الخير كثرته ولزومه وثباته إنما هو من الذي بيده الأمر، والنصوص في الكتاب والسنة دلت على أن البركة التي أعطاها الله -جل وعلا- للأشياء إما أن تكون الأشياء هذه أمكنة أو أزمنة، وإما أن تكون تلك الأشياء من بني آدم يعني مخلوقات آدمية، أما الأمكنة والأزمنة فظاهر أن الله -جل وعلا- حين بارك بعض الأماكن كبيت الله الحرام، وكما بارك حول بيت المقدس ﴿ [illegible] ﴾ والأرض المباركة، ونحو ذلك أن معنى أنها مباركة أن يكون فيها الخير الكثير اللازم الدائم لها ليكون ذلك أشجع بأن يلازمها أهلها الذين دعوا إليها، وهذا لا يعني أن يتمسح بأرضها أو أن يتمسح بحيطانها، فهذه بركة لازمة لا تنتقل في الذات.

فبركة الأماكن أو بركة الأرض ونحو ذلك هي بركة لا تنتقل بالذات يعني إذا لامست الأرض أو دفنت فيها أو تبركت بها فإن البركة لا تنتقل بالذات، وإنما الأرض المباركة من جهة المعنى كذلك بيت الله الحرام هو مبارك لا من جهة ذاته يعني أن يتمسح به فتنتقل البركة وإنما هو مبارك من جهة ذاته من جهة المعنى، يعني اجتمعت فيه البركة التي جعلها الله في هذه البنية من جهة تعلق القلوب بها وكثرة الخير الذي يكون لمن أرادها وأتاها وطاف بها وتعبد عندها حتى الحجر الأسود هو حجر مبارك، ولكن بركته لأجل العبادة يعني أنه من استلمه

تعبـدا مطيعا للنـبي في اسـتلامه له وفي تقبيله فإنه يناله به بركة الاتباع، وقد قـال عمر لما قبل الحجـر: إني لأعلم أنك حجر لا تنفع ولا تضر .

قوله: لا تنفع ولا تضر يعـني لا ينقل لأحد شـيئا من النفع ولا يدفع عن أحد شيئا من الضر، ولـولا أني رأيت رسـول الله يقبلك ما قبلتك هــذا من جهة الأمكنة وأما الأزمنة فمعـــنى كــون الزمــان مباركا مثل شــهر رمضــان أو بعض أيــام الله الفاضلة، يعني أن من تعبد فيها ورام الخـير فيها فإنه يناله من كثرة الثواب ما لا يناله في غير ذلك الزمان .

والقسم الثـاني: البركة المنوطة ببــني آدم والبركة الــتي جعلها الله -جل وعلا- في النــــاس إنما هي بركة فيمن آمن ؛ لأن البركة من الله -جل وعلا- وجعل بركته للمؤمنين به وسادة المؤمـنين هم الأنبيـاء والرسـل، والأنبيـاء والرسل بـركتهم بركة ذاتية يعـــني أن أجســامهم مباركة فالله -جل وعلا- جعل جسد آدم مباركا وجعل جسد إبــراهيم -عليه الســلام- مباركــا، وجعل جسد نــوح مباركــا، وهكـذا جسد عيسى وموسى -عليهم جميعا الصلاة والسلام- جعل أجسادهم مباركة بمعنى أنه لو تـبرك أحد من أقـــوامهم بأجســـادهم، إما بالتمسح بها أو بأخذ عرقها أو بــالتبرك ببعض الشـعر فهـذا جـائز ؛ لأن الله جعل أجســادهم مباركة.

وهكذا النبي محمد بن عبد الله جسده أيضا جسد مبارك، ولهذا جاء في الأدلة في السنة أن الصحابة كانوا يتبركون بعرقه، يتبركون بشعره، وإذا توضأ اقتتلوا على وضوءه وهكذا في أشياء شتى ذلك ؛ لأن أجساد الأنبياء فيها بركة ذاتية يمكن معها نقل أثر هذه البركة أو نقل البركة والفضل والخير من أجسادهم إلى غيرهم، وهذا مخصوص بالأنبياء والرسل، أما غيرهم فلم يرد دليل على أن ثم من أصحاب الأنبياء من بركتهم بركة ذاتية حتى أفضل هذه الأمة أبو بكر وعمر فقد جاء بالتواتر القطعي أن الصحابة والتابعين والمخضرمين لم يكونوا يتبركون بأبي بكر وعمر وعثمان وعلي بجنس تبركهم بالنبي بالتبرك بالشعر أو بالوضوء أو بالنخامة أو بالعرق أو بالملابس ونحو ذلك .

فعلمنا بهذا التواتر القطعي أن بركة أبي بكر وعمر إنما هي بركة عمل ليست بركة ذات تنتقل كما هي بركة النبي ولهذا جاء في الحديث الصحيح الذي رواه البخاري في صحيحه أن النبي قال: إن من الشجر لما بركته كبركة المسلم فدل هذا على أن في كل مسلم بركة وأيضا فيه يعني في البخاري قال: ما هذه بأول بركتكم يا آل أبي بكر هذه البركة التي أضيفت لكل مسلم وأضيفت لآل أبي بكر بركة عمل، هذه البركة راجعة إلى الإيمان وإلى العلم والدعوة والعمل.

فنقــول: كل مســلم فيه بركة هــذه البركة ليست بركة ذات وإنما هي بركة عمل بركة ما معه من الإســلام والإيمــان وما في قلبه من الإيقـــــان والتعظيم لله -جل وعلا- والإجلال له والاتباع لرسـوله ﷺ هـذه البركة بركة العلم أو بركة العمل بركة الصلاح لا تنتقل، وبالتالي يكون التبرك بأهل الصلاح هو الاقتداء بهم في صـــلاحهم التـــبرك بأهل العلم هو الأخذ من علمهم والاستفادة من علومهم، وهكذا ولا يجوز أن يتـبرك بهم بمعـنى يتمسح بهم أو يتبرك بريحهم ؛ لأن أفضل الخلق من هذه الأمة لم يفعلوا ذلك مع خير هذه الأمة أبي بكر وعمر وعثمان وعلي ، وهذا أمر مقطوع به.

تبرك المشركين أنهم كانوا يرجون كـثرة الخـير ودوام الخـير ولزوم الخير وثبات الخير بالتوجه إلى الآلهة، وهذه الآلهة يكـون منها الصنم الـذي من الحجـارة، ويكـون منها القـبر من الـتراب ويكـون منها الـوثن، ويكـون منها الشـجر، ويكـون منها البقـاع المختلفة غـار أوعين مـاء أو نحو ذلك هـذه تبركـات مختلفة جميعها تبركات شركية، ولهذا الشيخ -رحمه الله- قال: بـاب من تـبرك بشـجر أو حجر ونحوهما الشـجر جمع شـجرة والشـجر معـروف والحجر معـروف ذلك أن المشـركين كـانوا يتـبركون بالأشجار والأحجار حـتى في أول الـدعوة في هـذه البلاد كـانت الأشجار كثيرة التي يتبرك بها والأحجار كثيرة .

قال: ونحوهما نحوهما يعـني نحو الحجر والشـجر مثل البقـاع المختلفة أو غـــار معين أو قـــبر أو عين مـــاء أو نحو ذلك من الأشـياء الـتي يعتقد فيها أهل الجهالة ما حكمـه؟ الجـواب أنه مشرك كما صرح به الشيخ عبد الـرحمن بن حسن في شـرحه فتح المجيد باب من تبرك بشجر أو حجر ونحوهما فهو مشرك، الشـــراح في هـــذا الموضع لم يفصـــحوا هل شـــرك المتـــبرك بالشجر والحجر شرك أكبر أو شرك أصـغر؟ وإنما أدار المعـنى الشيخ سـليمان -رحمه اللـه- تيسـير بعد أن سـاق تفسـير آية النجم ﴿ [illegible] ﴾ قـــــــال في آخـره: مناسـبة الآية للترجمة أنه إن كـان ذلك في الشـرك، إن كان التبرك شركا أكبر فظاهر، وإن كان شركا أصغر، فالسـلف يستدلون بالآيات التي نزلت في الأكبر على الأصغر .

وتحقيق هذا المقام أن التبرك بالشـجر أو بـالحجر أو بـالقبر أو ببقاع مختلفة قد يكون شركا أكبر، وقد يكـون شـركا أصـغر يكـون شـركا أكـبر إذا طلب بركتها معتقـدا أن هـذا الشـجر أو الحجر أو القـــبر إذا تمسح به أو تمـــرغ عليه أو التصق به يتوسط له عند الله، فـإذا اعتقد فيه أنه وسـيلة إلى الله فهـذا اتخاذ إله مع الله -جل وعلا- وشرك أكـبر، وهـذا هو الـذي كـان يزعمه أهل الجاهلية بالأشجار والأحجار الـتي يعبـدونها وبـالقبور التي يتبركون بها يعتقدون أنهم إذا عكفـوا عنـدها وتمسـحوا بها أو نثروا التراب عليها.

فإن هذه البقعة أو صاحب هذه البقعة أو الروحانية الروح التي تخدم هذه البقعة أنه يتوسط له عند الله -جل وعلا- فهذا راجع إلى اتخاذ أنداد مع الله -جل وعلا- قد قال سبحانه:

ويكون التبرك شركا أصغر إذا كان هذا التبرك بنثر التراب عليه أو إلصاق الجسم بذلك أو التبرك بعين ونحوها، إذا كان من جهة أنه جعله سببا لحصول البركة بدون اعتقاد أنه يوصل إلى الله يعني جعله سببا مثل ما يجعل لابس التميمة أو لابس الحلقة أو لابس الخيط جعل تلك الأشياء سببا.

فإذا أخذ تراب القبر ونثره عليه لاعتقاده أن هذا التراب مبارك وإذا لامس جسمه فإن جسمه يتبارك من جهة السببية فهذا شرك أصغر ؛ لأنه ما صرف عبادة لغير الله جل علا ولكن اعتقد ما ليس سببا مأذونا به شرعا سببا، وأما إذا تمسح بها كما هي الحال الأولى تمسح بها وتمرغ والتصق بها لتوصله إلى الله -جل وعلا- فهذا شرك أكبر مخرج من الملة.

ولهذا قال الشيخ سليمان كما ذكرت لك: إن كان التبرك شركا أكبر فظاهر في الاستدلال بالآية وإن كان التبرك شركا أصغر فالسلف يستدلون بما نزل في الأكبر على ما يريدون من الاستدلال في مسائل الشرك الأصغر قال: وقول الله -تعالى-:

 هــذه الثلاث ذكــرت لكم من قبل أن الهمــزة - همــزة الاستفهام - إذا أتى بعدها فاء فإنه يكون بينها وبين الفـاء جملة دل عليها السياق فمن أول سورة النجم إلى هذا الموضع يــدل على المحذوف قال: اللات هذه صخرة بيضاء عند أهل الطائف ، وما هـــدمت إلا بعد أن أســـلمت ثقيف أرسل لها النـــبي المغيرة بن شعبة فهدمها وكسرها وكـان عليها ولها سـدنة ولها قدم ، المقصود أن اللات صخرة وصفت بأنها بيضاء .

وفي قراءة ابن عباس وغـيره من السـلف قرءوها "اللاتّ" واللاتّ هـذا رجل كـان يلت السـويق وكـان يعطيهم السويق في رواية على صخرة فعظموا تلك الصـخرة ، وفي رواية أخرى يعني عن السلف أنه كـان يلتّ لهم السـويق فلما مات عكفوا على قبره، فتحصل من هذا أن اللاتَ صـخرة ، وإذا قـرئت اللاتّ فيكـون قـبرا أو صـخرة كـان يتعبد عنـدها ويتصدق ذاك الذي كان يلتّ السويق.

والعزى شجرة كـانت بين مكة والطـائف، وكـانت في الأصل شجرة ثم بنى بناء على ثلاث سمرات، وكـانت هنـاك له سـدنة وكـانت امـرأة كاهنة هي الـتي تخـدم ذلك الشـرك ، ولما فتح النـبي مكة أرسل إليها خالد بن الوليد فقطع الأشـجار الثلاث السمرات الثلاث، وقتل من قتل فلما رجع وأخبر النـبي قـال له: ارجع فإنك لم تصنع شيئا فرجع فـرآه السـدنة ففـروا إلى

الجبل ثم رأى امرأة ناشرة شعرها عريانة هي الكاهنة التي كانت تخدم ذلك الشرك وتحضر الجن لإضلال الناس في ذلك الموضع فرآها فعلاها بالسيف حتى قتلها فرجع إلى النبي قال: تلك العزى .

المقصود أن العزى اسم لشجرة كانت في ذلك الموضع، وفي الحقيقة تعلق الناس كان بتلك الشجرة وبالمرأة التي كانت تخدم ذلك الشرك فلو قطعت الأشجار وبقيت المرأة فإن المرأة ستغري الناس مرة أخرى بما تذكره لهم أو ما تحكيه لهم أو ما تجيب به مطالبهم عن طريق الجن فيكون الشرك ما انقطع ، ولهذا قال النبي   تلك العزى يعني في الحقيقة هي المرأة التي تغري الناس بذلك وإلا فهي شجرة كذلك مناة قال: الأخرى يعني الوضيعة الحقيرة ، مناة هذه أيضا هي صخرة سميت مناة لكثرة ما يمنى عليها من الدماء تعظيما لها وجه مناسبة الآية للترجمة أن اللات صخرة ومناة صخرة والعزى شجرة، وما كان يفعله المشركون عند هذه الثلاث هو عين ما يفعله المشركون في الأزمنة المتأخرة عند الأشجار والأحجار والثيران والقبور، ومن قرأ شيئا مما يصنعه المشركون علم غربة الإسلام في هذه البلاد قبل هذه الدعوة وأن الناس كانوا على شرك عظيم .

وإذا تـــأملت أحـــوال ما حولك من البلاد الـــتي ينتشر فيها الشـرك وجـدت من اتخـاذ الأشـجار والأحجـار آلهة ويتـبرك بها الشــيء الكثــير أعظم من ذلك اتخــاذ القبــور آلهة يتوجه إليها ويتعبد عنـدها ثم سـاق حـديث أبي واقد الليـثي قـال عن أبي واقد الليـثي قـال: □ خرجنا مع رسـول الله □ إلى حـنين ونحن حدثاء عهد بكفر وللمشركين سدرة يعكفون عندها وينوطون بها أسلحتهم يقال لها: ذات أنواط فمررنا بسـدرة فقلنـا: يا رسـول الله اجعل لنا ذات أنواط كما لهم ذات أنواط فقال رسول الله □ الله أكبر إنها السنن قلتم والـذي نفسي بيـده كما قـالت بنو إسرائيل لموسى: [illegible] لتركبن سنن من كان قبلكم □ رواه الترمذي وصححه هذا الحديث حديث صحيح عظيم.

والمشركون كانت لهم سدرة شجرة لهم معها اعتقاد أو لهم فيها اعتقاد، واعتقادهم فيها يشمل ثلاثة أشياء:

الأول: أنهم كانوا يعظمونها.

الثاني: أنهم كانوا يعكفون عندها.

الثالث: أنهم كـانوا ينوطـون بها الأسـلحة رجـاء نقل البركة من الشجرة إلى السلاح حتى يكون أمضى وحـتى يكـون خـيره لحامله أكثر.

وفعلهم هــذا شــرك أكــبر ؛ لأنهم عظموها وعكفــوا عنــدها والعكوف عبادة وهو ملازمة الشيء على وجه التعظيم والقربة،

والثالث أنهم طلبوا منها البركة فصار شركهم الأكبر؛ لأجل هذه الثلاث مجتمعة الصحابة -رضوان الله عليهم- قالوا: يعني من كانوا حديثي عهد بكفر قالوا: اجعل لنا ذات أنواط كما لهم ذات أنواط ظنوا أن هذا لا يدخل في الشرك وأن كلمة التوحيد لا تهدم بهذا الفعل.

ثم ساق حديث أبي واقد الليثي قال: عن أبي واقد الليثي قال: خرجنا مع رسول الله إلى حنين، ونحن حدثاء عهد بكفر، و للمشركين سدرة يعكفون عندها، وينوطون بها أسلحتهم يقال لها: ذات أنواط، فمررنا بسدرة، فقلنا يا رسول الله: اجعل لنا ذات أنواط كما لهم ذات أنواط، فقال رسول الله الله أكبر! إنها السنن، قلتم -والذي نفسي بيده- كما قالت بنو إسرائيل لموسى: [illegible] [illegible] لتركبن سنن من كان قبلكم رواه الترمذي وصحَّحه، هذا الحديث حديث صحيح عظيم.

والمشركون كانت لهم سدرة شجرة لهم معها اعتقاد، أو لهم فيها اعتقاد، اعتقادهم فيها يشمل ثلاثة أشياء:

الأول: أنهم كانوا يعظمونها.

الثاني: أنهم كانوا يعكفون عندها.

الثالث: أنهم كانوا ينوطون بها الأسلحة رجاء نقل البركة من الشجرة إلى السلاح حتى يكون أمضى، وحتى يكون خيره لحامله أكثر.

وفعلهم هــذا شــرك أكــبر؛ لأنهم عظموها وعكفــوا عنــدها، والعكــــوف عبــــادة، وهو ملازمة الشــــيء على وجه التعظيم والقربة، والثالث: أنهم طلبوا منها البركة، فصار شــركهم الأكــبر لأجل هذه الثلاث مجتمعة.

الصحابة -رضـوان الله عليهم- قـالوا يعـني: من كـانوا حـديثي عهد بكفر، قالوا: □ اجعل لنا ذات أنـواط كما لهم ذات أنـواط □ ظنوا أن هذا لا يـدخل في الشـرك، وأن كلمة التوحيد لا تهـدم هذا الفعل؛ لهذا قال العلماء: قد يغيب عن بعض الفضـلاء بعض مسائل الشرك؛ لأن الصحابة، وهم أعرف الناس باللغـة، هـؤلاء الذين كان إسـلامهم بعد الفتح خفيت عليهم بعض أفـراد توحيد العبـادة، فقـال رسـول الله □ □ الله أكـبر! إنها السـنن، قلتم -والذي نفسي بيـده- كما قـالت بنو إسـرائيل لموسـى: □□□□□□□ □ □ □ □ □□□□□□□□□ □□□□□□ □□□□□ □□□□□□□□ □□□□□□ .

شــبه -عليه الصــلاة والســلام-، وانتبه لهــذا، شــبَّه المقالة بالمقالة، معلوم أن أولئك عبدوا غير الله، عبـدوا ذات الأنـواط، وأما أولئك فإنما طلبوا بالقول، والنـبي -عليه الصـلاة والسـلام- شبه القول بقول قوم موسـى: □□□□□□ □□□□□ □□□□□□□□□ □□□□□□ □□□□□□□ □ □ □ □□□□□□□□□ ولم يفعلوا ما طلبوا، ولما نهاهم النبي □ انتهوا، ولو فعلوا ما طلبوا لكـان شـركا أكـبر، لكن لما قـالوا وطلبـوا دون فعل صار قولهم شركا أصغر؛ لأنه كان فيه نوع تعلق بغير الله -جل وعلا-؛ لهـذا نقـول: إن أولئك الصـحابة الـذين طلبـوا هـذا

الطلب لما نهاهم النبي انتهوا، فهم لا يعلمون أن هذا الذي طلبوه غير جائز، وإلا فلا يظن بهم أنهم يخالفون أمر النبي ويرغبون في معصيته، فإذن صار الشرك في مقالهم، وأما الفعل فلم يفعلوا شيئا من الشرك.

وهذا الذي قالوه قال العلماء: هو شرك أصغر، وليس بشرك أكبر؛ ولهذا لم يأمرهم النبي بتجديد إسلامهم دل على ذلك قوله: قلتم -والذي نفسي بيده- كما قالت بنو إسرائيل لموسى فشبَّه المقالة بالمقالة، وقد قال الشيخ -رحمه الله- في المسائل إنهم لم يكفروا، وأن الشرك منه أكبر، ومنه أصغر؛ لأنه لم يأمرهم -عليه الصلاة والسلام- بتجديد الإسلام.

ظاهر من هذا أن الشرك الأكبر الذي كان فيه المشركون لم يكن راجعا إلى التبرك بذات الأنواط فقط، وإنما كان بالتعظيم، والعكوف، والتبرك بالتعليق، وقد قلت لك: إن التبرك بالشجر والحجر، ونحو ذلك إذا كان فيه اعتقاد أن هذا الشيء يقرب إلى الله، وأنه يرفع الحاجة إلى الله، أو أن تكون حاجاتهم أرجى إجابة، وأمورهم أحسن إذا تبركوا بهذا الموضع، فهذا شرك أكبر، وهذا الذي كان يصنعه أهل الجاهلية؛ لهذا قلت لك: إن فعلهم يشمل ثلاثة أشياء:

التعظيم، والتعظيم عبادة، وهذا لا يجوز إلا لله، تعظيم أن هذا يتوسل ويتوسط لهم عند الله -جل وعلا-، وهذا لا يجوز، وهو من أنواع العبادة، واعتقاد شركي.

والثـاني: أنهم عكفـوا عنـدها ولازمـوا، والعكـوف والملازمة نـوع عبـادة فـإذا عكف ولازم تقربـا، ورجـاء، ورغبـة، ورهبـة، ومحبة، فهذا نوع من العبادة.

والثالث: التـبرك، فـإذن يكـون الشـرك الأكـبر ما ضم هـذه الثلاث، وإذا تـأملت ما يصـنعه عبـاد القبـور، والخرافيـون في الأزمنة المتـأخرة، وفي زماننا هـذا، وجـدت أنهم يصـنعون كما كان المشركون الأولون يصنعون عند اللات، وعند العـزى، وعند مناة، وعند ذات أنواط، فإنهم يعتقدون في القـبر، بل يعتقـدون في الحديد الذي يسيج به القـبر، فالمَشَـاهد المختلفة في البلاد التي يفشو فيها الشـرك، أو يظهر فيها الشـرك تجد أن النـاس يعتقدون في الحائط الذي على القبر، أو في الشـباك الحديـدي الذي يحيط بالقبر، فـإذا تمسَّـحوا به كـأنهم تمسـحوا بـالمقبور، واتصـلت روحهم بأنه سيتوسط لهم؛ لأنهم عظمـوه هـذا شـرك أكـبر بالله -جل وعلا-؛ لأنه رجع إلى تعلق القلب بجلب النفـع، وفي دفع الضر بغـير الله -جل وعلا-، وجعله وسـيلة إلى الله -جل وعلا-، كفعل الأولين الذين قـال الله فيهم: [illegible] .

وأما الحالة الأخرى التي نبهتك في أول المقام عليها من أنه يجعل بعض التمسحات أسبابا، مثل ما ترى بعض الناس الجهلة يـأتي في الحـرم، ويتمسح بـأبواب الحـرم الخارجيـة، أو ببعض الجدران، أو ببعض الأعمدة، فهذا إن ظن أن ثَمَّ روحا في هـذا

العمود، أو هناك أحد مدفون بالقرب منه، أو ثم من يسكن هذا العمود من الأرواح الطيبة -كما يقولون- فتمسح لأجل أن يصل إلى الله -جل وعلا- فهذا شرك أكبر.

وأما إذا تمسح باعتقاد أن هذا المكان مبارك، وأن هذا سبب قد يشفيه ... - دائما يكثر يا إخوان، النبي يقول: لا ضرر، ولا ضرار والأذية لا تجوز حرام، يأتي يطلب علما مستحبا أو واجبا، وثم مفسدة على غيره من المسلمين، ربما يكون ثم مريض أراد أن ينقل إلى المستشفى، أو حاجة ضرورية تفوت، فهو يفوت على إخوانه المصلحة لأجل مصلحته هو، هذا لا شك أنه لا يجوز، فحاذروا من ذلك، لو أوقفتم السيارات بعيدا، وجئتم تمشون، فهذا أبرأ لذممكم، وأبعد من التأثم-.

إذا كان يتمسح بجعله سببا هذا يكون شركا شرك أصغر، وإذا كان تعلق قلبا بهذا المتمسح به، أو المتبرك به، وعظمه ولازمه، واعتقد أن ثمة روحا هنا، أو أنه يتوسل به إلى الله، فإن هذا شركا أكبر.

قال بعد ذلك: باب: ما جاء في الذبح لغير الله -يعني: من الوعيد- وأنه شرك ، باب: ما جاء في الذبح لغير الله من الوعيد، وأنه شرك بالله -جل وعلا-، وقول الشيخ -رحمه الله-: باب: ما جاء في الذبح لغير الله، الذبح معروف، وهو إراقة الدم، ولغير الله: اللام هذه يعني: متقربا به إلى غير الله، ذبح لأجل غير الله، والذبح فيه شيئان مهمان، وهما نكتة هذا الباب

وعقدتـه، الأول: الـذبح بسم اللـه، أو الـذبح بـالإهلال باسم مـا، والثـاني: أن يـذبح متقربا لما يريد أن يتقـرب إليـه؛ فـإذن ثَمَّ تسمية، وثم القصد.

أما التسـمية فظـاهر أن ما ذكر عيه اسم الله فإنه جـائز [illegible] وأما ما لم يـذكر اسم الله عليه فهـذا الـذي أُهِلَّ لغير الله، يعـني: ذكر غـير اسم الله عليـه، هـذا أهل لغـير الله بـــه، [illegible] التســـمية على الذبيحة من جهة المعـــنى استعانة، فإذا سمَّى الله فإنه استعان في هذا الــذبح بالله -جل وعلا-؛ لأن البــــاء في قولـــــك: بسم الله يعـــــني: أذبح متبركا ومستعينا بكل اسم لله -جل وعلا-، أو بالله -جل وعلا- الذي له الأسماء الحسنى.

فــإذن جهة التســمية جهة اســتعانة، وأما القصد فهــذه جهة عبوديــة، ومقــام فــذبح باسم الله لله كــانت الاســتعانة باللــه، والقصد من الذبح أنه لوجه الله، تقرب لله -جل وعلا- فصــارت الأحوال عندنا أربعة:

الأولى: أن يذبح باسم الله، لله، وهذا هو التوحيد.

والثانيــة: أن يــذبح باسم الله لغـير اللــه، وهــذا شــرك في العبادة.

والثالثة: أن يذبح باسم غير الله لغير الله، وهذا شـرك في الاستعانة، وشرك في العبادة -أيضا-.

والرابع: أن يذبح بغير اسم الله، ويجعل الذبيحة للـه، وهـذا شرك في الربوبية.

فإذن الأحـوال عنـدنا أربعـة، إما أن يكـون تسـمية مع القصد لله -جل وعلا- وحده، وهذا هو التوحيـد، وهو العبـادة، فـالواجب أن يــذبح لله قصــدا تقربــا، وأن يســمي الله -جل وعلا- على الذبيحـة، فـإن لم يسم الله -جل وعلا-، وتـرك التسـمية عمـدا، فإن الذبيحة لا تحل، وإن لم يقصد بالذبيحة التقـرب إلى الله -جل وعلا-، ولا التقرب لغيره، وإنما ذبحها لأجل أضياف عنه، أو لأجل أن يأكلهـــــا، يعـــــني: ذبحها لقصد اللحم، لم يقصد بها التقرب، فهذا جائز، وهو من المأذون فيه؛ لأن الذبح لا يشترط فيه أن ينوي الذابح التقرب بالذبيحة إلى الله -جل وعلا-.

فإذا صـار عنـدك المسـألة الأولى، أو الحالة الأولى مهمة أن تعلم أن ذكر اسم الله على الذبيحة واجب، وأن يكـون قصـدك بـالتقرب بهـذه الذبيحة -إن نـويت بها تقربـا- أن يكـون لله لا لغيره، وهذا مثل ما يذبح من الأضاحي، أو يذبح من الهـدي، أو نحو ذلك مما يذبحه المرء تعظيما لله -جل وعلا-، عقيقة، ونحو ذلك مما أمر به شرعا، فهـذا تذبحه للـه، يعـني: تقصد التقـرب لله بهذه الذبيحة، فهذا من العبادات العظيمة الـتي يحبها الله -جل وعلا-، وهي عبادة النحر والذبح.

قد يـذبح باسم اللـه، ولكن يقـول: أريـدها للأضـياف، أريـدها للحم، آكل لحما، ولم أتقرب بها لغير الله، أيضا لم أتقــرب بها لله، فنقول: هذه الحالة جائزة؛ لأنه سمى باسم الله، ولم يـذبح لغير الله، فليس داخلا في الوعيــد، ولا في النهي، بل ذلك من المأذون فيه.

الحالة الثانية: أن يـذبح باسم اللـه، ويقصد بـالتقرب أن هـذه الذبيحة لغير اللـه، فيقـول -مثلا-: باسم اللـه، وينحر الـدم، وهو ينوي بإزهاق النفس، وبإراقة الـدم ينـوي التقـرب لهـذا العظيم المذكور، لهذا النـبي، أو لهـذا الصـالح فهو ولو ذبح باسم اللـه، فـإن الشـرك حاصل من جهة أنه أراق الـدم تعظيما للمـذكور، تعظيما لغـير اللــه، كـذلك يـدخل فيه أن يـذكر اسم الله على الذبيحة، أو على المنحور، ويكـون قصـده بالـذبح أن يتقـرب به للسـلطان، أو للملـوك، أو لأمـير مـا، وهـذا يحـدث عند بعض البادية.

وكــذلك بعض الحضر إذا أرادوا أن يعظمــوا ملكا قادمــا، أو أمـيرا قادمـا، أو أن يعظمـوا سـلطانا، أو شـيخ قبيلـة، فـإنهم يستقبلونه بالجمال، يستقبلونه بالبقر، يستقبلونه بالشـياه يعـني: بالضأن والخرفان، ويذبحونها في وجهه؛ فيسيل الدم عند إقباله هـذا ذبح، ولو سـمى الله عليـه، ولكن تكـون الذبيحة قصد بها غـير الله -جل وعلا-، وهـذه أفـتى العلمـاء بتحريمهـا؛ لأن فيها إراقة دم لغير الله -جل وعلا- فلا يجـوز أكلهـا، ومن بـاب أولى

قبل ذلك لا يجــوز تعظيم أولئك بمثل هــذا التعظيم ؛ لأن إراقة الـــدم إنما يعظم به الله -جل وعلا- وحـــده؛ لأنه هو الـــذي -سبحانه- يستحق العبادة، التعظيم بهذه الأشياء، وهو الذي أجرى الدماء في العروق -سبحانه وتعالى-.

الحالة الثالثة: أن يذكر غير اسم اللــه، وأن يقصد بالذبيحة غير الله -جل وعلا- فيقول -مثلا-: باسم المسـيح، ويحـرك يـده، ويقصد بها التقــرب للمســيح، فهــذا الشــرك جمع شــركا في الاســتعانة، وشــركا في العبــادة، أو أن يــذبح باسم البــدوي، أو باسم الحسين، أو باسم السـيدة زينب، أو باسم العيـدروس، أو باسم الميرغنــاني، أو نحو ذلك من النــاس الــذين توجه إليهم بعض الخلق بالعبادة، فيذبح باسـمها، ويقصد بها هـذا المخلـوق، يعني: ينوي حين ذبح أن يريق الدم تقربا لهـذا المخلـوق، فهـذا الشرك جاء من جهتين:

الجهة الأولى: جهة الاستعانة.

والجهة الثانيــة: جهة العبودية والتعظيم وإراقة الــدم لغــير الله -جل وعلا-.

والرابع: أن يذبح باسم غير الله، ويجعل ذلك لله -جل وعلا-، وهذا نادر، وربما حصل من أنه يـذبح للمعظم يـذبح للبـدوي، أو يذبح للعيـدروس، أو يـذبح للشـيخ عبد القـادر أو مثل ذلـك، ثم ينـوي بهـذا أن يتقـرب إلى الله -جل وعلا-، وهـذا في الحقيقة راجع إلى الشرك في الاستعانة، والشرك في العبادة.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية -رحمه الله- في معـرض كلام له في هذه المسائل قال: "ومعلوم أن الشرك في العبودية أعظم من الاستعانة بغير الله، فهذه المراتب أعظمها كلها شرك بالله -جل وعلا-".

والحالة الثانية صـورة منها أنه يـذبح لسـلطان، ونحـوه بعض العلماء ما أطلق أنها شرك، وإنما قال: تحرم لأجل أنه لا يقصد بذلك تعظيم ذاك كتعظيم الله -جل وعلا-.

المقصـــود أن الشـــرك بقصد الـــذبح لغـــير الله شـــرك في العبودية، والشرك بذكر غـير اسم الله على الذبيحة شـرك في الاستعانة؛ ولهذا قال -جل وعلا-: [illegible]

[illegible]

[illegible]

يعـني: إن أطعتمـوهم في الشـرك، فـإنكم مشـركون كما أنهم مشركون.

نكمل -إن شاء الله- بقية الباب غـدا بـإذن اللـه، وصـلى الله وسلم وبارك على نبينا محمد.

[illegible]

الحمد للـه، والصـلاة والسـلام على رسـول اللـه، وعلى آله وصحبه، ومن اهتدى بهداه.

أما بعد:

فأنبه على مسـألة ألا وهي أن الكلام في مسـائل التوحيد تقريرا أو استدلالا وبيان وجه الاستدلال من الأمور الدقيقة، والتعبير عنها يحتاج إلى دقة من جهة المعبِّر، وأيضا من جهة المتلقي.

أقول هذا لأن بعض الأخوة استشكلوا بالأمس وقبله واليوم -أيضا- بعض العبارات، ومدار الاستشكال أنهم ما دققوا فيما قيل، إما أن يحذفوا قيدا، أو يحذفوا كلمة، أو يأخذ المعنى الذي دل عليه الكلام، ويعبر عنه بطريقته، وهذا غير مناسب؛ لهذا ينبغي أن يكون المتلقي لهذا العلم دقيقا فيما يسمع؛ لأن كل مسألة لها ضوابطها، ولها قيودها، وأيضا بعض المسائل يكون الكلام عليها تارة مجملا، وفي بعض ما سمعه المتلقي يكون سمع أحد الأحوال، وهي فيها تفصيل، ويكون الكلام عليها من حيث الإجمال غير الكلام عليها من حيث التفصيل.

س: هذا سائل يقول: فضيلة الشيخ مما يقع فيه كثير من الناس أنه إذا حصل له أمر، ونجا منه، فإنه يجب عليه أن يتصدق.

ج: الصدقة في مثل هذا ليس لها حكم الوجوب، والشكر لله -جل وعلا- على نعمه، إذا نجي العبد من بلاء، أو حصلت له مسرة يكون تارة بالسجود، وتارة بالصلاة، أو بالصدقة شكرا لله -جل وعلا- على نعمه، وهذا كله من المستحب، وليس من الواجب إلا إذا كان ثم نذر، نذر أنه إن نجي من كذا وكذا،

فإنه سيتصدق، فهنا يكون ألـزم نفسه بعبـادة ألا وهي الصـدقة إذا حصل له كذا وكذا؛ فتكون واجبة بالنذر.

أما أصل الصدقة فهو مستحب، وإذا كانت في مقابلة نعمـة، أو انـدفاع نقمـة، فهي -أيضـا- مسـتحبة، وليست بواجبة لا تجب إلا إذا نذر، وتحقق المشروط، تحقق الشرط. نعم.

س: وهذا يقول: فضيلة الشـيخ إذا كـان الـذبح لا يجـوز لـدفع المـــرض فكيف نجمع بينه وبين الحـــديث: داووا مرضـــاكم بالصدقة ؟

ج: هذا أجبت عنه بالأمس.

س: وهـذا يقـول: عنـدنا عـادة، وهي أنه من حصل بينه وبين شخص عداوة أو بغضاء بتعدٍ من أحدهما على الآخـر، فيطلبـون من أحدهما أن يذبح، ويسمون ذلك ذبح صلح، فيذبح ويحضرون من حصلت معه العداوة، فما حكم ذلك؟

ج: ذبح الصـــلح الـــذي تســتعمله بعض القبائل في صـــورته المشـتهرة المعروفة لا يجـوز؛ لأنهم يجعلـون الـذبح أمـام من يريـدون إرضـاءه، ويريقـون الـدم تعظيما له أو إجلالا لإرضـائه، وهـذا يكـون محرمـا؛ لأنه لم يـرق الـدم لله -جل وعلا-، وإنما أراقه لأجل إرضاء فلان، وهذا الذبح محرم ، والذبيحة -أيضـا- لا يجـوز أكلهـا؛ لأنها لم تهـل، أو لم تـذبح لله -جل وعلا-، وإنما ذبحت لغير اللـه، فـإن كـان الـذبح الـذي هـذا صـفته من جهة التقـــرب والتعظيم صـــار شـــركا أكـــبر، وإن لم يكن من جهة

التقـرب، والتعظيم صـار محرمـا؛ لأنه لم يخلص من أن يكـون لغير الله، فصار عندنا في مثل هذه الحالـة، وكـذلك في الـذبح للسـلطان، ونحـوه في المسـألة الـتي مـرت علينا بـالأمس أن يكون الذبح في مقدمه، وأن يراق الدم لقدومه وبحضرته، هــذا قد يكون على جهة التقرب والتعظيم؛ فيكون الذبح حينئذ شركا أكـبر بالله -جل وعلا-؛ لأنه ذبح وأراق الـدم تعظيما للمخلـوق، وتقربا إليه.

وإن لم يـذبح تقربا ولا تعظيمـا، وإنما ذبح لغاية أخـرى، مثل الإرضاء ولكنه شـابه أهل الشـرك فيما يذبحونه تقربا وتعظيمـا، فنقول: الذبيحة لا تجوز ولا تحل، والأكل منها حرام.

ويمكن للإخوة الذين يشيع عندهم في بلادهم، أو في قبائلهم مثل هذا المسمى ذبح الصلح، ونحوه أن يبدلوه بخير منـه، وهو أن تكـون وليمة للصـلح، فيـذبحون للضـيافة يعـني: يـذبحون لا بحضـرة من يريـدون إرضـاءه ويـدعونهم ويكرمـونهم، وهـذا من الأمر المرغب فيه؛ فيكون الذبح كما يذبح المسلم عادة لضيافة أضيافه، ونحو ذلك.

س: وهذا يقول: هناك رجل في منطقتنا يأتي إليه الناس عند فقد أموالهم، فيعطيهم خيطا معقدا، ويقـرأ عليـه، ويطلب منهم أن يضعوه في المكـان الـذي فقـده، فما حكم ذلـك؟ وما حكم الصلاة خلفه؟

ج: هذا من الكهانة؛ لأن هذا الذي يعمل هذه الأشياء عـراف، أو كـاهن، وقد يكـون سـاحرا -أيضـا-، فلا يجـوز عمل مثل هـذا العمـل، ولا يحل لأحد أن يعين أحـدا يـدعي معرفة شـيء من علم الغيب، والصــلاة خلفه لا تجــوز؛ لأن هــذا إما أن يكــون عرافا، أو كاهنا، أو ساحرا، وهؤلاء لا تجوز الصلاة خلفهم. نعم.

س: وهـذا يقـول: فضـيلة الشـيخ ما معـنى قـولهم: الشـرك الأصغر أكـبر من الكبـائر، وكيف يكـون كـذلك، والشـرك الأكـبر يعتبر من الكبائر إذ هو أكبر الكبائر، فنرجو إزالة الإشكال؟

ج: هذا -أيضا- أوضحته بالأمس، وهو أن الكبائر قسمان: قسم منها راجع إلى جهة الاعتقــاد، والعمل الــذي يصــحبه اعتقــاد، وقسم منها راجع إلى جهة العمل الذي لا يصحبه اعتقاد، مثــال الأول الذي يصـحبه الاعتقـاد أنـواع الشـرك بالله من الاسـتغاثة بغيره، ومن الذبح لغـير اللـه، ومن النـذر لغـير اللـه، ونحو ذلك فهـذه أعمـال ظـاهرة، ولكن هي كبـائر يصـحبها اعتقـاد جعلها شــركا أكــبر، فهي في ظاهرها صــرف عبــادة لغــير الله -جل وعلا-، وقام بقلب صاحبها الشـرك بالله بتعظيم هـذا المخلـوق، وجعله يستحق هذا النوع من العبـادة، إما على جهة الاسـتقلال، أو لأجل أن يتوسط.

والقسم الثـــاني: الكبـــائر العملية الـــتي تُعْمَل لا على وجه اعتقاد مثل: الزنا، وشرب الخمـر، والسـرقة، وأكل الربـا، وأكل مــال اليــتيم، والتــولي يــوم الزحــف، ونحو ذلك من الكبــائر

والموبقات، فهذه تعمل دون اعتقاد، وبهذا صارت الكبائر على قسمين، نقول: الشرك الأصغر، ومن باب أولى الشرك الأكبر هذا جنسه أكبر من الكبائر يعني: العملية، فأنواع الشرك الأصغر، ولو كان لفظيا مثل: قول ما شاء الله وشئت، ومثل الحلف بغير الله، أو نسبة النعم إلى غير الله، أو نسبة اندفاع النقم لغير الله -جل وعلا-، أو تعليق التمائم، ونحو ذلك، هذه من حيث الجنس أعظم من الكبائر، ومن حيث الجنس أعظم من كبائر العمل التي لا يصاحبه اعتقاد؛ وذاك لأن الأعمال تلك كالزنا، والسرقة، ونحوها من الكبائر العملية، هذه ليس فيها سوء ظن بالله -جل وعلا-، وليس فيها صرف عبادة لغير الله، أو نسبة شيء لغير الله جل، وإنما هي من جهة الشهوات، والأخرى هي من جهة الاعتقاد بغير الله، وجعل غير الله -جل وعلا- ندا لله -سبحانه وتعالى-، وأعظم الذنب أن يجعل المرء لله ندا، وهو خلقه -جل وعلا-.

س: وهذا يقول: فضيلة الشيخ لماذا لم يبين الرسول الشرك للصحابة قبل أن يقعوا فيه في حديث ذات أنواط ؟

ج: من المعلوم أن الشريعة جاءت بالإثبات المفصل، والنفي المجمل، والنفي إذا كان مجملا، فإنه يندرج تحته صور كثيرة، يدخلها من فهم النفي في الدلالة، فلا يحتاج مع النفي أن ينبه على كل فرد فرد؛ ولهذا نقول: من فهم لا إله إلا الله لم يحتج إلى أن يفصل له كل مسألة من المسائل.

فمثلا: النــذر لغــير الله ليس فيه الحــديث النــذر لغــير الله شرك، والذبح لغير الله ليس فيه حديث الذبح لغير الله شـرك، ونحو ذلك من الألفــاظ الصــريحة، وهكــذا في العكــوف عند القبور، أو العكوف والتبرك عند الأشجار والأحجـار لم يـأت فيها شـيء صـريح، ولكن نفي إلهية غـير الله -جل وعلا- يـدخل فيها عند من فهم معنى العبادة كل الصور الشركية؛ ولهذا الصـحابة -رضي الله عنهم- فهمـوا ما دخل تحت هـذا النفي، ولم يطلب ذات أنواط كما للمشركين ذات أنواط إلا من كـان حـديث عهد بكفر يعني: لم يسلم إلا قريبا، وهم قلة ممن كانوا مع النـبي [illegible] في مسيره إلى حنين.

والإثبات يكون مفصلا، وتفصيل الإثبات تارة يكون بالتنصـيص، وتـارة يكـون بالدلالة العامة من وجـوب إفـراد الله -جل وعلا- بالعبادة -مثلا-: [illegible] ونحو ذلك من الآيــات، والأدلة الخاصة بالعبــادة كقولــه: [illegible] وكقوله: [illegible] وكقوله: [illegible] فهـذه أدلة إثبـات تثبت أن تلك المسـائل من العبـادات، وإذا كانت من العبادات فقــول: لا إله إلا الله يقتضي بالمطابقة أنه لا تصرف العبادة إلا لله -جل وعلا- .

إذن فيكون ما طلبه أولئك من القول الذي لم يعملوا راجع إلى عدم فهمهم أن تلك الصورة داخلة فيما نفي لهم مجملا بقول: لا إله إلا الله.

س: وهذا يقول: فضيلة الشيخ، ما حكم التبرك بالصالحين، وبماء زمزم، والتعلق بأستار الكعبة؟

ج: التبرك بالصالحين قسمان: تبرك بذواتهم بعرقهم بسؤرهم يعني: بقية الشراب بلعابهم الذي اختلط بالنوى -مثلا-، أو ببعض الطعام، أو التبرك بشعرهم، أو نحو ذلك، فهذا لا يجوز، وهو من البدع المحدثة، وقد ذكرت لكم أن الصحابة -رضوان الله عليهم- لم يكونوا يعملون مع أبي بكر، وعمر، وعثمان، وعلي، وهم سادة أولياء هذه الأمة شيئا من ذلك، وإنما فعله الخلوف الذين يفعلون ما لا يؤمرون، ويتركون ما أمروا به.

القسم الثاني: بركة عمل، وهي الاقتداء بالصالحين في صلاحهم، والاستفادة من أهل العلم، والتأثر بأهل الصلاح، وهذا أمر مطلوب، والتبرك بالصالحين بهذا المعنى مطلوب شرعا، أما التبرك بالذات -كما كان يفعل مع النبي صلى الله عليه وسلم- فهذا ليس لأحد إلا للنبي -عليه الصلاة والسلام-، أما التبرك بماء زمزم، فإن شرب ماء زمزم بما جاء به الدليل، ولما جاء به الدليل لا بأس به، والنبي -عليه الصلاة والسلام- قال في ماء زمزم: ﴿ إنها طعام طعم، وشفاء سقم ﴾ فمن شربها طعاما، أو شفاء سقم شرب بما دل عليه الدليل، كذلك

شربها لغرض من الأغراض التي يريد أن يحققها لنفسه فهـذا -أيضا- جائز؛ لأن النبي قال: ماء زمزم لما شرب له .

فإذن أن يجعل ماء زمزم لأشياء يريدها، فهــذا راجع إلى أنه سبب أذن به شرعا، ولو شرب ماء آخر -مثلا- ماء صحة، وأراد بشرب هذا الماء أن يحفظ القرآن، فيكون هذا اعتقـادا خاطئـا؛ لأن ما جـاء فيه الـدليل هو الـذي يجعل ذلك السـبب مـؤثرا أو جائزا ليعتقد أنه مؤثر.

أما التعلق بأســتار الكعبة رجــاء البركــة، فهــذا من وســائل الشــرك، ومن الشــرك الأصــغر -كما ذكــرت لكم بــالأمس- إذا اعتقد أن ذلك التـــبرك ســـبب، أما إذا اعتقد أن الكعبة ترفع أمره إلى الله، أو أنه إذا فعل ذلك عظم قـدره عند اللـه، وأن الكعبة يكون لها شفاعة عند الله، أو نحو تلك الاعتقادات الــتي فيها اتخاذ الوسائل إلى الله -جل وعلا- فهذا يكون التـبرك على ذاك النحو شـرك أكـبر؛ ولهـذا يقـول كثـير من أهل العلم: إن أنواع هـذا التـبرك بحيطـان المسـجد الحـرام، وبالكعبـة، أو نحو ذلك، أو بمقام إبراهيم، التمسح بذلك رجـاء البركة من وسـائل الشرك، بل هو من الشرك، من وسائل الشـرك الأكـبر، بل هو من الشــرك الأصــغر كما قــرر ذلك الإمــام الشــيخ محمد بن إبراهيم -رحمه الله-.

س: وهذا يقول: فضيلة الشيخ يوجد بعض الساعات مكتوب عليها لفظ الجلالة، فهل يجوز الدخول بها إلى الخلاء؟ وجزاكم الله خيرا.

ج: العلماء يقولون: ويكره دخوله الخلاء بشيء فيه ذكر الله، في آداب دخول الخلاء بالفقه، فاصطحاب شيء مما فيه ذكر الله إلى الخلاء مكروه. نكتفي.

نواصل الحديث على باب ما جاء بالذبح لغير الله، قال الإمام -رحمه الله تعالى-: "وقول الله -تعالى-: [illegible] هذه الآية فيها أن عبادة الصلاة، وعبادة النسك، وهو الذبح لله -جل وعلا-"، وقال هنا: "قل إن" وإن من المؤكدات، ومجيء التأكيد في الجمل الخيرية معناه أن من خوطب بذلك منكر لهذا الأمر، أو منزل منزلة المنكر له؛ ولهذا يكون الاستدلال بهذه الآية على أنه خوطب بها من ينكر أن الصلاة لله وحده استحقاقا، وأن الذبح لله وحده استحقاقا، وهم المشركون، فدل على أن هذه الآية في التوحيد يعني: في توحيد الذبح لأجل الله -جل وعلا-، وأن الذبح لغيره مخالف لما يستحقه الرب -جل وعلا-.

قال هنا: [illegible] والنسك هو الذبح، أو النحر يعني: التقرب بالدم، والتقرب بالدم لله -جل وعلا- عبادة عظيمة؛ لأن الذبائح أو المنحورات، الإبل، البقر، الغنم من

الضأن، والماعز هذه مما تعظم في نفوس أهلها، ونحرها تقربا إلى الله -جل وعلا-، والصدقة بها عبادة عظيمة فيها إراقة الدم لله، وفيها تعلق القلب بحسن الثواب من الله -جل وعلا-، وفيها حسن الظن بالله -تبارك وتعالى-، وفيها التخلص من الشح، والرغب فيما عند الله -سبحانه- بإزهاق نفس ما هو عزيز عند أهله، وبهذا كان النحر والذبح عبادة من العبادات العظيمة التي يحبها الله -جل وعلا-.

وهذه الآية دلت على أن النحر والصلاة عبادتان؛ لأنه جعل النسيكة لله، والله -جل وعلا- له من أعمال خلقه العبادات؛ فلهذا صار وجه الدلالة أن قوله: "ونسكي" فيه دلالة على أن النسك عبادة من العبادات، وأنه مستحق لله -جل علا-.

قوله: اللام هنا المتعلقة بقوله: لام الاستحقاق؛ لأن اللام في اللغة، وفي ما جاء من الاستعمال في القرآن الكريم تأتي لام الملك: يعني: يملكونها، أو تكون لام الاختصاص، وهو شبه الملك، أو تكون لام الاستحقاق مثل: الحمد لله، يعني: جميع أنواع المحامد مستحقة لله، كذلك اللام هنا لله يعني: مستحقة لله -جل وعلا-، قال سبحانه: وهنا تكون اللام هذه مع أنها واحدة، لكن يكون معناها على الأول رجوعها للأول غير معناها برجوعها للمحيا

والممــات، فــإن الله -جل وعلا- قــال في هــذه الآية من آخر سورة الأنعام: [illegible] والمحيا والممات يعني: الإحياء والإماتة، وهــذه بيد الله -جل وعلا-، ولله ملكا فهو الذي يملكها -سبحانه وتعالى-؛ لأنها من أفــراد ربوبيته -جل وعلا- على خلقه.

فهــذه الآية بما اشــتملت عليه من هــذه الألفــاظ الأربع دلت على توحيد الإلهيـــــة، وعلي توحيد الربوبية [illegible] هــذا توحيد العبــادة، [illegible] هــذا توحيد الربوبية، "لله" اللام إذا أرجعتها للأولــيين الصــلاة والنسك صار معناها الاستحقاق، وإذا أرجعتها للأخير صــار معناها الملــك؛ ولهــذا يقــول أهل التفســير هنــا: قل إن صــلاتي ونســكي لله استحقاقا، ومحياي ومماتي لله ملكا وتدبيرا وتصرفا.

قال: [illegible] وهذا وجه استدلاله الثالث، حيث قال: [illegible] يعني: فيما مر، لا شريك له في الصلاة والنســك، فلا يتوجه بالصــلاة والنسك إلى أحد مع الله -جل وعلا-، أو من دونه، وكــذلك لا شــريك له في ملكه في المحيا والممــات، بل هو المتفــرد -ســبحانه- بــأنواع الجلال وأنواع الكمال، وهو المستحق للعبادة، وهو ذو الملكـوت الأعظم.

قال: وقوله: [illegible] قال جل وعلا: [illegible] قال:

[illegible] فأمر بالصلاة، وأمر بالنحر، وإذا أمر به فهو داخل في حد العبادة؛ لأن العبـادة اسم جـامع لكل ما يحبه الله ويرضاه من الأقوال، والأعمال الظاهرة، والباطنـة، والصلاة أمر بها الله -جل وعلا-، وهي محبوبة لديه إذن، والنحر أمر الله -جل وعلا- بـه، وهو محبـوب ومرضي لـه؛ إذن فيكـون النحر عبادة لله -جل وعلا-.

وفي التعريف الآخر أن العبــادة هي كل ما يتقــرب به العبد إلى الله -جل وعلا- ممتثلا به الأمر والنهي صــادق على هــذا؛ لأن النحر يعمل تقربا إلى الله -جل وعلا- بامتثال الأمر والنهي.

قال سبحانه: [illegible] والكوثر هو الخير العظيم الــذي منه النهر الــذي في الجنــة، [illegible] الفاء هذه سببية يعني: بسبب ذلك اشكر الله -جل وعلا- بتوحيــده بــأن صل لربك الــذي أعطــاك ذلك الخــير الكثـير، وتقـرب إليه بـالنحر، وبنسك النسـائك له سـبحانه؛ لأن الخير إنما أسداه -جل وعلا- وحده.

إذن وجه الدلالة من هــذه الآية على البــاب أن النحر عبادة، وقد قال -جل وعلا-: [illegible] يعني: وانحر لربك، فصار النحر لغير الله، والذبح لغير الله خارجا عما أمر الله به، فهو -إذن- صرف للعبادة لغير الله -جل وعلا-.

قال -رحمه اللـه-: وعن علي [illegible] قـال: [illegible] حـدثني رسـول الله [illegible] بـأربع كلمـات: لعن الله من ذبح لغـير اللـه، لعن الله من لعن

والديه، لعن الله من آوى محدثا، لعن الله من غير منار الأرض رواه مسلم، الشاهد من هـذا قولـه: لعن الله من ذبح لغـير الله وهذا وعيد يدل على أن الذابح لغير الله ملعـون، واللعن هو الطرد والإبعاد من رحمة الله -جل وعلا-، فإذا كـان الله هو الذي لعن؛ فيكون قد طرد وأبعد من رحمة الله الخاصة، يكون -جل وعلا- قد طـرد وأبعد هـذا الملعـون من رحمته -جل وعلا- الخاصة.

أما الرحمة العامة فهي تشـــمل المســـلم والكـــافر، وجميع أصناف الخلق، وإن كان دعاؤنا باللعن عليه لعن الله من ذبح لغير الله كـأن النـبي -عليه الصـلاة والسـلام- قـال داعيا على من ذبح لغـير الله -جل وعلا- بـاللعن، وهو الطـرد والإبعـاد من رحمة الله -جل وعلا-، هـذا يـدل على أن الـذبح لغـير الله من الكبائر، ومن المعلوم أن اقتران ذنب من الـذنوب بـاللعن يـدل على أنه من الكبائر -من كبائر الـذنوب-، وهـذا ظـاهر من جهة أن الذبح لغير الله شرك بالله -جل وعلا- يستحق صاحبه اللعنة والطرد والإبعاد من رحمة الله -جل وعلا-.

وقولـه: لعن الله من ذبح لغـير الله اللام هـذه يعـني: من أجل غــير الله تقربا إليه وتعظيمــا، فــذبح لغــير الله تقربا إلى ذلك الغير، وتعظيما لذلك الغير، وهذا وجه مناسبة هذا الحـديث لبـاب: "ما جـاء في الـذبح لغـير اللـه" يعـني: من الوعيـد، وأنه شرك، ومن الوعيد أن صاحبه ملعون.

الحديث الآخر، قال:عن طارق بن شهاب أن رسول الله قال: دخل الجنة رجل في ذباب، ودخل النار رجل في ذباب. قالوا: وكيف ذلك يا رسول الله؟ قال: مر رجلان على قوم لهم صنم، لا يجوزه أحد حتى يقرب له شيئا، فقالوا لأحدهما: قَرِّبْ. قال: ليس عندي شيء أقرب. قالوا له: قرب ولو ذبابا. فقرب ذبابا؛ فخلوا سبيله، فدخل النار، وقالوا للآخر: قرب. قال: ما كنت لأقرب لأحد شيئا دون الله -عز وجل-؛ فضربوا عنقه؛ فدخل الجنة رواه مسلم.

وجه الدلالة من هذا الحديث أن التقريب للصنم بالذبح كان سببا لدخول النار، وذلك من حيث ظاهر المعنى أن من فعله كان مسلما، فدخل النار بسبب ما فعل، وهذا يدل على أن الذبح لغير الله شرك بالله -جل وعلا-، شرك أكبر؛ لأن ظاهر قوله: دخل النار يعني: استوجبها مع من يخلد فيها.

ووجه الدلالة -أيضا- أن تقريب هذا الذي لا قيمة له -وهو الذباب- يدل على أن من قرَّب ما هو أبلغ وأعظم منفعة، وأعظم عند أهله، وأغلى أنه سبب أعظم لدخول النار، وقوله هنا: "قرب" يعني: اذبح تقربا، والحق هنا أنهم لم يكرهوهم بالفعل، فالحديث لم يدل على أنهم أكرهوا؛ لأنه قال: مر رجلان على قوم لهم صنم، لا يجوزه أحد حتى يقرب له شيئا فظاهر قوله: لا يجوزه أحد يعني: أنهم لا يأذنون لأحد بمجاوزته عن ذلك الطريق حتى يقرب، وهذا ليس إكراها، إذ

يمكن أن يقول: سأرجع من حيث أتيت، ولا يجوز ذلك الموضع، ويتخلص من ذلك.

وهذا يدل على أن الإكراه بالفعل لم يحصل من أولئك، فلا يدخل هذا في قوله: ؛ لأنه ليس في الحديث دلالة -كما هو ظاهر- على حصول الإكراه ، وإنما قال: مر رجلان على قوم لهم صنم، لا يجوزه أحد حتى يقرب له شيئا   لا يجوزه أحد دل هنا على عدم السماح، وعدم المجاوزة ، هل هو أنه لا يجوزه حتى يقتل، أو يقرب، أو لا يجوزه حتى يقرب ، أو يرجع ؟

بعض العلماء استظهر من قوله في آخر الحديث، من قتلهم لأحد الرجلين أنه لا يجوزه حتى يقتل ، وأن هذا علم بالسياق ، فصار ذلك نوع إكراه؛ لهذا استشكلوا كون هذا الحديث دالا على أن من فعل هذا الفعل يدخل النار مع أنه مكره .

والجواب عن هذا الإشكال: أن هذا الحديث على هذا القول، وهو أنه حصل منهم الإكراه بالقتل، أن هذا الحديث فيمن كان قبلنا، ورفع الإكراه، أو جواز قول كلمة الكفر، أو عمل الكفر مع اطمئنان القلب بالإيمان، هذا خاص بهذه الأمة، هذا أجاب به بعض أهل العلم.

والثاني -وهو ما قدمت-: أن السياق ليس بمتعين على أنهم هددوه بالقتل، وإذا كان غير متعين أنهم هددوه بالقتل، فإنه لا

يحمل على شيء مجمل لم يعين، ودلالة قوله هنا: [illegible] فضربوا عنقه [illegible] يعني: فيمن لم يقرب فدخل الجنة، ربما لأنه أهان صنمهم بقوله: [illegible] ما كنت لأقرب لأحد شيئا دون الله [illegible] ؛ لهذا استشكل هذا الحديث طائفة من أهل العلم، وهو -بحمد الله- ليس فيه إشكال، وهو ما أن يحمل على أنه كان فيمن كان قبلنا، فلا وجه -إذن- لدخول الإكراه، أو يحمل على أنهم لم يكرهوه حين أراد المجاوزة، ولكن قتلوه لأجل قوله: [illegible] لم أكن لأقرب لأحد شيئا دون الله [illegible] .

إذن هذا الباب -وهو قوله: باب: "ما جاء في الذبح لغير الله"- ظاهر في الدلالة على أن التقرب لغير الله -جل وعلا- بالذبح أنه شرك بالله -جل وعلا- في العبادة، فمن ذبح لغير الله تقربا وتعظيما، فهو مشرك الشرك الأكبر المخرج من الملة. نعم.

باب

لا يذبح لله بمكان يذبح فيه لغير

[illegible]

قال المصنف -رحمه الله تعالى-: باب: لا يذبح لله بمكان يذبح فيه لغير الله، وقول الله -تعالى-: [illegible]

[illegible]

وعن [illegible] ثابت بن الضحاك قال: نذر رجل أن ينحر إبلا ببوانة، فسأل النبي فقال هل كان فيها وثن من أوثان الجاهلية يعبد؟ قالوا: لا. قال: فهل كان فيها عيد من أعيادهم؟ قالوا: لا. قال: أوف بنذرك، فإنه لا وفاء بنذر في معصية الله، ولا فيما لا يملك ابن آدم رواه أبو داود، وإسناده على شرطهما.

قال الإمام -رحمه الله-: باب: لا يذبح لله بمكان يذبح فيه لغير الله، وقوله هنا: "لا يذبح لله" هذا على جهة النفي المشتمل على النهي؛ لأن من أساليب اللغة العربية أنه يترك صراحة النهي إلى صريح النفي؛ ليدل بدلالة أبلغ على أن النفي والنهي جميعا مقصودان، فكأنه لا يصح أن يقع أصلا؛ ولهذا أتى بصيغة النفي باب: "لا يذبح لله..."، وقال بعض أهل العلم: يحتمل أن تكون على وجه النهي باب: "لا يذبح لله بمكان يذبح فيه لغير الله"، وقوله: لله، لا يذبح لله، يعني: أن تكون النسيكة، أو أن تكون الذبيحة مراد بها وجه الله -جل وعلا- بمكان يذبح فيه لغير الله.

قال الإمام: بمكان، والباء هنا لها معنى زائد على كلمة في، وهذا المعنى الزائد أنها أفهمت معنى الطريقة، ومعنى المجاورة جميعا؛ لأن الباء تكون للمجاورة -أيضا- كما تقول: مررت بزيد يعني: بمكان قريب من مكان زيد، أو بمكان مجاور لمكان زيد، والظرفية في "في" تفيد أنه في نفس المكان،

واستعمال حرف الباء يفيد أنه مجاور لذلك المكان، وهذان المعنيان جميعا مقصودان، وهو أنه لا يذبح لله بمجاورة المكان الذي يذبح فيه لغير الله، ولا في نفس المكان الذي يذبح فيه لغير الله؛ لأن الجميع فيها اشتراك مع الذين يذبحون لغير الله -جل وعلا.

قال هنا: باب: "لا يذبح لله بمكان يذبح فيه لغير الله" صورة المسألة أن مكانا ما يذبح فيه لغير الله -مثلا- عند قبر، أو عند مشهد، أو عند مكان معظم المشركين، أو الترابيين اعتادوا أن يكون هذا المكان مما يتقربون فيه بالذبح لهذا الصنم، أو الوثن، أو القبر، أو البقعة إلخ، فإذا كانوا يتقربون لهذا المكان للقبر، أو نحوه، ويذبحون لصاحب هذا القبر يعني: من أجله، فإنه لا يحل أن يذبح المسلم الموحد في هذا المكان، ولو كانت ذبيحته مخلصا بها لله -جل وعلا-؛ لأنه يكون قد شابه أولئك المشركين في تعظيم الأمكنة التي يتعبدون فيها بأنواع العبادات، ويصرفونها لغير الله -جلا وعلا-.

فالذبح لله وحده دون ما سواه بإخلاص في المكان الذي يتقرب فيه لغير الله لا يحل، ولا يجوز بل هو من وسائل الشرك، ومما يغري بتعظيم ذلك المكان، وحكمه أنه محرم، ووسيلة من وسائل الشرك.

قال الشيخ -رحمه الله، ورفع درجاته في الجنة-: وقول الله -تعالى-: [illegible] هذا النهي عن القيام في مسجد

الضـــرار الـــذي بنـــاه المنـــافقون □□□□□ □□□□□□□ □□□□□□□ □□□□□□□□□□□ □
□ □ □□□□□ □□□□□□□ □□□ □□□□□□ □□□□□□ □□□□□□ □□□□ □□□□□□□□□□□ مســجد الضــرار أقيم إرصـــادا ومحـــادة لله ولرســـوله، وتفريقا بين المؤمنين، فهو مكان أقيم على الخيانـة، وعلى مضـادة الإسـلام وأهلـــه؛ فلهـــذا لما كـــانت هـــذه هي غاية من أقامـــه، فـــإن مشـــاركتهم فيه بالصـــلاة لا تجـــوز؛ لأنه إقـــرار لهم، أو تكثـــير لسوادهم، وإغراء للناس بالصلاة فيه؛ فنهى الله -جل وعلا- نبيه □ ونهى المؤمنين عن أن يصلوا في مسجد الضرار.

مناسبة الآية للباب ظـاهرة، وهو أن الله -جل وعلا- نهى عن أن يصلي النبي □ في مسجد الضرار، ومعلـوم أن صـلاته -عليه الصـلاة والسـلام-، وصـلاة المؤمـنين معه هي خالصة لله -جل وعلا- دون من سواه، ونهوا مع أنهم مخلصون، ليس عندهم نية الإغـــراء، ولا التفريـــق، ولا الإرصـــاد، لكن نهـــوا لأجل هـــذه المشاركة، والمشابهة التي تغري بإتيان ذلك المكان، وهـذه هي الصـورة الموجـودة في من ذبح لله في مكـان يـذبح فيه لغـير اللـه، فإنه وإن كـان مخلصا لكن دعا إلى تعظيم ذلك المكـان بفعله.

هنا إشكال أو إيراد، وهو أنه جاء الإذن عن الصحابة بالصـلاة بالكنيســة، وقد صـــلى عمر -رضى الله عنـــه- في كنيسة بيت المقـدس، والصـحابة -رضـوان الله عليهم- منهم من صـلى في بعض كنـــائس البلاد، فصـــلاتهم في الكنـــائس لله -جل وعلا-

أليست مشابهة للصلاة في مسجد الضرار؟ أو للذبح لله في مكان يذبح فيه لغير الله ؟.

الجواب: أن هذا الإيراد ليس بوجيه، ذلك أن النهي عن صلاة النبي في مسجد الضرار، وعن الذبح لله في مكان يذبح فيه لغير الله هذا لأجل أن صورة العبادة واحدة، فصورة الذبح من الموحد، ومن المشرك واحدة، وهي إمرار السكين آلة الذبح على الموضع، وإزهاق الدم في ذلك المكان، وهذا يحصل من الموحد، ومن المشرك غير الموحد، فالصورة واحدة؛ ولهذا لا يميز بين هذا وهذا، كذلك صلاة النبي لو صلى، والصحابة في مسجد الضرار، صلاتهم مشابهة من حيث الصورة لصلاة المنافقين، فرجع الاختلاف إلى اختلاف ما في القلب، والنيات ومقاصد القلوب لا تشرح للناس بهذا تقع المفسدة، ولا تحصل المصلحة.

وأما الصلاة في الكنيسة فإن صورة الفعل مختلفة؛ لأن صلاة النصارى ليست على هيئة وصورة صلاة المسلمين، فيعلم من رأى المسلم يصلي أنه لا يصلي صلاة النصارى، وليس فيه إغراء بصلاة النصارى، ومشاركتهم فيها، فهذا الفرق بين المسألتين.

قال: وعن ثابت بن الضحاك -رضى الله عنه- قال: نذر رجل أن ينحر إبلا ببوانة، فسأل النبي فقال: هل كان فيها وثن من أوثان الجاهلية يعبد؟ قالوا: لا. قال: فهل كان فيها عيد من

أعيادهم؟ قالوا: لا. فقال النبي ﷺ أوف بنذرك، فإنه لا وفاء بنـذر في معصـــية اللـــه، ولا فيما لا يملك ابن آدم » رواه أبو داود، وإسناده على شرطهما.

هذا الحديث فيه أن رجلا نذر أن ينحر إبلا ببوانة، بوانة: اسم موضع نــذر أن ينحر في هــذا الموضــع، والنــبي -عليه الصــلاة والسلام- استفصله؛ لأن المقـام يقتضي الاستفصـال، يتبـادر إلى الذهن لِمَ خص هذا الرجل بوانة بـأن ينحر فيها الإبـل؟ لِمَ؟ قد يكـون لأن فيها عيـدا من أعيـادهم؛ أو لأن فيها وثن من أوثـان الجاهلية يعبــد، أو كــان في ذلك الموضــع؛ لأن التخصـيص في الغالب يكون لغرض العبادة، بهذا استفصله النبي ﷺ فقـال: « هل كان فيها وثن من أوثان الجاهلية يعبد؟ قالوا: لا » هـذا السـؤال يـــدل على أنه لو تخلف هـــذا الوصف لم يجـــز، لو وجد هـــذا الوصف، وهو أنه كــان ثم وثن من أوثـان الجاهلية يعبد لم يجز النحر في ذلك الموضع، وهو المراد من إيراد هـذا الحـديث في الباب « هل كان فيها وثن من أوثان الجاهلية يعبـد؟ قـالوا: لا » نســـتفيد من ذلك أنه لو كـــان فيها وثن لمنع ذلك الرجل من النحر، وهو دلالة الترجمة.

قال: « فهل كان فيها عيد من أعيادهم » العيد هو المكان، أو الزمان الذي يعود، أو يعاد إليه، فالعيد يكـون مكانيـا؛ لأنه اسم للمكان الذي يعتاد المجيء إليه، ويرجع في وقت معتـاد؛ ولهـذا قال النبي -عليه الصلاة والسلام- في المكان: « لا تجعلـوا قـبري

عيدا يعني: هذا المكان لا تجعلوه مكانا تعتادون المجيء إليـه، وكذلك الأزمنة تكون أعيادا؛ لأنها تعود في وقت معين، فقوله: هل كان فيها عيد من أعيادهم يعني: عيد مكاني؛ لأنه قــال: هل كان فيها عيد من أعيادهم فيحتمل -أيضا- أن يكون عيــدا زمانيـا، وأعيـاد المشـركين من جهة الأمكنـة، أو الأزمنة معلـوم أنها راجعة إلى أديانهم، ودينهم شركي.

فإذن يكون المعـنى أنهم يتعبـدون في تلك الأعيـاد بعبـاداتهم الشركية، ومن تلك الأعياد، أو مما يفعل في أعيـاد المشـركين، وأعظم ما يفعل التقـرب بالـذبح وإراقة الـدماء؛ فـدل على أن مشاركة المشـركين في مكـان يتقربـون فيه لغـير الله بصـورة مشابهة لفعلهم ظاهرا أن هـذا لا يجـوز؛ لأنه مشـاركة لهم في الفعل الظاهر، ولو كان مخلصا لا يذبح إلا للـه، أو لا يصـلي إلا لله -جل وعلا-.

فقـال رسـول الله   أوف بنـذرك، فإنه لا وفـاء لنـذر في معصية الله قـال العلمـاء: قولـه: هنا فإنه لا وفـاء لنـذر في معصـية الله تـرتيب ما بعد الفـاء على ما قبلها بالفـاء، يـدل على أن سـبب الإذن بالوفـاء بالنـذر أن ما قبله ليس بمعصـية، والاستفصال يـدل على أن الـذبح لله في مكـان فيه وثن يعبـد، أو في عيد من أعياد المشركين يدل ذلك على أنه معصــية لله -جل وعلا-، وبهــذا يســتقيم ما أراده الشــيخ -رحمه اللــه- من الاستدلال والاستشهاد بهذا الحديث تحت ذلك الباب.

باب

من الشرك النذر لغير الله

قَـالَ -رَحِمَـهُ اللَّهُ تَعَـالَى- بـاب: "من الشـرك النـذر لغـير الله -تعالى-، وقول الله -تعالى-: [illegible] وقوله: [illegible] وفي الصحيح عن عائشة -رضي الله عنها- قالت: قـال رسـول الله [illegible] [illegible] من نـذر أن يطيع الله فليطعـه، ومن نـذر أن يعصي الله فلا يعصه [illegible] .

قـال: بـاب: "من الشـرك النـذر لغـير اللـه" ، "من الشـرك" "من" هاهنا تبعيضية، من الشرك النذر، النذر مبتدأ مؤخر، النذر لغير الله كائن من الشـرك، والشـرك هنا المقصـود به الشـرك الأكبر، النذر لغير الله شرك أكـبر بالله -جل وعلا-، ووجه كـون النـذر شـركا بالله -جل وعلا- أن النـذر المطلق والمقيد إيجـاب عبادة على المكلف؛ لأن النـذر هو إلـزام المكلف نفسه بعبـادة لله -جل وعلا-، هـذه حقيقة النـذر، فالنـذر إلـزام بالعبـادة، فهو عبادة، ويلزم المرء نفسه بعبادة إما مطلقا، أو بقيد.

ويـدل -أيضـا- على أن النـذر عبـادة أن الله -جل وعلا- مـدح الذين يوفون بالنذر، فقال: [illegible]

[illegible] فهذا يدل على أن الوفاء بالنذر أمر مشروع واجب، أو مستحب، وهو محبوب لله -جل وعلا-، يعني: من حيث الدلالة، وإلا فإن الوفاء بالنذر واجب؛ لأنه إلزام بطاعة، فقد قال -عليه الصلاة والسلام-: «من نذر أن يطيع الله فليطعه» .

فإذن الوفاء بالنذر مدح الله أهله، وإذا كان كذلك فيكون عبادة؛ لأنه محبوب لله -جل وعلا-، وكذلك قوله: [illegible] هذا يدل على محبة الله -جل وعلا- لذلك الذي حصل منهم تعظيما لله -جل وعلا- بالنذر، وإذا كان كذلك فإنه عبادة من العبادات، وإذا صرف النذر لغير الله -جل وعلا- كان شركا بالله -جل وعلا-.

وهاهنا سؤال معروف في هذا المقام، وهو أن النذر مكروه، قد كره النبي ﷺ النذر، وسئل عنه فكرهه، وقال: «إنه لا يأتي بخير» فكيف -إذن- يكون عبادة، وقد كرهه -عليه الصلاة والسلام -؟.

والجواب: أن النذر قسمان: نذر مطلق، ونذر مقيد، والنذر المطلق هو أن يلزم العبد نفسه بعبادة لله -جل وعلا- هكذا بلا قيد، يعني: يقول -مثلا-: لله علي نذر أن أصلي ركعتين، ليس في مقابلة شيء يحدث له في المستقبل، أو شيء حدث له، فيلزم نفسه بعبادة صلاة، أو عبادة صيام، أو

نحو ذلـك، فهـذا النـذر المطلـق، وهو إلـزام العبد نفسه بطاعة لله -جل وعلا- أو بعبـادة، ليس هو الـذي كرهه -عليه الصـلاة والسلام-؛ لأن الذي كرهه وصـفه بقولـه: إنما يسـتخرج به من البخيل وهذا هو النذر المقيد الـذي يجعل إلـزام نفسه بطاعة لله -جل وعلا- مقابلا بشـيء يحدثه الله -جل وعلا- لـه، ويقـدره ويقضيه له.

يقول -مثلا-: إن شفى الله مريضي فلله علي نذر أن أتصدق بكذا وكذا، إن نجحت فأصلي ليلة، إن عُينت في هذه الوظيفة، فسأصوم أسبوعا، ونحو ذلك، فهذا كأنه يشـترط به على الله - جل وعلا- فيقول: يا رب إن أعطيتني كذا وكـذا صـمت لـك، إن أنجحتـني صـليت أو تصـدقت، إن شـفيت مريضي فعلت كـذا وكذا، وهذا بالمقابلة، وهذا هو الذي وصفه النـبي -عليه الصـلاة والسـلام- بقولـه: إنما يسـتخرج به من البخيل ؛ لأن البخيل هو الذي لا يعمل العبادة حتى يقاضى عليهـا، فصـار ما أعطـاه الله من النعمـــــة، أو دفع عنه من النقمة كأنه في حس ذلك الناذر قد أعطي الأجر، وأعطي ثمن تلك العبادة.

وهذا يستحضره كثير من العوام، والـذين يسـتعملون النـذور، فإنهم يظنون أن حاجـاتهم لا تحصل إلا بالنـذر، وقد قـال شـيخ الإسلام -رحمه اللـه-، وغـيره من أهل العلم: إن من ظن أنه لا تحصل حاجة من حاجاته إلا بالنذر فإنه في اعتقـاد محـرم؛ لأنه ظن أن الله لا يعطي إلا بمقابـل، وهـذا سـوء ظن بالله -جل

وعلا-، وسوء اعتقاد فيه -سبحانه وتعالى-، بل هو المتفضل المنعم على خلقه.

فإذن إذا تبين ذلك فالنذر المطلق لا يدخل في الكراهة، وإذا قلنا النذر عبادة، فننظر فيه إلى جهة المطلق، وإلى جهة عدم التقييد فيما إذا قيد، ووفَّى بالنذر، فإنه يكون قد تعبَّد الله بتلك العبادة، وألزم نفسه بها؛ فيكون النذر على ذلك نذرا يظهر أنه عبادة لله -جل وعلا-.

والكراهة إنما جاءت لصفة الاعتقاد لا لصفة أصل العبادة، فإنه في النذر المقيد إذا قال: إن كان كذا وكذا فلله علي نذر كذا، وكذا الكراهة راجعة إلى ذلك التقييد لا إلى أصل النذر، دل على ذلك التعليل حيث قال: فإنما يستخرج به من البخيل .

إذن فلا إشكال إذن، والنذر عبادة من العبادات العظيمة، وهنا قاعدة في أنواع الاستدلال على أن عملا من الأعمال صرفه لغير الله -جل وعلا- شرك أكبر، وذلك أن الاستدلال له نوعان، فكل دليل من الكتاب أو السنة فيه إفراد الله بالعبادة، يكون دليلا على أن كل عبادة لا تصلح إلا لله، هذا نوع من الأدلة، كل دليل فيه إفراد لله -جل وعلا- بالعبادة يصلح أن تستدل به على أن عبادة ما لا يجوز صرفها لغير الله -جل وعلا-، بأن تقدم، بأن تقول: دل الدليل على وجوب صرف العبادة لله وحده، وعلى أنه لا يجوز صرف العبادة لغير الله -

جل وعلا-، وأن من صـرفها لغـير الله -جل وعلا- فقد أشـرك، وتلك العبادة الخاصة -مثلا- عندنا هنا النذر تقول: هذه عبادة من العبادات فهي داخلة في ذلك النوع من الأدلة.

والنوع الثاني من الاسـتدلال أن تسـتدل على المسـائل بأدلة خاصة، وردت فيهـا، تسـتدل على الـذبح بأدلة خاصة وردت في الذبح، تستدل على وجوب الاستغاثة بالله وحـده دون ما سـواه على أدلة خاصة بالاسـتغاثة، وعلى أدلة خاصة بالاسـتعانة، ونحو ذلك.

فـإذن الأدلة على وجـوب إفـراد الله بجميع أنـواع العبـادة تفصيلا وإجمالا، وعلى أن صرفها لغير الله شرك أكـبر يسـتقيم بهذين النوعين من الاستدلال، استدلال عام بكل آية، أو حـديث فيها الأمر بإفراد الله بالعبادة، والنهي عن الشرك، فتدخل هذه الصورة فيها؛ لأنها عبادة بجامع تعريف العبادة.

والثاني أن تسـتدل على المسـألة بخصـوص ما ورد فيها من الأدلة، بهذا قال الشيخ -رحمه الله- هنا: باب: "من الشرك النذر لغـير اللـه"، واسـتدل عليها بخصـوص أدلة وردت في النـذر، والآيـات الـتي قـدمها في أول الكتـاب كقوله -جل وعلا-: [illegible] وكقوله: [illegible] وكقوله: [illegible] وكقوله: [illegible].

هذه أدلة تصلح بـأن تسـتدل بها على أن صـرف النـذر لغـير الله شرك، فتقول: النذر لغير الله عبـادة، والله -جل وعلا- نهى أن تصرف العبادة لغيره، وأن من صرف العبادة لغـير الله فهو مشرك، وتقول: النذر عبـادة؛ لأنه كـذا وكـذا؛ لأنه داخل في حد العبادة حيث إنه يرضاه الله -جل وعلا-، ومدح الموفين به.

الـدليل الخـاص أن تسـتدل بخصـوص ما جـاء في الكتـاب والسـنة من الأدلة على النـذر؛ ولهـذا الشـيخ هنا أتى بالـدليل التفصيلي، وفي أول الكتاب أتى بالأدلة العامة على كل مسائل العبـادة، وهـذا من الفقه الـدقيق في التصـنيف، وفقه الأدلة الشـرعية، من أن المسـتدل على مسـائل التوحيد ينبغي له أن يدرك التنويع؛ لأن في تنويع الاسـتدلال، وإيـراد الأدلة من جهـة، ومن جهة أخرى، وثالثة، ورابعة ما يضعف حجة الخصوم الـذين يـدعون النـاس لعبـادة غـير اللـه، وللشـرك به -جل وعلا-، وإذا أتيت مرة بدليل عام ، ومرة بدليل خاص، ونوَّعت فإنه يضـيق، أما إذا كـان ليس ثَمَّ إلا دليل واحد فربما أوَّله لـك، أو ناقشك فيـه؛ فيحصل ضـعف عند المسـتدل، أما إذا انتبه لمقاصد أهل العلم، وحفظ الأدلة، فإنه يقوى على الخصوم، والله -جل وعلا- وعد عبـــــــاده بالنصر [illegible] .

وقد قال الشيخ -رحمه الله- في "كشف الشبهات": "والعامي من الموحدين يغلب الألف من علماء المشركين"، وهذا صحيح فإن عند العوام الذين علموا مسائل التوحيد، وأخذوها عن أهلها عندهم من الحجج، ووضوح البينات

في ذلك ما ليس عند بعض المتعلمين.

قال: وقول الله -تعالى-: ﴿ [illegible] ﴾ وجه الاستدلال ظاهر، وهو أن الله -جل وعلا- مدح الموفين للنذر، ومدحه للموفين بالنذر يقتضي أن هذه العبادة محبوبة له -جل وعلا-، وأنها مشروعة، وما كان كذلك فهو من أنواع العبادات، فيكون صرفه لغير الله -جل وعلا- شرك أكبر.

كذلك قوله: ﴿ [illegible] ﴾ دال على أن النذر عظَّمه الله -جل وعلا- بقوله: ﴿ [illegible] ﴾ وعظَّم أهله، وهذا يدل على أن الوفاء به عبادة محبوبة لله -جل وعلا-.

قال: وفي الصحيح عن عائشة -رضي الله عنها-: « من نذر أن يطيع الله فليطعه، ومن نذر أن يعصي الله فلا يعصه » .

قال: وفي الصحيح عن عائشة -رضي الله عنها-: « من نذر أن يطيع الله فليطعه، ومن نذر أن يعصي الله فلا يعصه » وجه الدلالة من هذا الحديث أن النبي ﷺ أوجب الوفاء بالنذر، فقال: « من نذر أن يطيع الله فليطعه » وذلك إيجاب الوفاء

بالنذر الذي يكون على طاعة ، كأن يقــول: لله عليَّ أن أصــلي كذا أو كذا، وهذا يجب عليه أن يوفي بهذا النذر.

أو يكون نذرا مقيدا فيقول: إن شفى الله مريضي فلله عليَّ أن أتصدق بمائة ريال، فهذا يجب عليه أن يوفي بنذره لله جل وعلا.

وإيجاب ذلك يـدل على أنه عبـادة محبوبـة؛ لأن الـواجب من أنـواع العبـادات، وأنَّ ما كـان وسـيلة إليه بأنه أيضا عبـادة؛ لأن الوسـيلة للوفـاء بالنـذر هو النـذر؛ فلـولا النـذر لم يـأت الوفـاء، ومتى أوجب الوفاء لأجل أن المكلف هو الذي ألزم نفسه بهذه العبادة قـال: «ومن نـذر أن يعصي الله فلا يعصه» لأن إيجـاب المكلف على نفسه معصـية الله -جل وعلا- هـذه معارِضة لنهي الله - جل وعلا- عن العصيان.

وإذا نذر العبد العصيان، فإن النـذر كما هو معلـوم في الفقه قد انعقـــد، ويجب عليه أن لا يفي بفعل تلك المعصـــية، لكن يجب عليه أن يكفر عن ذلك كفـــارة يمين ، ومحل ذلك بـــاب النذر في كتب الفقه.

المقصــود من هنا أن اســتدلال الشــيخ -رحمه اللــه- بالشق الأول، وهو قوله: «من نذر أن يطيع الله فليطعه» وهذا ظـاهر ، وذلك قوله «من نـــذر أن يعصي الله فلا يعصه» فـــأوجب عليه كفارة يمين، فهـذا يـدل على أن أصـله منعقـد، فإنه عُقِـدَ

لكونه عبادة، وإذا كانت عبادة فصرفُها لغير الله شرك أكــبر به جل وعلا.

النــذر لله -جل وعلا- عبـادة عظيمة كما ذكرنـا، والنـذر لغـير الله -جل وعلا- أيضا عبادة ، فإذا توجه النـاذر لغـير الله بالنـذر فقد عبده، وإذا توجه الناذر لله -جل وعلا- بالنــذر فقد عبد الله -جل وعلا- فالنـذر إذا كـان لله أو كـان لغـير الله فهو عبـادة ، فإذا كان لله فهو عبادة لله -جل وعلا- وإذا كـان لغـير الله فهو عبادة لذلك الغير.

ونكتفي بهذا القدر، وأسأل الله -جل وعلا- لي ولكم الانتفــاع ، وصلى الله وسلم وبارك على نبينا محمد.

باب

من الشرك الاستعاذة بغير الله

الحمد لله رب العـــالمين، والصـــلاة والســـلام على أشـــرف المرسلين، نبينا محمد وعلى آله وصـحبه أجمعين، قـال المصـنف -رحمه الله تعـالى-: بـاب من الشـرك الاسـتعاذة بغـير الله تعـالى، وقول الله تعالى: [illegible] وعن خولة بنت حكيم -رضي الله عنها- قالت: قال رسول الله [illegible] من نزل منزلا فقال: أعوذ

بكلمات الله التامات من شر ما خلق، لم يضره شيء حتى يرحل من منزله ذلك رواه مسلم.

الحمد لله رب العالمين، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، الملك الحق المبين، وصلى الله وسلم وبارك على نبينا محمد، نشهد له بالرسالة، وبأنه بلغها وأدى الأمانة، ونصح الأمة، وجاهد في الله حق الجهاد، وتركنا بعده على بيضاء ليلها كنهارها لا يزيغ عنها إلا هالك، صلى الله وسلم على نبينا محمد، وعلى آله وصحبه ، وسلم تسليما كثيرا إلى يوم الدين.

أما بعد ، فهذا الباب ترجمه الإمام -رحمه الله تعالى- بقوله: باب من الشرك الاستعاذة بغير الله، وهذا الباب مع الباب الذي قبله، والأبواب أيضا التي سلفت كلها في بيان قصد هذا الكتاب، وبيان الغرض من تأليفه، وأن التوحيد إنما يعرف بضده، فمن طلب التوحيد فليطلب ضد التوحيد؛ لأنه - أعني: التوحيد - يجمع بين الإثبات والنفي، يجمع بين الإيمان بالله، وبين الكفر بالطاغوت.

فمن جمع بين هذين فإنه قد عرف التوحيد، ولهذا الشيخ -رحمه الله- فصَّل في أفراد توحيد العبادة، وفصَّل في أفراد الشرك، فبيَّن أصناف الشرك الأصغر القولي والعملي وبيَّن أصناف الشرك الأكبر العملي والاعتقادي، فذكر الذبح لغير الله، وذكر النذر لغير الله، والذبح والنذر عبادتان عظيمتان، وعبادة

الذبح وعبادة النذر ظاهرة، عبادة الذبح فعلية عملية، والنذر قولية إنشاء، وعملية وفاء، فذكر العمليات، أو الذبح من العمليات يعني: من أنواع الشرك الأكبر التي يكون من جهة العمل.

وذكر النذر لغير الله، وهو يحصل بالقول، والذبح والنذر العمل والقول، كل منهما معه اعتقاد تعظيم المخلوق كتعظيم الله -جل وعلا- [illegible] وقال: [illegible] [illegible] .

وعطف على ذلك باب من الشرك الاستعاذة بغير الله، والاستعاذة بغير الله تكون بالقول الذي معه اعتقاد فهي مناسبة لأنْ تكون بعض باب من الشرك النذر لغير الله.

وقوله رحمه الله: من الشرك "من" هنا تبعيضية كما ذكرنا فيما سبق من الأبواب ، وهذا الشرك هو الشرك الأكبر لله -جل وعلا- من الشرك الأكبر هو الاستعاذة بغير الله ؛ لأن الألف واللام أو اللام وحدها تعمل على الشرك هذه تعود إلى المعبود، وهو أن الاستعاذة بغير الله شرك أكبر بالله جل جلاله.

الاستعاذة: طلب العياذ، يقال: استعاذ إذا طلب العياذ، والعياذ طلب ما يؤمِّن من الشر ، الفرار من شيء مخوف إلى ما يؤمن منه ، أو إلى من يؤمن منه، ويقابلها اللياذ: وهو

الفـرار إلى طلب الخـير أو التوبة والاعتصـام، والإقبـال لطلب الخير، ومادة استفعل مثل ما هنا استعاذ، وكما سيأتي اسـتغاث استعان ونحو هذه المادة هي موضوعة في الغالب للطلب.

فغـالب مجيء السـين والتـاء للطلب: استسـقى إذا طلب السـقيا، واسـتغاث إذا طلب الغـوث، واسـتعاذ إذا طلب العيـاذ. قلنا: في الغالب؛ لأنها تأتي أحيانا للدلالة على كثرة الوصف في الفعل كما في قوله جل وعلا: [illegible] استغنى ليس معناها طلب الغـنى، وإنما جـاء بالسـين والتـاء هنا للدلالة على عظم الاتصـاف في بالوصف الـذي اشـتمل عليه الفعـل، وهو الغنى.

فهـذه المـادة: اسـتعاذ، اسـتغاث، اسـتعان، وأشـباه ذلك فيها طلب. والطلب من أنواع التوجه والـدعاء، إذا طلب فـإن هنـاك مطلوب منه، والمطلـوب منه لما كـان أرفع درجة من الطـالب كان الفعل المتوجه إليه يسمى دعـاء، ولهـذا في حقيقة اللغـة، وفي دلالة الشرع ، الاستعاذة طلب العوذ، أو طلب العياذ، وهو الـدعاء المشـتمل على ذلك ، الاسـتغاثة: طلب الغـوث ، دعـاء مشـتمل على ذلـك، وهكـذا في كل ما فيه طلب نقـول: إنه دعاء.

وإذا كان دعاء فإنه عبـادة والعبـادة لله -جل وعلا- بالإجمـاع، وبما دلت عليه النصوص: [illegible]

إذن فكل فعل من الأفعال أو قول من الأقــوال فيه طلبٌ عبــادة، لم؟ لأنه دعــاء؛ لأن كل طلب دعاء.

فالذي يطلب شيئا إذا طلبه من مقارن، فيقال: هذا التمـاس. وإذا طلبه ممن هو دونه يقــال: هــذا أمــر، وإذا طلبه ممن هو أعلى منه فهذا دعاء، والمستعيذ والمستغيث لا شك أنه طـالب ممن هو أعلى منه؛ لحاجته إليه؛ فلهذا كل دليل فيه ذكر إفراد لله -جل وعلا- بالــدعاء أو بالعبــادة دليل على خصــوص هــذه المسألة، وهي أن الاستعاذة عبادة من العبـادات العظيمـة، وإذا كانت كذلك فإن إفراد الله بها واجب.

قال هنا: من الشرك الاستعاذة بغـير اللـه، وقولـه: الاسـتعاذة بغير الله. هذا الغير يشـمل كل ما يتوجه النـاس إليه بالشـرك، ويدخل في ذلك بالأولية ما كان المشركون الجاهليون يتوجهـون إليه بـــذلك من الجن، ومن الملائكـــة، ومن الصـــالحين، ومن الأشجار والأحجار، ومن الأنبياء والرسل إلى غير ذلك.

هل قوله هنا: باب من الشرك الاستعاذة بغير الله ، هل هـذا المقصـود منه أن الاسـتعاذة جميعها لا تصـلح إلا للـه، وأنه لو اســتعاذ بمخلــوق فيما يقــدر عليه أنه يــدخل في الشــرك ؟ الجواب هنا فيه تفصيل، ومن أهل العلم من قـال: الاسـتعاذة لا تصلح إلا لله وليس ثَمَّ استعاذةٌ بمخلـوق فيما يقـدر عليـه؛ لأن

الاستعاذة توجه القلب، واعتصامه والتجـاؤه رغبة ورهبـة، فهـذه المعاني جميعا لا تصلح إلا لله جل وعلا.

وقال آخرون: قد جاءت أدلة بأنه يستعاذ بالمخلوق فيما يقدر عليه؛ لأن حقيقة الاستعاذة طلب انكفاف الشر، طلب العيـاذ ، وهو أن يعـاذ من شر حـدق بـه، وإذا كـان كـذلك قد يكـون للمخلوق شيئا من ذلك. قالوا: فإذن تكـون الاسـتعاذة بغـير الله شركا أكبر إذا كان ذلك المخلـوق لا يقـدر على أن يعيـذ، أو لا يقدر على الإعاذة مما طَلَبَ إلا الله جل وعلا.

والذي يظهر من ذاك أن المقام كما ذكرت لك فيه تفصـيل؛ وذاك أن الاستعاذة منها عمل ظاهر؛ وفيها عمل باطن، فالعمل الظاهر أن يطلب العون ، أن يطلب العيـاذ وهو أن يُعْصَـم من هذا الشر، أو ينجو من هذا الشر، وفيها عمل باطن، وهو توجه القلب وسـكينته واضـطراره، وحاجته إلى هـذا المُسْـتَعَاذ به ، واعتصامه بهذا المستعاذ به وتفويض أمر نجاته إليه.

إذا كان هذا في الاستعاذة، فـإذن نقـول: الاسـتعاذة لا تصـلح إلا لله ، يعـني: لا تصـلح إلا بالله ، لا يُسْـتعاذ بمخلـوق مطلقـا، يعـني: به أنه لا يسـتعاذ به من جهة النـوعين جميعـا؛ لأن منه القلب يعـني: النـوعين معـا؛ لأن منه عمل القلب، وعمل القلب الذي وُصِفَ بالإجماع لا يصلح إلا لله جل وعلا.

وإذا قيل: الاستعاذة تصلح للمخلـوق فيما يقـدر عليـه، تصـلح بالمخلوق فيما يقـدر عليـه، فهـذا لِمَا جـاء في بعض الأدلة من

الدلالة على ذلك ؛ وهــذا إنما يــراد منه الاســتعاذة بــالقول ، ورغب القلب في أن يَخْلُصَ مما هو فيه من البلاء، وهذا يجــوز أن يتوجه به إلى المخلوق، فإذن حقيقة الاستعاذة تجمع الطلب الظاهر، وتجمع المعنى الباطن.

ولهــذا اختلف أهل العلم فيهــا، فالــذي ينبغي أن يكــون منك دائما على ذِكْرٍ أن توجه أهل العبادات الشركية المشركين لمن يشــركون به من الأوليــاء، أو الجن، أو الصــالحين أو الطــالحين، أو غــير ذلك أنهم جمعــوا بين القــول باللســان، وبين أعمــال القلوب التي لا تصلح إلا لله جل وعلا.

وبهذا يبطل ما يقوله أولئك الخرافيون من أن الاستعاذة بهم إنما هي فيما يقدرون عليه، وأن الله أقدرهم على ذلك، فيكون إبطال مقالهم راجع إلى جهتين:

الجهة الأولى: أن يبطل قولهم في الاستعاذة وفي أشباهها أن هــذا الميت أو هــذا الجــني يقــدر على هــذا الأمــر، وإذا لم يقتنع بذلك، أو حصل هنا إيراد اشتباه فيــه، فــالأعظم أن يتوجه المــورد للأدلة الســنية، أن يتوجه إلى أعمــال القلب. وأن هــذا الـــــذي توجه إلى ذلك الميت أو الـــــولي قد قـــــام بقلبه من العبوديات ما لا يصلح إلا لله جل جلاله.

إذن فنقــول الاســتعاذة بغــير الله شــرك أكــبر؛ لأنها صــرف للعبادة لغير الله، صرف العبادة لغير الله -جل جلاله- فإن كــان ذلك في الظـــــاهر مع طمأنينة القلب بالله ، وتوجه القلب إلى

الله، وحسن ظنه بالله، وأن هذا العبد إنما هو سبب، وأن القلب مطمئن فيما عند الله، فإن هذه تكون استعاذة في الظاهر، وأما القلب فإنه لم تقم به حقيقة الاستعاذة، وإذا كان كذلك كان هذا جائزا.

قال -رحمه الله- وقول الله تعالى: [illegible] و"أنه" هذه معطوفة على أول السورة وهو ما أوحى الله جل وعلا إلى نبيه: [illegible] ثم بعد بآيات [illegible] .

ومعنى رهقا هنا يعني: خوفا واضطرابا في القلب، أوجد لهم الإرهاق والرهق في الأبدان، وفي الأرواح، فلما كان كذلك تعاظمت الجن وزاد شرها، قال: [illegible] .

وقد كان المشركون إذا نزلوا بواد أو بمكان مخوف كانوا يعتقدون أن لكل مكان مخوف جن أو سيد من الجن يخدم ذلك المكان، هو له ويسيطر عليه، فكانوا إذا نزلوا واديا أو مكانا قالوا: نعوذ بسيد هذا الوادي من سفهاء قومه .

يعنون الجن ، فعاذوا بالجن؛ لأجل أن يُكَفَّ عنهم الشر مدة مقامهم؛ لهذا قال جل وعلا: [illegible]

فزادوهم يعني زاد الجنُ الإنسَ خوفا واضطرابا وتعبا في الأنفس، وفي الأرواح.

وإذا كـــان كـــذلك كـــان هـــذا مما هو من العقوبة عليهم، والعقوبة إنما تكـــون على ذنب، فـــدلت الآية على ذم أولئـــك، وإنما ذموا؛ لأنهم صرفوا تلك العبادة لغـير الله -جل وعلا- والله سبحان أمر أن يستعاذ به دون ما سواه.

وقال سبحانه: وقال وقـال: والآيات في ذلك كثيرة فقوله: فعلم من التنصيص على المسـتعاذ بـه، وهو الله -جل وعلا- على أن الاستعاذة حصلت بالله وبغيره، وأن الله أمر نبيه أن تكون استعاذته به وحده دون ما سواه .

وذكـرت لكم أصل الـدليل في ذلـك، وأن الاسـتعاذة عبـادة، وإذا كـــانت عبـــادة فتـــدخل فيما دلت عليه الآيـــات من إفـــراد العبادة لله وحده.

قال: وعن خولة بنت حكيم قالت: سمعت رسول الله .

قبل ذلك في قوله: ثَمَّ قولٌ آخر وهو قول قتادة وبعض السلف من أن "رهقا" معناها إثما، فـزادوهم إثما. وهذا أيضا ظـاهر من جهة الاسـتدلال إذا كـانت الاسـتعاذة موجبة للإثم فهي إذن عبـادة إذا صُـرِفَت لغـير اللـه، وعبـادة

مطلوبة إذا صُـرفِت لله -جل جلالـه- وهـذا يسـتحيل مع ترجمته من أن الاستعاذة بغير الله شرك .

قــال: وعن خولة بنت حكيم قــالت: سـمعت رسـول الله يقول: من نزل منزلا فقال: أعوذ بكلمات الله التامات من شر ما خلق لم يضـره شـيء حـتى يرحل من منزله ذلك رواه مسلم.

وجه الدلالة من هــذا الحــديث أن النــبي بيَّن فضل الاسـتعاذة بكلمـات الله فقـال: من نـزل مـنزلا فقـال: أعـوذ بكلمـات الله التامـات من شر ما خلق وجعل المسـتعاذ منه المخلوقات الشريرة، والمستعاذ به هو كلمات الله.

وقد اسـتدل أهل العلم حين نـاظروا المعتزلة وردوا عليهم اسـتدلوا بهـذا الحـديث على أن كلمـات الله ليست بمخلوقـة؛ قالوا: لأن المخلوق لا يُسْتَعاذ به، والاستعاذة به شـرك كما قاله الإمام أحمد وغيره من أئمة السنة.

فوجه الدلالة من الحديث إجماع أهل السـنة على الاسـتدلال به على أن الاستعاذة بالمخلوق شرك، وأنه لما أمر بالاسـتعاذة بكلمات الله، فإن كلمات الله -جل وعلا- ليست بمخلوقة.

قال: من نزل منزلا فقـال: أعـوذ بكلمـات الله التامـات من شر ما خلق المقصود بكلمات الله التامـات هنا الكلمـات الكونية الـتي لا يجـاوزهن بر ولا فـاجر، وهي المقصـودة بقوله جل وعلا:

[illegible] وبقوله: [illegible]

[illegible]

[illegible] وفي القراءة الأخرى "وتمت كلمات ربك صدقا وعدلا" هـذه الآية في الكلمات الشرعية وكذلك في الكلمات الكونية.

إذن فقولـه: ﴿ أعـوذ بكلمـات الله التامـات ﴾ يعـني: الكلمـات الكونية ﴿ من شر ما خلق ﴾ يعـني: من شر الـذي خلقه الله -جل وعلا- وهذا العموم المقصود منه من شر المخلوقـات الـتي فيها شر، وليست كل المخلوقات فيها شر، فَثَمَّ مخلوقات طيبة ليس فيها شر؛ الجن والملائكة والرسل والأنبياء والأولياء.

وهناك مخلوقـات خلقت وفيها شر فاسـتُعِيذَ بالله -جل وعلا- بكلمـات الله -جل وعلا- من شر الأنفس الشـريرة والمخلوقـات التي بها شر. نعم.

باب

من الشرك أن يستغيث بغير الله، أو يدعو غيره

قَالَ -رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى-: باب من الشرك أن يستغيث بغـير اللـه، أو يدعو غيره وقول الله -تعالى-: [illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible] .

وقول الله تعالى: [illegible] وقول الله تعالى: [illegible] .

وقول الله تعالى: [illegible] وروى الطبراني بإسناده أنه [illegible] كان في زمن النبي [illegible] منافق يؤذي المؤمنين فقال بعضهم: قوموا بنا نستغيث برسول الله [illegible] من هذا المنافق. فقال النبي [illegible] إنه لا يُسْتَغَاث بي إنما يستغاث بالله [illegible] .

قوله: باب من الشرك أن يستغيث بغير الله أو يدعو غيره- من الشرك -كما ذكرنا فيما سبق- يعني: الشرك الأكبر أن يستغيث يعني الاستغاثة؛ لأن "أنْ" مع الفعل تؤول بمصدر، باب من الشرك الاستغاثة بغير الله أو استغاثة بغير الله ودعاء أو دعوة غيره أو دعاء غيره.

وهذا ظاهر في أن الاستغاثة كما ذكرنا طلب، والطلب نوع من أنواع الدعاء ؛ ولهذا قال العلماء: إن في قوله: أو يدعو

غيره بعد أن يستغيث بغير الله فيه عطفا للعـام على الخـاص؛ ومن المعلوم أن الخـاص قد يعطف على العـام، وأن العـام قد يعطف على الخاص.

وقوله: أن يستغيث بغير الله ، هـذا أحد أفـراد الـدعاء، كما ذكرنا بأن الاستغاثة طلب والطلب دعـاء. أو يـدعو غـيره ، هـذا عام الذي يشمل الاستغاثة ويشمل الاسـتعاذة ويشـمل أصـناف، يشمل أصنافا كثيرة من أنواع الدعاء.

أن يستغيث، الاستغاثة هي طلب الغوث والغوث يحصل لمن وقع في شدة وكـرب يخشى معه المضـرة الشـديدة، أو الهلاك فيقـال: أغاثه إذا فـزع إليه وأعانه على ما به وخلَّصه منـه، كما قـــــال جل وعلا في قصة موسى [illegible] يعني: من كـان من شـيعة موسى طلب الغـوث من موسى على من كان عدوا لهما جميعا؛ فأغاثه موسى عليه السلام.

فإذن الاستغاثة طلب الغوث، وطلب الغوث لا يصلح إلا للـه؛ إلا من الله فيما لا يقدر عليه إلا الله -جل جلاله- لأن الاستغاثة يمكن أن تطلب من المخلوق؛ لأنه يقدر عليها.

بعض العلماء يقول: نضبط ذلك بقولنا: الاسـتغاثة شـرك أكـبر إذا استغاث بـالمخلوق فيما لا يقـدر عليه ذلك المخلـوق، وقـال آخرون: الاستغاثة شرك أكبر إذا استغاث بالمخلوق فيما لا يقدر

عليه إلا اللـه، وهاتـان مختلفتـان والأصح منهما الأخـيرة ؛ لأن المـرء إذا اسـتغاث بـالمخلوق فيما لا يقـدر عليه إلا اللـه، والمخلوق يعلم أن هذا لا يقدر عليه إلا اللـه، فإنه شـرك أكـبر بالله -جل وعلا- أو في حقيقة الأمر أنه لا يقدر عليه إلا الله.

أما قـول من قـال من أهل العلم: إن الاسـتغاثة شـرك أكـبر إذا استغاث بالمخلوق في ما لا يقدر عليه، فـإن هـذا يـرد عليه أن ثمة أشياء قد يكون في الظاهر يقدر عليها المخلـوق، ولكن في الحقيقة لا يقـدر عليهـا؛ فـإذن يكـون هـذا الظـاهر غـير منضبط، لأن -مثلا- مَن وقع في شدة، وهو في غرق مثلا.

وتوجه لرجل يراه بأنه يغثيه فقال: أستغيث بك، أستغيث بك، أستغيث بك، وذاك لا يُحْسِـن السـباحة، ولا يُحْسِـن الإنجـاء من الغرق ، فهذا اسـتغاث بـالمخلوق فيما لا يقـدر عليه المخلـوق، فهل يكـون شـركا أكـبر؟ لا، لِمَ؟ لأن الإغاثة عـادة من الغـرق ونحوه يصلح أن يكـون المخلـوق قـادرا عليهـا، فيكـون الضـابط الثـاني هو الصـحيح، وهو أن يقـال: الاسـتغاثة شـرك بغـير الله شرك أكبر إذا كان استغاث فيما لا يقدر عليه إلا الله.

أما إذا اسـتغاث فيما يقـدر عليه غـير الله من المخلـوقين، لكن هـذا المخلـوق المعين لم يقـدر على هـذا الشـيء، فإنه لا يكون شركا؛ لأنه ما اعتقد في المخلوق شيئا لا يصلح إلا لله -جل جلالـه- فـإذن نقـول: الاسـتغاثة بغـير الله إذا كـانت فيما لا يقدر عليه إلا الله، فهي شرك أكبر، وإذا كانت فيما يقـدر عليه

المخلوق، فهي جائزة كما حصل من صاحب موسى إذ استغاث بموسى عليه السلام.

قال: أو يدعو غيره. الدعاء -كما ذكرت لك- هو العبادة، والدعاء نوعان: دعاء مسألة، ودعاء عبادة. نعني بدعاء المسألة ما كان فيه طلب وفيه سؤال يرفع يديه لله -جل وعلا- ويدعو، هذا يسمى دعاء مسألة، وهو الذي يغلب عند عامة المسلمين في تسمية الذي إذا قيل: دعا فلان يعني سأل ربه جل وعلا.

والنوع الثاني: دعاء العبادة كما قال -جل وعلا-: □□□□□□ □ □ □□□□ □□□□□□□ □□□□ □□□□ □□□□□□□□□ □□□□ □□□□ □□□□□□□□ □□□□ □□ □□□□□□□□□□□□□ يعني: لا تعبدوا مع الله أحدا، أو لا تسألوا مع الله أحدا، وكما قال النبي □ □ الدعاء هو العبادة □ .

دعاء المسألة غير دعاء العبادة، دعاء العبادة كحال من صلى كحال من زكى ، كل صنف من أصناف العبادة يقال له: دعاء، ولكنه دعاء عباده، قال العلماء: دعاء المسألة متضمن لدعاء العبادة ودعاء العبادة مستلزم لدعاء المسألة. يعني أن من سأل الله جل وعلا شيئا فهو داعٍ دعاء مسألة وهذا متضمن أنه يعبد الله؛ لأن الدعاء دعاء المسألة أحد أنواع العبادة. فدعاء المسألة متضمن للعبادة ؛ لأن الله جل وعلا يحب من عباده أن يسألوه.

دعاء العبادة مستلزم لدعاء المسألة يعني: أن من صلى فيلزم من أنه أنشأ الصلاة أنه يسأل الله القبول، يسأل

الله الثواب، فيكون دعاء المسألة متضمن لدعاء العبادة، ودعاء العبادة مستلزم لدعاء المسألة، إذا تقرر ذلك فهذا التفصيل أو هذا التقسيم مهم جدا في الحجة في القرآن، وفي فهم الحجج التي يوردها أهل العلم؛ لأنه قد حصل من الخرافيين والداعين إلى الشرك أنهم يؤولون الآية التي في الدعاء بالمسألة، أو الآية التي في المسألة بالدعاء.

وإذا تبين لك ذلك يعني: ما ذكرنا فإنه لا انفكاك في الحقيقة بين دعاء المسألة ودعاء العبادة، فهذا هو ذاك إما بالتضمن أو باللزوم، ومعلوم أن دلالات التضمن واللزوم دلالات لغوية واضحة، جاءت في القرآن وجاءت في السنة.

ثم ساق الشيخ -رحمه الله- بعض الأدلة على أن الدعاء إنما يتوجه به إلى الله ، وأن الاستغاثة إنما يتوجه بها إلى الله -جل وعلا- فيما لا يقدر عليه إلا الله.

قال: وقول الله تعالى: [illegible] .

قال في أولها: [illegible] هذا نهي، والنهي توجه إلى الفعل "تدع" ، وإذا كان كذلك فإنه يعم أنواع الدعاء ، وقد ذكرت لك أن الدعاء منه دعاء مسألة، ومنه دعاء عبادة؛ لأن النكرة إذا جاءت في

سياق النهي، أو في سياق النفي، أو في سياق الشرط فإنها تعم، و"تدع" نكرة لأنها فعل مشتمل على مصدر، والمصدر حدث نكر. فإذن هذا يعم نوعيْ الدعاء، وهذا مراد الشيخ، أو أحد مراداته من الاستدلال بهذه الآية.

ولا تدع من دون الله يعني: نهى الله -جل وعلا- أن تتوجه لغير الله بدعاء المسألة أو بدعاء العبادة يعني: بالطلب أو بأي نوع من أنواع العبادات، فلا طلب يصلح فيما لا يقدر عليه إلا الله إلا منه جل وعلا ، يدخل في ذلك الاستعاذة، يدخل في ذلك الاستغاثة التي هي طلب الغوث ، كذلك دعاء العبادة بأنواعه من الصلاة والزكاة والتسبيح، والتهليل، والسجود، وتلاوة القرآن لا تصلح إلا لله، كذلك الذبح، النذر.

وأعمال القلوب: التوكل، محبة العبادة، رجاء العبادة، خوف السر، أي كل أنواع العبادات هي من أنواع دعاء العبادة، فهذه الآية دلت على النهي أن يتوجه أحد إلى من هو دون الله -جل وعلا- بدعاء مسألة أو بدعاء عبادة، وكان أعظم هذا النهي أنه وُجِّهَ إلى المصطفى [illegible] الذي هو إمام المتقين وإمام الموحدين.

قال: [illegible] وذكرت لك من قبل أن قوله: [illegible] تشمل مع الله أو من دون الله في استقلاله. قال: [illegible] يعني: الذي لا ينفعك ولا يضرك، و"ما" تشمل العقلاء وغير العقلاء يعني: تشمل أن

يــدعى بها أن يعــني بها الملائكة الأنبيــاء والرسل ، ويعــني بها الصالحون، أو يعني بها ما لا يعقل كالأصنام والأحجار والأشـجار هذا من جهة دلالة اللغة.

قال الله -جل وعلا- لنبيه [illegible] يعني: إن دعوت من دون الله أحدا وذلك الأحد موثوق بأنه لا ينفعك ولا يضــرك [illegible] وهـــذا إذا كـــان في حق النبي -عليه الصلاة والسلام- الذي كمَّل الله له التوحيد، إذا حصل منه الشرك فإنه يصبح ظالمـا، ويصـبح مشـركا، وحاشـاه عليه الصلاة والسلام من ذلك، فهذا تخويف لمن هو دونه ممن لم يُعْصَم ولم يُعْطَ العصمة من ذلك.

قـال: [illegible] يعــني إن دعــوت من دون الله ما لا ينفعك ولا يضرك [illegible] يعني بسبب تلك الـدعوة [illegible] والظـــالمون جمع تصـــحيح للظـــالم، والظـالم اسم فاعل الظلم، والظلم المـراد به هنا الشـرك كما قال -جل وعلا- [illegible] .

ثم قال: [illegible]

الغــرض من أن يســأل أحــدٌ غــيرَ الله فيه إنجــاء ما به طلب كشف الضر ، الغـرض من أن تسـتغيث بغـير الله طلب كشف الضـر، الغـرض من أن يسـتغيث بغـير الله طلب كشف الضـر؛ ولهـذا ذكر الله -جل وعلا- القاعـدة العامة في ذلك الـتي تقطع عروق الشرك من القلب حيث قال: [illegible]

□ □ □□□□ □□□□ □□□□□□ □□□□□□□ إذا مَسَّكَ الله بضر فمن يكشف الضر؟ يكشفه من قدره ومَن قضاه عليك.

فهذا يقطع التوجه لغير الله -جل وعلا- ولكن ما دام أنه علم فيما يقدر عليه البشر فيما يقــدر عليه المخلــوق أن يتوجه إليه بطلب الغــوث، أو بطلب الاستســقاء، أو طلب الســقيا أو نحو ذلك؛ فإنه يكون مما رخص فيه، والحمد لله .

قال: □ □□□□□□□ □□□□ □□□□□□□□□□□ □□□□□ □ "بضر" هنا أيضا نكرة جاءت في سياق الشرط فيعم جميع أنواع الضر، سواء كان ضــرا في الدين، أو كان ضرا في الدنيا ، سواء كان ضــرا في الــدنيا من جهة الأبــدان، أو من جهة الأمــوال، أو من جهة الأولاد، أو من جهة الأعــراض، أو من أيّ شــيء فــإن يمسسك الله بضر بــأيّ نوع من أنواع الضر فلا كاشف له إلا هو.

في الحقيقة الذي يكشف الضر هو الله -جل وعلا- لا يكشف البلوى إلا الله -سبحانه وتعــالى- وإذا كــان المخلــوق يقــدر على ذلك الكشف فإنه من جهة أنه سبب جعله الله سببا يقدر على أن يكشف بإذن الله -جل وعلا- وإلا فالكاشف حقيقة هو الله -جل وعلا- والمخلوق، وإن كان يقدر، فإنما قدر بإقدار الله له ؛ إذ هو ســبب من الأســباب ، فــإذن لا يكشف على الحقيقة إلا الله -جل وعلا- وإذا تبين ذلك ظهر لك وجه اســتدلال المصــنف بهذه الآية، ومناسبة الآية للترجمة من عدة جهات كما ذكرت.

قـال: وقوله تعـالى: [illegible] الاستغاثة أو الـدعاء من أعظم ما يتعلق به الخلق؛ إذا كان من جهة طلب الـرزق؛ لأن طلب الـرزق أعظم أسباب الحياة، فإذا لم يكن عنده رزق؛ فإنه يوشك على الهلاك ؛ ولهذا ذكر الإمام هذه الآية التي فيها توحيد طلب الرزق، لم؟ لأن معظم حال المستغيثين إنما هي لطلب الرزق.

والرزق اسم عام يشمل كل ما يصلح أن يُرْزَق يعـني أن يُمْنَح ويُعْطَى فيدخل في ذلك الصـحة والعافية ، يـدخل في ذلك المـال، يـدخل في ذلك الطعـام، يـدخل في ذلك الـبيت، يـــدخل في ذلك الـــدواب، ويـــدخل في ذلك أنـــواع ما يحتاجه المرء.

قال: [illegible] أصل تركيب الكلام: فابتغوا الـرزق عند اللـه؛ و "ابتغـوا" فعل أمـر، والـرزق مفعـول و"عند الله" الأصل أن يتأخر على المفعـول فـابتغوا الـرزق عند الله ، قال علماء المعاني من علوم البلاغة: إن تقديم ما حقه التـأخير يفيد الاختصـاص [illegible] واجعلـوا ذلك الابتغاء مختصا بالله -جل وعلا- .

هكـــذا يفهم العـــربي هـــذه الآية [illegible] يعني: فليكن ابتغاؤكم الرزق من عند الله وحده فلا تستغيثوا بغـيره في طلب رزق، ولا تسـتنجدوا بغـيره في طلب

رزق، وإنما ذلك لله -جل وعلا- ثم قال: "واعبـــدوه" ليجمع أصناف السؤال بما يشمل دعاء المسألة، ودعاء العبادة.

ثم قال: وقوله:

دلالة الآية ظاهرة في الدعاء؛ لأن الله قد قال: فهذا ظاهر بأن ثَمَّ داعٍ، وثَمَّ مَدْعُو، وذاك المدعو غير الله -جل وعلا-

.

وجه الدلالة من الآية أنه استعمل كلمة "يدعو" فجاء الوصف بأبشع الضلال على من دعا من دون الله أمواتا غير أحياء؛ والدليل على أنه أراد الأموات؛ ولم يرد الأصنام والأحجار والأشجار أنه قال: فجعل غاية الاستجابة إلى يوم القيامة المنع من الإجابة إلى يوم القيامة.

وهذه في الأموات؛ لأن الميت إذا كان يوم القيامة نشر وصار يسمع، وربما أجاب طلب من طلبه؛ إذ هو حي يكون في ذلك المقام حيا، وربما كان قادرا؛ وأما الميت مَن هو في البرزخ فهو الذي يصدق عليه وصف الله -جل وعلا- بقوله:

.

ولفظ "مَن" في اللغة الأصل فيها أنها للعقلاء؛ هكــذا يقــول النحاة، وتقول: إن الأصلح الأصح أن يقال: "من" الأصل فيها في اللغة لمَن يُعْرَف، يعـني: عند علمـاء النحو يقولـون: مَن للعقلاء، و"مــا" لغــير العقلاء، والأحسن أن نقــول: مَن لمن يُعْلَم؛ لأنها يــدخل فيها الله -جل وعلا- في بعض الآيــات، فــإذن مَن لمَن يصح أن يعلمه، وهؤلاء هم، مَن كانوا بشرا يخاطِبون ويخاطَبون ويَعلمون ويُعلم منهم.

قال: [illegible] وهذا الوصف ليس في الأصــنام، وإنما هو في الأمــوات، ثم قــال: [illegible] ولذلك قال -جل وعلا- في سورة النحل [illegible].

قال: وقوله: [illegible] هذه الآية من سورة النمل فيها أن إجابة المضــطر في الــدعاء إنما هي لله -جل وعلا- قال: [illegible] فهذا في دعاء المسألة. قال: [illegible] وكشف السوء يكون تارة بالاستغاثة، وتارة بغير ذلك.

ولهذا يكون هذا القدر من الآية يصــلح لما تــرجم به المؤلف -رحمه اللــه- من اللفظين لفظ الاســتغاثة، ولفظ الــدعاء في قوله: [illegible] هذا في الاستغاثة وفي قوله: [illegible]

[illegible] هذا في دعوة غير الله معا ، قال بعدها: [illegible] وهذا الاستفهام إنكاري [illegible] ينكر عليهم أن يتخذوا إله مع الله بأي شيء بأن يدعوا غير الله، أو يتوجهوا في كشف السوء لغير الله فيما لا يقدر عليه إلا الله [illegible] .

قال: وروى الطبراني بإسناده أنه كان في زمن النبي منافق يؤذي المؤمنين فقال بعضهم -بعضهم هنا هو أبو بكر الصديق كما جاء في بعض الروايات-: قوموا بنا نستغيث برسول الله من هذا المنافق فقال النبي -عليه الصلاة والسلام- أنه لا يُسْتَغَاث بي، وإنما يُسْتَغَاث بالله .

مَن طلب مِن الصحابة الاستغاثةَ بالنبي هذا طلب جائز ؛ لأنهم طلبوا الإغاثة من النبي -عليه الصلاة والسلام- فيما يقدر عليه؛ لأنه عليه الصلاة والسلام في هذا المقام يقدر أن يغيث بالأمر بقتل المنافق، أو الأمر بسجنه أو بتأديبه أو بأخذ عقوبة عليه؛ لأنه كان يؤذي المؤمنين بتعزير أو بغيره، فإذن استغاثتهم إنما هي في قولهم: قوموا بنا نستغيث برسول الله .

استغاثة برسول الله فيما يقدر عليه، لكن النبي -عليه الصلاة والسلام- علمهم الأدب في ذلك، وعلمهم الأكمل في ذلك حيث قال: إنه لا يستغاث بي إنما يستغاث بالله .

وحقيقة الاستغاثة على وجه الكمال إنما هي بالله -جل وعلا- لا بنبيه فكأنه حصل منهم نوع التفات للنبي -عليه الصلاة والسلام- فيما يقدر عليه، فبين لهم أن الواجب عليهم أن يستغيثوا بالله -جل وعلا- أولا، فقال: إنه لا يستغاث بي و لا يستغاث بي هذا نفي فيه معنى النهي، يعني: لا تستغيثوا بي إنما استغيثوا بالله في هذا الأمر، وإذا أغاثهم الله -جل وعلا- كف شر ذلك المنافق عنهم.

هذا الحديث بعض العلماء قال: إن في إسناده ابن لهيعة، وحاله معروف، وإيراد الأئمة، أئمة الحديث للأحاديث التي قد يكون في إسنادها بعض المقال، هذا هو الصواب إذا كان ما في الحديث من المعنى قد عرضته الأدلة من القرآن ، أو من السنة، وما في هذا الحديث من قوله -عليه الصلاة والسلام-: أنه لا يستغاث بي إنما يستغاث بالله قد دلت عليه آيات سلفت.

وهذا صنيع أهل الحديث، صنيع الراسخون في العلم من أهل الحديث، كما قال شيخ الإسلام ابن تيمية في معرض كلام له في الفتاوى قال: "أهل الحديث لا يستدلون بحديث ضعيف في أصل من الأصول، بل إما في تأييده يعني في تأييد ذلك الأصل أو في فرع من الفروع". وهذا هو صنيع الشيخ -رحمه الله- في هذا الكتاب.

فإنهم يستدلون بأحاديث هي من جهة المعنى الذي اشتملت عليه صحيحة، وقد ساق شيخ الإسلام ابن تيمية هذا الحديث مستدلا به في رده على البكري المعروف بالاستغاثة كتاب "الاستغاثة الكبرى" أو "الرد على البكري" وقال: إن هذا الحديث هو في معنى ما جاء في النصوص فقوله عليه الصلاة والسلام: إنه لا يستغاث بي يعني: لا تستغيثوا بي، وإنما استغيثوا بالله؛ لأن لا يستغاث نفي ومنفي، وهنا يراد منه النهي.

هذا الباب ظاهر في المناسبة لما قبله، ولما بعده أيضا في أن الاستغاثة بغير الله نوع من أنواع الدعاء، وأن الدعاء عبادة، وأن الاستغاثة عبادة، وصرف العبادة لغير الله -جل وعلا- كفر وشرك.

يدل على أن الدعاء عبادة قول الله -جل وعلا-:

وقوله:

الإجابة إجابة الدعوة يكون في السؤال يعني إذا سأله أجابه، ويكون أيضا بالعطاء والإثابة فيما إذا عُبِدَ فيجيب الدعوة؛ لإعطاء السائل سؤله ، ويجيب أيضا الدعاء بإثابة الداعي العابد على عبادته.

ولهذا يفسر الآية التي فيها إجابة الدعاء، ونحو ذلك بأن فيها إعطاء سؤل السائل، وإثابة العابد بأن الصحابة والسلف يعلمون أن الدعاء يشمل هذا وهذا،

[illegible] فهنا "دعـان" يعـني: سـألني أو عبـدني مع أنها في السؤال ظاهرة وفي الدعاء بينة.

والآيــات في مثل ذلك كثــيرة كقوله -جل وعلا- في ســورة إبراهيم قال إبراهيم -عليه السلام-: [illegible] قال الله -جل وعلا- بعدها [illegible] إبراهيم -عليه السلام- قال: [illegible] قال الله: [illegible] فـدل على أن الـدعاء هو العبادة، والعبادة هي الدعاء.

والـدعاء فُسِّرَ تـارة بـدعاء مسـألة ، ودعـاء العبـادة ، وهـذا حاصل من أولئك أصنامهم وأوثانهم.

باب

قول الله -تعالى-:

أَيُشْرِكُونَ مَا لَا يَخْلُقُ شَيْئًا وَهُمْ يُخْلَقُـونَ وَلَا يَسْـتَطِيعُونَ لَهُمْ نَصْـرًا وَلَا أَنْفُسَهُمْ يَنْصُرُونَ

باب قول الله -تعـالى-: [illegible]

وقول الله -تعالى-: [illegible]

[illegible] .

وفي الصحيح عند أنس [illegible] قال: [illegible] شُجَّ النبي [illegible] يوم أحد وكسرت رباعيته، فقال: كيف يفلح قوم شجوا نبيهم فنزلت [illegible] .

وفيه عن ابن عمر [illegible] أنه [illegible] سمع رسول الله [illegible] يقول إذا رفع رأسه من الركوع في الركعة الأخيرة من الفجر: اللهم العن فلانا وفلانا بعدما يقول: سمع الله لمن حمده ربنا ولك الحمد، أنزل الله [illegible] وفي رواية [illegible] يدعو على صفوان بن أمية وسهيل بن عمرو والحارث بن هشام فنزلت [illegible] .

وفيه عن أبي هريرة [illegible] قال: [illegible] قام رسول الله [illegible] حين أُنْزِلَ عليه [illegible] فقال: يا معشر قريش أو كلمة نحوها اشتروا أنفسكم لا أغني عنكم من الله شيئا، يا عباس بن عبد المطلب لا أغني عنك من الله شيئا يا صفية عمة رسول الله [illegible] لا أغني عنك من الله شيئا، يا فاطمة بنت محمد سليني من مالي ما شئت لا أغني عنك من الله شيئا [illegible] .

هذا الباب باب قول الله -تعالى- [illegible] هذا الباب إيراده بعد الأبواب المتقدمة من أحسن الإيراد ومن أعظمه

فقها ورسوخا في العلم؛ ذلك أن برهان وجوب توحيد الله -جل وعلا- في إلاهيته هو مركـــوز في الفِطَر من أنه جل وعلا واحد في ربوبيته.

والربوبية -وأن الله واحد في ربوبيتـــــــه- هـــــــذه يقر بها المشركون ، ويقر بها كل أحد فهي البرهان على أن المستحِق للعبـادة هو من تَوَحَّد في الربوبيـة، فهـذا البـاب والبـاب الـذي بعده أيضا برهـان لاستحقاق الله العبـادة وحـده دون ما سـواه بدليل فطري ، ودليل واقعي، ودليل عقلي.

ومن المعلـوم أن الأدلة العقلية عنـدنا أهل السـنة والجماعة نأخذها من الكتاب والسـنة؛ لأن في الكتـاب والسـنة من الأدلة العقلية ما يغـــني عن تكلف أدلة عقلية أخـــرى لمن تأمل ذلك في نصوص الوحيين، فهـذا البـاب فيه بيـان أن الـذي يخلق هو الله وحده ، والذي يـرزق هو الله وحـده، والـذي يملك هو الله وحــده، وأن غـــير الله -جل وعلا- ليس له نصــيب من الخلــق، وليس له نصــيب من الـــرزق، وليس له نصــيب من الإحيـــاء، وليس له نصيب من الإماتة، وليس له نصيب من الأمــر، وليس له ملك حقيقي في أمر من الأمور.

  حتى أعلى الخلق مقاما، وهو النبي -عليه الصلاة والسلام- قال له الله -جل وعلا-:   يعني: لست مالكا لشيء من الأمر، ليس من

الأمر شيء تملكه، اللام هنا لام الملك، فمن الذي يملك إذن هو الله جل وعلا.

فإذا كان النبي -عليه الصلاة والسلام- يُنْفَى عنه ذلك، فإن نفيه عمن هو دونه من باب أولى، والذين توجهوا إلى أصحاب القبور أو إلى الصالحين والأولياء والأنبياء في داخلهم زعم بأنهم يملكون أشياء، إما أن يملكوا شيئا من الرزق، أو أن يملكوا شيئا من التوسط والشفاعة بدون إذن الله -جل وعلا- ومشيئته.

فإذن هذا الباب أحد الأبواب التي فيها البرهان على استحقاق الله للعبادة وحده دون ما سواه؛ والقرآن فيه كثير من البراهين على أن المستحق للعبادة هو الله -جل وعلا- وحده دون ما سواه، فمن تلك الأدلة والبراهين ما في القرآن من أدلة فيها إقرار المشركين بتوحيد الربوبية، كل ذلك النوع من الأدلة فيه دليل على أن المستحق للعبادة هو من أقررتم له بالربوبية.

ومن الأدلة والبراهين على ذلك ما في القرآن من أن الله -جل جلاله- نصر رسله وأولياؤه على أعدائهم، وأن كل طائفة من طوائف الشرك ذلت وخضعت وغلبت أمام طوائف أهل الإيمان أمام جند الله -جل وعلا- من الرسل ومن أتباع الرسل والأنبياء.

وهذا نوع آخر من الأدلة: أنه ما من طائفة موحـدة بعث الله -جل وعلا- إمامها ورسولها بقتال المشركين إلا وظهـرت عليهم، وإلا وغلبتهم حـتى صـارت العاقبة لهم ؛ وهـذا أمر في القـرآن كثير، وأدلته كثـيرة ؛ قصص الأنبيـاء وقصص القـرى، وكل قرية خالفت رسولها عـوقبت، وهكـذا كل القـرى، هـذا دليل على أن التوحيد هو الحق، وأن الشرك باطل.

من الأدلة نـوع آخر من القـرآن، من الـبراهين نـوع آخر في القـرآن؛ من أن المخلـوق ضـعيف، أن العابد الـذي يسـمع هـذا القـرآن؛ كل مخلـوق، كل مكلف يعلم من نفسه الضـعف، وأنه جاء إلى الحيـاة بغـير اختيـاره؛ بل الله -جل وعلا- الـذي أتى به إلى هـذه الحيـاة، وأنه سـيخرج من هـذه الحيـاة بغـير اختيـاره أيضا، فهو إذن مقهور، ويعلم قطعا أن الذي قهره وأذله وجعله على هذه الحالة ليس هو تلك الآلهـة، وإنما هو الله -جل وعلا- وحده هو الذي يحـيي ويميت، وهـذا إقـرار عـام يعلمه كل أحد من فطرته.

من الأدلة والـبراهين أيضا أن الله -جل وعلا- له الأسـماء الحسـنى، وله الصـفات العلا، وأنه ذو النعـوت الكاملـة، وذو النعوت الجليلة، ونعوت الجلال، ونعوت الجمال، ونعوت الكمال، وهو سـبحانه له الكمـال المطلق في كل اسم لـه، وفي كل نعت ووصف، له الكمال المطلق الذي لا يعتريه نقص في وجه من الوجوه.

هــذا البــاب ذكر فيه الشــيخ -رحمه اللــه- أحد أنــواع أدلة الربوبيــة، أو بــراهين التوحيــد، وأنه -جل وعلا- هو الواحد في ربوبيته، والباب الـذي يليه بـاب قـول الله تعـالى: فيه دليل على عظمة الله -جل وعلا- في صفاته.

وفي هــذا الكتــاب تنويع أيضا كما ســيأتي، بــراهين التوحيــد، توحيد العبــادة، بأدلة من القــرآن متنوعــة، ونكمل إن شــاء الله في الدرس القادم شــرح هــذا البــاب، والــذي يليــه، وصــلى الله وسلم وبارك على نبينا محمد.

س: الحمد لله رب العــالمين، وصــلى الله وســلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

أما بعد فهذا أخ يقول: فضيلة الشيخ هل يعتبر نذر مطلق أم مقيد إذا حصل للعبد منفعة مثل نجح أو حصل على وظيفـــــة، ونذر أن يصوم ثلاثة أيام لله -سبحانه وتعــالى- مع العلم أنه لم ينذر قبل نجاحه أو حصوله على الوظيفة ؟

ج: والحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله وعلى آله وصحبه ومن اهتــدى بهــداه. أما بعد ، فالنــذر المطلق هو الــذي لم يعلق بشـــيء فيجعل في المســـتقبل، والنـــذر المقيد هو المعلق الذي علق الوفاء به بحصول شــيء من الله -جل وعلا- للعبــد. وهــذا يكــون في المســتقبل إن شــفى الله مريضي

فسأصــوم ثلاث أيــام ، إن نجحت فسأصــوم، هــذا هو النــذر المعلق المقيد.

أما المطلق فهو أن ينـذر نـذرا لله -جل وعلا- تـبررا منه إما بسـبب حادثة حـدثت ، أو نعمة تجـددت ، أو نقمة انـدفعت، أو بـدون سـبب ، فهـذا كله يـدخل في المطلق ، أما المقيد فهو المعلق بشرط في المستقبل، نعم.

س: سؤال يقـول: ما حكم عمل احتفـال بسـيط في مناسـبة انتهاء عقد أحد العـاملين بالشـركة، سـواء كـان مسـلما أو غـير مسلم، وحجة بعضهم في عمل الاحتفال لغـير المسـلم أنه من باب دعوته إلى الإسلام ، مع العلم أنه خلال وجوده في العمل لم يقدم له كتاب أو شريط لدعوته الإسلام ممن يحتجون لهـذا القول، وجزاكم الله خيرا ؟

ج: تلك الاحتفالات المقصود فيها إكـرام من أقيمت لـه، فـإذا كان مسلما فـإكرام المسـلم من حقوقه المسـتحبة ، وإذا كـان غير مسـلم فله حالتـان: الحالة الأولى أن يكـون ممن لم يظهر للإسلام عداوة، بل وأظهر في الإسـلام رغبة وهو مسـالم لأهل الإسـلام ومحب لأهل الخـير، محب لأهل الـدين والصـلاح، كما يظهر من بعضهم، فهذا الغـالب على قلبه أنه يصـلح أن يـدعى للإسلام؛ لأنه قريب سلم من البغضاء والعداوة التي تحجزه عن قبول الحق لو عرض عليه.

فهذا النوع إذا كـان قصد من عمل الاحتفـال أن يكـون بداية لدعوته وأن يكون في الاحتفال شيء من الـدعوة إلى الإسـلام لبيـان محاسـنه وبيـان بطلان الأديـان الأخـرى ونحو ذلـك، فهـذا بحسب قصد فاعله، وأصل الإكرام لغير المسلم لا يجوز.

وأما إن كان معاديا أو لم يظهر قبولا للإسلام، أو عـرف من سيرته حين بقي أنه يعـني حين بقي تلك المـدة في المؤسسة أو الشـركة أنه لا يحب الخـير، بل ربما أظهر صـدودا عن أهل الخير، وأظهر عدم قبوله لبعض أوامر الشـرع الـتي يحكم بهـا، فهذا لا يجوز إكرامه؛ لأن إكرامه من موالاتـه؛ وموالاتـه: مـوالاة الكافر محرمة؛ لأنه يكرم مع بقائه على عداوته وعلى بغضه.

والأصل في هذا قول الله -جل وعلا -: [illegible] .

فهذه الآيات فيها بيان حال الصنفين؛ لهذا النـبي [illegible] كـان ربما أجـاب دعـوة يهـودي أو يهوديـة، وربما أتى بعض أهل الكتـاب، وربما أهـــدى إليهم ، وأوصى على الهدية للجـــار، وهـــذا لأجل الـــترغيب في الخـــير، والـــترغيب في الإسـلام ، المقصـــود أن الإكرام بتلك الحفلات لا يجوز، إلا إذا كـان ثَمَّ مصـلحة شـرعية

راجحة يقــدرها أهل العلم إذا وصف الحــال لهم، وأما ما عــدا ذلك فلا يجــوز إقامة الحفلات لهم ؛ لأنها نــوع مــوالاة للكفــار، نعم.

س: وهذا يقول: هل يدخل في باب لا يذبح لله بمكــان يــذبح فيه لغــير الله ما يحصل وخاصة في أوروبا وأمريكا من شــراء كثير من المسلمين لكنائس قديمة، ثم تعديلها لتكــون مســاجد، أو هدم كنيسة، وبناء مســجد مكانها نرجو التوجيه وجــزاكم الله خيرا ؟

ج: لا يدخل في ذلك؛ لأن مسـجد النـبي الـذي الصـلاة فيه مضاعفة أقيم على مكـان فيه قبـور المشـركين، بعد أن نُبشت تلك القبــور وأزيل الرفــات أقيم المســجد في ذلك المكــان، والكنيسة الــتي عبد فيها غــير الله -جل وعلا- إذا حُــوِّلت إلى مسجد ، هذا من أعظم الطاعات، ومن أحب الأعمـال إلى الله -جل وعلا- وذكـرت لكم أن الفـرق بين هـذه وبين لا يـذبح لله بمكان يذبح فيه لغير الله أن الذبح صورته مشـتركة ، الصــورة الظاهرية واحــدة، وإنما الاختلاف في النيــات، ولهــذا منع من ذلك.

أما عبـادة المسـلمين وصـلاتهم، وهيئة مسـاجدهم وجلوسـهم إلى آخر تلك الهيئات مخالف لما عليه النصارى فإبدال الكنيسة في مسجد هذا أمر مطلوب، إذا تمكن المسلمون منـه، كالـذي

فعله المسلمون في الأندلس، بل وفي بعض البلاد الأخرى كالشام ومصر ، نعم.

س: ويقول: نرى عبارة مكتوبة على بعض السيارات "يا رضا الله ورضا الوالدين"؟

ج: قوله: يا رضا الله ورضا الوالدين فيها غلط من جهتين: الجهة الأولى أنه نادى رضا الله، ومناداة صفات الله -جل وعلا- بـ يا النداء لا تجوز؛ لأن الصفة في هذا المقام غير الذات في مقام النداء؛ ولهذا إنما ينادى الله -جل وعلا- المتصف بالصفات، وقد نص شيخ الإسلام ابن تيمية في رده على البكري، وغيرُهُ من أهل العلم على أن مناداة الصفة محرم بالإجماع، فإذا كانت الصفة هي الكلمة كلمة الله -جل وعلا- كان كفرا بالإجماع؛ لأن من نادي الكلمة يعني بها عيسي -عليه السلام- فيكون تأليها لغير الله -جل وعلا - ورضا الله -جل وعلا- صفة من صفاته ، فلا يجوز نداء الصفة.

والملاحظة الثانية في تلك الكلمة أنه جعل رضا الوالدين مقرونا برضا الله -جل وعلا- بالواو، والأنسب هنا أن يكون العطف بثم ، يقول: مثلا أسأل الله رضاه ثم رضا الوالدين، وإن كان استعمال الواو في مثل هذا السياق لا بأس به؛ لأن الله -جل وعلا- قال: [illegible] وقال جل وعلا: [illegible] ؛ ولأن الواو هنا تقتضي تشريكا في

أصل الرضا، وهذا الرضا يمكن أن يكون من الوالدين، أيضا فيكون التشريك بأصل المعنى لا المرتبة ، نعم.

س: يقول: هل يجوز الذهاب للعلاج عند من يزعم أنه يعالج بمساعدة جن مسلمين ، وهل هذه المساعدة إلى الجن للقارئ من الاستعانة جائزة أو محرمة؟

ج: الاستعانة بالجن سواء كانوا مسلمين أو غير مسلمين وسيلة من وسائل الشرك، والاستعانة معناها طلب الإعانة؛ ولهذا من المتقرر عند أهل العلم أنهم لا يطلبون الإعانة من مسلم الجن؛ فلم يطلب منهم الإعانة الصحابة -رضوان الله عليهم- وهم أولى أن تخدمهم الجن، وأن تعينهم.

وأصل الاستعانة بالجن من أسباب إغراء الإنس بالتوسل إلى الجن وبرفعة مقامه، وبالاستنفاع به، وقد قال جل وعلا: [illegible] فحصل الاستمتاع -كما قال المفسرون- من الجن بالإنس بأن الإنسي يتقرب إليه ويخضع له ويذل، ويكون في حاجته، ويحصل الاستمتاع من الإنسي بالجني بأن الجني يخدمه، قد يكون مع هذا الاستمتاع ذبح من الإنسي للجني، وتقرب بأنواع العبادات، أو العياذ بالله بالكفر بالله -جل وعلا- بإهانة المصحف، أو بامتهانه أو نحو ذلك.

ولهذا نقول: إن تلك الاستعانة بجميع أنواعها لا تجوز، منها ما هو شـرك وهي اسـتعانة بشـياطين الجن، ومنها يعـني الكفـار، ومنها ما هو وسيلة إلى الشرك، وهو الاستعانة بمسلمي الجن.

بعض أهل العلم كشيخ الإسـلام ابن تيمية قـال: إن الجن قد تخدم الإنسي، وهذا المقال فيه نظر وتفصيل، ذلك أنه ذكر في آخر كتـاب النبـوات أن أوليـاء الله لا يسـتخدمون الجن إلا بما فعله معهم رسـول الله ﷺ بـأن أمـرهم ونهـاهم ، أما طلب خـدمتهم وطلب إعـانتهم، فإنه ليس من سـجايا أوليـاء اللـه، وليس من أفعال أولياء الله.

قـــال: مع أنه قد تنفع الجنُّ الإنسَ، وقد تقـــدم له بعض الخدمــة، ونحو ذلك ، وهــذا صــحيح. فحصل أن المقــام فيه تفصيل، فإذا كان الاستخدام في طلب الخدمة فهذا وسيلة إلى الشـرك إذا توجه إلى جـني مسـلم، ولا يجـوز أن يـؤتى لأحد يقرأ، يعرف منه أنه يستخدم الجن المسلمين.

وإذا كانت الجن تخدم بعض الناس بدون طلبه، فإن هـذا قد يحصل، لكن لم يكن من خلق أولياء الله، ولم يكن مما سخره الله -جل وعلا- لخاصة عبـاده، فلا بد أن يكـون عند هـذا نـوع خلل حتى كـانت الجن تكـثر من خدمته وإخبـاره بـالأمور، ونحو ذلك.

فإذا كان ذلك بطلب منه فهذا لا يجـوز، وهو نـوع من أنـواع المحرمات؛ لأنه نوع استمتاع، وإذا كـان بغـير طلب منه فينبغي

له أن يستعيذ بالله من الشياطين . ويستعيذ بالله من شر مردة الجن؛ لأنه قد يكون بعد ذلك فيه يعني فيما فعل في قبوله ذلك الخبر واعتماده عليه.

قال: مع أنه قد تنفع الجن الإنس، وقد تقدم له بعض الخدمة، ونحو ذلك، وهذا صحيح، فحصل أن المقام فيه تفصيل، فإذا كان الاستخدام بطلب الخدمة، فهذا وسيلة إلى الشرك إذا توجه إلى جني مسلم، ولا يجوز أن يؤتى لأحد يقرأ يعرف منه أنه يستخدم الجن المسلمين، وإذا كانت الجن تخدم بعض الناس بدون طلبه، فإن هذا قد يحصل، لكن لم يكن من خلق أولياء الله، ولم يكن مما سخره الله -جل وعلا- لخاصة عباده فلا بد أن يكون عند هذا نوع خلل، حتى كانت الجن تكثر من خدمته وإخباره بالأمور، ونحو ذلك، فإذا كان ذلك بطلب منه فهذا لا يجوز، وهو نوع من أنواع المحرمات؛ لأنه نوع استمتاع.

وإذا كان بغير طلب منه فينبغي له أن يستعيذ بالله من الشياطين فيستعيذ بالله من شر مردة الجن؛ لأنه قد يكون بعد ذلك فيما فعل في قبوله هذا الخبر واعتماده عليه وأنسه به بما كان تعلمه الجن، يكون فيه فتح لأبواب على قلبه بأن يتوسل بالجن أو أن يستخدمهم.

إذا تبين ذلك فإن خبر الجن عند أهل العلم ضعيف، لا يجوز الاحتجاج به عند أهل الحديث، وذكر ذلك أيضا الفقهاء، وهذا

صحيح؛ لأن البناء على الخبر وتصديق الخبر هو فرع عن تعديل المخبر، والجني غائب، وعدالته غير معروفة، وغـير معلومة عند السـامع، فـإذا بـنى الخـبر عمن جـاء به له من الجن، وهو لم يـرهم، ولم يتحقق عـدالتهم إلا بما سـمع وهي لا تكفي فإنه يكـون قد قبل خـبر فاسـق، ولهـذا قـال الله -جل وعلا-:

[illegible]

[illegible]

والـذين يقبلـون إخبـار الجن وإعلام الجن لهم ببعض الحـوادث حصل منهم مفاسد متنوعة كثيرة، حيث إنهم جزمـوا بصـحة ما أخـبرتهم به الجن، فربما حصل منهم قيل وقـال، يعـني: من الناس في ذلك الذين أخبروا بذلك.

ويحصل بعد ذلك من جرائها مفاسـد، وقد تفـرقت بعض البيوت من جراء خبر قارئ جاهل بأن هـذا الـذي فعل كـذا هو فلان، باعتبار الخـبر الـذي جـاء، ويكـون الخـبر الـذي جـاءه من الجني خبر كذب، ويكـون هو اعتمد على نبأ هـذا الـذي لا يعلم عدالته، وبنى عليه، وأخبر بـه، وصـار من جرائه فرقة واختلاف، وتفرق وشتات في البيوت.

ونعلم أنه قد ثبت في الحديث الصحيح الـذي رواه مسـلم -رحمه الله- إن إبليس ينصب عرشه على الماء ويبعث سـراياه فيكـون أحب جنـوده إليه من يقـول لـه: فـرقت بين المـرأة وزوجها .

وهذا في جملة التفريق، والتفريق بين المرأة وزوجها؛ لأنه هو الغالب ، وأحب ما يكون إلى عدو الله أن يفرق بين المؤمنين، ولهذا جاء في الحديث الصحيح الذي رواه أيضا مسلم وغيره أن النبي قال: إن الشيطان أيس أن يعبده المصلون في جزيرة العرب ولكن بالتحريش بينهم .

فهذه المسألة يجب عليكم -كطلبة علم- أن تسعوا في إنكارها، وأن تبذلوا الجهد في إقامة الحجة على من يستخدم الجن، ويتذرع أن بعض العلماء أباح ذلك.

وهذا وسيلة من وسائل الشرك بالله -جل وعلا-واقرءوا أولا كتاب تاريخ نجد لابن بشر حيث قال: إن سبب دخول الشرك إلى قرى نجد أنه كان بعض البادية إذا أتى وقت الحصاد، أو أتى وقت خرف النخيل، فإنهم يقطنون بجانب تلك القرى ومعهم بعض الأدوية، ومعهم بعض الأعشاب ، فإذا كانوا كذلك، ربما سألهم بعض جهلة تلك القرى حتى حببوا إليهم بعض الأفعال من جراء سؤالهم، حببوا إليهم بعض الشركيات أو بعض البدع، ثم شيئا فشيئا حتى فشا ذلك.

وعليه يكون من أسباب انتشار الشرك في هذه الديار يعني: في نجد وما حولها بحسب ما ذكر ابن غنام من جهة المتطببين الجهلة، أو من جهة القراء المشعوذين، أو القراء الجهلة.

وقد حصل أيضا في هـذا -ولو أطلنا بعض الشـيء- أن بعض من يستخدم الجن كَثُر عنده الناس، ولما كثُر عنده الناس سار يعالج علاجا نافعا، وبعد ذلك تسـخرت له فئـات من الجن أكـثر حتى ضعف تأثيره، فلما ضعف تأثيره، وعـرف أن ما عنـده من الحالات التي تأتيه للقراءة أو للعلاج أنه لم يسـتطع معها شـيئا صار تعلقه بالجن أكثر.

ولا زال ينحـدر ما في قلبه من قـوة اليقين، وعـدم الاعتمـاد بقلبه على الجن حـتى اعتمد عليهم شـيئا فشـيئا ثم حرَّفُـوه -والعياذ بالله- عن السـنة ، وعما يجب أن يكـون في القلب من توحيد الله وإعظامــه، وعــدم اســتخدام الجن في الأغــراض الشركية، فجعلوه يستخدم الجن في أغراض شركية وأغراض لا تجوز بالاتفاق.

إذن فهـذا مما يجب رفضـه، ووسـائل الشـرك يجب علينا أن ننكرها وســائل الغواية يجب علينا أن ننكرهــا، ووجــود من يســتخدم الجن ويعلن ذلك ويطلب خــدمتهم في الإخبـار هــذا مبــني على جهل في الحقيقة بالشــرع، وعلى جهل بوســائل الشرك، وما يصـلح المجتمعـات، وما يفسـدها والله المسـتعان. نعم ، قرأتَ الباب؟.

باب قول الله تعـالى: [illegible] وقوله: [illegible] .

ذكرنا لكم بـــالأمس أن هـــذا البـــاب مع البـــاب الـــذي يليه مناسبته لكتـاب التوحيد أن هـذين البـابين هما برهـان للتوحيـد، برهـان لاسـتحقاق الله -جل وعلا- العبـادة وحـده، وعلى بطلان عبـادة ما سـواه، وهـذا البرهـان هو بتقرير أن الله -جل وعلا- واحد في ربوبيتـــه، ودليل ذلك الفطـــرة، ودليل ذلك العقـــل، ودليل ذلك أيضا النص من الكتاب والسنة.

فلا أحد ينكر أن الله -جل وعلا- هو مالك الملـك، وهو الـذي بيده تصريف الأمر كيف يشاء ، إلا شـرذمة قليلة من النـاس - كما قـال الشهرسـتاني وغـيره- لا يصح أن تنسب لهم مقالـة؛ فالنـاس مفطـورون على الإقـرار بـالرب، وعلى الإقـرار بـأنهم مخلوقون.

وإذا كان كذلك فإن الحجة عليهم في وجـوب توحيد الألوهية أن الله جعل في فطـرهم الإقـرار بـأن الله واحد في ربوبيتـه، ولهـذا المشـركون لا ينكـرون أن الله -جل جلالـه- واحد في خلقـه، واحد في رزقه يعـني: أنه هو الخلاق وحـده، وأنه هو الرزاق وحده، وأنه جل وعلا هو الذي يحـيي ويميت، وهو الـذي يجير ولا يجار عليه، وهو الذي بيده ملكوت السماوات والأرض، وهو الذي ينبت النبـات، وهو الـذي يـنزل المـاء إلى آخر أفـراد تدبيره جل وعلا للأمر ، وأفراد توحيد الربوبية.

فالبرهـان على أن الله هو المسـتحق للعبـادة وحـده أنه جل وعلا هو مالك الملك وحـده، وهو الـذي يـدبر هـذا الملكـوت

وحده، وهو الذي خلق العباد، والعباد صائرون إليه، أما الآلهة التي توجه إليها العباد بالعبادة من الأنبياء والأولياء، أو الملائكة فإنما هم مخلوقون مربوبون لا يخلقون شيئا، وهم يخلقون، وأيضا لا يستطيعون نصرا لمن سألهم، وإنما ذلك لله جل وعلا.

فإذا كان أولئك ليس لهم من الأمر شيء، وليس لهم من الملك شيء، وليس لهم من الخلق شيء، وليس لهم من تدبير الأمر شيء، وإنما تدبير أمر السماوات، وتدبير أمر الأرض بيد الله وحده دون ما سواه، فإن الذي يستحق العبادة وحده هو الذي يفعل تلك الأفعال، وهو الذي يتصف بتلك الصفات هو الذي وَحَّدَهُ العباد في ربوبيته.

فإذا كان كذلك فيجب أن يكون إذن واحدا في أفعالهم بأن لا يتوجهوا بالعبادة إلا إليه وحده، وهذا كثير في القرآن جدا، فإنك تجد في القرآن أن أعظم الأدلة والبراهين على المشركين في إبطال عبادتهم لغير الله، وفي إحقاق عبادة الله وحده دون ما سواه أنهم يقرون بتوحيد الربوبية، فالإقرار بتوحيد الربوبية برهان توحيد الإلهية، فالله -جل وعلا- احتج في القرآن على المشركين بما أقروا به من توحيد الربوبية على ما أنكروه من توحيد الإلهية.

ولهذا قال جل وعلا: [illegible]

[illegible] يعني أتقرون بذلك فلا تتقون الشرك؛ لأني ذكرت لكم أن الفائدة إذا أتت بعد الهمزة فهي تعطف ما بعـدها على جملة محذوفة دل عليها السياق.

[illegible] يعني: أتقرون بأن الله واحد في ربوبيته، فلا تتقــون الشــرك بــه، فــذلكم الله ربكم الحق بــاعترافكم وبإيقانكم، فمـاذا بعد الحق إلا الضـلال؟ وهـذا نـوع احتجـاج بما أقـــروا بـــه، وهو توحيد الربوبية على ما أنكـــروه، وهو توحيد الإلهية.

كذلك الآيات العظيمة في سورة النمل قال جل وعلا: [illegible]

[illegible] هنا إنكار عليهم، أنكر لماذا؟

لأن ما ســـــبق يقـــــرون به [illegible] يقرون بأن الذي خلقها هو الله؛ فإذن كيف يتخذون إلها مع الله؟ كان هذا إنكارا، من الـذي أنـزل لهم من السـماء مـاء فـأنبت لهم به حـدائق ذات بهجـة؟ هو اللـه، فـإذن كيف يتخذون إلها معه ؟!

لهذا قال -جل وعلا-: [illegible] هذا إنكار عليهم [illegible] يعـني: يعـدلون بالله غـيرَه، أو

يعـدلون غـير الله -جل وعلا- به يعـني: يسـاوون هـذا بهـذا، أو يعدلون يعني: يصـرفون عن الحق ، وينصـرفون عنه إلى غـيره، فكيف يعدلون عن الحق إلى غيره؟ أو كيف يعدلون بالله غيره من الآلهة؟

وهكـذا الآية الـتي بعـدها: [illegible] جواب المشركين على هذا السؤال أم من؟ جـوابهم هو اللـه، قال جل وعلا: [illegible] .

ثم قال جل وعلا: [illegible] رجع من الآيات التي في الآفاق، وفيما حولهم إلى الشيء الـذي يعلمونه علم اليقين: [illegible] .

ثم قال جل وعلا: [illegible] .

وفي الحقيقة أنه لا برهـــان لهم، ولهـــذا قـــال في آية المؤمنون: [illegible] لا برهان له به، فكل إله لا برهان

لــه، [illegible] يعــني: لا حجة قائمة على أنه إلــه، وإنما اتخــذه البشر بالطغيــان وبــالظلم [illegible] .

فهذا الباب قـائم على هـذه الحجـة، ولهـذا من أعظم الحجة على المشركين، وعلى الذين توجهوا إلى الأموات، توجهــوا إلى المقبورين بطلب تفريج الكربات، وطلب إغاثة اللهفــات، وطلب إنجاح الحاجات ، وسؤال ما يحتاجه الناس، أعظم الحجة عليهم أن تحتج عليهم بتوحيد الربوبية.

وهؤلاء المشركون في هـذه الأزمنة زادوا كما قـال الشـيخ -رحمه اللــه- في القواعد الأربــع، زادوا على مشــركي الجاهلية بأنهم اعتقدوا أن لتلك الأموات أن لهم تصرفا في الكون أيضا، فنسبوا إليهم شيئا من الربوبية، ولم يجعلوا توحيد الربوبية أيضا خالصا.

وهذا البرهــان برهــان عظيم ينبغي لك أن تتوسع في دلائلــه، وأن تعلم الحجة في القــرآن منــه؛ لأن القــرآن كثــيرا ما يحتج بهــذا البرهــان، وهو توحيد الربوبية على ما ينكــره المشــركون، وهو توحيد الإلهية.

من ذلك ما ساقه الشـيخ -رحمه اللـه- في هـذا البـاب قـال: باب قول الله تعالى: [illegible] هذا إنكار وتوبيخ لهم، كيف يشركون الذي لا يخلق شـيئا

وهم يخلقـون، ومن الـذي خلقهم، هو الله -جل وعلا- هو الـذي خلق من عُبِـدَ ، وهو الـذي خلق العابد أيضـا، فالـذي يسـتحق العبادة وحده دونما سواه، إنما هو الله ذو الجلال والإكرام.

قال: لأن النصر في الحقيقة إنما هو من عند الله -جل وعلا- لو أراد الله أن يمنع نصر الناصر لمنعه. قال وقوله: الآيات.

قال: وهذا موطن الشاهد قوله: حتى هذا القطمير، وهو غلاف النواة، أو الحبل الواصل من أعلى النواة أي: ظاهر الثمرة، هذا لا يملكونـــه، فغـــيره مما هو أعلى منه من بـــاب أولى وأولى، فحتى هذا الشيء الحقـير لا يملكونه مما لا يحتاجه النـاس، ولا يطلبونه فكيف إذن يطلبون منهم أشـياء لا يملكونهـا، قـال جل وعلا هنا: الذين هذا اسم موصول يعم كل ما دعي من دون الله: الملائكة أو الأنبيـاء والرسـل، أو الصـــالحين من الأمـــوات، أو الصـــالحين، أو الجن أو الأصـــنام والأشـــجار والأحجـــار كل مَن دُعِيَ وما دُعِيَ فإنه لا يملك ولو قطمـيرا، لا يملك هـذا فـإذن لِمَ يُسْـأَل، فـالواجب أن يتوجه بالسؤال لمن يملك ذلك.

ذكر الشيخ -رحمه الله- بعد ذلك عدة أحاديث في هذا الباب، وهذه الأحاديث مدارها على بيان قول الله -جل وعلا-:

ووجه الاستدلال من هذه الأحاديث وإيراد هذه الآية أن هــذا النفي توجه إلى رســول الله وهو -عليه الصلاة والســلام- ســيد ولد آدم، ليس لك يا محمد من الأمر شيء.

واللام في قوله: "لك" لام الاستحقاق، أو لام الملك يعـني: لا تستحق شيئا، أو لا تملك شيئا، يعـني: لا تسـتحقه بـذاتك، وإنما بما أمر الله -جل وعلا- وبما أذن به، فتعظيم النبي .

ومحبة النبي -عليه الصلاة والسلام- هي فرع عن محبة اللــه، وعن تعظيم الله -جل وعلا- فما هو أبعد أو أعظم مما أذن الله به، فليس له ذلك ، أو كذلك الملك، ملك الأشياء، أو ملك شيء من الأمر، فإنه ليس له عليه الصلاة والسلام ذلك ، قـال الله -جل وعلا-:   .

ولو كــان له عليه الصــلاة والســلام من الأمر شــيء لنصر نفسه وأصحابه يوم أحــد، ولكن في يـوم أحد حصل ما حصـل، فأنزل الله -جل وعلا- قوله: كذلك الحديث الآخر لما لعن النبي في قنوت الفجر فلانا وفلانا من النـاس الـذين آذوا المؤمنين نزل قول الله -جل وعلا-:   .

يعني: لست تملك شيئا من الأمر، وهكـذا في الحـديث الـذي بعده ، وهذه الأحاديث دالة على أن النبي نفى عنه أن يملك

شــيئا من ملكــوت اللــه، وإذا كــان كــذلك، فإنه عليه الصــلاة والسلام قد بَلَّغَ ذلك وبَيَّنَه، ومَن هو دونه عليه الصلاة والســلام من باب أولى.

فالملائكة أولى أن ينفى عنهم ذلــك، والأنبيــاء أولى أن ينفى عنهم ذلك، وكذلك الصالحون من أتباع الرســل، وأتبـاع محمد كذلك أولى أن ينفى عنهم ذلك.

فإذا كان كذلك بطلت كل التوجهات إلى غير الله -جل وعلا- ووجب أن يتوجه بالعبادة، وبأنواع العبادة من الدعاء والاســتغاثة والاســتعاذة، والــذبح، والنــذر، وأنــواع التوجهـات إلى الحق -جل وعلا- وحده دونما سواه.

الحديث الأخير لما نزلت: ﴿ [illegible] ﴾ قال النبي   يا معشر قريش اشتروا أنفســكم لا أغــني عنكم من الله شيئا، يا عباس بن عبد المطلب لا أغني عنك من الله شيئا، يا صفية عمة رسول الله لا أغــني عنك من الله شــيئا، يا فاطمة بنت محمد سليني من مــالي ما شـئت لا أغــني عنك من الله شيئا .

وهذا ظاهر في أن النبي -عليه الصــلاة والســلام- لا يســتطيع أن يفعل شــيئا بما ينفع به الأقــربين ، إلا ما جعل الله له من الرســـالة والبلاغ وأداء الأمانة . وأما أنه يغـــني عنهم من الله شــيئا، يغــني عنهم العــذاب، يغــني عنهم النكــال، يغــني عنهم العقوبـــة، فالله -جل وعلا- لم يجعل لأحد من خلقه من ملكوته

شيئا، وإنما هو سبحانه المتفرد بالملكوت والجبروت والمتفرد بالجمال بالكمال والجمال والجلال، نعم.

باب

قوله الله -تعالى-:

حَتَّى إِذَا فُزِّعَ عَنْ قُلُوبِهِمْ قَالُوا مَاذَا قَالَ رَبُّكُمْ قَالُوا الْحَقَّ وَهُوَ الْعَلِيُّ الْكَبِيرُ

قَالَ -رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى-: باب قوله الله -تعالى-:

وفي الصحيح عن أبي هريرة قال: قال رسول الله

إذا قضى الله الأمر في السماء ضربت الملائكة بأجنحتها خضعانا لقوله، كأنه سلسلة على صفوان ينفذهم ذلك

فيسمع الكلمة مسترقو السمع، ومسترقو السمع هكذا بعضهم فوق بعض -وصفه سفيان بكفه فحرفها وبدد بين أصابعه- فيسمع الكلمة فيلقيها إلى من تحته ثم يلقيها الآخر إلى من تحته حتى يلقيها على لسان الساحر، أو الكاهن فربما أدركه الشهاب قبل

أن يلقيها، وربما ألقاها قبل أن يدركه فيكذب معها مائة كذبة، فيقال: أليس قال لنا كذا، واليوم كذا وكذا كذا وكذا فيصدق بتلك الكلمة التي سمعت من السماء .

وعن النواس بن سمعان قال: قال رسول الله   إذا أراد الله -تعالى- أن يوحي بالأمر تكلم بالوحي أخذت السماوات منه رجفة - أو قال رعدة شديدة - خوفا من الله فإذا سمع ذلك أهل السماوات صعقوا وخروا لله سجدا فيكون أول من يرفع رأسه جبريل -عليه السلام- فيكلمه الله من وحيه بما أراد.

ثم يمر جبريل بالملائكة، كلما مر بسماء سأله ملائكتها: ماذا قال ربنا يا جبريل؟ فيقول جبريل: قال الحق وهو العلي الكبير. فيقولون كلهم مثل ما قال جبريل، فينتهي جبريل بالوحي إلى حيث أمره الله   .

هذا الباب كما ذكرنا بالأمس مناسبته لكتاب التوحيد أن فيه برهانا على أن المستحق للعبادة هو الله -جل جلاله- ذلك أنه هو المتصف بصفات الكمال والجلال، وهذا الباب فيه ذكر لصفة، أو لصفات الجلال لله -جل وعلا-.

والله -سبحانه- كل مَن في السماوات ومَن في الأرض خائف منه وَجِلٌ منه في الحقيقة؛ إذ هو الجليل -سبحانه- ولذلك كان الأعرف به في السماء الملائكة، فإن الملائكة

وقال جل وعلا في وصفهم أيضا: .

فصفات الجلال لله -جل وعلا- صفات الكمال له -سبحانه- ، وصفات الجمال له -سبحانه- هذه كلها دلائل على أنه هو المستحق للعبادة وحده دون ما سواه، فمَن المتصف بالعظمة على كمالها؟ مَن الذي يُهَاب منه ويُخَاف على الحقيقة؟ مَن الذي يكون كل ما في السماوات وما في الأرض على وفق أمره ؟ هو الله -جل وعلا- إذن هو -جل وعلا- ذو الأسماء الحسنى، وذو الصفات العلا .

ولهذا قال جل وعلا في آية سبأ: "فزِّع" يعني أزيل الفزع عن قلوب الملائكة، فالملائكة مع أنهم مقربون؛ إلا أنهم شديدو المعرفة بالله -جل وعلا- شديدو العلم به، عظيم علمهم بالرب جل وعلا، ومما يعلمونه عن الله -جل وعلا- أنه هو الجبار، وأنه هو الجليل سبحانه، وأنه ذو الملكوت فلهذا يشتد فزعهم منه سبحانه؛ لأنه لا غنى بهم عنه جل وعلا طرفة عين.

والصفات التي فيها هذا البرهان هي صفات الجلال لله -جل وعلا- وصفات الجلال هي الصفات التي تورث الخوف في القلب؛ لأن الصفات تنقسم إلى أقسام متنوعة باعتبارات، ومن

تقسيمات الصفات أنها تنقسم إلى صفات جلال، وصفات جمال.

فالصفات التي تحدث في القلب الخوف والهلع والرهبة من الرب -جل وعلا- هذه تسمى صفات الجلال، والذي يتصف بصفات الجلال على الحقيقة هو الله -جل وعلا- لأنه هو الكامل في صفاته سبحانه، فإذا كان كذلك كان الكامل في صفاته هو المستحق للعبادة.

وأما البشر أما المخلوقون فإنهم ناقصون في صفاتهم يعلمون أن حياتهم ليست حياة كاملة، وإنما هي حياة إذا عرض لها أيّ عارض صار المخلوق ميتا، وإذا عرض له أيّ عارض صار مريضا، إذا عرض له أيّ عارض صار ضعيفا، لا يستطيع أن يعمل شيئا، فهم ضِعَاف فقراء محتاجون ليست لهم صفات الكمال.

وهذا دليل نقصهم ودليل عجزهم، ودليل أنهم مقهورون مربوبون، فيجب أن يتوجه العباد إلى من له صفات الكمال ونعوت الجلال والجمال وهو الله -جل وعلا- وحده سبحانه وتعالى، نعم هذا المراد من هذا الباب وهذا ظاهر بحمد الله، نعم.

باب الشفاعة

قَالَ -رَحِمَـهُ اللَّهُ تَعَـالَى-: بـاب الشـفاعة، وقـول الله -تعـالى-: ﴿ [illegible] ﴾ وقوله: ﴿ [illegible] ﴾ وقوله: ﴿ [illegible] ﴾ وقوله: ﴿ [illegible] ﴾ .

وقوله: ﴿ [illegible] ﴾ .

وقـال أبو العبـاس -رحمه الله تعـالى-: نفى الله عما سـواه كل ما يتعلق به المشـركون فنفى أن يكـون لغـيره ملـك، أو قسط منه، أو يكون عونا للـه، ولم يبق إلا الشـفاعة فـبين أنها لا تنفع إلا لمن أذن له الرب كما قال تعالى: ﴿ [illegible] ﴾ .

فهـذه الشـفاعة الـتي يظنها المشـركون، هي منتفية يـوم القيامة كما نفاها القرآن، وأخبر النبي ﷺ أنه يـأتي فيسـجد لربه ويحمده لا يبدأ بالشفاعة أولا ، ثم يقـال لـه: « ارفع رأسك وقل يسمع وسل تعط واشفع تشفع » .

وقال له أبو هريرة: من أسعد الناس بشفاعتك؟ قال: من قال لا إله إلا الله خالصا من قلبه فتلك الشفاعة لأهل الإخلاص بإذن الله تعالى، ولا تكون لمن أشرك بالله.

وحقيقته أن الله -سبحانه- هو الذي يتفضل على أهل الإخلاص فيغفر لهم بواسطة دعاء من أذن له أن يشفع ليكرمه وينال المقام المحمود، فالشفاعة التي نفاها القرآن ما كان فيها شرك، ولهذا أثبت الشفاعة بإذنه في مواضع، وقد بين النبي أنها لا تكون إلا لأهل التوحيد والإخلاص. انتهى كلامه، رحمه الله.

هذا باب الشفاعة، وإيراد هذا الباب بعد البابين قبله مناسب جدا ؛ ذلك أن الذين يسألون النبي -عليه الصلاة والسلام- ويستغيثون به ويطلبون منه، أو يسألون غيره من الأولياء، أو الأنبياء، إذا أقمت عليهم الحجة بما ذكر من توحيد الربوبية.

قالوا: نحن نعتقد ذلك، ولكن هؤلاء مقرَّبُون عند الله معظَّمُون، ورفعهم الله -جل وعلا- عنده، ولهم الجاه عند الرب جل وعلا، وإذا كانوا كذلك فهم يشفعون عند الله؛ لأن لهم جاها عنده؛ فمن توجه إليهم أرضوه بالشفاعة، وهم ممن رفعهم الله؛ ولهذا يقبل شفاعاتهم.

فكأن الشيخ -رحمه الله- رأى حال المشركين، وحال الخرافيين واستحضر حججهم، وهو كذلك؛ إذ هو أَخْبَرُ أهلِ هذه

العصورِ المتأخرةِ بحجج المشركين، استحضر ذلك فقال: لم يبق إلا الشفاعة لهم، إذا حاججتهم.

فهــذا بــاب الشــفاعة، والشــفاعة في الأصل مــأخوذة من الشفع، والشفع هو الزوج؛ لأن الشافع طالب، فصار مع صاحب الطلب الأصلي شفعا ، فواحد يريد شيئا فأتى الثـاني يشـفع له فصـار شـفعا لـه، فسـميت شـفاعة؛ لأنه بعد أن كـان صـاحب الطلب واحدا صار شفعا، بعد أن كـان فـردا، فسـميت شـفاعة لذلك.

والشفاعة هي الدعاء، وطلب الشـفاعة هو طلب، فـإذا قـال قائل: استشفع برسول الله، كأنه قال: أطلب من الرسول أن يدعو لي عند الله ، فالشفاعة طلب ؛ ولهذا من استشــفع فقد طلب الشفاعة، فالشفاعة دعاء؛ وهي طلب الدعاء أيضا.

فلهذا صار كل دليل تقدم لنا؛ وكل دليل في الكتـاب؛ أو في السـنة فيه إبطـال أن يُـدْعَى مع الله -جل وعلا- إله آخر يصـلح أن يكـون دليلا للشـفاعة يعـني: لإبطـال الاستشـفاع بـالموتى، وبالذين غابوا عن دار التكليـف؛ لأن حقيقة الشـافع أنه طـالب؛ ولأن حقيقة المستشـــــفع أنه طـــــالب، فالشــــافع في ظن المستشفع يدعو، والمستشفع يدعو من أراد منه الشفاعة.

يعـني: إذا أتى آت إلى قـبر النـبي أو قـبر ولي أو نحو ذلك فقال: أستشفع بك، أو أسألك الشفاعة، يعني: طلب منه ودعـاه أن يدعو له، فلهـذا صـار صـرفها، أو صـار التوجه بها إلى غـير

الله -جل وعلا- شركا أكبر ؛ لأنها في الحقيقة دعوة لغـير اللـه؛ لأنها في الحقيقة سؤال من هـذا الميت سـؤال وتوجه بـالطلب والـــدعاء من غـــير الله -جل وعلا- فيتوجه إلى غـــير الله في السؤال والطلب والدعاء.

إذن فالشـــفاعة عـــرفت معناهـــا، وأن التوجه إلى غـــير الله بالشـفاعة يعـني بطلب الشـفاعة شـرك أكـبر؛ إذا كـان هـذا المتوجه إليه من الأمـــــوات، أما إذا كـــــان حيا فإنه في دار التكليف يطلب منه أن يشـفع عند الله بمعـنى أن يـدعوه، وقد يجـاب دعـاؤه، وقد لا يجـاب، أو كما يحصل أن يشـفع بعض النـاس لبعض بالشـفاعة الحسـنة أو بالشـفاعة السـيئة □□□ □
□ □□□□□□□□□ □□□□□□□□□ □□□□□□□□□□ □□□□□□□□ □□□□□ □ □ □ □□□□□□□□ □□□□□□□□□ □□□□□□□□
.

فهـذا يحصـل؛ لأنهم في دار تكليف ويقـدرون على الإجابـة، وقد أذن الله في طلب الشـفاعة منهم بـأن يـدعو؛ لهـذا كـان الصحابة في عهد النبي □ ربما أتى بعضهم النـبي -عليه الصـلاة والسلام- وطلب أن يشفع له يعني: أن يدعو له.

مسألة الشفاعة من المسائل التي تخفى على كثيرين؛ ولهذا وقع بعض أهل العلم في أغلاط من جهة طلب الشـــفاعة من النـبي -عليه الصـلاة والسـلام- فـأوردوا قصصا في كتبهم فيها استشـفاع بـالنبي -عليه الصـلاة والسـلام- دون إنكـار، كما فعل النـووي وكما فعل ابن قدامة في المغـني ونحو ذلـك، وهـذا لا

يعد خلافا في المسـألة؛ لأن هـذا الخلاف راجع إلى عـدم فهم حقيقة هذا الأمر.

ومسألة الشفاعة مسألة فيها خفـاء؛ ولهـذا يقـول أهل العلم من أئمة الـــدعوة -رحمهم اللـــه-: إقامة الحجة في مســـائل التوحيد تختلف بحسب قـــوة الشـــبهة، فأقل الشـــبهات ورودا، وأيسر الحجج قدوما على المخالف فيما يتعلق بأصل دعوة غير الله معه، وبالاسـتغاثة بغـير اللـه، وفي الـذبح لغـير اللـه، ونحو ذلك .

ومن أكثرها اشـتباها إلا على المحقق من أهل العلم مسـألة الشفاعة ولهذا الشيخ -رحمه الله- أتى بهذا البـاب، وقـال: بـاب الشفاعة، وبيَّن لك بما ساق من الأدلة من الكتـاب والسـنة أن الشفاعة لا تصح إلا بشروط، الشـفاعة الـتي تنفع فإنها لا تصح إلا بشــروط، وكـذلك هنـاك شـفاعة منفية ليست كل شـفاعة تقبـل، وإنما هنـاك شـفاعة تُقبـل، وهنـاك شـفاعة تُـرد، تُقبل بشروط وتُرد أيضا بأوصاف.

فإذن صار عنـدنا أن الشـفاعة قسـمان في القـرآن والسـنة، شفاعة منفية وشـفاعة مثبتـة، أما الشـفاعة المنفية فهي الـتي نفاها الله -جل وعلا- عن أهل الإشــراك، كما ســاق الشــيخ -رحمه اللــــه- أول دليل قــــال: وقــــول الله [illegible]

[illegible]

[illegible] .

فهـذه الشـفاعة منفيـة، وهي منفية عن الجميع عن الـذين يخـافون، عن أهل التوحيد وعن غـيرهم، أما عن أهل التوحيد فهي منفية إلا بشـروط وهي: إذن الله للشـافع أن يشـفع، ورضاه جل وعلا عن الشافع، وعن المشفوع لـه، فـإذن قوله هنا: [illegible] يعني: أن الشفيع في الحقيقة هو الله -جل جلاله- دونما سواه.

ولهـذا أعقبها بالآية الأخـرى [illegible] فالشفاعة جميعا ملك للـه، وأهل الإيمـان وغـيرهم في الحقيقة ليس لهم من دون الله ولي ولا شـفيع، ليس أحد يشـفع لهم من دون الله -جل وعلا- بل لا بد أن تكـون الشـفاعة بالله يعني: بإذنه وبرضاه.

فإذن ، إذا تقرر ذلك فإنه إذا نُفِيَتْ الشفاعة عن أحد سـوى الله -جل وعلا- وأن الـذي يملك الشـفاعة إنما هو الله -جل وعلا- وحـده؛ فـإذن بطل التعلـق، تعلق قلـوب أهل الشـفاعة الذين يسألون الموتى الشفاعة، بطل تعلقهم بمسألة الشـفاعة؛ لأن الشفاعة ملك لله، وهذا لا يملكها.

هل تنفع الشـفاعة مطلقا أم لا بد أيضا من قيـود؟ نعم ، الشفاعة تنفع لكن لا بد من شروط؛ ولهـذا أورد الآيـتين بعـدها قال -جل وعلا-: [illegible] قال: وقوله: [illegible] .

ووجه الاســـتدلال من الآية الأولى أن فيها قيد الإذن؛ فليس أحد يشـــفع إلا بشـــرط أن يـــأذن الله له □□□□□□□ □□□ □□□ □ □ □ □□□□□□□□□□□ □□□□ □□□□□□□□□ □□□□□□□□ □□□□□□□□ يعــني: لا أحد يشــفع عند الله إلا بإذنه؛ لا الملائكة ولا الأنبياء، ولا المقربـون، وإنما الله -جل وعلا- هو الذي يملك الشفاعة.

إذا كــان كــذلك وأنه لا بد من إذنه -جل وعلا- فمن الــذين يــأذن الله -جل وعلا- لهم ؟ لا أحد إذن يبتــدئ في الشــفاعة دون أن يُـؤْذَن له ، فـإذا كـان كـذلك، فـإذن رجع الأمر إلى أن الله هو الــذي يوفق للشــفاعة، وهو الــذي يـأذن بهـا، ولا أحد يبتدئ بالشفاعة. كـذلك الآية الأخـرى قـال: □□□ □□□□□□ □□□□ □□□□ □□□□ □ □ □□□□□□□□ □□□□□ □□□□ □□□□□□□□ □□□□ □ □□□□□□□□□□ □ يعني من الشافعين □ □□□□ □□□□□□□□□□□ □ يرضى قول الشافع، ويرضى أيضا عن المشفوع لهم.

هـذه الشـروط فائـدتها -وهي فائـدة هـذا البـاب- أنه لا أحد يتعلق إذن بأن هذا الذي طلبت منه الشـفاعة أن له مقاما عند الله يملك به أن يشــفع كما يعتقد أهل الشــرك في أن آلهتهم تشفع، ولا بد أن تشفع.

فاعتقــاد المشــركين الــذين بعث إليهم رســول الله □ ســواء أكانوا من الأميين ، أم من أهل الكتاب يعتقدون أن من توجهوا له بالشـفاعة من الآلهة أنه يشـفع جزما إذا توجه إليـه، وتـذلل له، وتقرب إليه بالعبادات وطلبت منه الشـفاعة عند اللـه، فإنه يشفع جزما، وأن الله -جل وعلا- لا يرد شفاعته.

فهذه الآيات فيها إبطال لدعوى أولئك المشـركين في أنه ثم أحد يملك الشفاعة بدون إذن الله وبدون رضـاه عن المشـفوع لـه، وإذا ثبت أنه لا أحد يملكهـا، وأن من يشـفع إنما يشـفع بإكرام الله له، وبإذنه -جل وعلا- له، فـإذن كيف يتعلق المتعلق بهذا المخلوق؟ إنما يتعلق بالذي يملك الشفاعة.

ولهـذا شـفاعة النـبي -عليه الصـلاة والسـلام- يـوم القيامة حاصـلة ، لكن نطلبها ممن نطلبها ؟ من الله ، فنقـول: اللهم شَفِّعْ فينا نبيـك؛ لأنه هو الـذي يفتح ويلهم النـبي -عليه الصـلاة والسلام- أن يشفع في فلان، وفي فلان ، فيمن سـألوا الله أن يشـفع لهم النـبي -عليه الصلاة والسـلام- لهـذا أعقبها الشـيخ -رحمه الله- بآية سبأ.

قال: وقوله: [illegible] .

هذه ثلاث حالات: الحالة الأولى أن يـدعو الـذين زعمـوهم من دون اللـه، وأن ينظـروا هل يملكـون مثقـال ذرة في السماوات، أو في الأرض، قال جل وعلا: [illegible] فإذن الملك الاستقلالي لهم نُفِيَ ، وهذه هي الحالة الأولى.

والثانية قـال: [illegible] أيضا نفى أن يكونوا شركاء لله في الملك في تدبير السـماوات والأرض، في

ملك شــــيء من الســـماوات والأرض، فنفى أولا أن يملكـــوا استقلالا، ونفى ثانيا أن يملكـوا شـركة قـال جل وعلا بعـدها: [illegible]

[illegible] .

الظهير هو المعـاون والمـؤازر والـوزير، قـال: ما له جل وعلا منهم يعني: من تلك الآلهة من وزير ولا معـاون؛ لأنه قد يتبـادر إلى ذهن بعض النـاس أن ثمة مَن يعين الله على أمـره ، مثل الملائكة أو مثل الأنبياء، فإذا توجه إلى أولئك بالدعاء وبالطلب، كان التوجه إلى مَن يعين الله، فيكون إذا طلب من الله ، فإن الله لا يرده؛ لأنه يعينه.

بنـــوا ذلك على تشـــبيه الخـــالق -جل وعلا- بما يحصل من المخلوقين، فإن الملك في هذه الـدنيا أو الحـاكم أو الأمـير إذا كان من يعينه ومن يظـاهره وشـفع لأحد فإنه لا يـرد شـفاعته؛ لأنه يحتاجه؛ فلأجل هذه الحاجة لا يرد الأمـير أو الملك شـفاعة مَن له ظهير، من كان له ظهيرا.

فيظن المشركون أن بعض تلك الآلهة معاونة لله -جل وعلا- فنفى الله -جل وعلا- هذا الاعتقاد الجاهلي، ونفى أخيرا اعتقـادا آخر، وهو أن تلك الآلهة تملك الشفاعة، قـال جل وعلا: [illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible] فنفى آخر ما نفى الشفاعةَ، وأثبتها بشرط قال: [illegible]

[illegible] .

فالشفاعة تنفع بشرط أن يأذن الله، فإذن لا يبتدئ هذا الشافع فيشفع ، فإذا كان كذلك توجه السؤال إذن الآن: مَن الذين يأذن الله لهم؟ إذا كان ليس له شريك، وليس له ظهير، وليس له أيضا شفيع عنده، ليس عنده شفيع إلا بإذنه، فمن ذا الذي إذن يشفع عنده بإذنه؟ من هم؟ ومن الذي يأذن له الله جل وعلا ؟

الجواب في ما قاله شيخ الإسلام ابن تيمية، فيما ساقه الشيخ -رحمه الله- بعد ذلك إذن؛ فالآيات التي سبقت من أول الباب إلى هنا رتبها الإمام -رحمه الله- ترتيبا موضوعيا فالآيات، الأول وجه الاستدلال منها أن الشفاعة ملك لله. الآية الأولى والثانية، وأنه ليس لأحد شيء من الشفاعة يعني: ليس أحد يملك شيئا من الشفاعة، فإذا كان لا يملك إذن من يشفع؟ كيف يشفع؟

يشفع بأن يُعْطَى الشفاعة، يُؤْذَن له بالشفاعة، يُكْرَم بالشفاعة من يشفع؟ هل يشفع استقلالا ؟ نفى شفاعة الاستقلال، وأثبت الشفاعة بشرطٍ وهو شرط الإذن والرضا، إذا كان كذلك فمن الذي يؤذن له؟ ومن الذي يرضى له أن يشفع؟ ومن الذي يرضى عنه أن يشفع فيه ؟

هذه ثلاثة أسئلة جوابها في كلام شيخ الإسلام حيث قال المصنف -رحمه الله-: قال أبو العباس: نفى الله عما سواه كل ما يتعلق به المشركون، فنفى أن يكون لغيره ملك، أو قسط

منــه، أو يكــون عونا لله ، ولم يبق إلا الشــفاعة، فــبين أنها لا تنفع إلا لمن أذن له الرب كما قـال:

.

فهــذه الشــفاعة الــتي يظنها المشــركون، هي منتفية يــوم القيامة، كما نفاها القرآن ، منتفية يوم القيامة يعـني: عن جميع الخلق إلا لمن أثبت الله -جل وعلا- له بالاســــــتحقاق، أو أن يكون نائلا تلك الشفاعة. يعني: الأصل ألا شـفاعة إلا لمن رضي الله قوله، أو أذن له جل وعلا.

قال كما نفاها القرآن، وأخبر النـبي أنه يـأتي فيسـجد لربه ويحمده ، قول الشيخ -رحمه الله-: فهـذه الشـفاعة الـتي يظنها المشركون هي منتفية يـوم القيامة ، كما نفاها القـرآن، يعـني: منتفية بدون شروط؛ لأن المشركين يعتقدون أنها تحصل بــدون إذن من الله، ولا رضـاه ؛ لأن الشـافع عنـدهم يملك الشـفاعة، ولكن هي تحصل بالشرط، كما أثبت ذلك الكتاب والسنة .

قال: يـأتي فيسـجد لربه ويحمـده لا يبـدأ بالشـفاعة أولا ، ثم يقال له: ارفع رأسك، وقل يسمع، وسل تعط، واشفع تشفع وقال له أبو هريـرة: من أسـعد النـاس بشـفاعتك ؟ قـال: من قال لا إله إلا الله خالصا من قلبه .

فالدليل الأول من السنة في أن النــبي وهو ســيد ولد آدم لا يشفع حتى يؤذن له. يا محمد ارفع رأسك، وقل يسمع، وسل تعط ، واشــفع تشــفع هــذا في دليل الإذن، من الــذي

يُؤْذَن له ؟ يؤذن للنبي -عليه الصلاة والسلام- ويؤذن لغيره لا يَبْتَدِئُون، وإنما يستأذنون في الشفاعة فيؤذن لهم لِمَ ؟ لأنهم لا يملكونها، وإنما الذي يملكها عند الله إنما هو الله ، جل وعلا ، سبحانه وتعالى.

من الذي يؤذن في الشفاعة فيه؟ من الذي يرضى عنه في الشفاعة ؟ جاء بالحديث الآخر حيث قال أبو هريرة للنبي   من أسعد الناس بشفاعتك ؟ قال: من قال: لا إله إلا الله خالصا من قلبه فهذا الذي يرضى عنه فيشفع فيه بعد إذن الله -جل وعلا- هو صاحب الإخلاص، هم أهل التوحيد.

فإذن تلك الشفاعة منتفية عن أهل الشرك؛ لهذا قال: فتلك الشفاعة لأهل الإخلاص بإذن الله، ولا تكون لمن أشرك بالله، فإذا كان كذلك فيكون الذي توجه إلى الموتى، إلى الرسل، أو إلى الأنبياء، أو إلى الصالحين، أو إلى الطالحين، يطلب منهم الشفاعة، فإنه مشرك؛ لأنه توجه بالدعاء لغير الله، وأولئك لا يملكون الشفاعة، وإنما يشفعون بعد الإذن والرضا.

والرضا يكون عن أهل التوحيد، وأهل التوحيد هم الذين لا يسألون الشفاعة أحدا من الموتى، فإذن كل من سأل ميتا الشفاعة، فقد حرم نفسه الشفاعة؛ لأنه أشرك بالله -جل وعلا- والشفاعة المثبتة إنما هي لأهل الإخلاص، ليس لأهل الشرك فيها نصيب. ونقف عند هذا، وصلى الله وسلم على نبينا محمد.

 الحمد لله رب العــالمين، وصــلى الله وســلم على نبينا محمد، وعلى آله وأصحابه أجمعين، أما بعد:

فهــذا أخ يقــول: ما الفــرق بين التوسل والشــفاعة؟ نرجو التوضيح، وجزاكم الله خيرا.

 الحمد لله والصــلاة والســلام على رســول الله وعلى آله وصحبه، ومن اهتدى بهداه، أما بعد، التوسل هو اتخاذ الوســيلة، والوســيلة هي الحاجة نفســها، أو من يوصل إلى الحاجــة، قد يكون ذلك التوسل باستشفاع يعني: بطلب شــفاعة يعــني: يصل إلى حاجته بحسب ظنه بالاستشفاع.

وقد يصل إلى حاجته بحسب ظنه بغـير الاستشـفاع، فيتوسل مثلا بالذوات يسأل الله بالذات، يســأل الله بالجــاه، يســأل الله بحرمة فلان، مثل أن يقــول: أســألك اللهم بنبيك محمــد، بعد وفاته -عليه الصلاة والسلام- أو يقـول: أسـألك اللهم بـأبي بكـر، أو بعمر، أو بالإمام أحمد، أو بابن تيمية، أو إلى آخــره، بــالولي فلان، بأهل بدر، بأهل بيعة الرضوان، يسأله بهم، هذا هو الــذي يسمونه توسلا.

وهــذا التوسل معنــاه أنه جعل أولئك وســيلة، وأحيانا يقــول: لفظ الحرمة: أسألك بحـرمتهم أســألك بجــاههم، ونحو ذلــك. أما الاستشفاع فهو أن يســألهم الشــفاعة، يطلب منهم أن يشــفعوا له.

فَتَحَصَّـلَ من ذلك أن التوسل يختلف عن الاستشـفاع؛ فـإن المستشـفع طـالب للشـفاعة؛ والشـفاعة إذا طلبها من العبـد؛ فيكون قد سأل غير الله ، وأما المتوسل بحسب العرف، عرف الاسـتعمال، المتوسل يسـأل الله لكن يجعل ذلك بوسـيلة أحـد؛ فالاستشـفاع سـؤال لغـير الله . وأما الوسـيلة فهي سـؤال الله بفلان، بحرمته، بجاهه.

والتوسل بالذوات وبالجاه وبالحرمة لا يجـوز؛ لأنه اعتـداء في الـدعاء؛ ولأنه بدعة محدثـة؛ وهو وسـيلة إلى الإشـراك؛ وأما الاستشـفاع بـالمخلوق الـذي لا يملك الـدعاء؛ وهو الميت أو الغائب أو نحو ذلك؛ فهـذا طلب ودعـاء لغـير اللـه؛ وهو شـرك أكـبر؛ فالتوسل بحسب العـرف هـذا من البـدع المحدثـة؛ ومن وسائل الشرك، وأما طلب الشفاعة من غير الله فهو دعاء غير الله، وهو شرك أكبر.

الجاهليون والخرافيون والقبوريون يسمون عباداتهم جميعا: من طلب الشفاعة، ومن الذبح، والنذر، ومن الاستغاثة، ومن دعاء الموتى يسمونها توسلا، وهذا غلط على اللغة، وعلى الشـرع، فـالكلام في أصـله ما يصح المعـنى به لغـة، وبين التوسل والشفاعة في أصله ما يصح لغة، أما إذا أخطأ النـاس، وسموا العبادات المختلفة توسلا، فهذا غلط من عندهم ، نعم.

وهـذا يقـول: ما حكم ما يوضع على السـيارات، أو المنـازل عبارات مثل ما شاء الله، وتبارك الله، أو هذا من فضل ربي؟

هذا له حكم تعليق بعض الآي أو الآي على الحيطـان، أو في السيارات، أو نحو ذلـك، فـإن كـان المقصـود منها الإرشـاد إلى عمل شـرعي مسـنون، فهـذا مشـروع أو مبـاح، وأما إن كـان القصد منها الحفظ أن تحفظه وأن تحرسه من العين، أو من الأذى فهذا راجع إلى اتخاذ التمائم من القرآن ونحوه، نعم.

وهذا يقول: ما رأيكم في امـرأة طلبت من قـريب لها ذاهب إلى مكة أن يشتري لها كفنا من هناك، وأن يغسل الكفن بماء زمزم. يقول: وهذا الأمر منتشر، وجزاكم الله خيرا.

هذا تبرك بما يباع في مكـة، واعتقـاد فيـه، وهـذا باطـل، ولا يجـوز ؛ لأن ما يبـاع في مكة ليس له خصوصـية في البركـة، وليس له خصوصية في النفع، بل هو وما يباع في غيره سواء، هو وما يباع في غير الحرم سواء.

وأما غسله بماء زمـزم لرجـاء أن يكـون ذلك الكفن فيه من بركة ماء زمزم، فكذلك هذا غلط؛ لأن بركة مـاء زمـزم مقيـدة بما ورد فيه الـــدليل، ليست بركة عامـــة، إنما هي بركة خاصة بما جاء فيه الدليل.

ولهذا الصحابة -رضوان الله عليهم- لم يكونوا يستعملون مـاء زمزم إلا فيما جاءت به الأدلة، من مثل: ماء زمزم لما شرب له ومن مثل قوله عليه الصـــلاة والســـلام في زمـــزم: إنها طعام طعم وشفاء سقم .

أما التبرك بها في غير ذلك؛ فهذا ليس له أصل شرعي.

وهذا يقول: ما حكم الاغتسـال بمـاء زمـزم، والمـاء المقـروء فيه القرآن. في بيوت الخلاء ؟

لا بــأس بــذلك؛ لأنه ليس فيه قــرآن مكتــوب، وليس فيه المصحف مكتوبـا، وإنما فيه الـريح النفث بـالهواء الـذي خالطه المصحف، أو خالطته القراءة ، ومن المعلـوم أن أهل مكة في أزمنتهم الأولى كان يستعملون ماء زمزم، ولم يكن عندهم غير ماء زمـزم، فالصـواب أنه لا كراهة في ذلك وأنه جـائز، والمـاء ليس فيه قـرآن، إنما فيه نفث بـالقرآن، وفـرق بين المقـامين، نعم.

وهــذا يقــول: ما الحكم إذا ذبح العبد ذبيحة من أجل أن الله قد شفى مريضه، وخرج من المستشفى؟

هــذا يرجع إلى نيته في ذبح هــذه الذبيحــة، فــإذا كـانت بعد الانتهـاء من المـرض، وبعد أن ارتفع المـرض، وعُـوفِيَ وشُـفِيَ ذلك المريض بفضل الله -جل وعلا- وبنعمته فهـذا يختلف حالـه: إذا قصد أنها شكر لله -جل وعلا- يتصدق بلحمها، فهـذا حسـن؛ لأن المــرض قد انتهى وارتفــع، فهو لا يقصد بها الاستشــفاع، وإنما هي نــوع شــكر لله -جل وعلا- أو دعا عليها أحـــدا من أقربائه، أو ممن يحبون ذلك المريض، ونحو ذلك فهذا من بـاب الإكرام.

وأما إذا كانت مقاصده أو نياته في هذا الذبح أن يدفع رجوع هــذا المــرض مــرة أخــرى، أو أن يــدفع شــيئا من انتكاســات

المرض، أن يدفع شيئا مما يخافه، فهذا داخل في عدم الجواز سدا لذريعة الاعتقادات الباطلة، نعم.

وهذا يقول: قرأت في كتاب لأحد المؤلفين ينقل فيه: إذا خفت على ولدك أو على نفسك من العين فضع نقطة سوداء على الجبهة؛ لتصرف عنك العين.

اعتقادات الناس في دفع العين لا حصر لها، والجامع لذلك أن كل شيء يفعله الناس مما يعتقدونه سببا، وليس هو بسبب شرعي ولا قَدَري ، فإنه لا يجوز اتخاذه، وهذا يختلف عما جاء عن عمر أنه رأى غلاما صغيرا حسن الصورة، وخاف عليه العين، فقال لأهله: دسموا نونته ففعلوا.

هذا من إظهار عدم الحسن، ليس التدسيم -وهو وضع نقطة في بعض الوجه- ليس لأجل أن تدفع تلك النقطة العين؛ ولكن لأجل أن يظهر بمظهر ليس بحسن؛ فلا تتعلق النفوس الشريرة به، فإذا كان وضع هذه النقطة التي ذكر لأجل اعتقاد أنها تدفع العين، فهذا من اتخاذ الأسباب الشركية التي لا تجوز، وإن كان لأجل إظهار عدم الحسن في تلك الصورة الجميلة، أو ذلك الجسد المعافى، أو نحو ذلك، فإن هذا لا بأس به ، والله أعلم ، نعم.

وهذا يقول: بعض العلماء أجاز التوسل، ودليلهم حديث الأعمى فكيف يرد عليهم ؟ وجزاكم الله خيرا.

حـديث الأعمى رواه الترمـذي وغـيره، وهو حـديث حسـن، وهناك رواية أخرى طويلة في معجم الطبراني الصغير في هـذا الحديث وفيها زيـادة أن أحد الصـحابة وهو عثمـان بن حـنيف أنه أرشد إلى اسـتعمال ذلك الـدعاء بعد وفاته -عليه الصـلاة والسلام-.

والقـدر الأول، وهو أن الأعمى توسل بـالنبي -عليه الصـلاة والسلام- في حياتـه، هـذا صـحيح وجـار على الأصـول؛ حيث إن التوسل بالنبي -عليه الصلاة والسـلام- في حياته توسل بدعائـه، وهو عليه الصلاة والسلام يملك ذلك، ويستطيعه ويقدر عليه.

أما التوسل بالنبي -عليه الصلاة والسـلام- أي بدعائه أو بذاته أو بنحو ذلك بعد وفاتـه، فإنه لا يجـوز؛ لأنه مِن طلب الشـيء ممن لا يملكه ؛ والرواية التي في الطـبراني الصـغير ضـعيفة ، وفيها مجاهيـل؛ ولـذلك ليست بحجة فيما ورد في اسـتعمال الصحابة ذلك بعد وفاته .

والـذي يـدل أيضا على أن ذلك خـاص بـالأعمى، وعلى أصل الاستشـفاع، أنه رحمة من الله -جل وعلا- للمستشـفع، وفضل منه عليه ، وإزالة عما به أن ذلك الأعمى رأى النـــور وأبصر بعد دعاء النبي -عليه الصـلاة والسـلام- لـه، وتوجه ذلك الأعمى إلى الله -جل وعلا- أن يجيب فيه دعـــاء نبيه -عليه الصــــلاة والسلام-.

الصحابة الآخرون الذين كانوا مكفوفين لم يدعو بهذا الـدعاء، فكان في المدينة أنـاس عـدة قد كُفَّتْ أبصـارُهم، منهم ابن أم مكتـوم وجماعة فما دعـوا بـذلك الـدعاء، وإنما كـان ذلك خاصا بذلك الأعمى، فالعلماء لهم في ذلك توجيهان:

التوجيه الأول: أن ذلك الـدعاء كـان خاصا بـذلك الأعمى، بدليل عدم استعمال بقية الصحابة ذلك الـدعاء، وعـدم إرشـاد النـبي -عليه الصـلاة والسـلام- لهم أن يـزال ما بهم من عمى البصر بذلك الدعاء.

والتوجيه الثـــاني: أن ذلك خـــاص بحياته -عليه الصـــلاة والسلام- ولا يكون بعد وفاته -عليه الصلاة والسلام- وهذا الثاني والأول جميعا ظاهرة صحيحة، والصحابة فهموا ذلك؛ ولهـذا ثبت في البخـاري وغـيره أن عمر لما أجـدبوا قـال وهو يخطب للاستسـقاء قـال: اللهم إنا كنا إذا أجـدبنا توسـلنا بنبيـك، وإنا نتوسل إليك اليوم بعم نبيك، يا عباس قم فادع الله لنا .

قال العلماء: انتقل عمر من الفاضل وهو النبي -عليه الصـلاة والسـلام- إلى المفضـول وهو العبـاس عم النـبي -عليه الصـلاة والسـلام- لعلة شـرعية؛ وهو أن الـدعاء من الحي ممكن، وأما من غـير الحي، حيـاة الـدنيا المعروفـة، فإنه غـير ممكن، وإلا يكـــون عمر انتقل من الفاضل إلى المفضـــول لغـــير علة شرعية؛ وهذا ممتنع فقها للصحابة -رضوان الله عليهم- . نعم.

بقي في الباب الذي قبله بعد الشفاعة الأسطر الأخيرة من كلام شيخ الإسلام ابن تيمية، فوقفنا عند قوله: وحقيقته يعني: حقيقة الشفاعة أن الله -سبحانه- هو الذي يتفضل على أهل الإخلاص فيغفر لهم بواسطة دعاء من أذن له أن يشفع؛ ليكرمه، وينال المقام المحمود، هذا في حقيقة الشفاعة فإننا ذكرنا لكم أن الشفاعة نفي أن يملكها أحد إلا الله -جل وعلا- [illegible] .

اللام هذه لام الملك يعني: الذي يملك الشفاعة، هو الله -جل وعلا- وقال: [illegible] فإن الشفاعة إنما هي لله -تبارك وتعالى- وجاء في الأدلة أن الشفاعة منفية عن المشركين، وأن الشفاعة النافعة إنما هي لأهل الإخلاص بشرطين: الإذن، والرضا.

إذا تقرر ذلك فما حقيقة الشفاعة ؟ يعني ما حقيقة حصولها؟ وكيف تحصل؟ الجواب في كلام شيخ الإسلام ابن تيمية في قوله: حقيقته أن الله -سبحانه- هو الذي يتفضل على أهل الإخلاص يعني أن الذين شُفِعَ لهم إنما ذلك بتفضل الله -جلا وعلا- عليهم، وهم أهل الإخلاص حيث جاء في حديث أبي هريرة قال عليه الصلاة والسلام: أسعد الناس بشفاعتي من قال: لا إله إلا الله خالصا من قلبه ، أو قال خالصا من قلبه ونفسه .

فأهل الإخلاص هم الذين يكـرمهم الله بالشـفاعة، فالمتفضل بالشــفاعة هو الله -جل وعلا- فــإذا ثبت ذلك انقطع القلب من التعلق بغــير اللــه؛ لأجل الشــفاعة، فــإن الــذين توجهــوا إلى المعبــودات المختلفة إلى الأوليــاء إلى الصــالحين إلى الملائكة إلى غير ذلك توجهوا إليهم رجاء الشفاعة، كما قـال -جل وعلا- عنهم: [illegible] .

فـإذا بطل أن تكـون لهم الشـفاعة، وأن المتفضل بالشـفاعة هو الله -جل وعلا- فـإن الله -جل جلالـه- إنما يتفضل على أهل الإخلاص فيغفر لهم بواسطة من دعا بواسـطة دعـاء الـذي أذن له أن يشـفع، وهاهنا سـؤال: لِمَ لَمْ يتفضل الله عليهم أن يغفر لهم بدون واسطة الشفاعة؟

والجــواب عن ذلك ما ذكــره شــيخ الإســلام ابن تيمية هنا بقوله: ليكرمه، فهو إظهار فضل الشافع، إظهار إكرام الله -جل وعلا- للشـافع في ذلك المقـام؛ إذ كما هو معلـوم أن الشـافع الذي قبلت شفاعته، ليس في المقام مثل المشـفوع لـه، فالله -جل وعلا- يظهر إكرامه لمن أذن له أن يشــفع، ويظهر رحمته بالشافع؛ لأن الشافع له قرابة يريد أن يشفع لهم ، أحباب يريد أن يشفع لهم.

لذلك الشفاعة يوم القيامة لأهل الكبائر ليست خاصة بــالنبي [illegible] بل يشفع الأنبيـاء، وتشـفع الملائكـة، ويشـفع أيضا الصـالحون، فهذه شفاعات مختلفة في أهل الكبائر؛ لإكــرام الله -جل وعلا-

للشافع ورحمة للشافع، وأيضا رحمة للمشفوع له، وإظهار فضل الله -جل وعلا- على الشافع والمشفوع له.

هذه هي حقيقة الشفاعة أن الله -جل وعلا- يتفضل فيقبل الشفاعة بإذنه، يتفضل على الشافع، ويكرمه بأن يشفع، يتفضل ويرحم المشفوع له فيقبل فيه الشفاعة.

فإذن هي كلها دالة لمن كان له قلب على عظم الله -جل وعلا- وتفرده بالملك، وتفرده بتدبير الأمر، وأنه الذي يجير ولا يجار عليه سبحانه وتعالى، هو الذي له الشفاعة كلها، هو الذي له ملك الأمر كله، ليس لأحد منه شيء، وإنما يظهر فضله ويظهر إحسانه ويظهر رحمته، ويظهر كرمه لتتعلق القلوب به.

فبطل إذن أن يكون ثم تعلق للقلب بغير الله -جل وعلا- لأجل الشفاعة فالذين تعلقوا بالأولياء، أو تعلقوا بالصالحين، أو بالأنبياء، أو بالملائكة؛ لأجل الشفاعة.

هذه هي حقيقة الشفاعة من أنها فضل من الله -جل وعلا- وإكرام، فإذا كانت كذلك وجب أن تتعلق القلوب به -سبحانه وتعالى- في رجاء الشفاعة؛ إذ هو المتفضل بها على الحقيقة؛ والعباد مُكْرَمُون بها لا يبتدئون بالقول، ولا يسبقون بالقول، وإنما يجلون ويخافون ويثنون على الله، ويحمدون حتى يؤذن لهم بالشفاعة.

ثم قال شيخ الإسلام: فالشفاعة التي نفاها القرآن ما كان فيها شرك، التي نفاها القرآن في مثل قوله جل وعلا: [illegible]

هذه شفاعة منفية، هي الشفاعة الـتي فيها شـرك، كـذلك الشـفاعة للمشـركين منفيـة؛ لأنهم لم يرض عنهم.

فالشفاعة التي فيها شـرك من جهة الطلب، أو من جهة من سئل له بأن كان ذلك مشركا، فإنها منفية عن أهلها لا تنفعهم، فإذن يثبت بـذلك أن الـذي هو حقيق بالشـفاعة هو الـذي أنعم الله عليه بـالإخلاص، ووفقه لتعظيمـه، وتعليق القلب به وحـده دون ما سـواه، فـإذن كل مشـرك الشـفاعة عنه منفيـة، كل شرك الشرك الأكبر فالشفاعة عنه منفيـة؛ لأن الشـفاعة فضل من الله لأهل الإخلاص.

أما الشفاعة المثبتة فهي التي أثبت يعني: جاء إثباتها بشـرط الإذن والرضا. قال شيخ الإسلام بعد ذلك: "ولهذا أثبت الشـفاعة بإذنه في مواضـع، وهـذه هي الشـفاعة المثبتـة، أثبتها بإذنه في مواضـع" يعـني: بشـرط الإذن، والإذن إذن كـوني وإذن شـرعي، فالمأذون له لا يمكن أن تحصل منه الشـفاعة إلا أن يـأذن الله له كونا، بأن يشفع، فـإذا منعه الله كونا أن يشـفع، ما حصـلت منه الشفاعة، ولا تحرك بها لسانه.

كذلك الإذن الشرعي في الشفاعة بأن تكون الشـفاعة ليس فيها شـرك، وأن يكـون المشـفوع له ليس من أهل الشـرك، ويُخَصُّ من ذلك أبو طالب حيث يشـفع له النـبي -عليه الصـلاة والسـلام- في تخفيف العـذاب عنـه، فهي شـفاعة ليست في

الانتفاع بـالإخراج من النـار، إنما هي في تخفيف العـذاب، وهي خاصة هـذه للنـبي -عليه الصـلاة والسـلام- بما أوحي الله -جل وعلا- إليه، وأذن له بذلك.

قـال -رحمه اللـه- في آخر كلامـه: "وقد بين النـبي أنها لا تكون إلا لأهل التوحيد والإخلاص، وهـذه هي الشـفاعة المثبتـة" فتبين بهذا الباب أن الشفاعة التي تعلقت بها قلوب الخرافيـون والمتعلقون بغير الله أن ذلك باطل، وأن قولهم: هؤلاء شفعاؤنا عند الله هذا قول باطل؛ إذ الشـفاعة الـتي تنفع إنما هي لأهل الإخلاص، وما دام أنهم طلبـوا الشـفاعة من غـير اللـه، فقد سألوا غير الله -جل وعلا- الشفاعة ، وهذا مؤذن بحرمانهم من الشفاعة، فإنما هي لأهل الإخلاص.

وخلاصة الباب أن تعلق أولئك بالشفاعة إنما هو عليهم، ليس لهم ؛ لأنهم لما تعلقوا بالشفاعة حرموها؛ لأنهم تعلقـوا بشـيء، لم يـأذن الله -جل وعلا- به شـرعا بـأن اسـتخدموا الشـفاعات الشركية، وتوجهوا إلى غير الله وتعلقت قلوبهم بغير الله.

باب

قول الله -تعالى-:

إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ

 الحمد لله رب العـالمين، والصـلاة والسـلام على أشـرف المرســلين نبينا محمد ، وعلى آله وصــحبه أجمعين، قـــال

المصنف -رحمه الله تعالى-: باب قول الله -تعالى-:

.

وفي الصحيح عن ابن المسيب عن أبيه قال: لما حضرت أبا طالب الوفاة جاءه رسول الله وعنده عبد الله بن أبي أمية وأبو جهل فقال له رسول الله يا عم قل لا إله إلا الله كلمة أحاج لك بها عند الله. فقالا له: أترغب عن ملة عبد المطلب؟ فأعاد عليه النبي فأعاد فكان آخر ما قال: هو على ملة عبد المطلب وأبى أن يقول: لا إله إلا الله.

فقال النبي لأستغفرن لك ما لم أُنْهَ عنك فأنزل الله

وأنزل الله -تبارك وتعالى- في أبي طالب:

الباب الذي بعده باب قول الله -تعالى-:

مناسبة هذا الباب لكتاب التوحيد أن الهداية من أعز المطالب ، وأعظم ما تعلق به الذين تعلقوا بغير الله أن يكون لهم النفع في الاستشفاع، وفي التوجه في الدنيا والأخرى.

والنبي -عليه الصلاة والسلام- وهو سيد ولد آدم، وهو أفضل الخلق عند ربه -جل وعلا- نفي عنه أن يملك الهداية، وهي نوع من أنواع المنافع ، فدل على أنه عليه الصلاة والسلام ليس له

من الأمر شـــيء، كما جــاء في ما ســبق في بــاب قــول الله تعالى: [illegible] في سبب نزول قول الله -تعالى-: [illegible] .

فــإذا كــان النــبي -عليه الصــلاة والســلام- ليس له من الأمر شـــيء ، ولا يســـتطيع أن ينفع قرابتـــه: [illegible] يا فاطمة بنت محمد سليني من مالي ما شئت لا أغني عنك من الله شيئا [illegible] .

إذا كــان هــذا في المصــطفى [illegible] وأنه لا يغــني من الله -جل وعلا- عن أحبابه شيئا، وعن أقاربه شيئا، وأنه لا يملك شيئا من الأمر، وأنه ليس بيده هداية التوفيق ، فإنه أن ينتفي ذلـك، وما دونه عن غير النبي [illegible] من باب أولى.

فبطل إذن كل تعلق للمشــركين من هــذه الأمة بغــير الله -جل وعلا- لأن كل من تعلقــوا به هو دون النــبي -عليه الصــلاة والسلام- بالإجماع ، فــإذا كــانت هــذه حــال النــبي -عليه الصلاة والســلام- وما نفي عنــه، فــإن نفي ذلك عن غــيره [illegible] من بــاب أولى قــال هنــا: بــاب قــول الله -تعــالى-: [illegible] .

قال هنا: باب قول الله تعالى: [illegible]

"لا" هنا نافيـــة، وقولـــه: "تهـــدي" الهداية المنفية هنا هي هداية التوفيق والإلهــام الخــاص، والإعانة الخاصة هي الــتي يســميها العلماء هداية التوفيق والإلهام.

ومعناها أن الله -جل وعلا- يجعل في قلب العبد من الإعانة الخاصة على قبول الهدى، ما لا يجعله لغيره، فالتوفيق إعانة خاصة لمن أراد الله توفيقه.

بحيث يقبل الهدى، ويسعى فيه، فَجَعْلُ هذا في القلوب ليس إلى النبي ﷺ إذ القلوب بيد الله، يقلبها كيف يشاء، حتى من أحب لا يستطيع عليه الصلاة والسلام أن يجعله مسلما مهتديا، فمن انفع قرابته له أبو طالب، ومع ذلك لم يستطع أن يهديه هداية توفيق ، فالمنفى هنا هو هداية التوفيق.

والنوع الثاني من الهداية المتعلقة بالمكلف: هداية الدلالة والإرشاد، وهذه ثابتة للنبي ﷺ بخصوصه ، ولكل داع إلى الله، ولكل نبي ورسول قال جل وعلا: [illegible] .

وقال جل وعلا في نبيه -عليه الصلاة والسلام-: [illegible] فتهدي يعني: لتدل وترشد إلى صراط مستقيم بأبلغ أنواع الدلالة، وأبلغ أنواع الإرشاد، الدلالة والإرشاد المؤيدان بالمعجزات والبراهين، والآيات الدالة على صدق ذلك الهادي، وصدق ذلك المرشد، فإذن الهداية المنتفية إذن هي هداية التوفيق.

وهذا يعني أن النفع وطلب النفع في هذه المطالب المهمة يجب أن يكون من الله - جل وعلا- وأن محمدا -عليه الصلاة والسلام- مع عِظَم شأنه عند ربه، وعظم مقامه عند ربه، وأنه

سيد ولد آدم، وأنه أفضل الخلق عليه الصلاة والسلام، وأشرف الأنبياء والمرسلين إلا أنه لا يملك من الأمر شيئا ، عليه الصلاة والسلام.

فبطل إذن تعلق القلـوب في المطـالب المهمة في الهدايـة، وفي المغفـرة، وفي الرضـوان، وفي البعد عن الشـرور، وفي جلب الخـيرات إلا بالله -جل وعلا- إنه هو الـذي تتعلق القلـوب به خضوعا وإنابة ورغبا، ورهبا وإقبالا عليه، وإعراضا عما سـواه سبحانه وتعالى.

قال بعد ذلك: "في الصحيح عن ابن المسيب عن أبيه قال: لما حضـرت أبا طـالب الوفـاة جـاءه رسـول الله .... إلى أن قال: فقال له: يا عم قل: لا إله إلا الله، كلمة أحاج لك بها عند الله.

فقالا له: أترغب عن ملة عبد المطلب ؟ فأعاد عليه النـبي -عليه الصلاة والسلام- فأعادا ، فكـان آخر ما قـال: هو على ملة عبد المطلب، وأبى أن يقول: لا إله إلا الله .

في هـذا القـدر من الفائـدة أن هـذه الكلمة كلمة لا إله إلا الله ليست كلمة مجردة عن المعـنى ، تنفع من قالهـا، ولو لم يقر بمعناها ، والعـرب كـانوا لصـلابتهم وعـزتهم ورجـولتهم ومعرفتهم بما يقولون، كانوا إذا تكلموا بكلام يَعُونَ ما يتكلمـون به، يعون كل حرف، وكل كلمة، خوطبوا به أو نطقوا به هم .

فلما قيل لهم: قولــوا لا إله إلا الله ، مع أنها كلمة يســيرة، لكن أَبَوْا؛ لأنهم يعلمون أن هذه الكلمة معناها إبطـال إلهك من سـوى الله -جل وعلا- ولهـذا قـال -جل وعلا-: [illegible] الآيات.

وكـــذلك قوله في أول ســـورة "ص" قـــول الله -جل وعلا- مخبرا عن قولهم: [illegible] استنكروا لا إله إلا الله، وهذا هو الـذي حصل مع أبي طـالب حيث قـال له النبي [illegible] قل لا إله إلا الله، كلمة أحاج لك بها عند الله [illegible] .

فلو كـانت مجـردة من المعـنى عنـدهم، أو يمكن أن يقولها دون اعتقــاد ما فيهــا، ورضا بما فيهــا، ويقين وانتفــاء الــريب، لقالها لكن ليس هــذا المقصــود من قــول: لا إله إلا اللــه؛ بل المقصود هو: قولها مع تمام اليقين بها، وانتفـاء الـريب، والعلم، والمحبة إلى آخر الشروط .

[illegible] فقالا له: أترغب عن ملة عبد المطلب [illegible] وهذا فيه والعيـاذ بالله ضــرر جليس الســوء على المُجَــالِس له [illegible] فكــان آخر ما قال: هو على ملة عبد المطلب وأبى أن يقــول لا إله إلا الله ، فقال النبي [illegible] لأستغفرن لك ما لم أُنْهَ عنك [illegible] .

وهذا موطن الشاهد من هذا الحديث، ومناسبة هـذا الحـديث لهـذا البـاب أن النـبي [illegible] قـال: [illegible] لأسـتغفرن لك [illegible] واللام هنا هي

التي تقع في جـواب القسـم، فثَمَّ قَسَـمٌ مقـدرٌ تقـديره: والله لأستغفرن لك .

وحصل من النـبي أن اسـتغفر لعمه ، ولكن هل نفع عمَّهُ اسـتغفارُ النـبي لـه؟ لم ينفعه ذلـك، وطلب الشـفاعة والاستشـفاع هو من جنس طلب المغفـرة ، فالاسـتغفار طلب المغفرة، والشفاعة قد يكون منها طلب المغفرة فردت.

رد ذلك؛ لأن المطلوب لـه؛ لأن المُسْتَشْـفَع له المشـفوع له مشـرك بالله ، والاسـتغفار والشـفاعة لا تنفع أهل الشـرك، والنبي لا يملك أن ينفع مشركا في مغفرة ذنوبه، أو أن ينفع أحـدا ممن توجه إليه بشـرك في إزالة ما به من كربـات، أو جلب الخيرات له.

لهذا قـال: لأسـتغفرن لك ما لم أُنْـهَ عنك ، فـأنزل الله   [illegible] .

وهـذا ظـاهر في المقـام أن الله -جل وعلا- نهى النـبي أن يسـتغفر للمشـركين، وكلمة [illegible] في الكتـاب والسـنة تأتي على استعمالين:

الاستعمال الأول: النهي . والاستعمال الثاني: النفي.

النهي مثل هذه الآية وهي قوله: [illegible] هذا نهي عن الاستغفار لهم

، وكذلك قولـه: [illegible]

والنفي كقوله: [illegible] .

ونحو ذلك من الآيـات فـإذن [illegible] في القـرآن تـأتي على هـذين المعنـيين، وهنا المـراد بها النهي، نهي أن يسـتغفر أحد لمشرك، وإذا كان كذلك فالميت الذي هو من الأوليـاء من الأنبيـاء من الرسل ، فـإذا نهي في الحيـاة الـدنيا أن يسـتغفر لمشرك، فهو أيضا، لو فرض أنه يقدر على الاستغفار في حـال البرزخ ، فإنه لن يسـتغفر لمشـرك ، ولن يسـأل الله لمشـرك توجه إليه بالاستشــفاع أو توجه إليه بالاســتغاثة، أو بالــذبح، أو بالنــذر، أو تألهــه، أو توكل عليــه، أو أنــزل به حاجاته من دون الله جل وعلا.

قـال: وأنــزل الله في أبي طــالب [illegible] نعم .

باب

ما جاء أن سبب كفر بني آدم وتركهم دينهم هو الغلو في الصالحين

باب ما جـاء أن سـبب كفر بـني آدم وتـركهم دينهم هو الغلو في الصالحين، وقول الله -تعالى-: [illegible] وفي الصحيح عن ابن

عباس -رضي الله عنهما- قال في قول الله -تعالى-: □ [illegible] □ .

قال: "هذه أسماء رجال صالحين من قوم نوح، فلما هلكوا أوحى الشيطان إلى قومهم أن انصبوا إلى مجالسهم التي كانوا يجلسون فيها أنصابا وسموها بأسمائهم ففعلوا، ولم تعبد، حتى إذا هلك أولئك ونسي العلم عبدت" .

وقال ابن القيم: "قال غير واحد من السلف: لما ماتوا عكفوا على قبورهم ثم صوروا تماثيلهم، ثم طال عليهم الأمد فعبدوهم" وعن عمر أن رسول الله □ قال: □ لا تطروني كما أطرت النصارى ابن مريم إنما أنا عبد، فقولوا عبد الله ورسوله □ أخرجاه.

وقال: قال رسول الله □ □ إياكم والغلو فإنما أهلك من كان قبلكم الغلو □ ولمسلم عن ابن مسعود أن رسول الله □ قال: □ هلك المتنطعون قالها ثلاثا □ .

هذا باب ما جاء أن سبب كفر بني آدم وتركهم دينهم هو الغلو في الصالحين .

هذا الباب جاء بعد الأبواب قبله من أول الكتاب إلى هنا، والشيخ -رحمه الله- بيَّن أصولا فيما سبق، بيَّن شيئا من البراهين على التوحيد، وبيَّن ما يتعلق به المشركون، وأبطل

أصـول اعتقـادهم في الشـريك، أو الظهـير، أو الشـفيع، ونحو ذلك.

فإذا كان هذا الاعتقاد مع ما أورد من النصوص بهـذه المثابة من الوضـــوح والبيـــان، وأن النصـــوص دالة على ذلك دلالة واضــحة، فكيف إذن دخل الشـــرك؟ كيف صـــار النـــاس إلى الشرك بالله -جل وعلا- ؟.

والأدلة على انتفائه، وعلى عدم جوازه، وعلى بطلانه واضحة ظاهرة ، وأن الرسل جميعا بعثت ليُعْبَد الله وحده دونما سـواه [illegible] .

فما سـبب الغواية ؟ ما سـبب الشـرك؟ هـذا الـذي بَيَّنَ من أوضح الواضـحات، الأبـواب السـالفة دالة بظهـور ووضـوح على إحقاق عبادة الله وحده، وعلى إبطال عبادة كل من سوى الله -جل جلاله، وتقدست أسماؤه- فإذن ما سبب وقوع الشرك؟

كيف وقع الشـرك في الأمم، جـاء الشـيخ -رحمه اللـه- بهـذا الباب، وما بعده ليبين أن سبب الشرك، وسبب الكفر هو الغلو الذي نهى الله -جل وعلا- عنـه، ونهى عنه رسـول الله ﷺ سـواء في هـذه الأمـة، أو في الأمم من قبـل، فسـبب وقـوع الكفر والشرك هو الغلو في الصالحين، هـذا أحد أسـباب وقـوع الكفر والشرك، بل هو سببها الأعظم.

قال هنا: باب ما جاء أن سبب كفر بني آدم وتركهم دينهم هو الغلو في الصالحين، هذا ذكر للأسباب بعد ذكر الأصول والعقائد، قال هنا: الغلو هو الغلو في الصالحين، الغلو مأخوذ من غلا في الشيء يغلو غلوا، إذا جاوز به حده.

وقد جاء في الحديث أن النبي ﷺ لما رمى الجمرات بحصيات قال: بمثل هذه فارموا وإياكم والغلو « يعني مجاوزة الحد حتى في حجم تلك الحصاة، وفي مقدار الحصى، قال: « بمثل هذه فارموا » .

فإذا جاوزت المثلية بأن رمى بكبيرة، فإنه قد غلا يعني: جاوز الحد الذي حُدَّ له في ذلك، فإذن الغلو هو مجاوزة الحد، قال هنا: الغلو في الصالحين، معناه أن سبب كفر بني آدم وتركهم دينهم الذي أمرهم الله به هو مجاوزة الحد الذي أذن به في الصالحين.

والصالحون يشمل الأنبياء والرسل، ويشمل أيضا الأولياء، ويشمل كل من اتصف بالصلاح في الأمم، وأصل كلمة الصالحين، أصلها جمع الصالح، والصالح هو اسم من قام به الصلاح، والصلاح في الكتاب والسنة تارة يكون بمعنى نفي الفساد، ما يقابل الفساد، وتارة يكون بمعنى ما يقابل السيئات، فيقال: صالح بمعنى ليس به فساد، ويقال أيضا: صالح بمعنى ليس بسيئ ، فهذا جاء وهذا جاء.

والصالحون هنا المراد بهم أهل الصلاح، يعني أهل الطاعة والإخلاص لله -جل وعلا- الذين اجتنبوا الفساد، واجتنبوا السيئات، وهم الذين اشتركوا في فعل الطاعات، وترك المحرمات، أو كانوا من السابقين بالخيرات.

فاسم الصالح يقع شرعا على المقتصد، وعلى السابق بالخيرات ، فالمقتصد صالح، والسابق بالخيرات صالح، وكُلٌّ درجات عند الله جل وعلا .

قال: هو الغلو في الصالحين، يعني: مجاوزة الحد في الصالحين ما هو الحد الذي أذن به الشرع في الصالحين حتى نعلم ما الذي يكون مجاوزة له ؟

الصالحون إذن في حقهم بأن يُحَبُّوا في الله، وأن يوقروا في الله، وأن يقتدى بهم في صلاحهم، وفي علمهم، وإذا كانوا من الرسل والأنبياء فإنهم يؤخذ بشرائعهم، وبما أمروا به، ويتبع ذلك، ويقتدى بآثارهم، هذا هو الحد الذي أذن به: احترام، ومحبة، وموالاة لهم، ودفع عنهم، ونصرة لهم، ونحو ذلك من المعاني.

أما الغلو فيهم بأن يجاوز ذلك الحد، فإنه بحر لا ساحل له، فمما حصل من الغلو فيهم أنهم جعلت فيهم خصائص الألوهية، جعل في بعض البشر أنه يعلم سر اللوح والقلم، وأنه من جوده الدنيا ودرتها، كما قال البوصيري في قصيدته المشهورة:

فإن من جودك الدنيا ودرتها ... ومن علومك علم اللوح والقلم

وهذا ليس إلا لله -جل وعلا- هـذا من الغلـو المنهي عنـه ، كـذلك قولـه في النـبي -عليـه الصـلاة والسلام- غاليا فيه أعظم الغلو قال:

لـو ناسـبت قـدره آياتـه عظمـا أحيا اسمه حين يدعى دارس الرمم

يقـــول: إن النـــبي -عليه الصـــلاة والســـلام- لم يعط آية تناسب قدره، قـال الشـراح: حـتى القـرآن لا يناسب قـدر النـبي والعيـاذ بالله ، يقولون: القرآن المتلو بخلاف غير المتلو، عند الأشاعرة؛ لأنهم يفرقون بين هذا وهذا، فهذا البوصيري يغلو ويقول:

لو ناسبت قدره يعني النبي -عليه الصلاة والسلام- لو ناسبت قـدره آياته عظمـا، يعـني: في العظمة أحيا اسـمه حين يـدعى دارس الـرمم، لكـان لا يناسب قـدره إلا إذا ذكر اسـمه على ميت قد درس، وذهب رميمه في الأرض، وذهبت عظامـــــــه؛ لتجمعت هذه العظام، وحيي لأجل ذكر اسم النبي عليه.

وهذا من أنواع الغلو الذي يحصل من الذين يعبدون غير الله -جل وعلا- ويتوجهـون إلى الأنبيـاء والرسل ويجعلـون في حقهم من خصـائص الألوهيـة، ما لا إذن لهم بـه، بل هو من الشـرك

الأكــبر بالله -جل وعلا- ومن ســوء الظن باللــه، ومن تشــبيه المخلوق بالخالق، وهذا كفر والعياذ بالله.

يقابل ذلك هناك حد مأذون به، وهنـاك الغلـو، والحالة الثالثة الجفاء ، الجفاء في حق الصالحين، قال: بعدم مـوالاتهم، وعـدم احترامهم، وعدم إعطـائهم حقهم، وتـرك محبة الصـالحين، فكل تقصير في الأمر يعد جفاء ، وكل زيادة فيه تعد غلوا.

قـــال: وقـــول الله □□□ □□□□□□□□□ □□ □□□□□□□□□□□ □□□□□□□□□□□ □ □ □ □□□□□□□□□□ قولـه: □ □□□□□□□□□ □□□ □□□□□□□□□ □□ □□□□□□□□□□□ □□□□□□□□□□□ □ مناســبته للبــاب ظــاهرة أي: أنه نهى أهل الكتــاب عن الغلــو، فقال: □ □□□□□□□□□ □□□ □□□□□□□□□ □□ □□□□□□□□□□□ □□□□□□□□□□□ □ .

ووجه الاستدلال أنه قال: □ □□□□□□□□□ □□ □ و"تغلوا" هنا فعل جاء في سياق النهي ، وهذا يعم جميع أنواع الغلو في الــدين □□ □ □ □□□□□□□□□ □□□ □□□□□□□□□ يعني: لا تغلوا بأي نـوع من أنـواع الغلو في الـدين، فنهـوا عن أي نـوع من أنـواع الغلـو، هـذا مـوطن الشاهد.

ووجه الاستدلال من الآية على الحديث، وإذا كان كذلك دخل في هــذا العمــوم الغلو في الصــالحين، والمتأمل لحــال أهل الكتـــاب، ولما قص الله -جل وعلا- من أخبـــارهم يجد أنهم قد غلوا في صـالحيهم، قد غلا النصـارى في عيسى -عليه السـلام- وفي أمه، وفي حوارييه.

وقد غلا اليهـود أيضا في عزيـر، وفي أصـحاب موسـى، وفي أحبــارهم وفي رهبــانهم، وهكــذا حصل الغلو من أهل الكتــاب، تارة بأن جعلوا الرسل والأنبياء لهم خصائص الألوهيــة، من جهة التوجه لهم، وقد قال الله -جل وعلا-:

[illegible] .

وفي آخر سورة المائـدة أيضا قـال الله -جل وعلا-: [illegible] يعني تنزيها وتعظيما لك أن أقول لهم ذلك، وذلك من الشرك فكيف أقول لهم ذلك؟

[illegible] .

وهــذا كله في التوحيد فحصل أن غلا أتبـــاع الرسل وأتبـــاع الأنبيــاء في الأنبيــاء والرســل، وغلــوا أيضا في الصــالحين من أتبــاعهم، وجعلــوا لهم بعض خصــائص الألوهيـــة، جعلــوا لهم الشفاعة جعلوا لهم أن لهم نصيبا من الملك ، أو أنهم يــدبرون

الأمـــر، أو أنهم يصـــرِّفون شـــيئا من الملكـــوت، فيعتقد الآن الصوفية، أو بعض الصـوفية أن للكـون أقطابا أربعـة، وأنه ربما في ربع العالم المسئول عنه فلان، وفي الربع الثاني المسـئول عنه فلان إلخ.

فجعلوا لهم نصيبا من الملك جعلـوا لهم نصـيبا من الربوبيـة، وجعلـــوا لهم أيضا نصـــيبا من الإلهيـــة، فتقربـــوا إليهم بـــأنواع القربــات من الــذبح والاســتغاثة، والتــذلل والخضــوع، والمحبة والتوكــل، والــرغب والــرهب، وخــوف السر إلى آخر العبــادات القلبية والعملية.

قــال رحمه اللــه: وفي الصــحيح عن ابن عبــاس -رضي الله عنهما- في قول الله -تعالى-: ﴿ [illegible] ﴾ قال: هذه أسماء رجـال صـالحين من قـوم نـوح فلما هلكوا أوحى الشـيطان إلى قـومهم... ﴾ إلى آخر ما قاله رحمه الله تعالى.

هذه القصة أو هـذا الأثر عن ابن عبـاس -رضي الله عنهمـا- محمول على الرفع؛ لأن هذا خبر غيبي، وهذا الخبر الغيـبي فيه أنه لا يسـتقى إلا من مشــكاة النبــوة، وود وســواع، ويغــوث ويعوق، ونسر هذه أسماء رجال صالحين من قوم نوح.

نوح -عليه السلام- أتى بالرسالة بأن يعبد الله وحده دونما سواه بالتوحيد، فكيف دخل الشرك في قوم نوح، في القرآن ذكر لأصلين من أصول الشرك وثَمَّ غيرهما أيضا.

الأصل الأول: شرك قوم نوح. والأصل الثاني: شرك قوم إبراهيم.

وشرك قوم نوح كان بالصالحين بالغلو في الصالحين، وأرواح الصالحين فجاءهم الشيطان من جهة روح ذلك العبد الصالح، وأثر تلك الروح، وأن من تعلق به، فإنه يشفع له، ثم ساقهم من ذلك التعظيم إلى الصور والأنصاب والأوثان والأصنام.

والنوع الثاني: شرك قوم إبراهيم، وذلك شرك في تأثير من جهة النظر في الكواكب، ومن يؤثر ويحرك فهذا شرك في الربوبية، وما تبعه من الشرك في الألوهية؛ لأنهم جعلوا لتلك الكواكب أصناما؛ وجعلوا لها صورا؛ وجعلوها أوثانا، فعبدوها من دون الله -جل وعلا- وتوجهوا إليها.

وأما قوم نوح فكان شركهم في الصالحين، في الغلو في الصالحين ، كما قال ابن عباس هنا في بيان أصل وقوع هذا الشرك: فلما هلكوا أوحى الشيطان إلى قومهم أن انصبوا إلى مجالسهم التي كانوا يجلسون فيها أنصابا وسموها بأسمائهم ففعلوا ولم تعبد حتى إذا هلك أولئك ونسي العلم عبدت .

قال ابن القيم: قال غير واحد من السلف: لما ماتوا عكفوا على قبورهم، ثم صوروا تماثيلهم، ثم طال عليهم الأمد فعبدوهم.

الشاهد من هذا أن أولئك توجهوا إلى الصور، صور الصالحين فكانوا أهل علم يعلمون أنهم إذا اتخذوا الصور، فإنهم لن يعبدوها، لكن كانت تلك الصور للصالحين والمعظمين وسيلة وطريق وسبب لأن عبدت في المستقبل لَمَّا نسي العلم.

والشيطان ربما أتى إلى الصورة فجعل في عيني الناظر إليها أو المخاطب لها أنها تتحدث، وأن فم المُصَوَّر يتكلم، وأنه يُسْمَع منه كلام، ونحو ذلك من الأشياء، وأصناف التصرفات التي تجعل القلوب تتعلق بتلك الروحانيات -كما يقول- وتلك الأرواح، فيغري أولئك بهم، وهذا هو الذي حصل عند القوم الذين عكفوا على القبور، وعبدوا أهلها مع الله جل وعلا.

يأتي ويقول ذهبت إلى القبر الفلاني فكلمني أبي، وهو شيطان نطق على لسان أبيه، وربما تصور بصورة أبيه، فخرج له في ظلام ونحوه فيحدثه أبوه بصوته الذي يعرفه، أو يحدثه العالِم، أو الولي بصوته الذي يعرفه منه، فتقع الفتنة، وهذا من الشيطان.

ولهذا قال ابن عباس هنا كلمة تبين السبب في ذلك فقال: أوحى الشيطان إلى قومهم والوحي إلقاءٌ في خفاء. الشيطان

لا يتحـــدث علنا لكن أوحى يعـــني ألقى في خفـــاء، الـــوحي هو إلقاء الخـبر في خفـاء، فـألقى في روعهم ، ألقى في أنفسـهم ذلك الأمر، فكان سببا في الشرك بالله جل وعلا.

أول الأمر ما عُبِـــدَت جُعِلَت وســـائل الشـــرك من الصـــور والأنصاب والتسـمية بأسـماء الصـالحين، وكـان ذلك وسـيلة إلى الشـــرك، لم تعبد جعلوها وســـائل، لكن عنـــدهم من العلم ما يحجـــزهم أن يعبـــدوا أولئك الصـــالحين، لكن لما نسي العلم عبدت، وهذا الفعل الذي فعلوه بإيحاء الشيطان، كان من الغلو في أولئك الصالحين.

وهذا وجه الشـاهد من أنهم لما مـاتوا عكفـوا على قبـورهم، أو صـــوروا تلك الصـــور، أو نصـــبوا الأنصـــاب في أمـــاكنهم ؛ ليتذكروهم وليكون أنشط لهم في العبادة، أو العلم، ولكنهم لما فعلوا ذلك كان ذلك سـببا من أسـباب العبـادة؛ لأنهم غلـوا في الصالحين، وهذا مراد الشيخ -رحمه الله- من إيراد هذا الأثر.

قـــال: وعن عمر أن رســـول الله قـــال: لا تطـــروني كما أطرت النصارى ابن مريم إنما أنا عبد فقولوا عبد الله ورسوله قوله: لا تطروني كما أطرت النصـارى ابن مـريم فيه نهي عن إطرائه عليه الصلاة والسلام.

والإطراء هو مجـاوزة الحد أيضا في المـدح. فـالغلو عـام في أشـياء كثـيرة ، قد يكـون في المـدح، قد يكـون في الـذم، قد يكـون في الفهم ، قد يكـون في العلم، قد يكـون في العمـل،

لكن الإطـــراء: الغلو في المـــدح، الغلو في الثنـــاء، الغلو في الوصف.

والنـــبي -عليه الصـــلاة والســـلام- نهى عن إطرائه كـــإطراء النصـــارى ابن مـــريم وقـــال: إنما أنا عبد فقولـــوا: عبد الله ورسوله قوله هنا: كما أطرت النصـارى ابن مـريم الكـاف هنا بعض الناس يظن أنها كاف المثلية يعـني: لا تطـروني بمثل ما أطرت النصارى ابن مريم.

ويقول: إن النصارى أطرت ابن مريم في شيء واحد، وهو أن قالوا إنه ولد لله -جل وعلا- والنبي -عليه الصلاة والسلام- نهى أن تجعل له رتبة البنوة؛ فإذا كان كـذلك ما عـداه فجـائز، وهـذا هو قـول الخرافيين كما قال البوصيري في هذا المقام:

دع ما ادعته النصارى في نبيهم	**واحـكم بمـا شـئت فيـه واحتكم**

أو كما قـال، يعـني: لا تقـل: إنه ولد لله ، أو أنه ابن الله ، وبعد ذلك قل ما شئت غير ملوم، وغير مُثَرَّب عليك.

الوجه الثـــاني -وهو الفهم الصـــحيح، وهو الـــذي يـــدل عليه السياق- أن الكاف هنا هي كاف القياس، أي: لا تطروني إطراء كما أطـــرت النصـــارى ابن مـــريم، وكـــاف القيـــاس هي كـــاف التمثيل النـاقص، بـأن يكـون هنـاك شـبه بين ما بعـدها، وما قبلها في أصل الفعل.

 لا تطروني كما أطرت فهنا نهى أن يُطْرَى -عليه الصلاة والسلام- كما حصل أن النصارى أطرت، فهو تمثيل للحدث بالحدث لا تمثيل أو نهي عن نوع الإطراء، قال: لا تطروني كما أطرت فنهى عن إطراء له -عليه الصلاة والسلام- لأجل أن النصارى أطرت ابن مريم فقادهم ذلك إلى الكفر والشرك بالله، وادعاء أنه ولد لله جل وعلا.

ولهذا قال: إنما أنا عبد، فقولوا: عبد الله ورسوله، فإذن الكاف هنا ليست كاف التمثيل الكامل، بأن يكون ما بعدها مماثل لما قبلها تماما، يعني في الوصف، وإنما هي كاف التمثيل الذي يكون ما بعده مشترك مع ما قبله في المعنى، وهي القياسية التي تجمعها العلة، ولهذا يقول الفقهاء -كما هو معلوم-: هذا كذا كهذا، يقولون مثلا: نبيذ غير التمر والعنب كنبيذ التمر والعنب مساواة بين هذا وهذا؛ لوجود أصل المعنى بينهما.

وهنا نهى عن الإطراء؛ لأجل وجود أصل الإطراء في الاشتراك بين إطراء النصارى، وما سببه من الشرك، وإطراء ما لو أطري النبي وما سيسببه من الشرك.

والأمة في كثير من طوائفها خالفت ذلك، وأطرت النبي إطراء حتى بلغ أن جعلوا من علومه علم اللوح والقلم ، وأن جعلوا من جوده الدنيا ودرتها، وأن جعلوا له من الملك نصيبا -

عليه الصلاة والسلام- فتعالى الله عما يقول الظالمون علوا كبيرا.

أرشدهم بقوله: إنما أنا عبد فقولوا عبد الله ورسوله وهذا هو الكمال في حقه -عليه الصلاة والسلام- أن يكون رسولا، هذا أشرف مقاماته -عليه الصلاة والسلام- قال المؤلف: وقال رسول الله   إياكم والغلو فإنما أهلك من كان قبلكم الغلو .

هذا نهي عن الغلو بأنواعه، وأن من قبلنا إنما أهلكهم الغلو، أهلكهم من جهة الدين، وأهلكهم أيضا من جهة الدنيا، أنهم غلو في دينهم، فالغلو سبب لكل شر، والاقتصاد سبب في كل فلاح وخير، والغلو منهي عنه بجميع صوره: في الأقوال، والأعمال، أقوال القلب، وأعمال القلوب، وكذلك أقوال اللسان، وأعمال الجوارح ، فالغلو سبب للهلاك، هلاك العبد في دينه ودنياه.

قال: ولمسلم عن ابن مسعود أن رسول الله قال: هلك المتنطعون هذه الكلمة هلك المتنطعون يعني: الذين تنطعوا فيما يأتون به في أفعالهم أو أقوالهم، وهم الذين جاوزوا الحد في ذلك، وابتغوا علم شيء، أو تكلفوا شيئا، لم يأذن به الله، فزادوا عما أذن لهم، فأتوا بأشياء لم يؤذن لهم فيها.

والتنطع والإطراء والغلو متقاربة، يجمعها الغلـو، الغلو يشـمل الإطراء ، ويشمل التنطع، فكل تنطـع، وكل إطـراء غلـو، والغلو اسم جامع لهذه جميعا، فالشيخ -رحمه الله- في هذا البـاب بيَّن أن سـبب كفر بـني آدم ، وسـبب تـركهم دينهم هو الغلو في الصالحين، بأن جاوزوا الحد فيهم.

جـاوز قـوم نـوح الحد في الصـالحين فيهم، فعكفـوا على قبـورهم، وأَلَّهُوهَا فصـارت آلهـة، والنصـارى غلت في رسـولهم عيسى -عليه السـلام- وفي الحـواريين ، وفي البطاركة حـتى جعلـوهم آلهة مع الله -جل وعلا- يسـتغيثون بهم، ويؤلهـونهم، ويسألونهم ويعبدونهم.

وكذلك في هذه الأمة ، جُعِلَ للنبي -عليه الصلاة والسـلام - نصـيبٌ من خصـائص الإلـه، وهـذا هو عين ما نهى عنه -عليه الصلاة والسـلام - بقولـه: لا تطـروني كما أطـرت النصـارى المسيح ابن مريم إنما أنا عبد فقولـوا عبد الله ورسـوله في هـذا القـدر الكفاية ، وأسـأل الله لي ولكم عمـوم الانتفـاع، والعلم والعمل، وصلى الله وسلم، وبارك على نبينا محمد.

 الحمد لله رب العـالمين، وصـلى الله وسـلم على نبينا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين، أما بعد، فهـذا سـائل يقـول: بعض أصـحاب السـيارات الخاصة كـالليموزين وسـيارات النقل الكبيرة يضعون على أطراف السيارة خرقا سوداء اعتقادا منهم بأنها حروز تمنعهم الحوادث، فهل نقوم بنزعها أم ماذا نفعل ؟

 الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله وعلى آله وصحبه، ومن اهتدى بهداه، أما بعد:

إذا كان الأمر كما وصفه السائل من جهة وضع تلك الشارات أو الخرق من جهة اعتقاد أهلها فيها، فيجب نزعها، ومن نزعها فله فضل نزع التمائم من أماكنها، أو تخليص أصحابها منها، لكن هذا متوقف على أن يعلم أنهم وضعوها لهذا الغرض، فإن وضع مثل هذه الشارات لهذا الغرض غير معروف أنه لأجل دفع التمائم.

فإذا كان بعض الناس يستعملها لدفع الشر، ويستعملها لأنها تمائم، هذه يجب نزعها، ومن رآها لا يحل له أن يتعداها حتى ينزعها؛ لأنها اعتقاد في غير الله؛ ولأنها نوع من أنواع المنكر؛ واعتقاد ذلك فيها كبيرة من الكبائر، وشرك أصغر بالله -جل وعلا- . نعم.

وهذا سائل يقول: كيف نخرج قول النبي   لولا أنا لكان عمي في الدرك الأسفل من النار ؟

هذا يأتي في بابه إن شاء الله تعالى، وضبط القاعدة في ذلك، وهو أن قول القائل لولا فلان لكان كذا مُنِعَ منه وصار شركا لفظيا، ونوع تشريك؛ لأنه نسبة النعمة لغير الله -جل وعلا- يقول: لولا فلان لأصابني كذا، ولولا فلان أنه كان جيدا معي لكان حصل لي كذا وكذا، أو لولا السيارة أنها قوية لكان هلك.

أو لولا كـذا لكـان كـذا مما فيه تعليق دفع النقم، أو حصـول النعم بأحد من المخلـوقين، والـواجب على العبـاد أن ينسـبوا النعم إلى الله -جل وعلا- لأنه هو الذي يُسْـدِي النعم، قـال جل وعلا في سورة النعم: [illegible] وقال جل وعلا في السورة نفسها: [illegible] .

فالواجب على العبد المسـلم أن ينسب النعم إسـداء وتفضلا وإنعاما لله جل وعلا، وأن يتعلق قلبه بالــــذي جعل تلك النعم تصل إليه، والنـاس أو الخلق والأسـباب إنما هي فضل من الله -جل وعلا- جعلها أسبابا، ففلان من الناس جعله الله سـببا لكي يصل إليك النفع عن طريقه.

أما النـافع في الحقيقة فهو الله -جل وعلا- إذا انـدفعت عنك نقمة ، فالذي دفعها هو الله بواسطة سـبب ذلك المخلـوق، إما آدمي ، وإما غـير آدمي فيجب نسـبة النعم إلى الله -جل وعلا- ولا تنسب نعمة لغيره سبحانه.

ومن نسـبها لغـيره سـبحانه، فهو داخل في قـول الله -جل وعلا-: [illegible] وأما الحديث الذي في الصحيح من أن النبي [illegible] سـئل هل نفعت عمك أبا طـالب بشـيء؟ قـال: هو في ضحضـاح من النـار، ولـولا أنا لكـان في الدرك الأسفل من النار [illegible] .

قوله -عليه الصلاة والسلام -: لولا أنا هـذا فيه ذكر لعمله -عليه الصـلاة والسـلام -وافـترق عن قـول القائـل: لـولا فلان لحصل كذا من جهتين:

الجهة الأولى: أن ذلك القائل هو الذي حصـلت له النعمـة، أو اندفعت عنه النقمة، والنبي هنا يخـبر عن صـنيعه بعمـه، وأن عمه اندفعت عنه النقمة، فذاك في المتحـدث الـذي تعلق قلبه بالذي نفعه أو دفع عنه الضر، وأما قول النبي فهو إخبار عن نفعه لغيره، فليس فيه تعلق القلب باندفاع النقمـة، أو حصـول النعمة بغير الله -جل وعلا- هذا وجه .

فيكون إذن معنى ذلك: أن الوجه الذي نهى عنه، العلة الـتي من أجلها نهى عن قول: لولا أنا أن يكون فيها نسـبة النعمة إلى غــير اللــه، من جهة تعلق القلب بــذلك الــذي حصل له النعمة، وهذا غير وارد في قول النبي -عليه الصلاة والسـلام -: لولا أنا لكان في الدرك الأسفل من النار لأنه -عليه الصـلاة والسلام - ليس هو الذي حصلت له النعمة، وإنما هو مخبر عن فعله لعمه.

الوجه الثاني: في ذلك أن النـبي -عليه الصـلاة والسـلام - قد بين أن نفعه لعمه من جهة الشفاعة فهو يشفع لعمه حــتى يكون في ضحضاح من نـار فقولـه: لـولا أنا لكـان في الـدرك الأسفل من النار يعني: لولا شفاعتي.

ومعلـوم بنصـوص الشـرع أنه -عليه الصـلاة والسـلام -يكـرم بالشـــفاعة ، ويعطى الشـــفاعة، فهو ســـائل، وهو ســـبب من الأسباب والمتفضل حقيقة، هو الله -جل وعلا- فكأنه قال -عليه الصلاة والسـلام - (++ علمنا أنه يشـفع لعمـه) كأنه قـال: لـولا أن الله شفعني فيه لكان في الدرك الأسفل من النار.

فليس فيه في الــوجهين جميعا تعليق للقلب بغــير الله -جل وعلا- في حصـول النعم، أو انـدفاع النقم، مما يكـون في قـول القائـل: لـولا فلان لحصل كـذا، أو لـولا السـيارة لحصل كـذا. أو لولا الطيار لحصل كذا، أو لولا البيت كـان محصـنا لحصل كـذا، ونحو ذلك مما فيه تعلق قلب من حصـــــــــــــلت له النعمة بالمخلوقين والله أعلم . نعم .

باب

ما جاء من التغليظ فيمن عَبَدَ الله عند قبر رجل صالح

 الحمد لله رب العـالمين، والصـلاة والسـلام على أشـرف المرسلين نبينا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين، قال المصـنف رحمه الله تعالى: باب ما جـاء من التغليظ فيمن عَبَـدَ الله عند قبر رجل صالح فكيف إذا عبده؟

وفي الصـحيح عن عائشة -رضي الله عنهـا- أن أم سـلمة ذكرت لرسول الله كنيسة رأتها بأرض الحبشــة، وما فيها من

الصـور، فقـال: أولئك شـرار الخلق عند اللـه، أولئك إذا مـات فيهم الرجل الصالح، أو العبد الصـالح بنـوا على قـبره مسـجدا، وصورا فيه تلك الصور أولئك شرار الخلق عند الله .

فهؤلاء جمعوا بين فتنتين: فتنة القبور، وفتنة التماثيل.

ولهما عنها قـالت: لما نـزل برسـول الله طفق يطـرح خميصة له على وجهه فإذا اغتم بها كشفها، فقال -وهو كذلك-: لعنة الله على اليهـود والنصـارى اتخـذوا قبـور أنبيـائهم مسـاجد يحذر ما صنعوا ولـولا ذلك لأبـرز قـبره غـير أنه خشي أن يتخذ مسجدا .

ولمسـلم عن جنـدب بن عبد الله قـال: سـمعت النـبي قبل أن يمـوت بخمس وهو يقـول: إني أبـرأ إلى الله أن يكـون لي منكم خليـل، فـإن الله قد اتخـذني خليلا كما اتخذ إبـراهيم خليلا، ولو كنت متخـذا من أمـتي خليلا لاتخـذت أبا بكر خليلا ، ألا وأن من كان قبلكم كانوا يتخذون قبور أنبيـائهم مسـاجد، ألا فلا تتخذوا القبور مساجد فإني أنهاكم عن ذلك .

فقد نهى عنه في آخر حياته، ثم أنه لعن -وهو في السـياق- من فعله ، والصلاة عنـدها من ذلـك، وإن لم يبن مسـجد، وهو معنى قولها: خشي أن يتخذ مسجدا فإن الصحابة لم يكونـوا ليبنوا حول قبره مسجدا ، وكل موضع قُصِدَت الصـلاةُ فيه فقد اتُّخِذَ مسجدا، بل كل موضع يصلى فيه يسمى مسجدا كما قال رسول الله   جعلت لي الأرض مسجدا وطهورا .

ولأحمد بسند جيد عن ابن مسعود مرفوعا إن من شرار الناس مَن تدركهم الساعة وهم أحياء ، والذين يتخـذون القبـور مساجد رواه أبو حاتم في صحيحه.

هـذا بـاب ما جـاء من التغليظ فيمن عبد الله عند قـبر رجل صالح فكيف إذا عبده ؟.

هذا الباب مع الأبواب بعده في بيان أن النبي كـان حريصا على هذه الأمة، وكان بـالمؤمنين -عليه الصـلاة والسـلام- رءوفا رحيمـا، ومن تمـام حرصه على الأمة ، أن حـذرهم كل وسـيلة من وسـائل الشـرك الـتي تصل بهم إلى الشـرك، وسد جميع الذرائع الموصلة إلى الشرك، وغلظ في ذلك، وشـدد فيه حـتى إنه بيَّن ذلك خشية أن يفوت تأكيده وهو في النزع، وهو يعـاني سكرات الموت، عليه الصلاة والسلام.

فهذه الأبواب في بيـان وسـائل الشـرك الأكـبر، وأن الشـرك الأكـبر له وسـائل، وله ذرائع يجب سـدها، ويجب منعهـا، رعاية وحماية للتوحيد؛ ولأن النـبي -عليه الصـلاة والسـلام- غَلَّظَ فيمن يفعلـون شـيئا من تلك الوسـائل، أو الـذرائع الموصـلة إلى الشرك.

هـذا البـاب في بيـان أحد الوسـائل الموصـلة إلى الشـرك والذرائع التي يجب منعهـا، قـال -رحمه اللـه-: بـاب ما جـاء من التغليظ فيمن عبد الله عند قبر رجل صالح.

صورة ذلك أن يأتي إلى قبر رجل صالح، يعلم صلاحه ، إما أن يكون من الأنبياء والمرسلين، أو يكون من صالحي هذه الأمة، أو صالحي أمة غير هذه الأمة، فيتحرى ذلك المكان، لكي يعبد الله وحده، دونما سواه، فيأتي إلى هذا القبر، أو يأتي إلى هذه البقعة، لكي يعبد الله فيها رجاء بركة هذه البقعة.

وهذا يَرُوج عند كثيرين، في أن ما حول القبور قبور الصالحين، أو قبور الأنبياء مبارك، وأن العبادة عندها ليست كالعبادة عند غيرها، والنبي -عليه الصلاة والسلام- غلَّظ في ذلك مع أن المغلَّظ عليه، لم يعبد إلا الله -جل وعلا- ولم يعبد صاحب القبر، لكنه اتخذ ذلك المكان رجاء بركته ، ورجاء تَنَزُّل الرحمات، كما يقولون، رجاء تنزل النسمات، والفضل من الله عليه.

واختاره لأجل بركته، ولكنه لم يعبد إلا الله -جل وعلا- ومع ذلك لعن النبي -عليه الصلاة والسلام- ذلك الصنف الذين يتخذون قبور أنبيائهم وصالحيهم مساجد، وقوله هنا فيمن عبد الله يعني: لم يشرك بالله، عَبَدَ الله وَحَّدَه ، صلى لله مخلصا، أو دعا لله مخلصا، أو تبرع واستغاث، واستعاذ لله -جل وعلا- مخلصا عند قبر رجل صالح، لكنه تحرى القبر؛ لأجل البركة.

والرجل الصالح -كما سبق أن ذكرنا- هو المقتصد الذي أتى بالواجبات وابتعد عن المحرمات، وأعلى منه درجة السابق

بالخيرات ، فالصالحون من الرجال والنساء لهم مقامات لهم درجات عند الله.

بعض أهل العلم يعبر في تعريف الرجل الصالح بقوله: الصالح من عباد الله هو القائم بحقوق الله ، القائم بحقوق عباده، وهذا صحيح؛ ولأن المقتصد قائم بحقوق الله، قائم بحقوق عباده، أتى بالواجبات، وانتهى عن المحرمات.

وأعظم منه درجة السابق بالخيرات، فأهل السبق بالخيرات من العباد الصالحين، لا يجوز أن تعظم قبورهم، وأن يغلى فيها بظن أن البقعة التي حول القبر بقعة مباركة، فإن هذا جاء فيه الوعيد الذي يأتي في هذا الباب وغلظ فيه -عليه الصلاة والسلام- .

قال: "فكيف إذا عبده". يعني: هذا التغليظ، ولعن من اتخذ قبور الأنبياء والصالحين مساجد، ومن أسرج على القبور، أو من عظَّم القبور، وعظَّم من فيها، وعبد الله -جل وعلا- عندها ، عبد الله وحده ، جاء فيه اللعن ، وجاء فيه أنه من شرار الخلق عند الله.

فكيف إذا توجه ذلك العابد إلى صاحب القبر يدعوه ويرجوه، أو يخافه، أو يأمل منه، أو يستغيث به، أو يصلي له، أو يذبح له، أو يستشفع به؟ لا شك أن هذا أعظم وأعظم في التغليظ من عبادة الله وحده عند قبر رجل صالح، بهذا قال الشيخ -رحمه الله- .

ومن تأمل هذه الأحاديث التي سترد، فـإن هـذا مقتضى كلام الشيخ في التبويب، فإنه يجد أن التغليظ يكون أشد وأشد ، لو كان في القلوب إيمـان ومحبة للنـبي ﷺ ويكـون أشد وأشـد، إذا عبد صاحب ذلك القبر، فإذا صلى له، هل هو بمنزلة من صـلى لله عنده؟

ذاك وسيلة وهذا غاية، هذا شرك أكـبر، فأولئك شـرار الخلق عند الله ، مع أنهم فعلوا وسائل الشرك، ووسـائل المحرمـات، فكيف بمن فعل الشـــرك الأكـــبر بعينـــه، وتوجه إلى قبـــور الصـــالحين، واتخـــذها أوثانا مع الله -جل وعلا- لا شك أن هـــذا أبلغ، وأبلغ في التغليـظ؛ وذلك لأنه من الشـرك الأكـبر المخـرج من ملة الإسلام إذا فعله مسلم.

قـال: "فكيف إذا عبـده"؟ عبـده يعـني: عبد القـبر، أو عبد الرجـل؛ لأن العبـادة عبـادة القبـوريين تـارة تتوجه إلى القـبر، وتـارة تتوجه إلى صـاحب القـبر، بل وتـارة تتوجه إلى ما حـول القبر، فالأبنية المحاطة بالقبور في قبـور الأوليـاء عنـدهم الـتي بـنيت على القبـور، وصـارت مشـاهد، تـارة تتخذ تلك السـتور الحديدية أنها آلهة.

فإذا تمسحوا بها رَجَوْا منها البركة واتخذوها وسـيلة إلى الله -جل وعلا- ويقفون عندها فيتخذون تلك المشاهد أوثانا يعبدونها، ويرجونها ويخافونها، وإذا ضم أحدهم إلى صـدره تلك المشـاهد،

أو الحديـد، أو السـتور ونحو ذلـك، فكأنه صـار مقربا عند اللـه، وقبلت وسيلته تلك.

وهذا نوع من أنواع اتخاذ المشاهد أوثانا ، كذلك اتخاذ القبور أوثانا ، أو اتخاذ الرجل الصالح الذي هو متبرئ من أولئك، ومن عبادتهم له ، يتخذونهم آلهة مع الله، إذا توجهوا إليهم بالعبادة.

وقد علمنا أن العبادة معناها واسع، وأنه قد تكون بالصلاة له أو بدعوته بسؤاله بطلبه كشف المـدلهمات، أو جلب الخـيرات، أو الذبح له، أو وضع النـذور لـه، ونحو ذلك من أنـواع العبـادة، وهــذا هو الواقع عند أولئك الــذين يعبــدون الأوثــان وقبــور الصالحين.

قــال: في الصــحيح عن عائشة أن أم ســلمة -رضي الله عنهـا- ذكـرت لرسـول الله كنيسة رأتها بـأرض الحبشـة، وما فيها من الصور. فقـال -عليه الصـلاة والسـلام-: أولئك إذا مـات فيهم الرجل الصالح، أو العبد الصـالح بنـوا على قـبره مسـجدا، وصوروا فيه تلك الصور أولئك شرار الخلق عند الله .

أم ســـلمة -رضي الله عنهـــا- لما كـــانت في الحبشة رأت كنيسة ورأت في تلك الكنيسة صــور الصــالحين، فــذكرت ذلك لرسول الله فقال: أولئك إذا مات فيهم الرجل الصالح قد يكـون نبيا من أنبيـائهم، أو عبـدا من عبـاد الله الصـالحين فيهم ماذا عملوا معه؟

قال: بنوا على قبره مسجدا فيجعلون المسجد، وهو مكان العبادة في اللغة بما يدخل فيه الكنيسة مكان العبادة، يقال له مسجدا ، والمسجد مكان السجود، والسجود هو الخضوع والتذلل لله جل وعلا .

فالمسجد يطلق على كل مكان يتخذ لعبادة الله وحده لعبادة الله -جل وعلا -كما قال النبي   وجعلت لي الأرض مسجدا وطهورا فمكان العبادة يقال له: مسجد، فالكنيسة هنا قال النبي -عليه الصلاة والسلام- في شأنها بنوا على قبره مسجدا، يعني: مكانا للعبادة.

فإذن الكنائس بنيت على القبور، قبور أولئك الصالحين، وصوروا فيها الصور، جعلوا صورة ذلك العبد جعلوها على قبره، أو فوق قبره على الحائط، لكي يدلوا الناس على عبادة الله بتعظيم ذلك الرجل الصالح، وتعظيم قبره، فاتخذوا البناء على القبور -الذي هو وسيلة من وسائل الشرك الأكبر، ومن البدع التي يحدثها الخلوف بعد الأنبياء- اتخذوا ذلك فوق القبور، وتعبدوا فيها.

قال -عليه الصلاة والسلام-: أولئك شرار الخلق عند الله جل وعلا أولئك الخطاب لأم سلمة. والخطاب إذا توجه إلى مؤنث تكسر فيه الكاف، كاف الخطاب، أولئكِ شرار الخلق عند الله من هم شرار الخلق عند الله؟ هم الذين عظموا الصالحين، فبنوا على قبورهم مساجد.

هل في هذا الحديث أنهم توجهوا بالعبادة لأولئك الصالحين ؟ لا . إنما عظموا قبور الصالحين ، وجعلوا لهم صورا، فجمعوا بين فتنتين: فتنة القبور، وفتنة الصور.

وفتنة الصور وسيلة من وسائل حدوث الشرك الأكبر، وكذلك فتنة القبور بالبناء عليها، وبتعظيمها وبإرشاد الناس لها ، هذا وسيلة إلى أن يعتقد في صاحب القبر أن له شيئا من خصائص الإلهية، أو أنه يتوسط عند الله -جل وعلا- في الحاجات، كما حصل ذلك فعلا.

قال المصنف الإمام -رحمه الله-: "فهؤلاء جمعوا بين فتنتين: فتنة القبور، وفتنة التماثيل. وهذا هو الواقع، وهذا التغليظ في أنهم شرار الخلق عند الله، هذا نفهم منه التحذير، تحذير هذه الأمة، أن يبنوا على قبر أحد مسجدا؛ لأنه إن بني على قبر أحد مسجد، فإنه من بنى ذلك، ودل الخلق على تعظيم ذلك القبر، فإنه من شرار الخلق عند الله .

وقد قال عليه الصلاة والسلام: لتتبعن سَنن من كان قبلكم شبرا بشبر وذراعا بذراع فإذن وجه الدلالة من هذا الحديث أنه قال: أولئك شرار الخلق عند الله وهذا تغليظ فيمن عبد الله في الكنيسة التي فيها القبور والصور، والقبور والصور من وسائل الشرك بالله جل وعلا .

قال: ولهما عنها يعني: عن عائشة قالت: لما نزل برسول الله (يعني نزل به الموت) طفق يطرح خميصة له على

وجهه، فإذا اغتم بها كشفها، فقال -وهو كذلك-: لعنة الله على اليهود والنصارى اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد .

هذا الحديث من أعظم الأحاديث التي فيها التغليظ في وسائل الشرك ، وبناء المساجد على القبور، واتخاذ قبور الأنبياء والصالحين مساجد ، ووجه ذلك أنه عليه الصلاة والسلام، وهو في ذلك الغم ، وتلك الشدة ، ونزول سكرات الموت به عليه الصلاة والسلام يعانيها، لم يغفل عليه الصلاة والسلام.

بل اهتم اهتماما عظيما، وهو في تلك الحال بتحذير الأمة من وسيلة من وسائل الشرك، وتوجيه اللعن والدعاء على اليهود والنصارى بلعنة الله ؛ لأنهم اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد، سبب ذلك أنه عليه الصلاة والسلام في تلك الحال يخشى أن يتخذ قبره مسجدا ، كما اتخذت قبور الأنبياء قبله مساجد، ومن الذي اتخذ قبور الأنبياء مساجد؟ شرار الخلق عند الله من اليهود والنصارى الذين لعنهم النبي -عليه الصلاة والسلام -.

فقال: لعنة الله على اليهود والنصارى واللعنة هي الطرد والإبعاد من رحمة الله، وذلك يدل على أنهم فعلوا كبيرة من كبائر الذنوب ، وهذا كذلك: البناء على القبور واتخاذ قبور الأنبياء مساجد، هذا من وسائل الشرك، وهو كبيرة من الكبائر.

قال: اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد فإذن سبب اللعن أنهم اتخذوا قبور الأنبياء مساجد، والنبي -عليه الصلاة والسلام -

يلعن ويحذر ، وهو في ذلك الموقف العصيب، فقام ذلك مقـام آخر وصـية أوصى بها عليه الصـلاة والسـلام: ﴿ألا تتخذ القبـور مساجد ﴾ فخالف كثير من الفئام في هذه الأمة، خالفوا وصـيته عليه الصلاة والسلام.

قال: ﴿اتخذوا قبـور أنبيـائهم مسـاجد ﴾ اتخـاذ القبـور مسـاجد يكـون على أحد ثلاث صـور: الصـورة الأولى: أن يسـجد على القبر يعني: يجعل القبر مكـان سـجوده ﴿ اتخـذوا قبـور أنبيـائهم مساجد ﴾ يعني: جعلوا القبر مكان السجود، هذه صورة.

وهذه الصورة في الواقع لم تحصل بانتشار؛ لأن قبور الأنبياء لليهود والنصارى لم تكن مباشرة للنـاس، يمكن أن يصـلوا إلى القبر، وأن يسجدوا عليه، بل كانوا يعظمـون قبـور أنبيـائهم، فلا يصلوا عليها مباشرة.

لكن قولـه: ﴿اتخـذوا قبـور أنبيـائهم مسـاجد ﴾ أبلغ صـوره أن يتخذ القـبر نفسه مسـجدا يعـني: يصـلي عليه مباشـرة، وهـذه أفظع تلك الأنــواع، وهي الــتي تــدل على أعظم وســيلة من وسائل الشرك والغلو بالقبر.

والصورة الثانية: أن يصلي إلى القبر أن يتخذ القـبر مسـجدا، يعني أن يكـون القـبر أمامه يصـلي إليـه، فإنه اتخذ القـبر -وما حوله له حكمه- اتخذه مكانا للتذلل والخضوع، والمسجد لا يعنى به مكــان الســجود الــذي هو وضع الجبهة على الأرض فقــط، وإنما يعنى به مكان التذلل والخضوع .

فـ اتخذوا قبورهم مساجد يعني: جعلوها قبلة لهم، ولهـذا نهى النبي أن يصلى إلى القبر؛ لأجل أن الصـلاة إليه وسـيلة من وسائل التعظيم، وهذا يوافق قـول الشـيخ -رحمه اللـه- في الباب ، باب ما جـاء في التغليظ فيمن عبد الله عند قـبر رجل صالح .

قوله: "عند قبر" نفهم منه هذه الصـورة الـتي هي أن يكـون أمامه القبر فيجعل القبر بينه وبين القبلة تعظيما للقبر.

الصورة الثالثة: أن يتخذ القـبر مسـجدا بـأن يجعل القـبر في داخل بناء ، وذلك البناء هو المسجد، فإذا دفن النبي قام أولئك بالبناء عليه فجعلـوا حـول قـبره مسـجدا، واتخـذوا ذلك المكـان للتعبد، والصلاة فيه .

هذه هي الصـورة الثالثـة، وهي أيضا موافقة لقـول الشـيخ -رحمه الله- "عند قبر رجل صالح" وهذا يبين لك بعض المناسـبة في إيراد هذا الحديث تحت الباب.

قال: قالت عائشة: يحذر ما صنعوا يعـني ما سـبب اللعن، لمـاذا لعن النـبي -عليه الصـلاة والسـلام- اليهـود والنصـارى في ذلك المقام العظيم؟ وهو أنه في سكرات المـوت، السـبب أنه يريد أن يحذر الصحابة من ذلك قالت: يحذر ما صنعوا .

وقد قبل الصــحابة -رضــوان الله عليهم- تحــذيره وعملــوا بوصيته . قالت: ولولا ذلك أبرز قبره أبرز قبره يعني: أظهـر، وجعل قبره مع سائر القبور في البقيع، أو نحو ذلك.

ولكن كـان من العلل الـتي جعلتهم لا ينقلونه -عليه الصـلاة والســلام- من مكانه الــذي تــوفي فيه قوله هنا عليه الصــلاة والسلام: لعنة الله على اليهود والنصارى اتخذوا قبـور أنبيـائهم مساجد. قالت: يحذر ما صنعوا ولولا ذلك أبرز قبره .

فهذه إحدى علتين ، والعلة الثانية قـول أبي بكر إنه سـمع النبي يقول: إن الأنبياء يُقْبَرُون حيث يُقْبَضُون قالت: غـير أنه خَشي هنا أو خُشِيَ تروى بالوجهين غـير أنه خشي يعـني عليه الصلاة والسلام أن يتخذ مسجدا يعـني: أن يتخذ قـبره مسجدا .

ويجوز أن تقرأها غـير أنه خُشِـيَ أن يتخذ مسـجدا يعـني خشي الصحابة أن يتخذ قبره مسـجدا ، وهـذا تنبيه على إحـدى العلـتين، الصـحابة -رضـوان الله عليهم- قبلـوا هـذه الوصـية، وجعلـوا دفنه عليه الصـلاة والسـلام في مكانـه، وحجـرة عائشة الـتي دفن فيها عليه الصـلاة والسـلام، كـانت عائشة تقيم، أو أقــامت جــدارا بينها وبين القبــور، فكــانت غرفة عائشة فيها قسمان:

قسم فيه القبر، وقسم هي فيه ، كذلك لما توفي أبو بكر ودفن بعد رسول الله من جهة الشمال، كـانت أيضا في ذلك المقام في جزء من الحجرة، ثم بعد ذلك لما دفن عمر تـركت الحجرة -رضي الله عنها- ثم أغلقت الحجـرة، فلم يكن ثَمَّ بـاب فيها يُدْخَل ، وإنما كان فيها نافذة صغيرة.

وكانت الحجرة كما تعلمون من بناء ليس من حجــر، ولا من بناء مجصص، وإنما كانت من البناء الـذي كـان في عهـده عليه الصلاة والسلام من خشب، ونحو ذلك.

ثم بعد ذلك لما جاءت الزيادة في المسـجد النبـوي في عهد الوليد بن عبد الملك، وكان أمير المدينة يوم ذاك عمر بن عبد العزيز -رحمه الله- وأخذوا شـيئا من حُجَر زوجـات النـبي -عليه الصـلاة والسـلام- بقيت حجـرة النـبي -عليه الصـلاة والسـلام- كذلك.

فأخــذوا من الروضة - روضة المســجد - أخــذوا منها شــيئا ، وجعلــوا عليه بنــاء ، فبنــوه من ثلاث جهــات، جــدار آخر غــير الجدار الأول، بنوه من ثلاث جهـات، وجعلـوا الجهة الـتي تكـون شمالا يعني جهة الشمال ، جعلوها مسـننة، جعلوها مثلثة قائمة هكذا.

وصــار عنــدنا الآن جــداران: الجــدار الأول مغلق تمامــا، وهو جدار حجرة عائشة، والجـدار الثـاني الـذي عمل في زمن عمر بن عبد العزيز -رحمه الله ورضي عنه- في زمن الوليد بن عبد الملك، جعلـوا جهة الشـمال وهي عكس القبلة جعلوها مسـننة؛ لأنه في تلك الجهة جاءت التوسعة وسعوها من جهة الشمال.

فخشوا أن يكون ذلك الجدار مربعا يعني: مسامتا للمستقْبِل، فيكون إذا استقبله أحد مُستقبِلا للقبر، فجعلوه مثلثا يبعد كثـيرا

عن الجــدار الأول ، وهو جــدار حجــرة عائشــة؛ لأجل ألا يمكن أحد أن يستقبله؛ لبعد المسافة ؛ ولأجل أن الجدار صار مثلثا.

ثم بعد ذلك بأزمــان جــاء جــدار ثــالث، أيضا وبــني حــول ذينك الجــدارين ، وهو الــذي قــال فيه ابن القيم -رحمه الله تعــالى- في النونية في وصف دعاء النبي -عليه الصلاة والسلام- بقولــه: اللهم لا تجعل قبري وثنا يعبد قال:

فأجـاب رب العالمين دعاءه	**وأحاطــه بثـلاثة الجــداران**
حـتى غـدت أرجاؤه بدعائه	**فـي عـزة وحمايـة وصيـان**

فالنبي -عليه الصلاة والسلام- صار قــبره في ثلاثة جــدران، وكل جــدار ليس فيه بــاب، ولا يمكن لأحد حــتى في زمن الصــحابة أن - في زمن المتـــــأخرين منهم في عهد الوليد وما قبله - لا يمكن أن يدخل ويقف على القــبر بنفســه؛ لأنه صــار ثَمَّ جــداران، وكل جــدار ليس له باب.

ثم بعد ذلك وضع الجدار الثــالث، وهــذا الجــدار أيضا كبــير مرتفع إلى فوق، وضــعت عليه القبة فيما بعــد، وهــذا الجــدار أيضا ليس له بــاب، فلا يســتطيع الآن أحد أن يــدخل إلى القــبر، أو أن يصل إلى

القــبر، أو أن يتمسح بــالقبر، أو أن يــرى قــبر النــبي -عليه الصــلاة والسلام- ثم بعد ذلك وضع السور الحديدي هذا .

وهذا السور الحديدي بينه وبين الجدار الثـالث الـذي ذكـرت لكم بينه نحو مــتر ونصف في بعض المنــاطق، ونحو مــتر في بعضــها، وبعضها نحو متر وثمانين إلى مترين، في بعضها يضيق ويزداد، لكن من مشى فإنه يمشى بين ذلك الجـــدار الحديـــدي، وبين الجـــدار الثالث.

فقبر النبي -عليه الصلاة والسلام- عمل المسلمون بوصـيته عليه الصلاة والسلام، وأُبْعِـدَ تماما فلا يمكن أن يصل أحد إلى القــبر، ولا يمكن أيضا أن يتخذ ذلك القبر مسجدا.

ولهـذا لما جـاء الخرافيـون في الدولة العثمانية جعلـوا التوسـعة التي هي من جهة الشرق جعلوا فيها ممرا؛ لكي يمكن من يريد أن يطـوف بـالقبر، أو أن يصـلي في تلك الجهـة، ذلك الممر الشـرقي الذي هو قدر مترين، أو نحو ذلك أو يزيد قليلا.

ذلك الممر الشرقي في عهد الدولة السعودية الأولى، وما بعدها مُنِـعَ من الصـلاة فيه ، فكأنه أخـرج من كونه مسـجدا؛ لأنه إذا كـان من مسجد النبي -عليه الصلاة والسـلام- فلا يجـوز أن يمنعـوا أحـدا من الصلاة فيه؛ فلما منعوا أحدا أن يصلي فيه؟

جعلوا له حكم المقبرة، ولم يجعلـوا له حكم المسـجد، فلا يمكن لأحد أن يصلي فيـه، بل يغلقونه وقت الصـلاة؛ أما وقت السـلام، أو وقت الزيارة فإنهم يفتحونه للمرور، فإذن تبين بذلك أن قـبر النـبي

-عليه الصلاة والسـلام - لم يتخذ مسـجدا، وإنما دخلت الغـرف في التوسـعة في عهد التـابعين في المسـجد، ولكن جهتها الشـرقية خارجة عن المسـجد فصـارت كالشـيء الـذي دخل في المسـجد، ولكن حيطان متعددة تمنع أن يكون القبر في داخل مسجد النـبي .

وإنما فيه أربع جدران تفصل بين المسجد، وبين قبر النـبي -عليه الصلاة والسلام- يعني مكـان الـدفن، وأعظم من ذلك مما يدل على أخذ الصحابة والتـابعين، ومن بعـدهم بوصـية النـبي -عليه الصلاة والسلام- هذه ، وسد الطرق الموصلة إلى الشـرك به عليه الصلاة والسلام، وباتخاذ قبره مسـجدا -أنهم أخـذوا من الروضة الشـريفة ، أخـذوا من الروضة الـتي هي روضة من ريـاض الجنة كما قـال عليه الصـلاة والسـلام: ما بين بيـتي ومنبري روضة من رياض الجنة أخذوا منها قـدر ثلاثة أمتـار ؛ لكي يقوم الجدار الثـاني ، ثم يقـوم الجـدار الثـالث ، ثم يقـوم السور الحديدي، وأكثر من ثلاثة أمتار .

فهـذا من أعظم التطـبيق، وهو أنهم أخـذوا من الروضـة، وأجـازوا أن يأخـذوا من المسـجد؛ لأجل أن يحمى قـبر النـبي -عليه الصلاة والسـلام- من أن يتخذ مسـجدا، وهـذا ولا شك من أعظم الفقه، فيمن فعل ذلك، ومن رحمة الله -جل وعلا- بهـذه الأمة، ومن إجابة دعوة النبي -عليه الصلاة والسلام- بقوله فيما سيأتي بعد هذا الباب: اللهم لا تجعل قبري وثنا يعبد .

إذن فقوله -عليه الصلاة والسلام -: لعنة الله على اليهود والنصارى اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد ؛ يحذر ما صنعوا فإنه عليه الصلاة السلام لم يتخذ قبره مسجدا ، واليوم الموجود قد يكون صورته عند غير المتأمل وغير الفقيه صورته صورة قبر في داخل مسجد، وفى الحقيقة ليست صورته ، وليست حقيقته أنه قبر في داخل مسجد؛ لوجود الجدران المختلفة التي تفصل بين المسجد وبين القبر؛ ولأن الجهة الشرقية منه ليست من المسجد.

ولهذا لما جاءت التوسعة الأخيرة كان مبتدؤها من جهة الشمال بعد نهاية الحجرة بكثير حتى لا تكون الحجرة في وسط المسجد من جهة أنه يكون ثَمَّ توسعة من جهة الشرق، وثم الروضة من جهة الغرب، فتكون وسط المسجد ، فيكون ذلك من اتخاذ قبره مسجدا عليه الصلاة والسلام.

المقصود من هذا البيان المهم الذي ينبغي أن تعيه جيدا أن قبر النبي -عليه الصلاة والسلام- ما اتُّخِذَ مسجدا، ولكن وصيته -عليه الصلاة والسلام- في التحذير قد أُخِذَ بها في مسجده وفي قبره.

ولكن خالفتها الأمة في قبور الصالحين من هذه الأمة، فاتخذوا قبور بعض آل البيت مساجد، وعظموها كما تعظم الأوثان.

قال: ولمسلم عن جندب بن عبد الله قال: سمعت النبي قبل أن يموت بخمس وهو يقول: إني أبرأ إلى الله أن يكون لي منكم خليل ، فإن الله قد اتخذني خليلا كما اتخذ إبراهيم خليلا ، ولو كنت متخذا من آمتي خليلا لاتخذت أبا بكر خليلا .

سبب ذلك أن الخلة هي أعظم درجات المحبة، وهى التي تتخلل الروح، وتتخلل القلب وشغاف الصدر بحيث لا يكون ثَمَّ مكان لغير ذلك الخليل؛ لهذا النبي -عليه الصلاة والسلام- ليس له من أصحابه خليل، قال: ولو كنت متخذا من أمتي خليلا لاتخذت أبا بكر خليلا .

وجه الشاهد من هذا الحديث قوله بعد ذلك: ألا وإن من كان قبلكم كانوا يتخذون قبور أنبيائهم مساجد ألا فلا تتخذوا القبور مساجد فإني أنهاكم عن ذلك وهذا جاء في رواية أخرى أيضا كانوا يتخذون قبور أنبيائهم وصالحيهم مساجد .

وهذا هو الذي وقع في هذه الأمة ، وهذا وسيلة من وسائل الشرك ، مناسبته للباب ظاهرة من أن تحريم اتخاذ قبور الأنبياء والصالحين مساجد مع أنه قد يكون العابد لا يعبد إلا الله؛ لأنها وسيلة من وسائل الشرك الأكبر ، والوسائل تفضي إلى ما بعدها، وقد تقرر في القواعد الشرعية، وأجمع عليها المحققون أن سد الذرائع الموصولة إلى الشرك، وإلى المحرمات واجبة .

فــإن الذريعة الــتي توصل إلى المحــرم يجب ســدها؛ لأن الشــريعة جــاءت بسد أصــول المحرمــات وسد الــذرائع إليهــا، فيجب أن يغلق كل بــاب من أبــواب الشــرك باللــه، ومن ذلك اتخاذ قبور الأنبيـاء والصـالحين مسـاجد ؛ ولهـذا لا تصح الصـلاة في مسجد بني على قبر، المسجد الذي يبـنى على قـبر ، فإنه لا تصح الصلاة فيه؛ لأن ذلك منافٍ لنهي النبي .

النبي -عليه الصلاة والسلام- نهى ، وهم فعلــوا، والنهي توجه إلى بقعة الصــلاة، فبطلت الصــلاة، فالــذي يصــلي في مســجد أقيم على قـــبر صـــلاته باطلة لا تصـــح؛ لقوله -عليه الصـــلاة والسلام-: ألا فلا تتخذوا القبور مسـاجد يعـني: بالبنـاء عليهـا، وبالصـلاة حولها فـإني أنهـاكم عن ذلك قـال: فقد نهى عنه في آخر حياته، ثم إنه لعن -وهو في السياق- من فعله.

والصـلاة عنـدها من ذلـك، وإن لم يبن مسـجد، وهو معـنى قولهـا: خشي أن يتخذ مسـجدا يعـني الصـلاة عند القبـور لا تجــوز، ســواء صــلى إليها أو صــلى عنــدها، رجــاء بركة ذلك المكان، أو لم يرجُ بركة ذلك المكان ، وإنما صـلى صـلاة نافلة غير صلاة الجنازة عندها؛ كل هـذا لا يجـوز سـواء كـان ثَمَّ بنـاء على القــبر كمسـجد، أو كـان قـبرا ، أو قـبرين في غـير بنـاءٍ عليهما، فإن الصلاة لا تجوز.

ولهذا جاء في الصحيح أن النبي -عليه الصلاة والسلام- قـال: اجعلــوا من صــلاتكم في بيــوتكم ولا تجعلوها قبــورا وفي

البخاري أيضا معلقا من كلام عمر أنه رأى أنسا يصلي عند قبر، فقال له: القبر القبر يعني: احذر القبر ، احذر القبر .

وهذا يدل على أن الصلاة عند القبور لا تجوز؛ لأنها وسيلة من وسائل الشرك، وأعظم إذا كان ثَمَّ بنيان، واتخاذ لما حول القبر من الأبنية مسجدا للصلاة والدعاء والقراءة ونحو ذلك.

في البخاري -أيضا- معلقا من كلام عمر أنه رأى أنسا يصلي عند قبر، فقال له: القبر القبر، يعني: احذر القبر، احذر القبر .

وهذا يدل على أن الصلاة عند القبور لا تجوز؛ لأنها وسيلة من وسائل الشرك، وأعظم إذا كان ثم بنيان، واتخاذ لما حول القبر من الأبنية مسجدا للصلاة والدعاء والقراءة ونحو ذلك .

قال: وهو معنى قولها: "خشي أن يتخذ مسجدا" فإن الصحابة لم يكونوا ليبنوا حول قبره مسجدا، وكل موضع قصدت الصلاة فيه فقد اتخذ مسجدا، بل كل موضع يصلى فيه يسمى مسجدا، كما قال   جعلت لي الأرض مسجدا وطهورا .

وهذا ظاهر، قال: ولأحمد بسند جيد عن ابن مسعود مرفوعا: إن من شرار الناس من تدركهم الساعة وهم أحياء والذين يتخذون القبور مساجد ورواه أبو حاتم، يعني: ابن حبان في صحيحه .

وجه الشاهد من هذا الحديث أنه قال: والذين يتخذون القبور مساجد يعني: أنهم من شرار الناس الذين يتخذون

القبور مساجد من شرار الناس؛ وذلك لأن اتخاذ القبور مساجد كما ذكرنا وسيلة من وسائل الشرك بالله -جل وعلا- وقوله: "والذين يتخذون القبور مساجد" هذا يعم كل متخذ القبر مسجدا، سواء اتخذه بالصلاة عليه، أو بالصلاة إليه، أو بالصلاة عنده .

فذلك القصد للصلاة عند القبر يجعل من قصد في شرار الناس الذين وصفهم النبي -عليه الصلاة والسلام- بذلك ومناسبة هذا الحديث للباب ظاهرة، فإنه ذكر أن من شرار الناس الذين يتخذون القبور مساجد .

والقصد من اتخاذ القبر مسجدا أن يعبد الله عند قبر ذلك الرجل الصالح، فكيف حال الذي توجه إلى النبي -عليه الصلاة والسلام- بالعبادة . القبر لا يخلص إليه، والاستغاثة بالنبي -عليه الصلاة والسلام-، وتأليه النبي -عليه الصلاة والسلام- هذا قد يقع بحسب الاعتقادات وبحسب المناداة كما حصل من الجاهليين مناداة الملائكة واتخاذ الملائكة آلهة مع الله -جل جلاله- كذلك اتخاذ الأولياء معبودين هل هؤلاء من خيار الناس عند الله، بل هم من أشر من الذين وصفهم النبي -عليه الصلاة والسلام- بقوله: من شرار الناس من تدركهم الساعة وهم أحياء والذين يتخذون القبور مساجد .

فإن الذي اتخذ القبر مسجدا ملعون بلعنة النبي -عليه الصلاة والسلام- ولو كان لم يعبد إلا الله -جل وعلا- فكيف حال

الــذي عبد صــاحب ذلك القــبر نســأل الله -جل وعلا- العافية والسلامة من كل وسائل الشرك .

تأمل هــذا مع ما فشا في بلاد المســلمين من البنــاء على القبور والقباب عليهـا، ومن بنـاء المشـاهد وتعظيم ذلك وتوجيه الناس إليها، وذكر الحكايات الطويلة في مناقب أولئك الأوليــاء، وفي إجـابتهم للـدعوات وإغـاثتهم للهفـات، ونحو ذلك يتـبين لك غربة الإســلام أشد غربة في هــذه الأزمنة وما قبلهــا، كيف إذا قــالوا: إن ذلك جــائز، وذلك توحيــد؟ بل كيف إذا اتهمــوا من نهاهم عن ذلك بعـدم المعرفة وعـدم الفهم، وهو يـدعوهم إلى الله -جل وعلا- وهم يدعونه إلى النــار؟ نســأل الله الســلامة والعافية. نعم.

باب

ما جاء أن الغلو في قبور الصالحين يصيرها أوثانا تعبد من دون الله

باب ما جاء أن الغلو في قبـور الصـالحين يصـيرها أوثانا تعبد من دون الله -تبارك وتعالى- .

وروى مالك في الموطأ أن رسـول الله قـال: اللهم لا تجعل قبري وثنا يعبد، اشتد غضب الله على قوم اتخذوا قبور أنبيائهم مســاجد ولابن جرير بســنده، عن ســفيان، عن منصــور، عن مجاهد: قال: كان يلت لهم

السويق، فمات فعكفوا على قبره، وكـذا قـال أبو الجـوزاء عن ابن عباس قـال: كـان يلت السـويق للحـاج، وعن ابن عبـاس - رضي الله عنهمـا- قـال: لعن رسـول الله زائـرات القبـور والمتخذين عليها المساجد والسرج رواه أهل السنن.

الغلو في قبـور الصـالحين وسـيلة من وسـائل الشـرك، بل يصل الغلو إلى أن يكون شركا بالله -جل وعلا- وأن يصـير ذلك القبر وثنا يعبد، فالغلو درجـات مر علينا في الأبـواب قبل بعض الغلو في القبـــور، وهنا بين أن الغلو يصل إلى أن يصـــير تلك القبور أوثانا تعبد من دون الله، قلنا: إن الغلو هو مجاوزة الحد، والقبـور قبـور الصـالحين وغـير الصـالحين صـفتها في الشـرع واحدة، لم يميز الشرع، ولم يـأت دليل في الشـريعة بـأن قـبر الصالح يميز عن قـبر غـيره، بل القبـور تتسـاوى، هـذا وهـذا لا يفرق بين قبر صـالح وبين قـبر طـالح، بل الصـفة واحـدة، وهو إما أن يكون القـبر في ظـاهره مسـنما، وإما أن يكـون مربعـا، وهذه الصورة من حيث الظاهر واحدة نهي النبي -عليه الصــلاة والسلام- عن الكتابة عليها وعن تسقيف القـبر، وعن رفع القـبر وفي أنـواع من السـنن الـتي جـاءت في أحكـام القبـور، وهـذا لأجل سد الطرق التي توصل إلى الغلو في قبور الصالحين .

فإذا مجاوزة الحد في قبور الصالحين هي مجاوزة ما أمر به أو نهي عنه في القبور؛ لأن قبور الصالحين لا تختلف عن قبـور غير الصالحين، فالغلو فيها يكون بالكتابة عليهـا، يكـون برفعهـا،

يكون بالبناء عليها، يكون بأن تتخذ مساجد يكون الغلو فيها ذلك الذي سبق كل من جهة الوسائل، يكون الغلو في قبور الصالحين بأن يجعل القبر وسيلة من الوسائل التي تقرب إلى الله -جل وعلا- ويجعل القبر أو من في القبر شفيعا لهم عند الله -جل وعلا- يجعل القبر له حق أن ينذر له، أو أن يذبح له، أو أن يستشفع بترابه اعتقادا أنه وسيلة عند الله -جل وعلا- .

من أنواع الشرك الأكبر بالله -تبارك وتعالى- لهذا الغلو في قبور الصالحين، يكون بمجاوزة ما أذن فيها، من المجاوزة ما هو من الوسائل ومن المجاوزة ما هو من اتخاذها أوثانا من دون الله -جل وعلا-؛ ولهذا قال رحمه الله: باب ما جاء أن الغلو في قبور الصالحين يصيرها أوثانا، وقوله: يصيرها، يعني: يجعلها قد يكون جعل الوسائل للغايات، يعني: أن الغلو صار وسيلة لاتخاذها أوثانا، وقد يكون أن الغلو جعلها وثنا يعبد من دون الله -جل وعلا- .

وهذا هو الذي حصل، ويرى في البلاد من أن القبور صارت أوثانا تعبد من دون الله لما أقيمت عليها المساجد والقباب، ودعي الناس إليها وذبح لها، وقبلت النذور لها، وصار يطاف حولها، ويعكف عندها ونحو ذلك من أنواع الشرك الأكبر بالله.

قال: روى مالك في الموطأ أن رسول الله قال: اللهم لا تجعل قبري وثنا يعبد، اشتد غضب الله على قوم اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد قوله اللهم لا تجعل قبري وثنا يعبد هذه

استعاذة ودعاء لخوف أن يقع ذلك، ولو كان ذلك لا يقع أصلا ولا يمكن أن يقع لما دعا النبي -عليه الصلاة والسلام- بذلك الدعاء العظيم، بل دعا ألا يجعل القبر وثنا يعبد، كما جعلت قبور غيره من الأنبياء والمرسلين -عليهم الصلاة والسلام- فإن عددا من قبور الأنبياء والمرسلين -عليهم الصلاة والسلام- اتخذت أوثانا تعبد، قال: اللهم لا تجعل قبري وثنا يعبد .

معنى ذلك أن القبر يمكن أن يكون وثنا يعبد، قال -عليه الصلاة والسلام-: اللهم لا تجعل قبري وثنا يعبد فالغاية أن يكون القبر وثنا يعبد، ودعا النبي بألا يكون، والوسيلة إلى ذلك ما جاء بعد ذلك، قال: اشتد غضب الله على قوم اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد وهذا هو الغلو غلو الوسائل، فاتخاذ قبور الأنبياء مساجد غلو من غلو الوسائل يصير تلك القبور أوثانا، فالنبي -عليه الصلاة والسلام- في هذا الحديث جمع بين ذكر الوسيلة والتنفير منها، واشتداد غضب الله على من فعلها وذكر نهاية ما تصل إليه بأصحابها تلك الوسيلة، وهي أن تكون القبور أوثانا تعبد من دون الله -جل وعلا-.

فإذا هذا الحديث فيه بيان أن القبر يمكن أن يكون وثنا، والخرافيون يقولون: القبور لا يمكن أن تكون أوثانا، والأوثان هي أوثان الجاهلية وأصنام الجاهلية، ونقول: إن الجاهليين إذا كانوا تعلقوا بأصنام وبأحجار وبأشجار وبغير ذلك من الأشياء، واعتقدوا فيها ووصلوا فيها إلى الشرك الأكبر مع أن المبرر

العقلي والمــبرر النفسي غــير قــوي فيهــا، فلأن تتخذ قبــور الصالحين والأنبياء والمرسلين أوثانـا، أو أن يتوجه إلى أصـحابها بالعبادة ذلك من باب أولى ذلـك؛ لأن تعلق القلـوب بالصـالحين أولى من تعلقها بالأحجــار، تعلق القلــوب بالأنبيــاء والمرســلين أولى من تعلقها بــالجن أو تعلقها بالأشـجار أو بالأحجـار أو نحو ذلك.

فإذا سبب الشـرك ووسـيلة الشـرك في القبـور أولى وأظهر من النظر في الأصـنام ونحو ذلـك؛ لأنها جميعا من جهة اعتقـاد القلب وتــأثير تلك الأصــنام والأوثــان في الحــالين جميعا في الشفاعة عند الله، فأولئك المشركون يقولون في آلهتهم: وقالوا أيضا: وأهل العصر أو العصور التي فشا فيها الشرك، إذا سـألتهم يقولـون: هـذا توسل وهـذا استشـفاع، والحال واحدة، والسبيل الـذي جعل تلك القبـور أوثانا هو اتخـاذ تلك مساجد والبناء عليها، والحث على مجيئهـا، وذكر الكرامـات التي تحصل عندها أو إجابة الدعوات عندها أو التبرك بها... إلى غير ذلك .

قال: ولابن جرير بسنده عن سفيان عن منصور عن مجاهــد، قال: في قوله: قال: كان يلت لهم السويق فمات، فعكفوا على قبره، وكـذا قـال أبو الجـوزاء عن ابن عبـاس: كـان يلت السـويق للحـاج، الشـاهد منه قــول

مجاهد: مات فعكفوا على قبره؛ لأجل أنه رجل كان ينفعهم بلت السويق لهم على قراءة: ﴿ [illegible] ﴾ ووجه المناسبة ظاهر من أن صلاح ذلك الرجل جعلهم يغلون في قبره، فعكفوا على قبره، والعكوف على القبور يصيرها أوثانا، العكوف معناه لزوم القبر بتعظيمه واعتقاد البركة في لزومه والثواب والنفع ودفع الضر .

هذا معنى العكوف، قال: وعن ابن عباس -رضي الله عنهما- قال: «لعن رسول الله ﷺ زائرات القبور والمتخذين عليها المساجد والسرج » رواه أهل السنن .

وجه الدلالة من الحديث ظاهر أن النبي ﷺ لعن المتخذين على القبور المساجد والسرج، المساجد: مر معنى الكلام عليها. والسرج؛ لأنها وسيلة لتعظيم تلك القبور ونوع من أنواع الغلو فيها، فتسرج القبور ويجعل عليها في الزمن الماضي القناديل، واليوم تجعل عليها الأنوار العظيمة التي تبين أن هذا المكان مقصود، وأنه مطلوب، ويجعل عليها من عقود اللمبات وعقود الأنوار والكشافات التي تسطع ما يدل الناس على تعظيم هذا القبر .

فهؤلاء ملعونون بلعنة رسول الله ﷺ فلا يجوز أن تتخذ السرج على القبور؛ لأن اتخاذ السرج على القبور من نوع الغلو فيها؛ ولأنه يوجه الناس إليها، وذلك قد يكون بعده أن تتخذ آلهة وأوثانا مع الله -جل وعلا- نعم .

باب

ما جاء في حماية المصطفى جناب التوحيد، وسده كل طريق يوصل إلى الشرك

باب ما جاء في حماية المصطفى جناب التوحيد، وسده كل طريق يوصل إلى الشرك، وقول الله تعالى: [illegible] .

وعن أبي هريرة قال: قال رسول الله لا تجعلوا بيوتكم قبورا، ولا تجعلوا قبري عيدا، وصلوا علي فإن صلاتكم تبلغني حيث كنتم رواه أبو داود بإسناد حسن ورواته ثقات .

وعن علي بن الحسين أنه رأى رجلا يجيء إلى بردة كانت عند قبر النبي فيدخل فيها فيدعو فنهاه وقال ألا أحدثكم حديثا سمعته من أبي عند جدي عن رسول الله قال: لا تتخذوا قبري عيدا ولا بيوتكم قبورا وصلوا علي فإن تسليمكم يبلغني أين كنتم رواه في المختار.

هذا الباب من جنس الأبواب قبله في حماية النبي -عليه الصلاة والسلام- جناب التوحيد وفي سده كل طريق يوصل إلى الشرك، وأتى بآية براءة وقول الله تعالى: [illegible]

□□□□□□□□□□□□□□□□□□□□ □□□□□□□□□□□ □□□□□□□□□ □□□□□□□□ □□□ □□□□□□□□□ □□□□□□□□ □□□□□□□□□□□□□ □□□□□

﴿ □□□□□ □□□□□□□ □□□□□□□ قوله: ﴿ □□□□□□□□□ □□□ □□□□□□□□ □□□□□□□□ □□□□□□□ ﴾ يعني: عزيز عليه عنتكم، عزيز عليه العنت، يعـــني: أن تكونـــوا في عنت ومشقة، هذا عزيز عليه، لا يـرغب فيه -عليه الصـلاة والسـلام- حـــريص عليكم، فهو -عليه الصـــلاة والســـلام- عزيز عليه عنت أمتـه، وهـذا يـؤدي أن يـأمرهم بكل خـير، وأن ينهـاهم عن كل شر، وأن يحمي حمى ما أمرهم به وما نهاهم عنه؛ لأن النـاس إذا أقـــدموا على ما نهـــوا عنه فـــإنهم أقـــدموا على مهلكتهم، وأقدموا على ما فيه عنتهم في الدنيا وفي الأخرى .

والنـبي -عليه الصـلاة والسـلام- عزيز عليه عنتهم، عزيز عليه أن يقعوا في وبال عليهم، وفي مشقة عليهم؛ ولهذا قال بعدها ﴿ □□□□□□□□□□ □□□□□□□ ﴾ ؛ لأن هـــذه وهـــذه متلازمة ومن حرصه علينا -عليه الصـــلاة والســـلام- ومن كونه يعز عليه عنتنـــا-عليه الصلاة والسـلام- أن حمى حمى التوحيد وحمى جنـاب التوحيـد، وسد كل طريق قد نصل بها إلى الشــــرك -عليه الصـــــلاة والسلام- وهذا وجه الاستدلال من الآية على الباب، وأما حـديث أبي هريرة فوجه الشاهد منه قوله: ﴿ ولا تجعلوا قبري عيدا ﴾ .

والعيد يكون عيدا مكانيا كما جـاء هنـا، ويكـون عيـدا زمانيا ، "لا تجعلـوا قـبري عيـدا" يعـني: مكانا تعـودون إليه في وقت معلوم من السنة أو في أوقات معلومـة، تعتـادون المجيء إلى القـبر، فـإن هـذا قد يوصل إلى أن يعظم النـبي -عليه الصـلاة

والسلام- وأن يجعل تعظيمه كتعظيم الله -جل وعلا-، فإن اتخاذ القبور عيدا من وسائل الشرك؛ ولهذا قال وصـلوا علي فـإن صـلاتكم تبلغـني حيث كنتم وكـذلك حـديث علي بن الحسـين في هـذا المعـنى أنه ــ قـال: سـمعت رسـول الله قـال: ألا أحدثكم حديثا سمعته من أبي عن جدي عن رسول الله قال: لا تتخذوا قبري عيدا ولا بيـوتكم قبـورا في معـنى ما قبلـه، ونهي الرجل الـذي كـان يعتـاد المجيء إلى فرجة كـانت عند القـبر؛ لأن اعتيـاده أن يـدعو عند القـبر، هـذا نـوع غلو ونـوع وسـيلة من وسـائل تعظيم القبـور واتخاذها عيـدا، فهـذا من وسـائل الشـرك، فحمى النـبي -عليه الصـلاة والسـلام- حمى التوحيد، وحمى جنابه، وسد كل طريق توصل إلى الشرك حتى في قبره -عليه الصلاة والسلام- .

إذا كان كذلك، فمن بـاب أولى قبـور غـيره قبـور الصـالحين وقبور الأنبيـاء والمرسـلين غـيره -عليه الصـلاة والسـلام- فـإنهم أولى بذلك؛ لأنه أفضل خلق الله -عليه الصلاة والسـلام- فالـذي حصل أن هذه الأمة لم تقبل في كثير من سهامها حماية النبي ذلك، واتخذت القبور مساجد، واتخـذت القبـور عيـدا، بل بنت عليها المشـاهد، بل أسـرجتها، بل قبلت لها الـذبائح والنـذور، وطيف حولها، وجعلت كالكعبـة، وجعلت الأمكنة حولها مقدسـة، أعظم من تقديس بقاع الله المباركـة، بل إن عبـاد القبـور تجد عنـدهم من الـذل والخضـوع والإنابة والـرغب والـرهب حين

يمشون إلى قبر النبي، أو قبر الرجل الصالح، أو قبر الولي، ما ليس في قلوبهم إذا كانوا في خلوة مع الله -جل جلاله- .

وهذا عين المحادة لله -جل وعلا- ولرسوله وصلى الله وسلم .

باب

ما جاء أن بعض هذه الأمة يعبد الأوثان

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف المرسلين، نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين. قال المصنف -رحمه الله تعالى-: باب ما جاء أن بعض هذه الأمة يعبد الأوثان، وقول الله تعالى [illegible] .

وقوله تعالى: [illegible] وقوله تعالى: [illegible] وعن أبي سعيد [illegible] أن رسول الله [illegible] قال: [illegible] لتتبعن سنن من كان قبلكم حذو القذة

بالقذة حتى لو دخلوا جحر ضب لدخلتموه قالوا: يا رسول الله اليهود والنصارى قال: فمن؟ أخرجاه .

ولمسلم عن ثوبان أن رسول الله قال: إن الله زوى لي الأرض فرأيت مشارقها ومغاربها، وإن أمتي سيبلغ ملكها ما زوى لي منها، وأعطيت الكنزين الأحمر والأبيض، وإني سألت ربي لأمتي أن لا يهلكها بسنة بعامة، وأن لا يسلط عليهم عدوا من سوى أنفسهم، فيستبيح بيضتهم، وإن ربي قال: يا محمد إذا قضيت قضاء، فإنه لا يرد، وإني أعطيتك لأمتك أن لا أهلكهم بسنة عامة، وأن لا أهلكهم بسنة بعامة، وألا أسلط عليهم عدوا من سوى أنفسهم، فيستبيح بيضتهم ولو اجتمع عليهم من بأقطارها حتى يكون بعضهم يهلك بعضا ويسبي بعضهم بعضا رواه البرقاني في صحيحه وزاد: وإنما أخاف على أمتي الأئمة المضلين، وإذا وقع عليهم السيف لم يرفع إلى يوم القيامة، ولا تقوم الساعة حتى يلحق حي من أمتي بالمشركين، وحتى تعبد فئام من أمتي الأوثان، وإنه سيكون في أمتي كذابون ثلاثون، كلهم يزعم أنه نبي، وأنا خاتم النبيين لا نبي بعدي، ولا تزال طائفة من أمتي على الحق منصورة، لا يضرهم من خذلهم حتى يأتي أمر الله -تبارك وتعالى- .

الحمد لله رب العالمين، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، هو الملك الحق المبين، وأشهد أن محمدا عبد الله

ورسوله، صلى الله عليه وعلى آله وصحبه ومن اهتدى بهـداهم إلى يوم الدين.

أما بعد: فهذا باب ما جاء أن بعض هذه الأمة يعبد الأوثـان، وكتــاب التوحيد من أول ما أخــذنا إلى هــذا الموضع ذكر فيه الإمـام محمد بن عبد الوهـاب -رحمه اللـه- مسـائل كثـيرة: من بيــان وجــوب معرفة التوحيد والعلم به والخــوف من الشــرك وبيان بعض أفراد التوحيد وبعد أفـراد الشـرك الأكـبر والأصـغر، ثم بين شــــيئا مما يتعلق بوســـائل ذلك وما يتعلق بالصـــــور المختلفة الــتي وقعت من هــذا الشــرك في الأمم قبلنا وعند الجاهليين، يعني: في الأميين وفي أهل الكتاب، وكذلك مما وقع في هــذه الأمــة، ثم ذكر وســائل ذلك وطرقه الموصــلة إلى الشــرك وســائل الشــرك الــتي توصل إليه وطــرق الشــرك الموصلة إليه.

بعد هـذا يـأتي احتجـاج المشـركين والخرافـيين من أن هـذه الأمة حماها الله -جل وعلا- من أن تعــود إلى عبــادة الأوثــان، فاستحضر بعد كل ما سبق أن قائلا يقول لـه: كل هـذا صـحيح، ولكن هــذه الأمة عصــمت أن تقع في الشــرك الأكــبر، وذلك لقــول النــبي -عليه الصــلاة والســلام- إن الشــيطان أيس أن يعبده المصلون في جزيرة العرب، ولكن في التحريش بينهم، فلما قال -عليه الصلاة والسلام-: إن الشيطان أيس أن يعبــده المصــلون في جزيــرة العــرب علمنا أن عبــادة الشــيطان لا

تكــون في هــذه الأمة وأن الشــرك الأكــبر يكــون هكــذا قــال الخرافيون .

والجـواب: أن هـذا الاحتجـاج في غـير موضـعه، وفهم ذلك الـدليل وذلك الحـديث ليس على ذلك النحـو، وجـواب ما قـالوا من أن قوله -عليه الصــلاة والســلام-: إن الشــيطان أيس أن يعبده المصـلون في جزيـرة العـرب نقـول: "أيس الشـيطان" والشـيطان لا يعلم الغيب، وهو حـريص على إغـواء بـني آدم [illegible] هو أيس، ولكن لم يأيسه الله -جل وعلا- أيس بنفسه لما رأى عز الإســــلام، ولما رأى ظهـور التوحيد على الكفر في جزيـرة العـرب، فـأيس لما رأى ذلـــــك، ولكنه لم يأيسه الله -جل وعلا- من أن يعبد في جزيرة العرب، ثم إن في قوله: "أيس أن يعبـده المصـلون" أن المصلين لا شك أنهم آمرون بالمعروف ناهون عن المنكـر؛ لأن المصلي هو الذي أقام الصلاة، ومن أقـام الصـلاة فـإن الصـلاة تنهي عن الفحشـــاء والمنكـــر، وأعظم المنكر الـــذي ســـينكره المصـلي هو الشـرك بالله -جل وعلا- فـإن الشـيطان ييـأس أن يعبده من قام بالصلاة على حقيقتها، وأقامها كما أراد الله -جل وعلا- فــإذا نقــول: هــذا الحــديث ليس فيه أن العبــادة عبــادة الشـيطان لا تكـون في هـذه الأمـة، بل فيه أن الشـيطان أيس لما رأى عز الإسلام، ولكنه لم يأيس .

ولهذا لما كان بعد وفـاة النـبي □ بقليـل، وارتـدت طائفة من العـرب، كـان ذلك من عبـادة الشـيطان؛ لأن عبـادة الشـيطان بطاعته كما قـال -جل وعلا-: □□□□□□□□ □□□□□□□□□□ □□□□□□□ □□□□□□□ □□□□□□ □ □ □ □□□□ □□□□□□□ □□□□□□ □□□□□□ □□□□□□ □□□□□□□ □ □□□□□□□□□□□□ □□□□□□□□□□ □□ □□□ □□□□□□□ .

وعبـادة الشـيطان كما في تفسـير الآية في طاعته في الأمر والنهي، طاعته في الشرك، وطاعته في تــرك الإيمان، وترك لوازمه، إذا هذا الـدليل استحضـره الإمـام -رحمه الله- وقال: إن هذا الدليل ليس واقعا كما زعمه أولئك، والدليل على ذلك التفسـير ما جـاء في الأدلة أن بعض هـذه الأمة يعبد الأوثان، فيصحح ما فهمنا من أن معـنى الحـديث: أن الشـيطان أيس بنفسه، ولم ييأس وإياسه بنفسه لأجل عــدم اطلاعه على علم الغيب مع حرصه على دعوة الناس إلى عبـادة غـير الله -تبارك وتعـالى وجل وتقـدس- قـال الإمـام- رحمه اللـه-: بـاب ما جـاء أن بعض هـذه الأمة يعبد الأوثـان يعـني: أن عبـادة الأوثـان واقعة في هــذه الأمة بنص النــبي -عليه الصــلاة والســلام- كما وقعت في الأمم السالفة.

فهذه الأمة تقع فيها عبـادة غـير الله -جل وعلا- وقولـه: بـاب ما جاء يعني: من النصوص في الكتاب وفي السنة، ما جــاء أن بعض هــذه الأمــة، بعض هــذه الأمة هــذا التبعيض؛ لأن عبــادة الأوثــان لم تكن من الأمة كلهــا، وإنما كــانت من بعض هــذه الأمــة، وإلا فلا تـزال طائفة من هـذه الأمة ظـاهرة على الحق

كما قـال -عليه الصـلاة والسـلام-: ولا تـزال طائفة من أمـتي ظاهرين على الحق لا يضرهم من خـذلهم إلى قيـام السـاعة فإذا قوله: بعض هـذه الأمة يعـني: ذلك البعض المـرذول، فنفهم منه أن هنـاك من يقـوم بالاستمسـاك بـالأمر الأول الـذي كـان عليه الرســول وكــان عليه صــحابته في أمر التوحيــد، وأمر العبادة والسنن .

بعض هذه الأمة: المقصود بقوله هذه الأمة أمة الـدعوة أو أمة الإجابـة؟ إذا قلنـا: أمة الـدعوة، فلا شك أن هنـاك من أمة الــدعوة، وهم جميعهــا، بل من الجن والإنس أن منهم من عبد الأوثــان، واســتمر على عبادتها بعد بعثة النــبي ولم يــرض ببعثتــه، ولم يقبل ذلـك، وإذا قلنـا: إن المـراد بالأمة أمة الإجابة يعـني: أن من أجـاب الرسـول في دعوته تتقـادم بهم العهـود حتى يرتدوا على أدبارهم ويتركوا دينهم كما جاء ـ في الباب ـــ في باب سلف في أن سبب كفر بني آدم وتــركهم دينهم الغلو في الصالحين .

فإذا الظاهر هنا أن قوله: بعض هذه الأمة يعبد الأوثان يعني: به أمة الإجابــة؛ لأنهم يــتركون دينهم ويتوجهــون إلى الأوثــان يعبــدونها والأوثــان جمع وثن، والــوثن هو كل شــيء توجه إليه النـــاس بالعبـــادة، إما بـــأن يـــدعوه مع الله -جل وعلا- أو أن يستغيثوا به، أو أن يعتقدوا فيه أنه ينفع ويضر بدون إذن الله -جل وعلا- أو أنه يـرجى رجـاء العبـادة، ويخـاف منه كخـوف من

الله -جل وعلا- خـوف السـر، ونحو ذلك من الأشـياء من اعتقد فيه ذلك، فذلك الشيء وثن من الأوثان، وقد يكون راضيا بتلك العبادة، وقد لا يكون راضيا بتلك العبـادة، والـوثن ليس مصـورا على شكل صورة، والصنم هو ما كـان على شـكل صـورة، كما سبق أن ذكرنا، فـالفرق بين الأوثـان والأصـنام أن الأصـنام هي الآلهة الـتي صـورت على شـكل صـور، كـأن يجعل لنـبي من الأنبياء صورة، ويعبدها، أو يجعل لرجل من الرجال كبوذا ونحوه صورة ويسـجد لهـا، ويعبـدها، هـذه أصـنام، أو أن تكـون أوثانـا، والأوثان هي الأشياء التي تعبد، قد يكون جدارا، قد يكون قبرا، قد يكون رجلا ميتا، قد يكون صفة من الصفات يتخذها معبـودة من دون الله، فكل ما توجه إليه العباد بنوع من أنواع العبــادة، فهو وثن من الأوثان، قال: وقول الله تعـالى: [illegible] .

الجبت: اسم عـــام لكل ما فيه مخالفة لأمر الله -جل وعلا- وأمر رسوله ﷺ في الاعتقاد، قد يكـون الجبت سـحرا، وهـذا هو الذي فسرها كثير من السـلف بـأن الجبت السـحر، وقد يكـون الجبت الكاهن، وقد يكـون الجبت الشـيء المـرذول الـذي يضر صـاحبه، يؤمنـون بـالجبت والطـاغوت، يعـني: يؤمنـون بالسـحر، ويؤمنـــون بالباطل وبعبـــادة غـــير الله -جل وعلا- ويؤمنـــون بالطاغوت .

والطاغوت مشتق من الطغيان، وهو مجاوزة الحـد، فالطاغية هو الذي تجاوز الحد في أمر الدين بأن جعل ما لله لـه؛ ولهـذا يعـرف ابن القيم -رحمه اللـه- الطـاغوت بأنـه: كل ما تجـاوز به العبد حده من معبود أو متبوع أو مطاع .

فإذا تجاوز به العبد حده يعني: حد ذلك الشيء الذي توجهـوا إليه الـذي أذن به شـرعا له تجـاوزوا الحد بـه، فتوجهـوا إليه بالعبـادة أو اعتقـدوا فيه بعض خصـائص الإلهية من أنه يغيثهم كيفما شـاء، ومن أنه يملك غـوثهم، ويملك الاستشـفاع لهم، ويملك أن يغفر لهم، وأن يعطيهم، ويملك أن يقـربهم إلى الله -جل وعلا- ونحو ذلك مما لا يملكه المعبـودون، فـإن ذلك مجاوزة بذلك عن الحد الذي جعل له في الشرع، مجاوزة الحد في المعبودين، أو المتبوعين ما تجاوز به العبد حده من معبـود أو متبوع .

مثل العلمـاء والقـادة في أمر الـدين إذا تجـاوز النـاس بهم حـدهم، فصـاروا يتبعـونهم في كل ما قـالوا: وإن أحلـوا لهم الحـرام، وحرمـوا عليهم الحلال أو جعلـوا لهم السـنة بدعة والبدعة سنة، وهم يعلمون أصل الدين، ولكنهم خالفوا لأجل ما قـال فلان، فـإن هـذا قد تُجُـوِّزَ به حـده، فـإن حد المتبـوع في الـدين أن يكـون آمـرا بما أمر به الشـرع ناهيا عما نهي عنه الشرع، فـإذا أحل الحـرام أو حـرم الحلال، فإنه يعتـبر طاغوتـا، ومن اتبعـه، فإنه يكـون قد تجـاوز به حـده، وقد أقر بأنه

طاغوت، واتخذه كذلك أو مطاع يطاع كذلك من الأمراء والملوك والحكام والرؤساء الذين يأمرون بالحرام فيطاعون، ويأمرون بتحريم الحلال، فيطاعون في ذلك مع علم المطيع بما أمر الله -جل وعلا- به هؤلاء اتخذوهم طواغيت؛ لأنهم جاوزوا بهم حدهم، قال يؤمنون بالجبت والطاغوت، فيدخل في الطاغوت كل هذه الأنواع الذين عبدوا والذين تُبعوا والذين أُطيعوا .

وجه المناسبة من هذه الآية للباب: أن ذلك وهو الإيمان بالجبت والطاغوت حصل ووقع من الذين أوتوا نصيبا من الكتاب من اليهود والنصارى، والنبي -عليه الصلاة والسلام- أخبر أن ما وقع في الأمم قبلنا سيقع في هذه الأمة، كما قال في حديث أبي سعيد الآتي: [illegible] لتتبعن سنن من كان قبلكم حذو القذة بالقذة، حتى لو دخلوا جحر ضب لدخلتموه، [illegible] فمثل بشيء صغير، وهو دخول جحر الضب، الذي لا يمكن أن يفعل، تنبيها على أن ما هو أعلى من ذلك، سيقع من هذه الأمة كما وقع من الأمم قلبنا، قال: [illegible]

وهذا حصل من هذه الأمة، فإن منهم من آمن بالسحر، ومنهم من آمن بعبادة غير الله، ومنهم من أطاع العلماء والأمراء في تحليل ما حرم الله وتحريم ما أحل الله، فكانوا

بذلك متبعين سنن من كان قبلهم، وحصل منهم إيمان بالجبت والطاغوت، كما حصل من الأمم قبلهم، قال: وقوله تعالى:

             .

وجه الشاهد من هذه الآية قوله -جل وعلا-:   على هذه القراءة "عبد الطاغوت" فإن الطاغوت مفعول "عبد" و"عبد" تكون معطوفة على قوله: "لعن" من "لعنه الله" إلى أن قال: "وعبد الطاغوت" يعني: كأنه قال بتقديم وتأخير من "لعنه الله" ومن "عبد الطاغوت" .

وعبادة الطاغوت وقعت في أولئك الملعونين، وبما أن ما وقع في الأمم السالفة بخبر النبي سيقع في هذه الأمة، فإننا نعلم أن في هذه الأمة من سيعبد الطاغوت، كما عبدها أولئك، وعبادة الطاغوت عامة كما ذكرنا يدخل فيها عبادة الأوثان من عبادة القبور وتأليه أصحابها والتوسل بهم إلى الله -جل وعلا- يعني: الاستشفاع بهم إلى الله -جل وعلا- أو طلب الشفاعة منهم، ونحو ذلك من الوسائل الشركية، أو ما هو من الشرك الأكبر، فحصلت عبادة للأوثان من القبور، ومن المشاهد ومن الأشجار ومن الأحجار، ونحو ذلك مما اعتقد فيه الجهلة الذين تركوا دين محمد -عليه الصلاة والسلام-.

قال: وقوله تعالى: [illegible] .

[illegible]

قصة أصحاب الكهف معروفة، وهـذه الجملة بعض آية من قصة أصـــحاب الكهـــف، ولما حصل أن جعلهم الله -جل وعلا- آية [illegible] ثم أحيـــاهم الله -جل وعلا- وأطلع النـــاس على أنهم مكثـوا أحيـاء هـذه المـدة الطويلـة، وأنهم أمـاتهم الله ثم أحيـاهم، اعتقـدوا فيهم، ولما اعتقـدوا فيهم ومـاتوا تنـازعوا في أمــرهم، فمنهم من قــال: افعلــوا لهم كــذا ابنــوا عليهم بنيانــا، ومنهم من قال: اجعلوا لهم فناء ودارا، وعظموا مكانهم .

واختلف الناس فيهم في ذلك الزمان . قال الله -جل وعلا- [illegible] .

من الــذين غلبــوا على الأمــر؟ اختلف المفســرون في ذلك فقال قـائلون: هم المسـلمون مسـلمو ذلك الزمـان حصل منهم تعظيم لأصحاب الكهف، فقالوا ابنوا عليهم بنيانا، وقالوا: اتخــذوا عليهم مسجدا، تعظيما لهم ودلالة للناس عليهم، فإذا كـان هـذا القول راجحا، فإنه من وسائل الشـرك بالله ويـؤدي إلى عبـادة تلك القبور، والاعتقـاد في أصحاب الكهـف، وهـذا القـدر حصل في هذه الأمة .

والقــول الثــاني: أن الــذين غلبــوا على أمــرهم هم المشركون، يعني: أتباع ذلك الدين باعتقادهم الجاهلي، ولما في قلوبهم من الشرك والبدع التي خالفوا بها أنبياءهم، قالوا: ابنــوا عليهم مسجدا، كما قال -جل وعلا- هنـا: □□□□□□□□ □□□□□□□□□ □□□□□ □ □ □□□□ □□□□□□□□□ □□□□□□□□□ □□□□□□□□□□□ □□□□□□□□□ □□□□□ .

والقـول الثـالث: وهو الـذي رجحه ابن كثـير -رحمه اللـه- ورجحه عدد أيضا من أهل العلم أن □□□□□ □□□□□□□□□ □□□□□□□□□ □ □ □□□□□□□□□□ هم الخبراء والأمـراء وأصحاب النفـوذ فيهم، يعـني: الذين كانت لهم الغلبة في الأمر، والذي له الغلبة في الأمر هو من يملك الأمر والنهي في النـــاس، وهم الخـــبراء وأصـــحاب النفوذ وملوك ذلك الزمان وأمراء ذلك الزمـان، فأولئك عظمـوا أولئك الصالحين، وقـالوا: □ □□□□ □□□□□□□□□ □□□□□□□□□ □□□□□□□□□□□□ □ وقد حصل هذا في تلك الأمة، وما دام أنه حصل، فإنه سيحصل في هـذه الأمـة؛ لأنه ما من خصـلة من الشـرك حصـلت في الأمم قبلنا إلا وحصلت في هذه الأمة حتى ادعاء بعض هذه الأمة أنه هو الله -جل وعلا- وأن الله يحل فيه ونحو ذلـك، بل قد ادعـوا أن روح الإله تتناسخ في أناس معيـنين، كما هو اعتقـاد طوائف من الباطنيين ونحو ذلك .

وهذا كما قال -عليه الصلاة والسلام-: □ لتتبعن سنن من كـان قبلكم حذو القذة بالقذة □ وهذا الحديث وهو حديث أبي سـعيد الخدري □ أن رسول الله □ قال: □ لتتبعن سـنن من كـان قبلكم

 قوله: "سنن" هذه تـروى هكـذا: "سـنن" بفتحـتين: فتح السـين والنون، وتروى -أيضا-: "سُنن" والسنن جمع سنة وهي الطريقة، يعني: كأنه قـال: لتتبعن سـنن من كـان قبلكم يعـني: طرائق من كان قبلكم يعني: في الدين .

وعلى الضـبط الآخر الـذي أقـرأ به "لتتبعن سَـنن من كـان قبلكم" السَنَن: مفرد وهو السبيل والطريق، يعني: لتتبعن سـبيل من كـــان قبلكم، واللام في قولـــه: "لتتبعن" هي الواقعة في جواب القسم .

نفهم من وجود اللام أن النبي -عليه الصلاة والسلام- أقسم على ذلك، فقال مؤكدا: والله لتتبعن سنن من كـان قبلكم ؛ لأن اللام هذه واقعة في جـواب القسـم، فـإذا رأيت اللام هـذه المفتوحة، فهي الواقعة في جواب القسـم، فكأنه بل قد أقسم عليه، والقسم محذوف، واللام واقعة في جوابه .

لم أقسم -عليه الصـلاة والسـلام-؟ ليؤكد هـذا الأمر تأكيـدا عظيما بأن هذه الأمة سـتتبع طريق وسـبيل من كـان قبلها من الأمم، وهـذا تحـذير؛ لأن الأمم السـالفة إما أن تكـون من أهل الكتـاب اليهـود والنصـارى، وهـؤلاء قد وصـفهم الله -جل وعلا- بأنهم مغضوب عليهم وضالون، فإذا اتخـذت سـبيلهم سـبيلا في هـذه الأمة معـنى ذلك أن هـذه الأمة تعرضت للغضب واللعنـة، وهذا حصل في هذه الأمة، فإن منهم من سـلك سـبيل اليهـود، ومنهم من سلك سبيل النصارى؛ ولهذا قال بعض السـلف: "من

فسد من علمائنا ففيه شبه من اليهود، ومن فسد من عبّادنا ففيه شبه من النصارى"؛ لأن اليهود خالفوا على علم، والنصارى خالفت على ضلالة، وقد قال -جل وعلا-:
 والمغضوب عليهم هم اليهود، والضالون هم النصارى، كما فسرها النبي قال: "حذو القذة بالقذة" يعني: من التساوي القذة، والقذة تكون في السهم، وتكون هذه مساوية لتلك لا تفرق بين واحدة والأخرى، فإذا نظرت في هذه، ونظرت في هذه وجدت أنهما متماثلان وجدت أن هذه وهذه متماثلتان، لا فرق بينهما.

وهذا هو الواقع، فإنه في هذه الأمة وقع التماثل، ففي هذه الأمة حصل من مثل ما حصل من الأمم قبلنا في أبواب الربوبية، وفي أبواب الإلهية وفي الأسماء والصفات، وكذلك في العمل، وكذلك في السلوك وكذلك في أفعال الله -جل وعلا-، فكل شيء كان في من قبلنا جاء ووقع في هذه الأمة، نسأل الله -جل وعلا- السلامة والعافية .

قال النبي -عليه الصلاة والسلام-: حتى لو دخلوا جحر ضب لدخلتموه، قالوا: يا رسول الله، اليهود والنصارى، قال: فمن؟ أخرجاه يعني: البخاري ومسلم .

وجه الدلالة من هذا الحديث ظاهرة، بل عماد هذا الباب على هذا الحديث من أن كل كفر وشرك وقع في الأمم السالفة، فسيقع في هذه الأمة، الأمم السالفة عبدت الأوثان،

وكفــــرت بالله -جل وعلا- فســـيقع في هـــذه الأمـــة، من يعبد الأوثـــان، ومن يكفر بالله -جل وعلا- في الربوبية وفي الإلهيـــة، وفي الأسماء والصفات، وفي أفعال الله -جل وعلا- وفي الحكم والتحاكم، وهكذا في أنواع كثـيرة مما حصل فيمن قبلنـا، حـتى في أمور السلوك والبدع، بل حـتى في أمـور الأخلاق والعـادات الـتي قد تتصل بالـدين، فإنه سـلكت هـذه الأمة مسـلك الأمم قبلها مخالفة نهي النبي .

قال بعد ذلك: ولمسـلم عن ثوبـان وسـاق الحـديث حـديث ثوبان، وهو حديث طويل، ووجه الشاهد منه قوله -عليه الصـلاة والسـلام-: وإنما أخـاف على أمـتي الأئمة المضـلين والأئمة المضـلون هم الـذين اتخـذهم النـاس أئمـة، قد يكـون من جهة الـــدين، وقد يكـــون من جهة الولاية يعـــني: ولاية الحكم والأئمة المضــلون يملكــون زمــام النــاس، فيضــلون النــاس بالبــدع وبالشركيات، ويحسنونها لهم حتى تغدو في أعينهم حقاَ، وكذلك أصحاب النفوذ وأصحاب الحكم، فـإنهم إذا كـانوا مضـلين، فـإن بيـــدهم الأمر الـــذي يجعلهم يفرضـــون على النـــاس أشـــياء، ويلزمـونهم بأشـياء مضـادة لشـرع محمد من أمـور العقيـدة والتوحيـــد، ومن أمـــور الســـلوك والعمـــل، ومن أمـــور الحكم والتحاكم .

وهكـــذا وقع في هـــذه الأمة وخـــوف النـــبي -عليه الصـــلاة والسـلام- من الأئمة المضـلين وقع ما خـاف منه -عليه الصـلاة

والسلام-، فكثر الأئمة المضلون في الأمة، الأئمة المضلون من جهة الاتباع، والأئمة المضلون من جهة الطاعة، قال: وإذا وقع عليهم السيف لم يرفع إلى يوم القيامة ولا تقوم الساعة حتى يلحق حي من أمتي بالمشركين وحتى تعبد فئام من أمتي الأوثان هذا نص صحيح من رواية البرقاني في صحيحه قال: حتى يلحق حي من أمتي بالمشركين يلحق بالمشركين هل هو من جهة ترك بلاد المسلمين والذهاب إلى أرض المشركين؟ أم يلحق بالمشركين في الصفات والخصال؟ .

يحتمل هذا وهذا حتى يلحق حي من أمتي بالمشركين يعني: من جهة ترك بلاد الإسلام والذهاب إلى بلاد المشركين رضا بهم وبدينهم أو حتى يلحق حي من أمتي بالمشركين من جهة الصفات، فيشركون كما أشرك المشركون، ويرتدوا على أدبارهم، قال: وحتى تعبد فئام من أمتي الأوثان الفئام: هي الجماعات الكبيرة، قال: وحتى تعبد فئام من أمتي الأوثان، وهذا ظاهر المناسبة للباب في قول الشيخ -رحمه الله- في الباب: باب ما جاء أن بعض هذه الأمة يعبد الأوثان... إلى أن قال -عليه الصلاة والسلام- في هذا الحديث: ولا تزال طائفة من أمتي على الحق منصورة لا يضرهم من خذلهم حتى يأتي أمر الله تبارك وتعالى .

 لا تزال طائفة من أمتي على الحق منصورة هذه الطائفة المنصورة هي التي قال فيها -عليه الصلاة والسلام-

في حديث آخر: «ولا تزال طائفة من أمتي ظاهرين على الحق» وهي التي قال فيها -عليه الصلاة والسلام-: «وستفترق هذه الأمة على ثلاث وسبعين فرقة كلها في النار إلا واحدة وهي الجماعة» فالطائفة المنصورة هي الفرقة الناجية، وهي الجماعة بجمع أحاديث النبي -عليه الصلاة والسلام- وسميت منصورة؛ لأن الله -جل وعلا- نصرها على من ناوأها بالحجة والبيان، نصرها الذي وعدت به، ليس نصراً بالسنان، ولكنه نصر بالحجة والبيان، فهم وإن هزموا في بعض المعارك أو أديلت دولتهم في بعض الأحيان، فهم الظاهرون على من سواهم بالحجة والبيان، وهم المنصورون بما أعطاهم الله -جل وعلا- من الحجة والنصوص، والصواب والحق على من سواهم، فهم على الحق وسواهم على الباطل .

هذان اللفظان فرقة ناجية وطائفة منصورة اسمان لشيء واحد، وإنما هو من باب تنوع الصفات، فقال عنها الطائفة المنصورة هنا، لا تزال طائفة من أمتي على الحق منصورة؛ لأنها موعودة بالنصر كما قال -جل وعلا-: [illegible] .

فهم منصورون كما قال -أيضا-: [illegible] فقولهم هو المنصور، وهو الظاهر، وحجتهم هي الظاهرة، وقد يكون -أيضا- لهم من النصر

والتمكين في أرض الله ما أعطاهم الله -جل وعلا- من ذلك، وهم -أيضا- الفرقة الناجية التي جاءت في حديث الافتراق ناجية، يعني: موعودة بالنجاة من النار، فهم موصوفون بالنصر وموصوفون بالنجاة من النار وموصوفون بالنصر على عدوهم بالحجة والبيان، وقد يكون مع ذلك نصر بالسيف والسنان ونحو ذلك، نعم.

باب

ما جاء في السحر

قال -رحمه الله- تعالى: باب ما جاء في السحر وقول الله تعالى: [illegible] وقوله: [illegible] قال عمر: الجبت السحر، والطاغوت الشيطان .

قال جابر: الطواغيت كهان كانوا ينزل عليهم الشيطان في كل حي واحد، وعن أبي هريرة أن رسول الله قال: اجتنبوا السبع الموبقات. قالوا: يا رسول الله، وما هن قال: الشرك بالله، والسحر، وقتل النفس التي حرم الله إلا بالحق، وأكل الربا، وأكل مال اليتيم، والتولي يوم الزحف، وقذف المحصنات الغافلات المؤمنات وعن جندب مرفوعا: حد

الساحر ضربه بالسيف رواه الترمذي، وقال: الصحيح أنه موقوف .

وفي صحيح البخاري عن بجالة بن عبدة قال: كتب عمر بن الخطاب أن اقتلوا كل ساحر وساحرة، قال: فقتلنا ثلاث سواحر، وصح عن حفصة -رضي الله عنها- أنها أمرت بقتل جارية لها سحرتها، فقتلت، وكذلك صح عن جندب، قال أحمد: عن ثلاثة من أصحاب النبي .

هذا باب ما جاء في السحر ومناسبة ذكر السحر لكتاب التوحيد أن السحر نوع من الشرك، وقد قال -عليه والصلاة والسلام-: من سحر فقد أشرك فالسحر أحد أنواع الشرك الأكبر بالله -جل وعلا- فمناسبته ظاهرة أنه مضاد لأصل التوحيد.

والسحر في اللغة هو عبارة عن ما خفي ولطف، سببه خفي يعني: صار سبب ذلك الشيء خفيا، لا يقع في ظهور، وإنما يقع على وجه الخفاء؛ ولهذا سمي آخر الليل سحرا لذلك. وكذلك قيل في أكلة آخر الليل: سحور وذلك؛ لأنها تقع على وجه الخفاء وعدم الاشتهار والظهور من الناس. فهذه اللفظة: سحر وما اشتقت منه تدل على خفاء في الشيء؛ ولهذا فإنه في اللغة يطلق السحر على أشياء كثيرة: منها ما يكون من جهة المقال، ومنها ما يكون من جهة الفعل، ومنها ما يكون من جهة الاعتقاد، وسيأتي في هذا الباب وفي الباب

الذي بعده باب بيـان شـيء من أنـواع السـحر ما يتصل بـذلك، وأما السـحر الـذي هو كفر وشـرك أكـبر بالله -جل وعلا- فهو استخدام الشياطين والاستعانة بها لحصول أمر بواسطة التقرب لذلك الشيطان بشيء من أنواع العبادة .

والسحر عرفه الفقهاء بقولهم: رقى، قالوا: السـحر هو رقى وعــزائم وعقد ينفث فيها فيكــون ســحرا يضر حقيقـــة، ويمرض حقيقة، ويقتل حقيقة، فإذا حقيقة السحر أنه اسـتخدام للشـياطين في التـأثير، ولا يمكن للسـاحر أن يصل إلى إنفـاذ سـحره حـتى يكـون متقربا إلى الشـياطين، فـإذا تقـرب إليها خدمته الجن، يعـــني: شـــياطين الجن بـــأن أثـــرت في بـــدن المسحور، فلكل سحر خادم من الشياطين يخدمه، ولكل ساحر مستعان به من الشياطين، فلا يمكن للساحر أن يكـون سـاحرا على الحقيقة إلا وهو يتقـــرب إلى الشـــياطين؛ ولهـــذا نقـــول: السحر شرك بالله -جل وعلا- .

وهنـاك شـيء قد يكـون في الظـاهر أنه سـحر، ولكنه في البـاطن ليس بسـحر، وهـذا ليس الكلام فيـه، وإنما الكلام فيما كـان من السـحر بالاسـتعانة بالشـياطين وباسـتخدام الـرقى والتعويـذات والعقد والنفث فيهـا، وقد قـال -جل وعلا-: والنفاثـات هن السـواحر اللاتي يعقدن العقد وينفثن فيهـا، خصت الإنـاث بـذلك بالاسـتعاذة؛ لأن الغـــالب في الســـحر ممن يســـتخدمه في الجاهلية وعند أهل

الكتاب أن الذي يستخدمه النساء، فجـرى ذلك مجـرى الغـالب، قال -جل وعلا-: النفاثات: جمع نفاثة صـيغة مبالغة للنفث؛ لأنها تكـثر النفث في العقـدة، وتنفث برقى وتعازيم وتعويذات تستخدم فيها الجن؛ لتخدم هذه العقدة التي فيها شيء من بدن المسحور أو فيها شـيء يتعلق بالمسحور، حتى يكون ذلك مؤثرا فيه، وقد سحر يهـودي النـبي في مشط ومشاطة يعني: في أشياء من شعره -عليه الصلاة والسـلام- وحـتى يخيل للنـبي أنه يفعل الشـيء ولا يفعله من جهة نسائه -عليه الصلاة والسلام- يعني: كان سحر ذلك اليهودي مؤثرا في بدنه -عليه الصـلاة والسـلام- لكنه لم يكن مـؤثرا في علمه ولا في عقله ولا في روحه -عليه الصلاة والسـلام-، وإنما في بدنه يخيل إليه أنه قد واقع نسـاءه، وهو لم يواقــع، ونحو ذلك هذا السحر الذي فيه استخدام الشياطين شرك وكفر بالله -جل وعلا- .

قد قال -سبحانه-: والـذي تلته الشـياطين على ملك سـليمان هو ما قرءوا في كتب السحر، وما يتصل بذلك من عمل السحر، قال -جل وعلا-: فعلل كفر الشياطين بقوله: قال سبحانه: فـإذن تعلم السـحر تعلمه من جهـة، فهم

كيف يكون السحر، وكيف يعمل السحر، هذا لا يمكن أن يكـون إلا بـالكفر والشـرك، لكن هنـاك مرتبة أنه يتعلم ذلك نظريا ولا يعمله .

وهناك مرتبة أنه يتعلمه ويعمله ... ولو ... مرة، وهناك مرتبة السـاحر الـذي يتعلم، ويعمل به دائما قـال -جل وعلا- [illegible] ﴿ [illegible] ﴾ فدل على أن تعلمه بمجـرده كفـر؛ ولهـذا نقـول: الصـحيح أن تعلم السحر، ولو بدون عمل شـرك وكفر بالله -جل وعلا- بنص الآية لم؟؛ لأنه لا يمكن أن يتعلم السحر إلا بتعلم الشـرك بالله -جل وعلا-، وكيف يشرك . وإذا تعلم الشرك فهو مشــرك بالله -جل وعلا- .

بعض العلماء يقول: السحر قسـمان: كقـول الشـافعي وغـيره منه ما يكـون بالاسـتعانة بالشـياطين، فهـذا كفر وشـرك أكـبر، ومنه ما يكــون بالأدوية والتــدخينات، فهــذا فسق ومحــرم، ولا يكفر فاعله إلا إذا استحله، وهذا التقسيم من الشـافعي، وممن تبعه هو من جهة الواقــع، يعــني: نظــروا في الــذين يمارســون ذلك، فمنهم من يقول: إنه ساحر، وليس كذلك من جهة السحر الشــرعي الحقيقي، يعــني: الســحر الــذي وصف في الشــرع، فيقول هو ساحر، وهو يسـتعمل أدوية وتعويـذات، وفي الحقيقة هو مشعوذ، ولا يصدق عليه اسم الساحر .

وهـــذا فيما يفعل يـــؤثر عن طريق الأدويـــة، وأما الصـــرف والعطف يعـــني: جلب محبة امـــرأة لزوجهـــا، أو صـــرف محبة المـــرأة لزوجهـــا، أو العكس فهـــذا من القسم الأول؛ لأنه من نواقض الإسلام، فالسحر من نوا قض الإسلام؛ لأنه شرك بالله، ومنه الصـــرف والعطـــف؛ لأنه لا يمكن لأحد أن يصل إلى روح وقلب من يـــــراد صـــــرفه أو العطف إليه إلا بالشـــــرك؛ لأن الشـــيطان هو الـــذي يـــؤثر على النفس، ولن يخـــدم الشـــيطان الإنسي الساحر إلا بعد أن يشرك بالله -جل وعلا- .

إذا فتحصل أن السحر بجميع أنواعه فيه استخدام للشياطين واستعانة بها، والشياطين لا تخـدم إلا من تقـرب إليهـا، تتقـرب إليها بـأي شـيء؟ بالـذبح يتقـرب إليها بـأي شـيء؟ بالاسـتغاثة يتقرب إليها بالاستعاذة ونحو ذلك، يعني: يصـرف إليها شـيئا من أنواع العبادة، بل قد نظرت في بعض كتب السحر، فوجدت أن ســـاحرا -بحسب ما وصف ذلك الكـــاتب- لا يصل إلى حقيقة الســـحر وتخدمه الجن كما ينبغي حـــتى يهين القـــرآن، ويهين المصحف، وحتى يكفر بالله، ويسب الله -جل وعلا- ونبيه .

وهذا قد ذكره بعض -أيضا- من اطلع على حقيقة الحال .

إذا فنقول: السـحر شـرك بالله تعـالى، وكل سـاحر مشـرك، وقتل السـاحر فيما سـيأتي على الصـحيح أنه قتل ردة، لا قتل تعزير كما سيأتي، فالشيخ -رحمه الله- عقد هذا البـاب: بـاب ما جاء في السحر ببيان تلك المسألة .

قال: وقول الله تعالى: [illegible] وجه الاستدلال بهذه الآية قوله: [illegible] يعني: ما له في الآخرة من نصيب. الخلاق: بمعني النصيب .

[illegible] يعني: اشترى السحر، والاشتراء فيه دفع شيء يعني: أن يأخذ شيئا، ويدفع عوضه، حقيقة الشراء أن تشتري سلعة مثلا تدفع ثمنها تأخذ مثمنا، وتدفع ثمنا، والساحر اشترى من تعلم السحر اشترى، اشترى أي شيء؟ اشترى السحر بدل أي شيء ؟ بدل توحيده، فالثمن التوحيد، الثمن هو الإيمان بالله وحده، والمثمن هو السحر؛ ولهذا قال -جل وعلا- هنا: [illegible] .

يعني: من دفع دينه عوضا عن ذلك الشيء الذي أخذه، وهو السحر "ما له في الآخرة من خلاق" يعني: من نصيب، وهكذا المشرك ليس له في الآخرة من نصيب، فوجه الاستدلال ظاهر من أن الساحر قد جعل دينه عوضا عن ذلك الذي اشتراه، وتعلمه، وعمل به .

قال: وقوله: [illegible] قال عمر: الجبت السحر، وهذا في ذم أهل الكتاب، فإن أهل الكتاب لما آمنوا بالسحر ذمهم الله -جل وعلا- ولعنهم، وغضب عليهم، وهذا يكثر في اليهود، يكثر السحر واستعمال السحر في اليهود؛ ولهذا ذمهم الله -جل وعلا- ولعنهم وغضب عليهم، قال عمر بن

الخطاب الجبت: السحر، وإذا كان الله ذمهم ولعنهم وغضب عليهم لأجل ذلك، فهذا يفيد أنه من المحرمات ومن الكبائر، وإذا كان فيه إشراك بالله -جل وعلا- فظاهر أنه شرك بالله -جل وعلا- وهكذا جميع أصنافه .

كذلك قال: والطاغوت الشيطان يعني: الجبت اسم عام يشمل أشياء كثيرة كما ذكرنا، ومن أبرزها وأظهرها عند اليهود السحر، فيؤمنون بالجبت يعني: السحر؛ لأنه هو أظهر الأشياء عندهم، ويؤمنون بالطاغوت يعني: بالشيطان وهو كل ما توجهوا إليه بالطاعة، وبعد عن الحق وعن الصواب قال جابر يعني: ابن عبد الله الطواغيت كهان كان ينزل عليهم الشيطان في كل حي واحد، وهذا يأتي بيانه في باب ما جاء في الكهان، قال عن أبي هريرة أن رسول الله قال: اجتنبوا السبع الموبقات، قالوا: يا رسول الله، وما هن؟ قال: الشرك بالله والسحر وجه الاستدلال من ذلك أن السحر من الموبقات، والموبقات هي التي توبق صاحبها، وتجعله في هلاك وخسار في الدنيا وفي الآخرة، وهي أكبر الكبائر هذه السبع، وعطف السحر على الشرك بالله ليس عطفا بين متغايرين في الحقيقة، وإنما هو عطف بين خاص وعام، فالشرك بالله يكون بالسحر، ويكون بغيره، فعطف السحر على الشرك للتنصيص عليه، والسحر كما ذكرنا أحد أفراد الشرك بالله -جل وعلا- وعطف الخاص على العام .

أمثلته كثيرة: كقوله -جل وعلا-: [illegible] هنا عطف جبريل وميكال في الآية: [illegible] فعطف جبريل وميكال على الملائكة، وهذا من عطف الخاص على العام.

قال بعد ذلك: وعن جندب مرفوعا: « حد الساحر ضربه بالسيف » رواه الترمذي وقال: الصحيح أنه موقوف « حد الساحر ضربه بالسيف » رويت هكذا: "ضَرْبُه" وهو الأصح، وروي: "ضربة" « حد الساحر ضربة بالسيف » فعلى رواية "ضربة" لا يكون لها مفهوم، يعني: إن مات بضربة أو يضرب ضربتين أو ثلاث؛ لأن العدد لا مفهوم له، قوله: حد الساحر هنا لم يفصل بين ساحر وساحر، فقال: حد الساحر، ولم يأت في أدلة الكتاب والسنة التفصيل في اسم الساحر الذي يحد، أو الذي وصف بالكفر بين نوع ونوع من التأثير، فالأنواع التي يستخدمها السحرة مما يصدق عليه أنه سحر في التأثير وفي الإمراض وفي التفريق وفي التأثير على العقول وعلى القلوب ونحو ذلك، من أنواع التأثير الخفي الذي يكون باستخدام الشياطين، أو بأمور خفية -فهذا كله لا يفرق فيه بين فاعل وفاعل، والأدلة ما فرقت؛ ولهذا قال العلماء: الصحيح أن الساحر من أي نوع حده أن يقتل، وهل حده حد كفر وردة أو حد لأجل أنه قتل، فيكون حد لأجل القتل أو حد تعزير؟ .

اختلف العلماء في ذلـك، والصـحيح من هـذه أنه في الجميع حد ردة؛ لأن حقيقة السـحر أنه لا بد أن يكـون فيه إشـراك بالله -جل وعلا- فمن أشـرك بالله -جل وعلا- فقد ارتد وحل دمه وماله .

شيخ الإسلام ابن تيمية له تفصيل يقـول فيه ما مقتضـاه: إن الساحر قد لا تدرك حقيقة سحره فيترك أمره ـ في مصلحة ـ في قتله إلى الإمـام إذا رأى المصـلحة في قتله قتلـه، وإن لم ير المصـلحة في قتله لم يقتلـه، ويعـني: بالمصـلحة المصـلحة الشـرعية، فتحصل في ذلك أنه ثم أقـوال في حد السـاحر: **الأول** أنه يقتل مطلقا ردة؛ لأنه لا يكون السحر إلا بشرك.

والقول الثاني أنه يقتل ردة إذا كان سحره بشرك، ويقتل حدا إذا كان سحره أدى إلى قتل غيره بغير ما فيه إشراك من مثل الأدوية والتعويذات ونحو ذلك التي ذكرنا .

والثالث القول الذي عزي لشـيخ الإسـلام من أنه كالزنـديق يـترك أمـره إلى الإمـام بحسب ما يـراه، إن رأى المصـلحة الشـرعية في قتله قتلـه، وإلا أعقبه بما دون القتل قـال: وفي صـحيح البخـاري عن بجالة قـال: كتب عمر بن الخطـاب أن اقتلوا كل ساحر وساحرة، قال: فقتلنا ثلاث سواحر، هذا ظـاهر في الأمر في قتل السـاحر والسـاحرة بـدون تفصـيل؛ ولأن حقيقة السحر لا تكون إلا بشرك بالله -جل وعلا- وذلك ردة .

قـــال وصح عن حفصة -رضي الله عنهـــا- أنها أمـــرت بقتل جارية لها سحرتها، فقتلت وكـذلك صح عن جنـدب قـال أحمـد: عن ثلاثة من أصحاب النبي يعني: أن الساحر يجب أن يقتـل، وهذا حده سـواء قلنـا: يقتل لحد الـردة أو يقتل لحد القتـل، أو يقتل تعزيرا، فالصحابة -رضوان الله عليهم- أفتوا بقتله، وأمــروا بقتله وذلك بدون تفريق، وهـذا هو الـواجب ألا يفـرق بين نـوع ونوع، والواجب على المسلمين أن يحذروا السحر بأنواعـه، وأن يتعـاونوا في الإبلاغ بــراءة للذمــة، وإنكـارا للمنكر عن كل من يعلمـون عنـده شـعوذة أو اسـتخداما لشـيء من الخرافـات أو السحر ونحو ذلك؛ لأنه كما قال الأئمـة: ما يـدخل السـحرة إلى بلد إلا ويفشو فيها الفســاد والظلم والاعتــداء والطغيــان ذلــك؛ لأنهم يسـتخدمون الشـياطين فتطيع الشـياطين السـحرة -أعاذنا الله منهم- ومن أقوالهم وأعمالهم وتأثيراتهم. نعم.

باب

بيان شيء من أنواع السحر

باب بيان شيء من أنواع السحر .

قـال أحمـد: حـدثنا محمد بن جعفر قـال: حـدثنا عـوف بن مالك قال: حدثنا قطن بن قبيصــة، عن أبيه أنه سـمع النـبي قـال: إن العيافة والطرق والطيرة من الجبت قال عـوف: العيافـة: زجر

الطير، والطرق: الخط يخط بالأرض، والجبت، قال الحسن: رنة الشيطان، إسناده جيد، ولأبي داود والنسائي وابن حبان في صحيحه المسند منه، وعن ابن عباس -رضي الله عنهما- قال: قال رسول الله ﷺ : ﴿ من اقتبس شعبه من النجوم فقد اقتبس شعبة من السحر زاد ما زاد ﴾ رواه أبو داود، وإسناده صحيح .

وللنسائي من حديث أبي هريرة ؓ قال: ﴿ من عقد عقدة ثم نفث فيها فقد سحر، ومن سحر فقد أشرك، ومن تعلق شيئا وكل إليه ﴾ وعن ابن مسعود ؓ أن رسول الله ﷺ قال: ﴿ ألا هل أنبئكم ما العضه؟ هي النميمة، القالة بين الناس ﴾ رواه مسلم.

ولهما عن ابن عمر -رضي الله عنهما- أن رسول الله ﷺ قال: ﴿ إن من البيان لسحرا ﴾ .

هذا باب بيان شيء من أنواع السحر: لما ذكر الإمام -رحمه الله تعالى- ما جاء في السحر وما اتصل بذلك من حكمه وتفصيل الكلام عليه -ذكر أن السحر قد يأتي في النصوص، ولا يراد منه السحر الذي يكون بالشرك بالله -جل وعلا- فإن اسم السحر عام في اللغة، يدخل فيه ذلك الاسم الخاص الذي فيه استعانة بالشياطين وتقرب إلى الشياطين وعبادة الشياطين لتخدم الساحر، وقد يكون بأسماء أخر يطلق عليها الشارع أنها سحر، وليست كالسحر الأول في الحقيقة، ولا في الحكم .

وهو درجات فمما يسمى سحرا: البيان والبيان كما جاء في آخر الباب ﴿ إن من البيان لسحرا ﴾ البيان ليس سحرا، ليس

فيه استعانة بالشياطين، ولكنه داخل في حقيقة السحر اللغوية؛ لأنه تـأثير خفي على القلـوب، فـإن الرجل البليغ ذا البيـان وذا الإيضـاح وذا اللسـان الجميل الفصـيح يـؤثر على القلـوب حـتى يسـبيها، وربما قلب الحق بـاطلا والباطل حقا ببيانـه، فسـمي سحرا لخفاء وصوله إلى القلوب وقلب الـرأي وفهم المخـاطب من شيء إلى آخر كـذلك ما ذكر من أن الطـيرة من السـحر، فالطيرة نـوع اعتقـاد، كـذلك العيافـة، وهي شـبيهة بها أو بعض أنواعهـا، كـذلك الخط في الرمل ونحو ذلك من الأشـياء الـتي ربما أطلق عليها أنها سـحر، وهي ليست كالسـحر الأول في الحد والحقيقة ولا في الحكم .

إذا هذا الباب قـال فيه الإمـام -رحمه الله تعـالى: بـاب بيـان شيء من أنواع السحر وأنواع السـحر، منها ما هو شـرك أكـبر بالله -جل وعلا- وهو المراد إذا قلنا: السحر، وهـذه هي الحقيقة العرفية، وهناك في ألفاظ الشرع أشياء يكون المرجع فيها إلى الحقيقة اللغوية، وهنـاك أشـياء يكـون المرجع فيها إلى الحقيقة العرفية، ويكون هناك أشياء المرجع فيها إلى الحقيقة الشرعية، وهنا في هذا البـاب فيما يشـمل ما يطلق عليه لغة أنه سـحر، ويطلق عليه عرفا أنه سحر، ويطلق عليه شرعا أنه سحر، فإذا التفريق بين هذه الأنواع مهم؛ ولهذا ذكر الإمام هذا الباب حتى تفرق بين نوع وآخر .

فالحد الـذي فيه حد الساحر ضـربة بالسـيف لا ينطبق على كل هذه الأنواع الـتي سـتذكر؛ لأنها سـحر لغـة، وليست بسـحر شــرعا، قــال في الحــديث الأول: قــال النــبي   إن العيافة والطــرق والطــيرة من الجبت العيافة مــأخوذة من عيــاف الشـيء، وهو تركـه، عـاف الشـيء يعافـه، إذا تركـه، فلم تبغه نفســه، والعيافة كما فســرها عــوف زجر الطــير، هــذا أحد تفسيرات العيافة، وزجر الطير أن يحرك طـيرا حـتى ينظر إلى أين تتحرك، ويزجر الطير في حركته، ثم يفهم من ذلك الزجر، هل هــذا الأمر الــذي ســيقدم عليه أنه أمر محمــود أو أمر مذموم؟ أو يطلع في حقيقة زجر الطير على مستقبل الحال.

وزجر الطير أن يحـرك طـيرا حـتى ينظر إلى أين تتحـرك، ويزجر الطير في حركته ثم يفهم من ذلك الزجر هل هذا الأمر الــذي ســيقدم عليه أنه أمر محمــود أو أمر مــذموم أو يطلع بحقيقة زجر الطير على مستقبل الحال، فهـذا نـوع من الجبت، وهو الســحر لما ذكــرت لكم أن معــنى الجبت هو الشــيء المرذول المطرح الذي يصرف الواحد عن الحق، والسحر شيء خفي يؤثر على النفوس.

والعيافة من التــأثر بــالطير وبزجرها وبانتقالها من هنا إلى هنا أو بحركتها شــيء خفي دخل في النفس فــأثر عليها من جهة الإقـدام أو الكف فصـار نوعا من السـحر؛ لأجل ذلك وهو جبت ؛ لأنه شيء مرذول أدى إلى الإقبال أو الامتناع.

والطـــــيرة أعم من العيافة ؛ لأن العيافة على حسب تفسـير عـوف وهو أحد تفسـيراتها متعلق بـالطير وحـده، وأما الطـيرة فهو اسم عـام لما فيه تشـاؤم أو تفـاؤل لشـيء من الأشياء، وسيأتي باب مستقل لذكر أحكام الطيرة وصـورتها وما يقي منها يأتي -إن شاء الله تعالى-.

وحقيقة الطـيرة أنه يـرى شـيئا كـان في الأول من الطـير تحـرك يمينا أو يسـارا فلما رآه تحـرك يمينا قـال: هـذا معنـاه تفاؤل إنني سأنجح في هذا العمل أو في هذا السـفر، وإذا رآه تحرك شـمالا قـال: هـذا معنـاه أني سأنضر في هـذا السـفر أو سيصيبني مكروه فرجع.

وقد قــال -عليه الصــلاة والســلام- ﴿ من ردته الطــيرة عن حاجته فقد أشرك ﴾ .

قد يتشاءم بحركة شـيء بكلمة يسـمعها أو بشـيء في الجو بتصادم سيارة أمامه بسواد في الجو حصل أمامـه، أو في ذلك اليوم الذي سـينتقل فيـه، أو تشـاءم في أول زواجه ونحو ذلك من أنواع التشاؤم، أو التشاؤم بالأشهر أو بالأيام.

هذا كله من أنواع الطيرة ومتى يكـون طـيرة ؟ إذا رده عن حاجته أو جعله يقبل عن حاجتـه، فـإذا تشـاءم وذلك التشـاؤم حينما سيطر على قلبه جعله يقدم أو يحجم فإنه يكون متطيرا، وكـذلك في بـاب التفـاؤل إذا رأى شـيئا فجعله ذلك الشـيء يقدم، ولولا ذلك الشيء أنه رآه لما جعله يقدم فـإن ذلك أيضا

من الطيرة، وهي نوع من أنواع التـأثيرات الخفية على القلـوب وذلك ضرب من السحر0

وأما الطرق: فهو مـأخوذ من وضع طـرق في الأرض وهي الخطـوط فيـأتي بخطـوط متنوعة ويخطها في الأرض، خطوطا كثيرة ليس لها عدد، ثم يبـدأ الكـاهن الـذي يسـتخدم الخطـوط فيمسح خطا خطا أو يمسح خطين خطين بســرعة ثم ينظر ما بقي فيقول: هذا الذي بقي يدل على كذا وكـذا هـذا الـذي بقي يدل على أنك ستغتني يدل على أنك سيصـيبك كـذا وكـذا ونحو ذلك وهو نـوع من أنـواع الكهانـة، والكهانة ضـرب من السـحر، قال هنا:

والطـــرق الخط يخط بـــالأرض، والجبت قـــال الحســـن: رنة الشيطان وهو من أنواع السـحر؛ لأن الشـيطان يـدعو إلى ذلك بصوته وبعويله نقف عند هذا ونكمل -إن شاء الله- يوم السـبت ونرجو أن يكون من يوم السبت مع طول الزمن أن ننتهي من هذا الكتاب -إن شاء الله تعالى- في الأسبوع القـادم قد نختصر بعض الاختصـــار في بعض الأبـــواب لأجل أن ينهى الكتـــاب مع عدم الإخلال -إن شاء الله- بمقاصد المؤلف -رحمه الله تعـالى- وعجل له المثوبة هـــذا وأســـأل الله لي ولكم العلم النـــافع والعمل الصالح والإقبال على الخيرات وصلى الله وسلم وبـارك على نبينا محمد.

بـاب: بيـان شـيء من أنـواع السـحر. . الحمد لله والصـلاة والسلام على رسول الله وعلى آله وصحبه ومن اهتدى بهــداه. اللهم علمنا ما ينفعنا وانفعنا بما علمتنا وزدنا علما وعملا ويقينا وصلاحا يا أرحم الراحمين.

أما بعد:

قد ذكرنا أن هذا الباب عقده الإمام -رحمه الله تعالى- لبيان أن هناك من الأعمال ما أطلق عليه أنه سحر، ولكن لا يشترك مع السحر في الذي في البـاب قبله في جميع الأحكـام، ثم إن بعض هـذه الأنـواع يجهل كثـير من المسـلمين أنها من السـحر فتارة يدخلونها في غير باب السحر، وهي مع السـحر مشـتركة في حقيقته وفي بيان أصله أو في أصله ووضعه اللغوي.

وقفنا عند قوله: وعن ابن عباس -رضي الله عنهما- قال:قـال رسول الله   من اقتبس شعبة من النجوم فقد اقتبس شعبة من السحر زاد ما زاد رواه أبو داود بإسناد صحيح.

هذا فيه بيان أن تعلم النجـوم تعلم للسـحر ويـأتي في بـاب خاص باب ما جاء في التنجيم أنواع تعلم النجوم وما جعل الله -جل وعلا- النجوم له. قوله هنا: من اقتبس شعبة يعـني: من تعلم بعضا من علم النجـــوم ؛ لأن الشـــعبة هي الطائفة من الشيء أو جزء من أجزائـه، فكل جـزء من أجـزاء علم النجـوم الذي هو علم التأثير نـوع من أنـواع السـحر قـال: فقد اقتبس شـعبة من السـحر زاد ما زاد يعـني: كلما زاد في تعلم علم

النجـوم زاد في تعلم السـحر حـتى يصل إلي آخر حقيقة علم التأثير كما يسمونه فيصبح سحرا وكهانة على الحقيقة.

ويـأتي أن التنجيم منـه: علم التـأثير: وهو جعل الكـواكب والنجوم في حركتها والتقائها وافتراقها وطلوعها وغروبها مؤثرةً في الحـوادث الأرضـية أو دالة على ما سـيحدث في الأرض فيجعلونها دالة على علم الغيب دالة على المغيبات. وهذا القـدر من السحر ؛ لأنه يشترك معه في حقيقته وهو أنه جعل للتأثير لأمر خفي قـال: وللنسـائي من حـديث أبي هريـرة من عقد عقـدة ثم نفث فيها فقد سـحر ومن سـحر فقد أشـرك ومن تعلق شيئا وكل إليه .

قولـه: من عقد عقـدة ثم نفث فيها فقد سـحر أن عقد العقد والنفث فيها من أنواع السـحر ، والنفث المقصـود به هنا النفث الذي فيه استعاذة واسـتعانة بالشـياطين فليس كل نفث في عقدة يعقد السحر، بل لا بد أن يكـون النفث بأدعية معينه ورقى شـركية وتعويـذات وكلام تحضر الجن عند تلاوته وتخـدم هذه العقدة السحرية من عقد عقدة ثم نفث فيها فقد سـحر على ما كان يتعاطـاه النـاس المـردة في ذلك الزمـان زمـان النـبي -عليه الصـلاة والسـلام- من النفث في العقد كما قـال -جل وعلا-: [illegible] وهن السواحر. قال فقد سحر ؛ لأن الجني يخدم هـذا السـحر بـالنفث في العقـدة، وفائـدة العقـدة عند السـحرة أنه لا ينحل السـحر ما

دامت معقودة فينعقد الأمر الذي أراده الساحر بشيئين بالعقـدة وبـالنفث العقـدة: عقد حبل أو خيط أو نحو ذلك وبـالنفث فيها بالأدعية الشركية والاستعانة بالشياطين .

ومن الأمـور المهمة أن تعلم في هـذا البـاب أن العقد هـذه تارة تكون مرئية واضحة ، وتارة تكـون صـغيرة جـدا، وما كـان صغيرا جدا أو ما كان مرئيا فإنه ينبغي لمن اطلع عليه أو نظر فيه أن يحل العقدة فينتهي تـأثير السـحر بـإذن الله أو يضـعف تأثيره .

قال: « ومن سـحر فقد أشـرك » هـذا عـام ؛ لأنه رتب جـزاء على فعل بصيغة من فكأنه قال: « كل من سـحر فقد أشـرك » يعني: سحر بذلك النحو الذي ذكر وهو أن يعقد عقـدة ثم ينفث فيها « من ســحر فقد أشــرك » هــذا دليل لما ذكرنا لكم في الباب قبله 0

أن كل سحر يعد من أنواع الشرك ؛ لأنه لا يمكن أن يحدث السحر إلا بـالنفث في العقد أو باستحضـار الجن وبعبـادة الجن ونحو ذلك وهذا شـرك باللـه. قولـه: « ومن سـحر فقد أشـرك » ليس معناه أنه أشرك بعقد العقـدة مثلا، وإنما « فقد أشـرك » يعني: حين سحر 0

ومن المعلـــوم أنه قبل أن يعقد العقـــدة وينفث فيها فلا بد من تعلمه؛ ولهذا يكون مشـركا قبل أن يعقد وينفث ما دام أنه تعلم ذلك ليعمل به فإنه مشـرك باللـه؛ لأن تعلمه فيه الشـرك

بالله -جل وعلا-. قال: «ومن تعلق شيئا وكل إليه» هذا مر معنا مثاله، ومعنى هذا الحديث وأن القلب إذا تعلق شيئا بمعنى أحبه ورضيه وتعلق القلب به فإنه يوكل إليه ويجعل هو السبب الذي من أجله يجيء نفعه أو يجيء ضره، ومعلوم أن كل الأسباب الشركية تعود على فاعلها أو على الراضي بها بالضرر لا بالنفع، والعبد إذا تخلى عن الله -جل وعلا- فوكل إلي نفسه أو وكل إلي غير الله -جل وعلا- فقد خاب وخسر وضر أعظم الضرر.

فسعادة العبد وعظم صلاح قلبه وعظم صلاح روحه بأن يكون تعلقه بالله -جل وعلا- وحده وقوله هنا: «ومن تعلق شيئا وكل إليه» فإنه من تعلق بالله فإن الله كافيه، من تعلق قلبه بالله إنزالا لحوائجه بالله ورغبا فيما عند الله ورهبا مما يخافه ويؤذيه يعني: يؤذي العبد فإن الله -جل وعلا- كافيه [illegible] وإذا تعلق العبد بغير الله فإنه يوكل إلي ذلك العبد، والعباد فقراء إلى الله، والله -جل وعلا- هو ولي النعمة وولي الفضل. [illegible]

[illegible].

فمن أنزل حاجته لله أفلح ومن تعلق قلبه بالله أفلح، وأما من تعلق بالخرافات أو تعلق بالأمور الشركية كالسحر وكالذهاب إلي الأولياء وطلب المدد منهم أو طلب الإغاثة منهم فإنه يوكل إلي المخلوق ، ومن وكل إلى المخلوق فإنه يضره

ذلك أعظم الضـرر كما قـال -جل وعلا-: [illegible]

[illegible] .

قال بعد ذلك: وعن ابن مسـعود أن رسـول الله [illegible] قـال: [illegible] ألا هل أنــبئكم ما العضــه؟ هي النميمة القالة بين النــاس [illegible] رواه مسـلم العضه هكـذا تـروى في كتب الحـديث العضه وفي كتب غــريب الحــديث واللغة تنطق هكــذا العِضه [illegible] هل أنــبئكم ما العضه؟ [illegible] لأشباهها وزنها، وهي كما فسرها النبي -عليه الصــلاة والسلام- [illegible] النميمـة، القالة بين النـاس [illegible] وأصل العضه في اللغة يطلق على أشياء ومنها السحر، والنميمة القالة بين الناس نوع من أنــواع الســحر، وهي كبــيرة من الكبــائر ومحــرم من المحرمــات، ووجه الشــبه بين النميمة وبين الســحر أن تــأثير الســحر في التفريق بين المتحــابين أو في جمع المتفــارقين تـأثيره على القلـوب خفي، وهـذا عمل النمـام فإنه يفـرق بين الأحباب؛ لأجل كلام يسوقه لهذا وكلام يسوقه لذاك فيفرق بين القلوب، ويجعل العداوة والبغضاء بين قلب هذا وهذا.

فحقيقة النميمة كما قــــال -جل وعلا- عن الســـــحر [illegible]

[illegible]

[illegible] والنميمة هي القالة بين النـــاس، وهــذا كما هو ظاهر من أنـواع السـحر، وهـذا النـوع محـرم ؛ لأنه كبـيرة من الكبائر ؛ لأن النميمة نوع من أنواع الكبائر، والكبـائر من أعظم الذنوب العمليـة. قـال: " ولهما عن ابن عمر -رضي الله عنهمـا-

أن رسول الله قال: إن من البيان لسحرا قال: عن البيان إن منه ما هو سحر، والمقصود بالبيان هنا التبيين عما في النفس بالألفاظ الفصيحة البينة التي تأخذ المسامع والقلوب فتسحر القلوب فتقلب ربما الحق باطلا والباطل حقا حتى يغدو ذلك الذي يعد من أهل البيان والفصاحة يغدو في قلوب الناس أن ما قاله هو الحق وأن ما لم يقله هو الباطل وهذا ضرب من السحر ؛ لأنه تأثير خفي على النفوس بالألفاظ هذا التأثير الخفي بقلب الحق باطلا وقلب الباطل حقا تأثيره خفي كتأثير السحر في الخفاء؛ ولهذا قال: إن من البيان لسحرا .

والصحيح من أقوال أهل العلم أن هذا فيه ذم للبيان وليس مدحا له قال: إن من البيان لسحرا على جهة الذم، وبعض أهل العلم يقول: إن ذاك على جهة المدح ؛ لأنه يصل في التأثير إلى أن يؤثر تأثيرا بالغا كتأثير السحر في النفوس، والتأثير البالغ إذا كان من جهة البيان يقولون: فإنه جائز وهذا من جهة المدح له وبيان عظم تأثيره ، ولكن هذا فيه نظر والظاهر أنه لما جعل البيان سحرا علمنا أنه .. ولهذا أورد الشيخ -رحمه الله- في هذا الباب الذي اشتمل على أنواع من المحرمات، فالذي يستغل ما آتاه الله -جل وعلا- من اللسان والبيان والفصاحة في قلب الباطل حقا وفي قلب الحق باطلا هذا لا شك أنه من أهل الوعيد ومذموم على فعله ؛ لأن البيان إنما يقصد به نصرة الحق لا أن يجعل ما أبطله الله -جل وعلا- حقا في أنفس الناس وفي قلوبهم. نعم.

باب

ما جاء في الكهان ونحوهم

قَالَ -رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى- باب ما جاء في الكهان ونحوهم .

روى مسلم في صحيحه عن بعض أزواج النبي عن النبي أنه قال: من أتى عرافا فسأله عن شيء فصدقه لم تقبل له صلاة أربعين يوما وعن أبي هريرة عن النبي أنه قال: من أتى كاهنا فصدقه بما يقول فقد كفر بما أنزل على محمد   رواه أبو داود وللأربعة والحاكم، وقال: صحيح على شرطهما عن النبي   من أتى عرافا أو كاهنا فصدقه بما يقول فقد كفر بما أنزل على محمد   ولأبي يعلى بسند جيد عن ابن مسعود مثله موقوفا، وعن عمران بن حصين مرفوعا ليس منا من تطير أو تطير له أو تكهن أو تكهن له أو سحر أو سحر له، ومن أتى كاهنا فصدقه بما يقول فقد كفر بما أنزل على محمد   رواه البزار بإسناد جيد ورواه الطبراني في الأوسط بإسناد حسن من حديث ابن مسعود دون قوله: " ومن أتى ...إلخ".

قال البغوي: العراف: الذي يدعي معرفة الأمور بمقدمات يستدل بها على المسروق ومكان الضالة ونحو ذلك، وقيل: هو الكاهن، والكاهن هو الذي يخبر عن المغيبات في المستقبل،

وقيل: الذي يخبر عما في الضمير. قال أبو العباس ابن تيمية -رحمه الله-: العراف اسم للكاهن والمنجم والرمال ونحوهم ممن يتكلم في معرفة الأمور بهذه الطرق، وقال ابن عباس في قوم يكتبون أباجاد وينظرون في النجوم: ما أرى من فعل ذلك له عند الله من خلاق .

باب ما جاء في الكهان ونحوهم؛ هذا الباب أتى بعد أبواب السحر ؛ لأن حقيقة عمل الكاهن أنه يستخدم الجن لإخباره بالأمور المغيبة، إما التي غابت في الماضي أو الأمور المغيبة في المستقبل التي لا يعلمها إلا الله -جل جلاله- فالكاهن يجتمع مع الساحر في أن كلا منهما يستخدم الجن لغرضه ويستمتع بالجن لغرضه، ومناسبة الباب لكتاب التوحيد أن الكهانة استخدام للجن، واستخدام الجن كفر وشرك أكبر بالله -جل وعلا- وأنه لا يجوز أن يستخدم الجن في مثل هذه الأشياء، واستخدام الجن في مثل هذه الأشياء لا يكون إلا بأن يتقرب إلى الجن بشيء من العبادات، فالكهان لا بد حتى يخدموا بذكر الأمور المغيبة لهم أن يتقربوا إلى الجن ببعض العبادات إما بالذبح أو الاستغاثة أو بالكفر بالله -جل وعلا- بإهانة المصحف أو بسب الله أو نحو ذلك من الأعمال الشركية الكفرية.

فالكهانة صنعة مضادة لأصل التوحيد، والكاهن مشرك بالله -جل وعلا- ؛ لأنه يستخدم الجن ويتقرب إلى الجن بالعبادات

حتى تخدمه الجن، حتى تخبره الجن بالمغيبات هـذا لا يمكن إلا بـأن يتقـرب إلى الجن بـأنواع العبـادات، وأصل الكهـان في الجاهلية كانوا كما مر معنا في حديث جابر في بـاب سـبق أن الكهان كانت منتشرة في بلاد العرب في الجزيرة وفي غيرهـا، والكهان أناس يدعى فيهم الولاية والصـلاح عنـدهم وأن عنـدهم علم ما سيكون في المستقبل ، أو عندهم علم المغيبـات الـتي ستحدث للناس أو تحدث في الأرض ولهذا كـانت العـرب تعظم الكهان وكـانت تخـاف من الكهـان وكـانت تعطي الكـاهن أجـرا عظيما؛ لأجل ما يخبر عنه.

والكـاهن كما ذكرنا لا يصل إلى حقيقة عمله بـأن يخـبر عن الأمور المغيبة إلا باستخدام الجن والتقرب إلى الجن بالتقربـات الشركية فتسـتمتع الجن به من جهة ما صـرف لها من العبـادة ويسـتمتع هو بـالجن من جهة ما يخـبره به الجن من الأمـور المغيبة.

والجن تصل إلى الأمور المغيبة الـتي تصـدق فيها عن طريق استراق السمع ، فإن بعضهم يـركب بعضا حـتى يسـمع الـوحي الـذي يوحيه الله -جل وعلا- في السـماء وربما أدرك الشـهاب الجـني قبل أن يلقي الكلمة لمن تحتـه، وربما أدرك الشـهاب الجـني بعد أن ألقى الكلمة فتـأتي هـذه الكلمة للجن فيعطونها الكهـان فيكـذب معها الكـاهن أو تكـذب معها الجن مائة كذبة حتى يعظم شأن الكهان وحتى تعظم عبادة الإنس للجن.

وقبل بعثة النبي -عليه الصلاة والسلام- كان استراق السمع كثيرا جدا وبعد بعثته -عليه الصلاة والسلام- حرست السماء من أن تسترق الجن السمع، لأجل تنزل القرآن والوحي حتى لا يقع الاشتباه في أصل الوحي والنبوة، وبعد وفاة النبي -عليه الصلاة والسلام- يقع الاستراق ولكنه قليل بالنسبة لما كان عليه قبل البعثة، وصارت عندنا أحوال استراق السمع ثلاثة: قبل البعثة كثير جدا وبعد بعثة النبي -عليه الصلاة والسلام- لم يحصل استراق من الجن.

وإن حصل فهو نادر في غير وحي الله -جل وعلا- بكتابه لنبيه، والحالة الثالثة بعد وفاته -عليه الصلاة والسلام- رجع استراق السمع أيضا ولكنه ليس بالكثرة التي كانت قبل ذلك ؛ لأن السماء ملئت حرسا شديدا وشهبا والله -جل وعلا- بين ذلك في القرآن في آيات كثيرة من أن النجوم والشهب ترمي الجن كما قال -جل وعلا-: [illegible] ونحو ذلك من الآيات التي فيها أن الشهب مرصده للجن تبينت لك حقيقة الكاهن.

إذا ظهر ذلك، فالكاهن قد يطلق عليه العراف وهذا الاسم الكاهن أو العراف اسمان متداخلان قد يكون أحدهما يدل على الآخر، وعند بعض الناس أو في بعض الفئات يستخدم الكاهن للإخبار لما يحصل في المستقبل، ويستخدم كلمة أو لفظ العراف لمن يخبر عن الغائب عن الأعين مما حصل في

الماضي من مثل مكـان المسـروق أو السـارق من هـو؟ ونحو ذلك مما هو غـائب عن الأنظـار وإنما يعلمه العـراف بواسـطة الجن.

والصـحيح في ذلك ما ذكـره شـيخ الإسـلام ابن تيمية أن العراف اسم للكاهن والمنجم والرمـال ونحـوهم ممن يتكلمـون في معرفة الأمـور بتلك الطـرق، من تكلم في معرفة الأمـور المغيبة إما الماضية أو المسـتقبلة بتلك الطـرق، طريق التنجيم أو طريق الخط في الرمل أو طريق الطـــرق على الحصى أو الخط في الرمل بطريق الطـــرق أو بـــالودع أو نحو ذلك من الأسـاليب أو بالخشـبة المكتـوب عليها أباجـاد أو نحو ذلك من قراءة الفنجان أو قراءة الكف كل من يخبر عن الأمـور المغيبة بشـــيء يجعله وســيلة لمعرفة الأمـــور المغيبة يســمى كاهنا ويســمى عرافا ؛ لأنه لا يحصل له أمــره إلا بنــوع من أنــواع الكهانة، وسيأتي ذلك -إن شاء الله-.

قال -رحمه الله-: " باب ما جاء في الكهان ونحوهم " يعـني: من العــرافين والمنجمين والــذين يخطــون في الرمل والــذين يكتبون على الخشب ونحو ذلك. قال: " روى مسلم في صحيحه عن بعض أزواج النبي قال: من أتى عرافا فسأله عن شيء فصدقه لم تقبل له صلاة أربعين يوما .

هــذا الحــديث نبه الشــراح على أن لفظه في مســلم من أتى عرافا فسـأله عن شـيء لم تقبل له صـلاة أربعين يوما

بـدون كلمة " فصـدقه "، وكلمة " فصـدقه " في هـذا الحـديث موجـودة في مسـند الإمـام أحمد الشـيخ -رحمه اللـه- ذكر هـذا الفظ وعزاه لمسـلم على طريقة أهل العلم في عـزو الحـديث لأحد صـاحبي الصـحيح إذا كـان أصـله فيهما باتحـاد الطريق أو نحو ذلك.

 من أتى عرافا فسأله عن شيء لم تقبل له صـلاة أربعين يوما هـذا الحـديث فيه جـزاء الـذي يـأتي العـراف فيسـأل العراف، وقلنا: إن العراف يشمل اسم الكاهن ونحو ذلـك، فمن أتى عرافا فسـأله بمجـرد سـؤال ولم يصـدقه فإنه لا تقبل له صـلاة أربعين يومـا، والمقصـود من قولـه: لم تقبل له صـلاة أربعين يوما أنها تقع مجزئة لا يجب عليه قضـــاؤها، ولكن لا ثواب له فيها ؛ لأن الذنب والإثم الذي حصله حين أتى العـراف فسأله عن شيء يقابل ثواب الصـلاة أربعين يوما فأسـقط هـذا هـذا، ويـدل ذلك على عظم ذنب الـذي يـأتي العـراف فيسـأل العـراف عن شـيء ولو لم يصـدقه، وهـذا عند أهل العلم في حق من أتى العـراف فسـأله عن شـيء رغبة في الاطلاع، أما من أتى العـراف فسـأله للإنكـار عليه وحـتى يتحقق أنه عـراف فلا يدخل في ذلك ؛ لأن الوسائل لها أحكام المقاصد.

الحالة الثانيـة: أن يـأتي العـراف أو الكـاهن فيسـأل عن شيء، فإذا أخبره الكاهن أو العراف صدقه بما يقول، فالحديث الأول الـــذي عن بعض أزواج النـــبي فيـــه: أنه لم تقبل له

صلاة أربعين يوما والحديث الثاني فيه أنه: كفر بما أنزل على محمد   فيتضح بالحديثين أن الحالة الثانية وهي: من أتى العراف أو الكاهن فسأله عن شيء فصدقه أنه كفر بما أنزل على محمد وأنه لا تقبل له صلاة أربعين يوما وهذا الحال يدل على أن الذي أتى الكاهن أو العراف فصدقه أنه لم يخرج من الملة ؛ لأنه حدّ -عليه الصلاة والسلام- عدم قبول صلاته بأربعين يوما، والكافر الذي حكم عليه المسلم أو من أتى الكاهن إذا حكم عليه بأنه كافر كفرا أكبر ومرتد وخارج من الملة فإن صلاته لا تقبل بتاتا حتى يرجع إلى الإسلام .

قال طائفة من أهل العلم: دل قوله: فصدقه لم تقبل له صلاة أربعين يوما على أن قوله: كفر بما أنزل على محمد أنه كفر أصغر وليس بالكفر المخرج من الملة ، وهذا القول صحيح وهو الذي يتعين جمعا بين النصوص، فإن قول النبي -عليه الصلاة والسلام-: من أتى عرافا فسأله عن شيء فصدقه لم تقبل له صلاة أربعين يوما يدل على أنه لم يخرج من الإسلام ، والحديث الآخر وهو قوله: من أتى كاهنا فصدقه بما يقول فقد كفر بما أنزل على محمد يدل على كفره، فعلمنا بذلك أن كفره كفر أصغر وليس كفرا مخرجا من الملة هذا أحد الأقوال في مسألة كفر من أتى الكاهن فصدقه بما يقول.

والقول الثاني: أنه يتوقف فيه فلا يقـال: يكفر كفـرا أكـبر ولا يقال: أصغر وإنما يقال: هو كفر إتيان الكاهن وتصـديقه كفر بالله -جل وعلا- ويسـكت عن ذلك ويطلق القـول كما جـاء في أحـاديث، وهـذا لأجل التهديد والتخويف حـتى لا يتجاسر النـاس على هـذا الأمـر، فهـذا هو مـذهب الإمـام أحمد في المنصـوص عنه.

والقـول الثـالث من أقـوال أهل العلم في ذلـك: أن الذي يصدق الكاهن كافر كفرا أكبر كفـره مخـرج من الملة إذا أتى الكاهن فسأله فصـدقه أو صـدق الكهـان بما يقولـون قـال طائفة من أهل العلم: كفره كفر مخرج من الملة، وهذا القــول فيه نظر من جهتين: الجهة الأولى: ما ذكرنا من الــدليل من أن قوله -عليه الصلاة والسـلام-: لم تقبل له صـلاة أربعين يوما يدل على أنه لم يكفر الكفر الأكبر، ولو كـان كفر الكفر الأكـبر لم يحد عدم قبول صلاة بتلك المدة من الأيام .

والثاني: أن تصديق الكاهن فيه شـبهة ادعـاء علم الغيب أو تصديق أحد ممن يـدعي علم الغيب كفر بالله -جل وعلا- كفـرا أكـبر، لكن هـذا الكـاهن الــذي ادعى علم الغيب كما نعلم أنه يخبر بـالأمور المغيبة فيما صـدق فيه عن طريق اسـتراق الجن للسمع فيكون إذن هو نقل ذلك الخـبر عن الجن والجن نقلـوه عما سمعوه في السماء، وهذه شبهة قد يأتي الآتي الذي يـأتي الكاهن فيقول: أنا أصدقه فيما أخـبر من الغيب ؛ لأنه قد جـاءه

علم ذلك الغيب من السـماء عن طريق الجن، وهـذه الشـبهة تمنع من التكفير، تكفير من صدق الكـاهن الكفر الأكـبر، فصـار عندنا إذن أن القـول الأظهر أن كفـره كفر أصـغر وليس بـأكبر لدلالة الأحاديث ولظهور التعليل في ذلك.

قال: فقد كفر بما أنـزل على محمد   وهو القـرآن ؛ لأنه قد جاء في القـرآن وما بينه النـبي -عليه الصـلاة والسـلام- من السـنة أن الكـاهن والسـاحر والعـراف لا يفلحـون وأنهم إنما يكذبون ولا يصدقون.

قـال: ولأبي يعلى بسـند جيد عن ابن مسـعود مثله موقوفا وعن عمران بن حصين مرفوعا: ليس منا من تطـير أو تطـير له يأتي في باب ما جاء في التطير أو تكهن أو تكهن له ليس منا: يـدل على أن الفعل محـرم وبعض أهل العلم يقـول: إن قوله -عليه الصلاة والسلام-: ليس منا يـدل على أنه من الكبائر، وقال: ليس منا من تطير أو تطـير له والطـيرة من الكبائر " أو تكهن " يعني: ادعى علم الغيب وادعى أنه كاهن أو أخـبر بـأمور من المغيبة يخـدع من رآه بأنه كـاهن، قـال: "أو تكهن له "، يعـني: من رضي بـأن يتكهن له فـأتى فسـأل عن شـيء أو سـحر أو سـحر لـه، و من أتي كاهنا فصـدقه بما يقـول فقد كفر بما أنـزل على محمد   وهـذا كله لأجل أن تصـديق الكـاهن، فيه إعانة له على الشـرك الأكـبر بالله -جل وعلا- .

هذا حكم الذي يأتي الكـاهن، أما الكـاهن فـذكرنا حكمه وهو أنه مشــرك الشــرك الأكــبر بالله ؛ لأنه لا يمكن له أن يخــبر بالأمور المغيبة إلا بأن يشرك.

قـال البغـوي: العـراف الـذي يـدعي معرفة الأمـور بمقـدمات يستدل بها على المسروق ومكان الضالة ونحو ذلك، هـذا الـذي ذكرنا من أن العــراف عند بعض أهل العلم من يخــبر بــأمور ســبقت لكنها خفية غيبية عن النــاس لكنها من حيث الوجــود وقعت في ملكوت الله. قال: " وقيل: هو الكاهن " يعني: ســمي العراف يعني: أن العراف هو الكاهن اسمان لشيء واحد. قـال: " والكـاهن هو الـذي يخـبر عن المغيبـات في المسـتقبل وقيل الــذي يخــبر عما في الضــمير، وقــال أبو العبــاس ابن تيميــة: العــراف اسم للكــاهن والمنجم والرمــال ونحــوهم" المنجم هو الـذي يسـتخدم علم التـأثير يقـول: ظهر نجم كـذا والتقى بنجم كذا.

فمعنــاه أنه ســيحدث كــذا وكــذا أو إذا ولد فلان أو إذا ولد لفلان ولد في برج كـذا فإنه سيحصل كـذا وكـذا له من الغـنى والفقر أو السـعادة أو الشـقاوة ونحو ذلـك، فيسـتدلون بحركة النجوم على حال الأرض وحال الناس فيها، وسيأتي تفصـيله إن شاء الله قال: " والرمال " الرمال: هو صاحب الطـرق أو الـذي يخط في الرمل أو يستخدم الحصى على الرمل يقال له: رمال ونحوهم، يعني: من مثل الذين يقرءون الكف ويقرءون الفنجـان

أو في هـــذا العصر الـــذين يكتبـــون في الصـــحف والجرائد والمجلات الـبروج وما يحصل في ذلك الـبرج وأنت إذا ولـدت في هذا البرج معناه سيحصل لك هـذا الشـهر كـذا وكـذا، هـذه كلها من أنواع الكهانة كما سيأتي.

قال: " وقال ابن عباس في قوم يكتبون أباجاد وينظرون في النجـــوم: ما أرى من فعل ذلك له عند الله من خلاق " ذلك ؛ لأن كتابة أباجاد والنظر في النجوم يعني: للتأثير نوع من أنــواع الكهانة والكهانة محرمة وكفر بالله -جل وعلا-، بقي أن نقــول: إن أصـــناف الكهانة كثـــيرة جـــدا وجامعها الـــذي يجمعها أنه يستخدم الكاهن وسـيلة ظاهرية عنـده ليقنع السـائل بأنه وصل إليه العلم عن طريق أمـــور ظاهرية علمية تـــارة يقـــول: عن طريق النجـــوم وتـــارة يقـــول: عن طريق الخط أو عن طريق الطـــرق أو عن طريق الـــودع أو عن طريق الفنجـــان أو عن طريق الكف أو عن طريق النظر في الأرض في حصى يجعله أو عن طريق الخشب ونحو ذلك.

هذه كلها وسائل يغر بها الكـاهن من يأتيـه، في الحقيقة هي وسائل لا تحصل العلم ذاك ولكن العلم جاءه عن طريق الجن، وهذه الوسيلة إنما هي وسيلة للضحك على الناس وسـيلة لكي يظن الظان أنها تؤدي إلى العلم وأن هـؤلاء أصـحاب علم وفن بهـذه الأمـور، وفي الواقع هو لا يتحصل على العلم الغيـبي عن طريق خط أو عن طريق فنجـــــــان أو عن طريق النظر في

البروج أو نحو ذلك وإنما يأتيه العلم عن طريق الجن وهو يظهر هذه الأشياء حتى يحصل على المقصود حتى تصدقه الناس بأنه لا يستخدم الجن ولكنه ولي من الأولياء كيف يستنتج المغيبات من هذه الأمور الظاهرية؟.

في بعض البلاد كغرب إفريقيا وبعض شمالها ونحو ذلك وهذا منتشر أيضا في الشرق وفي كثير من البلاد يجعلون من يتعاطى هذه الأشياء وليا من الأولياء ويقولون: الملائكة تخبره بكذا فهو لا يفعل الفعل إلا بإرشاد من الملائكة، فالذين يفعلون هذه الأفعال من الأمور السحرية أو الكهانية عندهم أنهم أولياء؛ ولهذا ترى بعض الشراح يذكر في مقدمة هذه الأبواب أن أولياء الله -جل وعلا- لا يتعاطون الشرك ولا يتعاطون مثل هذه الأمور، فأولياء الله مقيدون بالشرع وليسوا من أولياء الجن. نعم.

باب

ما جاء في النشرة

قَالَ -رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى-: باب ما جاء في النشرة عن جابر: أن رسول الله سئل عن النشرة فقال: هي من عمل الشيطان رواه أحمد بسند جيد وأبو داود، وقال: سئل أحمد عنها فقال: ابن مسعود يكره هذا كله وفي البخاري عن قتادة قلت لابن

المســــــيب: رجل به طب أو يؤخذ عن امرأته أيحل عنه أو ينشر قال: لا بأس به إنما يريدون به الإصلاح فأما ما ينفع فلم ينه عنه انتهى.

وروي عن الحسن أنه قـال: لا يحل السـحر إلا سـاحر قـال ابن القيم: النشـــرة حل الســحر عن المســحور وهى نوعــان أحـدهما: حل بسـحر مثله وهو الـذي من عمل الشـيطان وعليه يحمل قـول الحسـن، فيتقـرب الناشر والمنتشر إلى الشـيطان بما يحب فيبطل عمله عن المســحور والثــاني:النشــرة بالرقية والتعوذات والأدعية والأدوية والدعوات المباحة فهذا جائز.

باب ما جاء في النشرة؛ النشرة متعلقة بالسـحر وأصـلها من النشر وهو قيــام المــريض صــحيحا، النشــرة اسم لعلاج المسحور سـميت نشـرة ؛ لأنه ينتشر بها أي: يقـوم ويرجع إلى حاله المعتادة، وقول الشيخ -رحمه الله- هنا: " باب ما جــاء في النشــرة " يعـني: من التفصـيل وهل النشـرة جميعـا، وهي حل السـحر مذمومة أو أن منها ما هو مـذموم ومنها ما هو مـأذون به؟ .

ومناسبة هذا البـاب لكتـاب التوحيد ظـاهرة وهي أنه كما أن الســحر شــرك بالله -جل وعلا- يقــدح في أصل التوحيد وأن السـاحر مشـرك الشـرك الأكـبر باللـه، فالنشـرة الـتي هي حل السحر قد يكون من ساحر وقد يكـون من غـير سـاحر بالأدوية المـأذون بها أو الأدعية ونحو ذلـك، فـإذا كـان من سـاحر فإنها

مناقضة لأصل التوحيد ومنافية لأصله، فإذًا المناسبة ظاهرة في الصلة بين هذا الباب وباب ما جاء في السحر، وكذلك مناسبتها لباب التوحيد لأن كثيرين ممن يستعملون النشرة يشركون بالله -جل وعلا- .

والنشـرة -كما سـمعتم- في البـاب قسـمان: نشـرة جائزة ونشرة ممنوعة، النشـرة الجـائزة: هي ما كـانت بـالقرآن أو بالأدعية المعروفة أو بالأدوية عند الأطبـاء ونحو ذلـك، فـإن السـحر يكـون كما ذكرنا عن طريق الجن، والسـحر يحصل منه إمـراض حقيقة في البـدن ويحصل منه تغيـير حقيقة في العقل والـذهن والفهم، وإذا كـان كـذلك فإنه يعـالج بالمضـادات الـتي تزيل ذلك السـحر، فمما يزيله القـرآن والقـرآن هو أعظم ما ينفع في إزالة السحر، كذلك الأدعية والأوراد ونحو ذلك مما هو معروف الرقى الشرعية.

ونـوع من السـحر يكـون في البـدن يعـني: من جهة العضـوية فهـذا أحيانا يعـالج بـالرقى والأدعية والقـرآن وأحيانا يعالج عن طريق الأطباء العضويين وذلك ؛ لأن السحر كما قلنا يمرض حقيقة، فإذا أزيل المـرض أو سـبب المـرض فإنه يبطل السـحر، ولهـذا قـال لك ابن القيم في آخر الكلام: والثـاني النشرة بالرقية والتعوذات والأدوية والدعوات المباحة فهذا جائز ؛ لأنه يحصل منه المـرض وإذا كـان كـذلك فإنه يعـالج بما أذن به شرعا من الرقى والأدوية المباحة.

والقسم الثاني من النشرة: وهى التي من أنواع الشرك أن ينشر عنه بغير الطريق الأول بطريق السـحر فيحل السـحر بسحر آخر يحل السـحر الأول بسـحر آخر وذكرنا أن السـحر لا ينعقد أصلا إلا بـأن يتقـرب السـاحر إلى الجـني أو أن يكـون الجني يخدم الساحر الذي يشرك بالله دائما فيخدم، كـذلك حل السـحر لا بد فيه من إزالة سـببه وهو خدمة شـياطين الجن بالسحر، وهذا لا يمكن إلا الجن، فإن الساحر الثاني الذي ينشر السحر ويرفع السحر لا بد أن يسـتغيث أو أن يتوجه إلى بعض جنه في أن يرفع أولئك الجن الـذين عقـدوا هـذا السـحر أن يرفعوا أثره.

فصـار إذًا هـذه الجهة أنها من حيث العقد والابتـداء لا تكـون إلا بالشرك بالله ومن حيث الرفع والنشر لا تكـون إلا بالشـرك بالله -جل وعلا- ؛ ولهذا قال: لا يحل السحر إلا سـاحر يعـني: لا يحل السحر بغير الطريقة الشرعية المعروفة إلا ساحر. لا يأتي أحد ويقـول: أنا أحل السـحر هل تسـتخدم القـراءة والتلاوة والأدعية ؟ قال: لا هل أنت طبيب تطب ذلك المسـحور؟ قـال: لا إذا فهو ساحر إذا لم يستخدم .

الطريقة الثانية فإنه لا يمكن أن يحل السحر إلا سـاحر ؛ لأنه فك أثر الجن في ذلك السـحر ولا يمكن إلا عن طريق شياطين الجن الذين يؤثرون على ذلك.

قال -رحمه الله-: عن جابر: أن رسول الله سئل عن النشرة فقال: هي من عمل الشيطان "سئل عن النشرة " السائل سأله عما كان معهودا معروفا عندهم في هذا الاسم وهو اسم النشرة، والذي كان معروفا معهودا هو أن اسم النشرة إنما هو من جهة الساحر، النشرة عند العرب هي حل السحر بمثله، هذه هي النشرة عند العرب؛ ولهذا سئل النبي -عليه الصلاة والسلام- عن النشرة فقال: هي من عمل الشيطان .

وقال العلماء: أل أو لام التعريف في قوله: النشرة هذه للعهد، يعني: النشرة المعهود استعمالها وهي حل السحر بمثله فقال -عليه الصلاة والسلام-: هي من عمل الشيطان ؛ لأن رفع السحر لا يكون إلا بعمل شيطان جني؛ ولهذا قال -عليه الصلاة والسلام-: هي -يعني: الرفع والنشر- من عمل الشيطان ؛ لأن العقد أصلا من عمل الشيطان والرفع والنشر من عمل الشيطان، فإذًا هو سؤال عن النشرة التي كانت تستخدم في الجاهلية. "رواه أحمد بسند جيد وأبو داود، وقال: سئل أحمد عنها، فقال ابن مسعود يكره هذا كله.يكره هذا كله"، يعني: أن تكون النشرة عن طريق التمائم التي فيها القرآن ؛ لأنه مر معنا فيما سبق أن ابن مسعود كان يكره جميع أنواع التمائم حتى من القرآن كما قال إبراهيم النخعي -رحمه الله-: كانوا يكرهون التمائم كلها من القرآن ومن غير القرآن، يعني: أصحاب ابن مسعود وابن مسعود كذلك.

فابن مسعود كـان يكـره التمـائم من القـرآن وهو أن يعلق شيئا من القرآن لأي غـرض لـدفع العين أو لإزالة السـحر ورفع الضرر؛ لهذا لما قال أبو داود: سئل أحمد عنها يعـني: عن النشرة التي تكون بالتمائم من القرآن فقال: ابن مسعود يكـره هذا كله أما النشرة باستخدام النفث والرقية من غير تعليق فلا يمكن للإمام أحمد ولا لابن مسعود أن يكرهوا ذلك ؛ لأن النبي -عليه الصـلاة والسـلام- اسـتخدم ذلك وأذن به عملا في نفسه وكذلك في غيره -عليه الصلاة والسلام- .

قال: وفي البخـاري عن قتـادة قلت لابن المسيب رجل به طب أو يؤخذ عن امرأته أيحل عنه أو ينشر ؟ قال لا بـأس به إنما يريـدون به الإصـلاح فأما ما ينفع فلم ينه عنه يريد ابن المسـيب بـذلك ما ينفع من النشـرة في التعـوذات والأدعية والقرآن والدواء المباح ونحو ذلك، أما النشرة التي هي بالسحر فابن مسعود أرفع من أن يقول إنها جائزة ولم ينه عنها والنبي -عليه الصلاة والسـلام- يقـول: هي من عمل الشـيطان بهـذا قال لا بأس به إنما يريدون به الإصـلاح فأما ما ينفع فلم ينه عنه أما ما ينفع يعني: من الأدوية المباحة والرقى والتعـوذات الشـرعية وقـراءة القـرآن ونحو ذلك فهـذا لم ينه عنه بل أذن فيه.

إذن فالسحر بلاء وسئل ابن المسيب عن هذا الـذي به طب يعـني: سـحر أو يؤخذ عن امرأته بصـرف القلب عنها أيحل عنه

أو ينشر بأصل الحل والنشر؟ يعني: أيجـوز أن يرفع ذلك الطب الذي به أو ذلك الأخذ عن امرأته بـأي وسـيلة ؟ فقـال: نعم ما ينفع فلم ينه عنه إنما يريــدون به الإصــلاح، ومعلــوم أنه يريد بــذلك ما أذن به في الشــرع من القسم الــذي ذكرنا فيه من جواز استخدام الرقى والتعوذات والأدوية والدعوات المباحة.

قــــال وروي عن الحسن أنه قـــــال: لا يحل الســــحر إلا الساحر.وهذا بينا معناه، قال ابن القيم: النشرة حل السحر عن المسـحور وهي نوعـان: حل بسـحر مثله وهو الــذي من عمل شيطان وعليه يحمل قول الحسن، هذه حقيقة النشرة الشركية قــال: فيتقــرب الناشر والمنتشر إلى الشــيطان بما يحب كما ذكرنا لكم سلفا فيبطل عمله عن المسحور هذه حقيقة النشرة الشــركية قـــال والثانية النشـــرة بالرقية والتعـــوذات والأدوية والــدعوات المباحة فهــذا جــائز إذا تــبين ذلك فــإن حكم حل السحر بمثله أنه لا يجوز ومحرم بل هو شـرك بالله -جل وعلا- ؛ لأنه لا يحل السحر إلا ساحر.

بعض العلماء من أتباع المذاهب يرى جواز حل السحر بمثله إذا كان للضرورة كما قال فقهاء مذهب الإمـام أحمد في بعض كتبهم وله أو ويجــوز حل ســحر بمثله ضــرورة ، وهــذا القــول ليس بصواب بل هو غلط ؛ لأن الضرورة لا تكون جـائزة ببـذل الدين والتوحيد عوضا ، عنها معروف أن الأصـول الخمسة أولها

حفظ، يعني: التي جاءت بها الشرائع حفظ الدين، وما هو دونها مرتبة لا يبذل ما هو أعلى لتحصيل ما هو أدنى .

وضـــــرورة الحفـــــاظ على النفس هــــذه لا شك أنها من الضــروريات الخمس لكنها دون حفظ الــدين مرتبــة؛ ولهــذا لا يقــدم ما هو أدنى على ما هو أعلى أو أن يبــذل ما هو أعلى لتحصـــيل ما هو أدنى من الضـــروريات الخمس ، والأنفس لا يجــوز حفظها بالشــرك ، وهــذا أن يمــوت وهو على التوحيد لا شك أنه خـــير له من أن يعـــافى وقد أتى بشـــرك بالله -جل وعلا-، والسحر لا يكون إلا بشرك والذي يــأتي السـاحر ويطلب منه حل السحر ، هــذا معنــاه أنه رضي قوله وعمله ورضي أن يعمل به ذاك رضي أن يشـــرك ذاك بالله لأجل منفعته وهـــذا غير جائز ، فإذن تحصل أن السحر وقوعا وأن السحر نشــرا لا يكون إلا بالشرك الأكبر بالله -جل وعلا- .

وعليه فلا يجــوز أن يحل لا من جهة الضــرورة ولا من جهة غير الضرورة من باب أولى بسحر مثله بل يحل وينشر بالرقى الشرعية. نعم.

باب

ما جاء في التطير

باب ما جاء في التطير، وقول الله -تعالى-:

وقوله:

 وعن أبي هريرة أن رسول الله قال: لا عدوى ولا طيرة ولا هامة ولا صفر أخرجاه وزاد مسلم: ولا نوء ولا غول ولهما عن أنس قال: قال رسول الله   لا عدوى ولا طيرة ويعجبني الفأل، قالوا: وما الفأل ؟ قال: الكلمة الطيبة ولأبي داود بسند صحيح عن عقبة بن عامر قال: ذكرت الطيرة عند رسول الله فقال: أحسنها الفأل ولا ترد مسلما فإذا رأى أحدكم ما يكره فليقل: اللهم لا يأتي بالحسنات إلا أنت ولا يدفع السيئات إلا أنت ولا حول ولا قوة إلا بك .

وله من حديث ابن مسعود مرفوعا: الطيرة شرك ،الطيرة شرك ،الطيرة شرك وما منا إلا ولكن الله يذهبه بالتوكل رواه أبو داود والترمذي وصححه وجعل آخره من قول ابن مسعود ولأحمد من حديث ابن عمرو من ردته الطيرة عن حاجته فقد أشرك قالوا: وما كفارة ذلك؟ قال: أن تقول: اللهم لا خير إلا خيرك ولا طير إلا طيرك ولا إله غيرك .

وله من حديث الفضل بن العباس   إنما الطيرة ما أمضاك أو ردك .

هذا باب ما جاء في التطير ومر معنا أن الطيرة من أنواع السحر؛ ولهذا جاء الشيخ -رحمه الله- بهذا الباب بعد الأبواب

المتعلقة بالسحر ؛ لأنها من أنواعه بنص الحديث، ومناسبة هـذا البـاب لكتـاب التوحيد أن التطـير نـوع من الشـرك بالله -جل وعلا- بشـرطه، والشـرك الـذي يكـون من جهة التطـير منـاف لكمال التوحيد الواجب ؛ لأنه شرك أصغر.

وحقيقة التطير أنه التشاؤم أو التفاؤل بحركة الطـير من السـوانح والبـوارح أو النطيح أو القعيد أو بغـير الطـير مما يحدث إذا أراد أحد أن يذهب إلى مكان أو يمضي في سـفر أو أن يعقد له خيـاره فيسـتدل بما يحـدث له من أنـواع حركـات الطيـور أو بما يحـدث له من الحـوادث أن هـذا السـفر سـفر سـعيد فيمضي فيه أو أنه سـفر سـيئ وعليه فيه وبـال فـيرجع عنه ؛ ولذلك ضابط الطيرة الشركية الـتي من قـامت في قلبه وحصل له شرطها وضابطها فهو مشرك الشرك الأصغر ما جاء في آخر الباب أنه قال -عليه الصلاة والسلام- ﴿ إنما الطـيرة ما أمضاك أو ردك ﴾ .

فـالطيرة شـرك وهى الـتي تقع في القلب ويبـني عليها المرء مضاء في الفعل أو ردا عن الفعل ، فـإذا خـرج مثلا من بيته وحصل أمامه وهو ينوي سفر أو ينوي رحله أو ينوي القيام بصفقة تجارة أو نحو ذلك ، فحصل أمامه حادث فهـذا الحـادث الذي حصل أمامه من تصادم السيارة أو اعتـداء من واحد على آخر أو نحو ذلك جعل من هــذا الحــادث في قلبه شــؤما ثم استدل بهذا الحـادث على أنه سيفشل في سـفره أو تجارته أو

أنه سيصيبه مكروه في سفره، فـإذا رجع ولم يمض فقد حصل له التطــير الشــركي، أما إذا وقع ذلك في قلبه مجــرد وقــوع وحصل له نــوع تشــاؤم ولكنه مضى وتوكل على الله فهــذا لا يكاد يسلم منه أحد وكما جاء في حديث ابن مسعود [illegible] وما منا إلا ولكن الله يذهبه بالتوكل [illegible] كما سيأتي.

إذن فهذه حقيقة التطير الشركي وضابطه، وبيان أن التطــير اسم عام ليس خاصا بالطير وحركاتهــا، مر معنا العيافة في ما سبق في باب ما جاء في شيء من أنـواع السـحر وأن العيافة متعلقة بالطير كما فسرها عوف الأعـرابي بقولـه: "العيافة زجر الطير" متعلقة بالطير من حيث أنه يحرك الطير ويزجـره حـتى ينظر أين تتحــرك وأما الطــيرة فهو أن يتشــاءم أو يتفــاءل ويمضي أو يرجع بحركة تحصل أمامه ولو لم يزجر أو يفعل أو بشيء يحصل أمامه إما من الطير أو من غيره.

قال الشيخ -رحمه الله-: "باب ما جاء في التطير" يعـني: من أنه شرك بالله -جل وعلا- إذا أمضى أو رد، وكفـارة التطـير إذا وقع في القلب ونحو ذلك من الأحكام. قال: وقول الله -تعالى-: [illegible]

هــــذه من آية في ســــورة الأعــــراف [illegible]

[illegible]

[illegible] يعـني: إذا أتــاهم

خصب وسعة وزيادة في الأرزاق قالوا: لنا هذه يعني: نحن المستحقون لها يعني: أصابهم جدب أو نقص في الأرزاق أو بلاء قالوا: هذا بسبب شؤم موسى ومن معه.

فهم الذين بسببهم وبسبب أقوالهم وأعمالهم حصل لنا هذا السوء وهذه الويلات، فتطيروا بهم يعني: جعلوهم سببا لما حصل لهم قال -جل وعلا- طائرهم يعني: ما يطير عنهم من عمل صالح أو طالح وأنهم يستحقون الحسنات أو يستحقون السيئات كل هذا عند الله -جل وعلا- أو أن معنى قوله: يعني: أن سبب ما يأتيهم من الحسنات أو ما يأتيهم من السيئات أن ذلك من جهة القضاء والقدر فهو عند الله -جل وعلا- ومناسبة هذه الآية لهذا الباب أن هذه الخصلة من صفات أعداء الرسل من صفات المشركين.

فالتطير من صفات أهل الإشراك من صفات أعداء الرسل وإذا كان كذلك فهو مذموم ومن خصال المشركين الشركية، وهذه هي مناسبة إيراد الآية تحت هذا الباب من جهة أنه خصلة من خصال أعداء الرسل وليست من خصال أتباع الرسل، وإنما أتباع الرسل فإنهم يعلقون ذلك بما عند الله من القضاء والقدر أو بما جعله الله -جل وعلا- لهم من ثواب أعمالهم أو العقاب على أعمالهم كما قال:

وكذلك ما أورده من الآية الثانية وهي قوله: الآية.

هي من سورة يس الذي تطير بهؤلاء هم المشركون أصحاب تلك القرية حيث قالوا: قالت أتباع الرسل: يعني: حقيقة سبب السيئات عليكم أو سبب قدوم الحسنات عليكم هذه من شيء فيكم، فالسوء الذي سينالكم والعقاب الذي سينالكم ملازم لكم ملازمة ما يطير عنكم لكم.

فما يطير عنكم من عمل سوء ومن معاداة للرسل وتكذيب للرسل هذا ملازم لكم وستطيرون به قال: ؛ لأنه من جهة أنهم فعلوا السيئات وكذبوا الرسل وهذا سيقع عليهم وباله، ومناسبة هذه الآية للباب كمناسبة الآية قبلها من أن هذه هي مقالة المشركين وأعداء الرسل. قال: وعن أبي هريرة أن رسول الله قال: لا عدوى ولا طيرة ولا هامة ولا صفر أخرجاه زاد مسلم: ولا نوء ولا غول مناسبة هذا الحديث للباب قوله: ولا طيرة .

ومن المعلوم أن المنفي هنا ليس هو وجود الطيرة ؛ لأن الطيرة موجودة من جهة اعتقاد الناس ومن جهة استعمالها ولكنها باطلة، كذلك العدوى موجودة من جهة الوقوع؛ ولهذا

قال العلماء: النفي هنا راجع إلى ما تعتقده العرب ويعتقده أهل الجاهلية؛ لأن لا نافية للجنس واسمها مذكور وخبرها محذوف؛ لأجل العلم به فإن الجاهلين يؤمنون بوجود هذه الأشياء ويؤمنون أيضا بتأثيرها، فالمنفي ليس هو وجودها وإنما هو تأثيرها فيكون التقدير هنا لا عدوى مؤثرة بطبعها ونفسها وإنما تنتقل العدوى بإذن الله -جل وعلا- .

وأهل الجاهلية يعتقدون أن العدوى تنتقل بنفسها فأبطل ذلك الله -جل وعلا- أبطل ذلك الاعتقاد فقال -عليه الصلاة والسلام-: (لا عدوى) يعني: مؤثرة بنفسها ولا طيرة مؤثرة أيضا فإن الطيرة شيء وهمي يكون في القلب لا أثر له في قضاء الله وفي قدره فحركة الطائر يمينا أو شمالا أو السانح أو البارح أو البطيح أو القعيد لا أثر لها في حكم الله وفي ملكوت الله وفي قضائه وقدره.

فإذن الخبر قوله: (ولا طيرة) يعني: تقدره بقولك: ولا طيرة مؤثرة ولا الطيرة شيء وهمي (ولا هامة ولا صفر) إلى آخر الحديث

وسبق أن ذكرت لكم أن خبر لا النافية للجنس يحذف كثيرا في لغة العرب كما قال ابن مالك في آخر باب لا النافية للجنس في الألفية:

وشاع في ذا الباب إسقاط الخبر	**إذا المراد مع سقوطه ظهر**

وهذا مهم في العربية. قال: " ولهما عن أنس قال رسـول الله لا عدوى ولا طيرة يعني: لا عدوى مؤثرة بنفسـها بل بـإذن الله -جل وعلا- ولا طـــيرة مـــؤثرة أصلا وإنما ذلك راجع إلى قضاء الله وقدره قال: ويعجبني الفأل، قالوا: وما الفأل؟ قال: الكلمة الطيبة .

الفأل كـان -عليه الصـلاة والسـلام- يحبه وفسـره بأنه الكلمة الطيبة ؛ لأن الكلمة الطيبة إذا سـمعها فتفـاءل بها أنه سيحصل له كذا وكذا من الخيرات ففيها أنها حسن ظن بالله -جل وعلا-. الفـأل حسن ظن بالله والتشـاؤم سـوء ظن بالله -جل وعلا- ؛ ولهذا صار الفـأل ممـدوحا ومحمـودا وصـار الشـؤم مـذموما، والفـأل ممـدوح من جهة أنه تحسـين الظن أو فيه تحسين الظن بالرب -جل وعلا- وهذا مأمور العبد به لهـذا كـان -عليه الصـلاة والسـلام- يتفـاءل وكل ذلك من تعظيم الله -جل وعلا- وحسن الظن به وتعلق القلب به وأنه لا يفعل للعبد إلا ما هو أصلح له.

قـال: "ولأبي داود بسـند صـحيح عن عقبة بن عـامر قـال: ذكرت الطيرة عند رسول الله فقال: أحسنها الفأل الطـيرة يعـني: التـأثر بالكلمة ؛ لأننا ذكرنا لكم أن الطـيرة عامة تشـمل الأقوال والأعمال التي تحصل أمـام العبـد، فـإذا كـان ثم تطـير فإن أحسنه الفأل يعني: من وقع قلبه أنه سيحصل له كذا وكذا من جراء كلمة سمعها أو من جـراء فعل حصل له أحسن ذلك

الفأل وغيره مـذموم لم كـان الفـأل محمـودا وممـدوحا ومأذونا به؟ لما ذكرنا من أنه إذا تطـير متفـائلا فإنه يحسن الظن بالله -جل وعلا-، وأما الفـأل في نفسه فهو مطلـوب ؛ لأن التفـاؤل يشرح الصدر ويؤنس العبد ويذهب الضيق الذي يوحيه الشيطان ويسببه الشيطان في قلب العبد، والشيطان يـأتي للعبد فيجعله يتوهم أشياء وأشياء كلها في مضرته، فـإذا فتح العبد على قلبه باب التفاؤل أبعد عن قلبه باب تأثير الشيطان على النفس.

قـال: □ ولا تـرد مسـلما □ هـذا خـبر لكنه يضـمن النهي وقد ذكــرت لكم أن النهي قد يعــدل عنه للخــبر كما أن الأمر قد يعـدل عنه إلى الخـبر لتأكيد النهي ولتأكيد الأمر قـال: □□□□ □ □ □□□□□□□□ □□□ □□□□□□□□ □□□ □□□□□□□□ □□□ □□□□□ □□□□□□□□□□□□□□ □□□ □□□ □□□□□□□□ هذا خبر لكنه كـالأمر المؤكد هـذا خـبر مثبت والخـبر المنفي، كقوله هنـا: □ لا ترد مسلما □ هذا خـبر لكن فيه النهي أن تـرد الطـيرة مسـلما عن حاجته، فإذا ردته عن حاجته فقد حصل له الشرك بـالتطير قال: □ فإذا رأى أحدكم ما يكره فليقل: اللهم لا يأتي بالحسـنات إلا أنت ولا يدفع السيئات إلا أنت ولا حول ولا قوة إلا بك □ .

هذا دعاء عظيم في دفع ما يـأتي للقلب من أنـواع التشـاؤم وأنواع الطيرة قال: وعن ابن مسـعود مرفوعا □ الطـيرة شـرك ،الطـيرة شـرك ، الطـيرة شـرك وما منا إلا ولكن الله يذهبه بالتوكل □ قال: □ الطيرة شرك □ يعـني: شـرك أصـغر بالله -جل وعلا- قوله: □ وما منا إلا □ يعني: إلا وقد أتى بقلبه بعض التطـير

؛ لأن هذا من الشيطان، والشيطان يأتي القلوب فيغريها بما يفسدها ومن ذلك التطير وما منا إلا يعني: ويعرض له ذلك ولكن الله يذهبه بالتوكل ؛ لأن حسنة التوكل وإتيان العبد واجب التوكل تذهب عنه كيد الشيطان بالتطير.

فالواجب على العبد إذا عرض له شيء من التشاؤم ألا يرجع عما أراد عمله بل يعزم التوكل على الله -جل وعلا- ؛ لأن هذه الأشياء التي تحصل لا تدل على الأمور المغيبة ؛ لأنها أمور طلعت ووافقت هكذا أمام العبد وليس لها أثر فيما يحصل مستقبلا. قال: ولأحمد من حديث ابن عمرو من ردته الطيرة عن حاجته فقد أشرك هذا الضابط ذكرناه لكم في أول الباب أن ضابط كون الطيرة شركا أن ترد المتطير عن حاجته فهي لم ترده عن حاجته فإنه لم يستأنس لها فلا حرج عليه في ذلك إلا أن عظمت في قلبه فربما دخلت في أنواع محرمات القلوب، والذي يجب أن يذهبه بالتوكل وتعظيم الرغب فيما عند الله وحسن الظن بالله -جل وعلا- قالوا: فما كفارة ذلك ؟ قال: أن تقول: اللهم لا خير إلا خيرك ولا طير إلا طيرك   لا طير إلا طيرك يعني: لن يحصل إلا قضاؤك الذي قضيته أو لن يحصل ويقضى إلا ما قدرته على العبد، والعلم علم المغيبات إنما هو علم عند الله -جل وعلا-.

باب

ما جاء في التنجيم

باب ما جاء في التنجيم : قال البخاري في صحيحه: قال قتادة: خلق الله هذه النجوم لثلاث: زينةً للسماء ورجوما للشياطين وعلامات يهتدى بها فمن تأول فيها غير ذلك أخطأ وأضاع نصيبه وتكلف ما لا علم له به انتهى.

وكره قتادة تعلم منازل القمر ولم يرخص ابن عيينة فيه ذكره حرب عنهما ، ورخص في تعلم المنازل أحمد وإسحاق، وعن أبي موسى قال: قال رسول الله   ثلاثة لا يدخلون الجنة: مدمن الخمر ومصدق بالسحر وقاطع الرحم رواه أحمد وابن حبان في صحيحه.

باب ما جاء في التنجيم يعني: في حكم التنجيم وأنه منقسم إلى جائز ومحرم، والمحرم منه نوع من أنواع السحر وهو كفر وشرك بالله -جل وعلا-، فالتنجيم هو ادعاء معرفة المغيبات عن طريق النجوم. هذا التنجيم المذموم المحرم الذي هو من أنواع الكهانة والسحر وفيما يتعلمه الناس أو فيما هو موجود عند الناس وعند الخلق التنجيم ثلاثة أنواع: الأول: التنجيم الذي هو اعتقاد أن النجوم فاعلة مؤثرة بنفسه، وأن الحوادث الأرضية منفعلة ناتجة عن النجوم وعن إرادات النجوم وهذا تأليه للنجوم وهو الذي كان يصنعه الصابئة ويجعلون لكل نجم وكوكب صورة وتمثالا وتحل فيها أرواح الشياطين فتأمر

أولئك بعبـادة تلك الأصـنام والأوثـان وهـذا بالإجمـاع كفر أكـبر وشرك كشرك قوم إبراهيم.

والنوع الثاني من التنجيم: هو ما يسـمى علم التـأثير وهو الاسـتدلال بحركة النجـوم والتقائها واختراقها وطلوعها وغروبهـا.الاسـتلال بـذلك على ما سيحصل في الأرض فيجعلـون حركة النجوم دالة على ما سيقع مسـتقبلا في الأرض والـذي يفعل هـذه الأشـياء ويحسـنها يقـال لـه: المنجم وهو من أنواع الكهان ؛ لأن فيه أنه يخبر بالأمور المغيبة عن طريق الاستدلال بحركات الأفلاك وتحرك النجوم وهذا النوع محرم وكبيرة من الكبائر وهو نـوع من الكهانة وهي كفر بالله -جل وعلا- ؛ لأن النجـوم ما خلقت لـذلك، وهـؤلاء تـأتيهم الشـياطين فتـوحي إليهم بما يريـدون وبما سيحصل في المسـتقبل ويجعلـون حركة النجـوم دليلا على ذلـك، وقد أبطل قـول المنجمين في أشـياء كثـيرة من الواقع ونحو ذلك كما في فتح عمورية في قصيد أبي تمام المشهورة:

السيف أصدق أنباء .... من الكتب

وغيرها.

النــوع الثــالث: مما يــدخل في اسم التنجيم ما يســمى بعلم التسيير. علم التسيير وهو أن يعلم النجـوم وحركـات النجـوم لأجل أن يعلم القبلة والأوقات وما يصلح من الأوقات للـزرع وما لا يصـلح والاستدلال بذلك على وقت هبوب الرياح وعلى الوقت الذي أجـرى فيه سنته أنه يحصل فيه من المطر كذا ونحو ذلك فهذا يسمى علم التسـيير فهـذا رخص فيه بعض العلمـاء وسـبب الـترخيص فيه أنه يجعل النجوم وحركتها والتقاءها وافتراقها وطلوعها وغروبهـا، يجعل

ذلك وقتا وزمنا لا يجعله سببا فيجعل هـذه النجـوم علامة على زمن يصلح فيه كذا وكذا ، والله -جل وعلا- جل النجوم علامات كما قال: [illegible] .

فهي علامة على أشـياء يحصل طلـوع النجم الفلاني يحصل أنه بطلـوع النجم الفلاني يـدخل وقت الشـتاء ليس بسـبب طلوعه ولكن حين طلع اسـتدللنا بطلوعه على دخـول الـوقت وإلا فهو ليس بسبب لحصول البرد وليس بسبب لحصـول الحر وليس بسـبب للمطر ولا بسـبب مناسـبة غـرس النخل أو زرع المزروعات ونحو ذلك ولكنه وقت فإذا كان على ذلك فلا بـأس به قـولا أو تعلما ؛ لأنه يجعل النجـوم وظهورها وغروبها يجعلها أزمنة وذلك مأذون به.

قال: قال البخاري في صحيحه: قـال قتـادة: [illegible] خلق الله هـذه النجـوم لثلاث: زينة للسـماء [illegible] كما قـال -جل وعلا-: [illegible] قال [illegible] ورجوما للشياطين [illegible] والآيات على ذلك كثيرة قال: [illegible] وعلامات يهتدى بها [illegible] حيث قـال -جل وعلا- [illegible] وقال -جل وعلا- [illegible] ونحو ذلك من الآيات فهي علامات يهتدى بهـا، يهتـدى بها إلى على أي شـيء أو يهتـدى بها لأي شـيء، يهتـدى بها إلى الجهـات جهة القبلة ،جهة الشمال ،جهة الغرب ،جهة الشرق.

يهتدى بها أيضا على الاتجاهات حيث تعرف أن البلد الفلانية. باتجـاه النجم الفلاني، فـإذا أراد السـائر ليلا في الـبر أو في البحر يتجه نحو اتجـــاه هـــذا النجم فيعلم أنه متجه إلى تلك البلدة ونحو ذلك مما أجرى الله سنته به.

قال: فمن تـأول فيها غـير ذلك أخطأ وأضـاع نصـيبه وتكلف ما لا علم له به وهـذا صـحيح ؛ لأن النجـوم خلق من خلق الله ولا نفهم سـرها إلا بما أخـبر الله -جل وعلا- به فما أخبرنا به أخذناه وما لم نخـبر به فلا يجـوز أن نتكلف فيه ذلك ولهـذا قال -عليه الصلاة والسلام-: إذا ذكر القـدر فأمسـكوا وإذا ذكر أصحابي فأمسـكوا وإذا ذكـرت النجـوم فأمسـكوا والمـراد هنا بذكر النجوم يعني: في غير ما جاء به الـدليل، إذا ذكر القـدر في غير ما جاءت به الأدلة فأمسـكوا، وإذا ذكر أصـحابي في غـير ما جـاء به من فضـلهم وحسن صـحابتهم وسـابقتهم ونحو ذلك من الدليل فأمسكوا، وكـذلك إذا ذكـرت النجـوم وما فيها في غير ما جاء به الـدليل فأمسـكوا ؛ لأن ذلك ذريعة لأمور محرمة. قال: " وكره قتادة تعلم منازل القمر ولم يرخص ابن عيينة فيه ذكره حرب عنهما ".

 الحمد لله والصلاة والسلام على رسـول اللـه، أيها الإخـوة الكرام، السلام عليكم ورحمة الله وبركاته:

قال: وكره قتـادة تعلم منـازل القمـر، ولم يـرخص ابن عيينة فيه .

ذكره حرب عنهما، ورخص في تعلم المنازل أحمد وإسحاق، الله -جل وعلا- جعل القمر منازل كما قال: [illegible] له ثمانية وعشرون منزلا ينزل في كل يوم منزل منها، تعلم هذه المنازل، هل هو جائز أم لا ؟ منعه بعض السلف كراهة، ورخص فيه طائفة من أهل العلم، وهو الصحيح ؛ لأنه -جل وعلا- امتن على عباده بذلك، قال: [illegible] .

وظاهر الآية أن حصول المنة به في تعلمه وذلك دليل الجواز.

قال: وعن أبي موسى قال: قال رسول الله ﷺ ثلاثة لا يدخلون الجنة: مدمن الخمر، وقاطع الرحم، ومصدق بالسحر ووجه الاستدلال من هذا الحديث قوله: ومصدق بالسحر وقد مر معنا أن التنجيم نوع من أنواع السحر كما قال -عليه الصلاة والسلام-: من اقتبس شعبة من النجوم فقد اقتبس شعبة من السحر زاد ما زاد وإذا صدق بالنجوم فإنه مصدق بالسحر، والمصدق بالسحر لا يدخل الجنة .

قال هنا: ثلاثة لا يدخلون الجنة: مدمن الخمر وإدمان الخمر من الكبائر، قال: وقاطع الرحم وهي من الكبائر، ومصدق بالسحر وهي أيضا من الكبائر، مما يدخل في التنجيم في هذا العصر بوضوح مع غفلة الناس عنه ما يذكر

في المجلات مما يسمونه البروج، يضعون صفحة أو أقل منها في الجرائد ويجعلون عليها رسم بروج السنة: برج الأسد والعقرب والثور... إلى آخره، ويجعلون أمام كل برج ما سيحصل فيه، فإذا كان المرء أو المرأة مولودا في ذلك البرج، يقول: سيحصل لك في هذا الشهر كذا وكذا وكذا، وهذا هو التنجيم الذي هو التأثير، الاستدلال بالنجوم والبروج على التأثير في الأرض، وعلى ما سيحصل في الأرض، وهو نوع من الكهانة، ووجوده في المجلات وفي الجرائد على ذلك النحو وجود للكهان فيها.

فهذا يجب إنكاره إنكارا للشركيات والادعاء معرفة الغيب وللسحر وللتنجيم؛ لأن التنجيم من السحر كما ذكرنا يجب إنكاره على كل صعيد، ويجب -أيضا- على كل مسلم ألا يدخله بيته، وألا يقرأه ولا يطلع عليه؛ لأنه إن رأى تلك البروج وما فيها، ولو أن يعرف ذلك معرفة؛ فإنه يدخل في النهي من جهة أنه أتى إلى الكاهن غير منكر له، فإذا أتى لهذه البروج، وهو يعرف البرج الذي ولد فيه: ولكن يقول: سأطلع، ماذا قالوا عني؟ أو ماذا قالوا عما سيحصل لمن ولد في هذا البرج ؟ فإنه يكون كمن أتى كاهنا، فسأله فإنه لا تقبل له صلاة أربعين ليلة، وإذا أتى وقرأ، وهو يعلم برجه الذي ولد فيه أو يعلم البرج الذي يناسبه، وقرأ ما فيه فهذا سؤال، فإذا صدقه به فقد كفر بما أنزل على محمد .

وهذا يـدلك على غربة التوحيد بين أهله وغربـة... فهم حقيقة هـذا الكتـاب كتـاب التوحيد حـتى عند أهل الفطـرة وأهل هـذه الدعوة، فإنه يجب إنكار ذلك على كل صـعيد، وألا يـؤثم المـرء نفســه، ولا من في بيته بإدخــال شــيء من الجرائد الــتي فيها ذلك في الـبيوت ؛ لأن هـذا معنـاه إدخـال للكهنة إلى الـبيوت، وهذا والعياذ بالله من الكبائر.

وواجب إنكــار ذلك وتمزيقه والســعي فيه بكل ســبيل حــتى يـــدحر أولئـــك؛ لأن أهل التنجيم أهل الـــبروج أولئك هم من الكهنة، والتنجيم له معاهد معمورة في لبنــان وفي غيرها يتعلم فيها النـــاس حركة النجـــوم، وما سيحصل بحســـابات معروفة وجـداول معينـة، ويخـبرون بأنه ما كـان من في الـبرج الفلاني يعــني من أهل الــبرج الفلاني، فإنه سيحصل كــذا وكــذا عن طريق التعلم الوهمي، يغـرهم به رءوسـهم وكهـانهم، فـالواجب على طلبة العلم أن يســـعوا في تبصـــير النـــاس في ذلك بالكلمات وبعد الصلوات وفي خطب الجمـع؛ لأن هـذا مما كـثر البلاء به والإنكـــار فيه قليـــل، والتنبيه عليه ضـــعيف، والله المستعان.

باب

ما جاء في الاستسقاء بالأنواء

بـــاب ما جـــاء في الاستســـقاء بـــالأنواء وقـــول الله تعـــالى: [illegible] .

وعن أبي مالك الأشعري أن رسول الله قـال: أربع في أمـتي من أمر الجاهلية لا يـتركونهن: الفخر بالأحسـاب، والطعن في الأنساب، والاستسقاء بالنجوم، والنياحة .

وقـــال: النائحة إذا لم تتب قبل موتها تقـــام يـــوم القيامـــة، وعليها سربال من قطران ودرع من جرب رواه مسلم .

ولهما عن زيد بن خالد قال: صلى لنا رسول الله صلاة الصبح بالحديبية على إثر سماء كـانت من الليـل، فلما انصـرف أقبل على الناس فقال: هل تدرون ماذا قال ربكم ؟ قالوا: الله ورسوله أعلم. قـال: قـال: أصـبح من عبـادي مـؤمن بي وكـافر، فأما من قال: مطرنا بفضل الله ورحمته فذلك مؤمن بي كـافر بالكوكب، وأما من قال: مطرنا بنوء كذا وكـذا فـذلك كـافر بي، مؤمن بالكوكب .

ولهما من حديث ابن عبـاس بمعنـاه، وفيه قـال بعضـهم: لقد صدق نوء كـذا وكـذا فـأنزل الله هـذه الآيـات: [illegible] .

هذا باب ما جاء في الاستسقاء بـالأنواء؛ والاستسـقاء بالأنواء هو نسبة السقيا إلى الأنواء، والأنواء هي النجـوم، يقـال للنجم: نـوء، والعـرب والجـاهليون كـانوا يعتقـدون أن النجـوم والأنواء سبب في نـزول المطـر، ويجعلونها أسـبابا، ومنهم وهم طائفة قليلة من يجعل النوء والنجم هو الذي يأتي بالمطر، كما ذكرت لك في حال الطائفة الأولى من المنجمين الذين يجعلون المفعـــولات منفعلة عن النجـــوم وعن حركتهـــا، فقوله -رحمه الله-: باب ما جاء في الاستسـقاء بـالأنواء، يعـني: بـاب ما جـاء في نسبة السـقيا إلى النـوء، وعـبر بلفظ الاستسـقاء؛ لأنه جـاء في الحديث والاستسقاء بالنجوم.

ومناسـبة هـذا البـاب لما قبله من الأبـواب أن الاستسـقاء بـالأنواء نـوع من التنجيم؛ لأنه نسـبة السـقيا إلى النجم، وذلك أيضا من السحر؛ لأن التنجيم من السحر بمعنـاه العـام، ونسـبة ذلك أو مناسـبة ذلك لكتـاب التوحيد أن الـذي ينسب السـقيا والفضل والنعمة الـذي أعطـاه حينما جـاءه المطـر، ينسب ذلك إلى النوء وإلى النجم، هذا ملتفت قلبه عن الله -جل وعلا- إلى غـيره ومتعلق قلبه بغـيره، وناسب النعمة إلى غـير الله -جل وعلا -، معتقد أن النجـوم أسـباب لهـذه المسـببات من نـزول المطر ونحوه.

وهذا مناف لكمال التوحيد، فإن كمال التوحيد الواجب يوجب على العبد أن ينسب النعم جميعا إلى الله وحـــده، وألا ينسب

شـيء منها إلى غـير الله ، ولو كـان ذلك الغـير سـببا، فينسب النعمة إلى مسـديها، ولو كــان من أجــرى الله على يديه تلك النعم سـببا من الأسـباب، فإنه لا ينسـبها إلى غـير الله -جل وعلا- كيف، وأن النجـوم ليست بسـبب أصـلا، ففي ذلك نوعـان من التعـدي أولا: أنها ليست بأسـباب، والثـاني: أن تجعل أسـبابا لم يجعلها الله -جل وعلا- أسـبابا، وتنسب النعم والفضل والسقيا إليها .

وهذا مناف لكمال التوحيد، وكفر أصغر بالله -جل وعلا- قال: وقول الله تعالى: □ □□□□ □□□□□□□□□□□□□ □□□□□□□□ □□□□□□□□□□ □□□□□□□□□□□□□□ □ قال علماء التفسير: معنى هذه الآية: وتجعلـون شـكر رزقكم، شـكر ما رزقكم الله من النعم من المطر أنكم تكـذبون بـأن النعمة من عند الله بنسـبتها لغـير الله -جل وعلا- تـارة، بنسـبتها إلى الأنواء أو بنسبتها إلى غير الله -جل وعلا-.

والـواجب شـكرا لنعم الله -جل وعلا- وشـكرا لله -جل وعلا- على ما رزق وأنعم وتفضل أن تنسب النعم جميعا إلى اللـه، وأن ينسب الفضل إلى الرب وحده دون ما سواه .

قال: وعن أبي مالك الأشعري □ أن رسول الله □ قال: □ أربع في أمـتي من أمر الجاهلية لا يـتركونهن □ قولـه: □ من أمر الجاهلية □ هذا دليل على ذمها، وأنها من شعب الجاهليـة، ومن المعلـوم أن شـعب الجاهلية جميعا مطلـوب من هـذه الأمة أن تبتعد عنها ؛ لأن خصـال أهل الجاهلية مذمومـة، كما جـاء في

صحيح البخاري من حديث ابن عباس أن النبي -عليه الصلاة والسلام- قال: أبغض الرجال إلى الله ثلاثة: ملحد في الحرم، ومطلب دم امرئ بغير حق ليهريق دمه، ومبتغ في الإسلام سنة الجاهلية .

فكل شعبة من شعب أهل الجاهلية إذا أرجعت إلى أهل الإسلام بعد أن أنقذهم الله من ذلك ببعثة النبي -عليه الصلاة والسلام- وظهور القرآن والسنة، وبيان الأحكام، فإنه مبتغ في الإسلام سنة الجاهلية، وهو من أبغض الرجال إلى الله -جل وعلا- .

إذن قوله: من أمر الجاهلية هذا دليل الذم وليس الإخبار بأنها باقية دليل الإباحة، قال: لا يتركونهن الفخر بالأحساب يعني: على وجه التكبر والرفعة، والطعن في الأنساب بالطعن في نسب فلان وفلان والتكذيب بنسب فلان وفلان من غير دليل شرعي، ومن غير حاجة شرعية، فإن القاعدة التي ذكرها الإمام مالك وغيره من أهل العلم أن الناس مؤتمنون على أنسابهم، فإذا كان لا يترتب على ذكر النسب، وأن فلانا ينتسب إلى آل فلان أو إلى القبيلة الفلانية، إذا لم يترتب عليه أثر شرعي من إعطاء حق لغير أهله أو بميراث أو بعقد نسبة أو بزواج ونحو ذلك، فإن الناس مؤتمنون على أنسابهم، أما إذا كان له أثر فلا بد من الإثبات سيما إذا كان مخالفا لما هو شائع متواتر عند الناس، فالطعن بالأنساب من أمور الجاهلية .

قال: والاستسقاء بالنجوم وهو نسبة السـقيا إلى النجـوم، ويشمل أيضا قوله: الاستسقاء بالنجوم يشـمل ما هو أعظم من ذلك، وهو أن تطلب السقيا من النجم كحال الذين يعتقدون أن الحوادث العرضية تحصل بالنجوم نفسها، وأن النجوم هي الـتي تحدث المقدرات العرضية والمنفعلات العرضية .

قال: والنياحة، ثم قـال: النائحة إذا لم تتب قبل موتها تقـام يوم القيامة وعليها سربال من قطـران ودرع من جـرب رواه مسلم .

النياحة من الكبائر، وهي رفع الصوت عند المصـيبة وشق الجيب ونحو ذلـك، وهي منافية للصـبر الـواجب ومن خصـال الجاهلية .

قال: ولهما عن زيد بن خالد قال: صلى لنا رسـول الله صـلاة الصـبح بالحديبية على إثر سـماء كـانت من الليـل، فلما انصرف أقبل على الناس فقـال: هل تـدرون مـاذا قـال ربكم ؟ قالوا: الله ورسوله أعلم. قال: قال: أصبح من عبادي مـؤمن بي وكافر، فأما من قال: مطرنا بفضل الله ورحمتـه، فـذلك مـؤمن بي كافر بالكوكب، وأما من قال: مطرنا بنوء كـذا وكـذا، فـذلك كافر بي، مؤمن بالكوكب .

قوله: على إثر سماء كانت من الليل على إثر سماء: يعني: مطر، المطر يطلق عليه سماء؛ لأنه يأتي من جهة العلو، ويقال له: سماء كما قال الشاعر:

إذا نزل السماء بأرض   رأينـاه وإن كانوا

قوم غضابا

يعني: نزل المطر، قال: ﴿ فلما انصرف - يعني: من صلاة الصبح - ، أقبل على الناس فقال: هل تدرون ماذا قال ربكم ؟ قالوا: الله ورسوله أعلم ﴾ هذه من الكلمات التي تقال في حياته -عليه الصلاة والسلام-، وبعد وفاته -عليه الصلاة والسلام-، فإذا سئل المرء عما لا يعلم، فليقل: لا أدري، أو فليقل: الله أعلم، ولا يقول: الله ورسوله أعلم؛ لأن ذكر علم النبي -عليه الصلاة والسلام- مقيد بحياته الشريفة -عليه الصلاة والسلام- قال: قال: ﴿ أصبح من عبادي مؤمن بي وكافر ﴾ .

هنا قسم العباد إلى قسمين: مؤمن بالله -جل وعلا- وهو الذي نسب هذه النعمة، وأضافها إلى الله -جل وعلا- وشكر الله عليها، وعرف أنها من عند الله، فشكر ذلك الرزق، وحمد الله وأثنى عليه به، والصنف الثاني: وكافر، ولفظ: كافر، اسم فاعل الكفر، أو اسم من قام به الكفر .

وهذا قد يصدق على الكفر الأصغر أو الكفر الأكبر، فهم انقسموا إلى مؤمنين وإلى كافرين ، والكافرون منهم من كفر كفرا أصغر، ومنهم من كفر كفرا أكبر، فالذي كفر كفرا أصغر هو الذي قال: ﴿ مطرنا بنوء كذا وكذا ﴾ يعتقد أن النوء والنجم والكوكب سبب في المطر، فهذا كفره كفر أصغر؛ لأنه ما

اعتقد التشريك والاستقلال، ولكنه جعل ما ليس سببا سببا، ونسب النعمة إلى غير الله .

فقوله: من أقوال أهل الكفر، وهو كفر أصغر بالله -جل وعلا- كما قال العلماء .

والصنف الثاني: كافر الكفر الأكبر، وهو الذي اعتقد أن المطر أثر من آثار الكواكب والنجوم، وأنها هي التي تفضلت بالمطر، وهي التي تحركت بحركة لما توجه إليها عابدوها، فأنزلت المطر إجابة لدعوة عابديها، فهذا كفر أكبر بالإجماع؛ لأنه اعتقاد ربوبية وإلهية غير الله -جل وعلا- .

قال: فأما من قال: مطرنا بفضل الله ورحمته فذلك مؤمن بي كافر بالكوكب ؛ لأنه نسب النعمة لله وحده، ونسبة النعمة لله وحده دلت على إيمانه، قال: وأما من قال: مطرنا بنوء كذا وكذا، فذلك كافر بي مؤمن بالكوكب وكما ذكرت لك الباء في قوله: مطرنا بنوء كذا إن كانت للسببية ؛ لأن الباء تأتي للسبب، مطرنا بسبب نوء كذا وكذا، فهذا كفر أصغر .

وأما إذا كان المراد أن النوء هو الذي أتى بالمطر إجابة لدعوة عابديه أو برحمته بالناس، فهذا كفر أكبر بالله جل جلاله .

قال: ولهما من حديث ابن عباس بمعناه، وفيه قال بعضهم: لقد صدق نوء كذا وكذا، فأنزل الله هذه الآيات:

[illegible] إلى قوله [illegible]
[illegible] وهذا ظاهر نعم.

قف هنا تنبيه في هــذه المســألة، وهو ما يحصل أحيانا من بعض النــاس من أنهم يقولــون في الوسم -مثلا-: يــأتي مطــر، والوسم جــاء معنــاه أن الريــاح فيه مطر ونجم الخــير طلــع، فسيحصل كذا ونحو ذلك، فهذا القول بما علمت له حالات:

الحالة الأولى: أن يقــول ذلك لأجل أن النجم أو الــبرج الــذي أتى هو زمن جعل الله ســنته فيه أنه يــأتي فيه المطــر، فــإذا كان هــذا القــول بــأن الوسم معنــاه، هــذا وقت المطر إن شــاء الله يأتي، فيه مطر ونحو ذلــك، فهــذا جعل للوسم زمنــا، وهــذا جــائز، وأما إذا قــال: الوسم جــاء يــأتي المطــر، أو طلع النجم الفلاني بيأتينا كذا وكذا، بجعل هذا الفصل أو ذاك البرج أو ذلك النجم ســببا، فهــذا كفر ونســبة للنعمة لغــير الله واعتقــاد تــأثير أشــياء لا تــأثير لهــا، فينبغي أن يفــرق بين ما يســتعمله العــوام فيما فيه أن المطر والــــبرد والصــــيف ونحو ذلك في تعلقه بالنجوم تعلق زمن ووقت وظــرف، وما بين نســبة أهل الشــرك والضلال الأفعال للنجوم ، إما استقلالا وإما على وجه التثبت.

باب

قول الله تعالى:

وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَتَّخِذُ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَنْدَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ اللَّهِ

باب قول الله تعالى: [illegible] .

وقولـه: [illegible] .

عن أنس أن رسول الله [illegible] قال: [illegible] لا يؤمن أحدكم حتى أكـون أحب إليه من ولده ووالده والناس أجمعين [illegible] أخرجاه .

ولهما عنه قال: قـال رسـول الله [illegible] [illegible] ثلاث من كن فيه وجد بهن حلاوة الإيمـــان: أن يكـــون الله ورســـوله أحب إليه مما سـواهما، وأن يحب المـرء لا يحبه إلا للـه، وأن يكـره أن يعـود في الكفر بعد إذ أنقذه الله منه كما يكره أن يقـذف في النـار [illegible] .

وفي رواية لا يجد أحد حلاوة الإيمان حتى إلى آخره .

وعن ابن عباس -رضي الله عنهما- قـال: [illegible] من أحب في الله وأبغض في الله ووالى في الله وعــادى في اللــه، فإنما تنــال ولاية الله بذلك، ولن يجد عبد طعم الإيمان، وإن كـثرت صـلاته وصومه حتى يكون كذلك، وقد صارت عامة مؤاخاة الناس على أمر الــدنيا، وذلك لا يجــدي على أهله شـيئا [illegible] رواه ابن جريـر،

وقال ابن عباس في قوله تعالى: □□□□□ □□□□□□□□□□□ □□□□□□ □□□□□□□□□□□ □□□□□□□□□□□□□ □
□ قال: المودة.

هذا الباب والأبواب التي بعده فروع من الإيمان للشيخ محمد بن عبد الوهاب -رحمه الله- في ذكر العبادات القلبية وما يجب من أن تكون تلك العبادات لله -جل وعلا-، فهذا في ذكر واجبات التوحيد ومكملاته وبعض العبادات القلبية، وكيف يكون إفراد الله -جل وعلا- بها، فابتدأها بباب المحبة، وأن العبد يجب أن يكون الله -جل وعلا- أحب إليه من كل شيء حتى من نفسه .

وهذه المحبة المراد منها محبة العبادة، وهي المحبة التي فيها تعلق بالمحبوب بما يكون معه امتثال للأمر رغبة واختيارا، ورغب إلى المحبوب، واجتناب النهي رغبة واختيارا، فمحبة العبادة هي المحبة التي تكون في القلب، يكون معها الرغب والرهب، يكون معها الطاعة، يكون معها السعي في مراضي المحبوب والبعد عما لا يحب المحبوب، والموحد ما أتى للتوحيد إلا بشيء وقر في قلبه من محبة الله -جل وعلا-؛ لأنه دلته ربوبية الله -جل وعلا- وأنه الخالق وحده، وأنه ذو الملكوت وحده، وأنه ذو الفضل والنعمة على عباده وحده من أنه محبوب، وأنه يجب أن يحب، وإذا أحب العبد ربه، فإنه يجب عليه أن يوحده بأفعال على العبد أن يوحد الله بأفعاله، يعني: أفعال العبد حتى يكون محبا له على الحقيقة .

لـذلك نقـول: المحبة الـتي هي من العبـادة هي المحبة الـتي يكون فيها اتبـاع للأمر والنهي ورغب ورهب؛ ولهـذا قـال طائفة من أهل العلم: المحبة المتعلقة بالله ثلاثة أنـــــــواع: محبة الله على النحو الذي وصفنا على نـوع من العبـادات الجليلـة، ويجب إفراد الله -جل وعلا- بها، والنوع الثاني محبة في اللـه، وهو أن يحب الرسل في الله -عليهم الصـــــلاة والســــــلام- وأن يحب الصالحين في الله، أن يحب في الله، وأن يبغض في الله .

والنــوع الثــالث: محبة مع الله وهــذه محبة المشــركين لآلهتهم، فــإنهم يحبونها مع الله -جل وعلا- فيتقربــون إلى الله رغبا ورهبا نتيجة محبة الله ويتقربـــــــون إلى الآلهة رغبا ورهبا نتيجة لمحبتهم لتلك الآلهة، ويتضح المقام بتأمل حال المشركين وعبــدة الأوثــان وعبــدة القبــور في هــذه الأزمنــة، فإنك تجد المتوجه لقــبر الــولي في قلبه من محبة ذلك الــولي وتعظيمه ومحبته ســــكنة ذلك القـــــبر ما يجعله في رغب ورهب، وفي خـــوف وفي طمع وفي إجلال حين يعبد ذلك الــولي، أو يتوجه إليه بــأنواع العبــادة لأجل تحصــيل مطلوبــه، فهــذه هي محبة العبادة التي صرفها لغير الله -جل وعلا- شرك أكبر به، بل هي عماد الدين، بل هي عماد صلاح القلب، فإن القلب لا يصلح إلا بــأن يكــون محبا لله -جل وعلا- ، وأن تكــون محبته لله -جل وعلا- أعظم من كل شـــيء، فالمحبة محبة الله وحـــده هـــذه يعني: محبة العبادة هذه من أعظم أنواع العبـادات، وإفـراد الله بها واجب .

والمحبة مع الله محبة العبادة هذه شركية، من أحب غير الله -جل وعلا- مع محبة العبادة، فإنه مشرك الشرك الأكبر لله -جل وعلا- .

هذه الأنواع الثلاثة هي المحبة المتعلقة بالله، أما النوع الثاني من أنواع المحبة، وهي المحبة المتعلقة بغير الله من جهة المحبة الطبيعية، وهذا أذن فيه الشرع، وجائز لأن المحبة فيها ليست محبة العبادة والرغب والرهب الذي هو من العبادة، وإنما هي محبة للدنيا، وذلك كمحبة الوالد لولده والولد لوالده والرجل لزوجته والأقارب لأقربائهم، والتلميذ لشيخه والمعلم لأبنائه ونحو ذلك من الأحوال هذه محبة طبيعية، لا بأس بها، بل الله -جل وعلا- جعلها غريزة .

قال الإمام -رحمه الله-: باب قول الله تعالى: ﴿ ﴾ قوله: ﴿ ﴾ أندادا: يعني: أشباها ونظراء وأكفاء، يعني: يساوونه في المحبة؛ لهذا قال: ﴿ ﴾ وأحد وجهي التفسير في قوله: ﴿ ﴾ يعني: يحب المشركون الأنداد كحب المشركين لله، والوجه الثاني من التفسير: أن قوله: ﴿ ﴾ معناه يحب المشركون الأنداد كحب المؤمنين لله، والوجه الأول أظهر، والكاف في هنا في قوله: ﴿ ﴾ مثل يعني: يحبونهم مثل حب الله، وهي كاف المساواة، ومثلية المساواة؛

ولهذا قال -جل وعلا-: في سورة الشعراء مخبرا عن قـول أهل النار: [illegible] قال العلماء: سووهم برب العالمين في المحبة بدليل هذه الآية، ولم يسووهم برب العالمين في الخلق والرزق وإفراد الربوبية قال: وقوله: [illegible] إلى قوله: [illegible] .

هــذا يــدل على أن محبة الله -جل وعلا- واجبــة، وأن كــون محبة الله وأن محبة الله يجب أن تكون فوق كل محبوب، وأن يحب الله أعظم من محبته لأي شيء قال -جل وعلا-: [illegible] إلى أن قال: [illegible] .

وهذا وعيد، فيـدل على أن تقـديم محبة غـير الله على محبة الله كبـيرة من الكبـائر ومحـرم من المحرمـات؛ لأن الله توعد عليه وحكم على فاعله بالفسق والضلال .

فـالواجب لتكميل التوحيد أن يحب العبد الله ورسـوله فـوق كل محبوب ومحبة النـبي [illegible] هي محبة في الله ليست محبة مع الله ، بل هي محبة في اللـــه؛ لأن الله هو الـــذي أمرنا بحب النـبي -عليه الصـلاة والسـلام- ومحبتـه، إذن في الله يعـني: في الله لأجل محبة الله، فإن من أحب الله -جل وعلا- أحب رسله .

قال: عن أنس أن رسول الله قال: لا يؤمن أحـدكم حـتى أكون أحب إليه من ولده ووالده والناس أجمعين .

قوله: لا يؤمن أحدكم يعني: الإيمان الكامل، وقوله: حتى أكون أحب إليه من ولـده ووالـده والنـاس أجمعين يعـني: أن يكون محابي مقدمة على محاب غيري، فحتى أكــون في نفسه أحب إليه وأعظم في نفسه من ولده ووالده والناس أجمعين .

وفي حــديث عمر المعــروف أنه قــال للنــبي -عليه الصــلاة والسلام-: إلا من نفسي فقال: يا عمر، حـتى أكـون أحب إليك من نفسك، فقـال عمـر: أنت الآن أحب إلي من نفسـي، قـال: فالآن يا عمر يعني: كملت الإيمان، فقوله: لا يؤمن أحـدكم يعـني: الإيمـان الكامل حـتى يقـدم محبة النـبي -عليه الصــلاة والسلام- على محبة الولد والوالد والنـاس أجمعين، ويظهر هـذا بالعمل، فإذا كان يقدم محاب هؤلاء على ما فيه مرضاة الله -جل وعلا- وعلى ما أمر به -عليه الصلاة والسـلام-، فـإن محبته للنبي -عليه الصلاة والسلام- تكون ناقصة؛ لأن المحبة محركة.

كما قال شيخ الإسلام في كتابه: قاعـدة في المحبة ، يقـول: المحبة هي الـتي تحـرك الـذي يحب الـدنيا يتحـرك إلى الـدنيا، والــذي يحب العلم يتحــرك للعلم، الــذي يحب الله -جل وعلا- محبة عبادة ورغب ورهب يتحرك طالبا لمرضاته ويتحرك مبعـدا عما فيه مسـاخط الـرب -جل وعلا- كـذلك الـذي يحب النـبي -عليه الصلاة والسلام- على الحقيقة، فإنه الذي يسعى في اتبـاع

سـنته وفي امتثـال أمـره وفي اجتنـاب نهيـه، والاهتـداء بهديه والاقتداء بسنته -عليه الصلاة والسلام-

قال: ولهما عنه قال: قـال رسـول الله   ثلاث من كن فيه وجد بهن حلاوة الإيمـان: أن يكـون الله ورسـوله أحب إليه مما سـواهما، وأن يحب المـرء لا يحبه إلا للـه، وأن يكـره أن يعـود في الكفر بعد إذ أنقذه الله منه كما يكره أن يقـذف في النـار .

والاسـتدلال به ظـاهر على أن محبة الله ورسـوله يجب أن تكـون مقدمة على محبة ما سـواهما، وأنها من كمـال الإيمـان، وأن العبد لن يجد كمال الإيمان إلا في ذلك .

قـال: وفي روايـة: لا يجد أحد حلاوة الإيمـان حـتى... إلى آخره، المقصود بالحلاوة هنا الحلاوة الناتجة عن تحصيل كمالـه؛ لأن الإيمان له حلاوة، حلاوة توجد في الروح، وكلما سعى العبد في تكميل إيمانه كلما اشتد وجده لهذه الحلاوة، واشتد شعوره بتلك الحلاوة ، واللذة التي تكون في القلب .

قال: وعن ابن عباس قـال: من أحب في اللـه، وأبغض في اللـه، ووالى في اللـه، وعـادى في اللـه، فإنما تنـال ولاية الله بذلك هذه محبة في اللـه، راجعة إلى الأمر والنهي، وهي من أقســـام المحبة حب في الله يعـــني: كـــانت محبته في ذلك المحبوب؛ لأجل أمر الله، أبغض في الله يعني: كان بغضه لذلك المبغض لأجل أمر اللـــه، ووالى في الله كـــانت موالاته للعقد

الذي بينه وبين ذاك في الله -جل وعلا- من إخوة إيمانية، قال: ﴿ وعادى في الله ﴾ يعني: لما حصل بينه وبين ذاك الذي خالف أمر الله، إما بكفر أو بما دونه، قال: ﴿ فإنما تنال ولاية الله بذلك ﴾ يعني: إنما يكون العبد وليا من أولياء الله بهذا الفعل، وهو أن يوالي في الله، وأن يعادي في الله -جل وعلا- والولاية بالفتح هي المحبة والنصرة، وإلى ولاية يعني: أحب محبة ونصر نصرة، وأما الولاية بالكسر فهي الملك والإمارة، قال -جل وعلا-: ﴿ [illegible] ﴾ يعني: المحبة والنصرة إنما هي لله -جل وعلا- وليست لغيره .

والولاية بالكسر هي الإمارة ونحو ذلك، فقوله: فإنما تنال ولاية الله في ذلك يعني: تنال محبة الله ونصرته بذلك بأن يأتي بالمحبة في الله والبغض في الله .

قال: ﴿ ولم يجد عبد طعم الإيمان، وإن كثرت صلاته وصومه حتى يكون كذلك، فقد صارت عامة مؤاخاة الناس على أمر الدنيا، وذلك لا يجدي على أهله شيئا ﴾ .

المؤاخاة والمحبة في الدنيا هذه تراد للدنيا، والدنيا قصيرة زائلة، وإنما يغتر بها أهل الغرور، وأما أهل المعرفة بالله والعلم بالله، وأهل كمال توحيده وأهل إكمال الإيمان وتحقيق التوحيد، فإنما تكون محابهم ومشاعرهم القلبية وأنواع العلوم والمعارف التي تكون في القلب وأنواع العبادات والمقامات

والأحوال التي تكون في القلب، يكون ذلك كله تبعا لأمر الله ونهيه ورغبة في الآخرة .

أما الدنيا فلها أهلون، وهي مرتحلة عنهم، وهم مقبلون على أمر آخرتهم؛ ولذلك لن تجدي المحبة في الدنيا على أهلها شيئا، إنما الذي يجدي هو الحب في الله والرغب في الآخرة .

قال: وقال ابن عباس في قوله: [illegible] قال: المودة؛ لأن المشركين كانوا يشركون بآلهتهم ويحبونها، ويظنون أنها ستشفع لهم يوم القيامة؛ لأجل مودتهم لها ومحبتهم لها، وستتقطع تلك الأسباب وتلك الحبال المدعاة الموهومة يوم القيامة، ولن يجدوا نصيرا، والله -جل جلاله- قال: [illegible] يعني: كل ما ظنوه سببا نافعا ينفعهم عند الله، فإنه سينقطع يوم القيامة [illegible] .

باب

قول الله تعالى:

إِنَّمَا ذَلِكُمُ الشَّيْطَانُ يُخَوِّفُ أَوْلِيَاءَهُ فَلَا تَخَافُوهُمْ وَخَافُونِ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ

بــاب قــول الله تعــالى: [illegible] .

وقوله: [illegible] .

وقوله: [illegible] .

وعن أبي سعيد [illegible] مرفوعا: [illegible] إن من ضــعف اليقين أن ترضي الناس بسخط اللــه، وأن تحمــدهم على رزق اللــه، وأن تــذمهم على ما لم يؤتك الله إن رزق الله لا يجــره حــرص حــريص ولا يرده كراهية كاره [illegible] .

وعن عائشة -رضي الله عنهــا- أن رســول الله [illegible] قــال: [illegible] من التمس رضا الله بســخط النــاس، [illegible] وأرضى عنه النــاس، ومن التمس رضا النــاس بســخط اللــه، ســخط الله عليــه، وأســخط عليه الناس [illegible] رواه ابن حبان في صحيحه.

باب قول الله تعـالى: [illegible] ؛ هذا الباب في بيان عبادة الخوف ومناسبته لكتــاب التوحيد ظــاهرة، وهي أن خــوف العبد من الله -جل وعلا- عبــادة من العبــادات الــتي أوجبها الله -جل وعلا- الخــوف والمحبة والرجــاء عبــادات قلبية واجبــة، وتكميلها تكميل للتوحيــد، والنقص فيها نقص في

كمال التوحيد، والخـوف من غـير الله -جل وعلا- ينقسم إلى ما هو شـرك، وإلى ما هو محـرم، وإلى ما هو مبـاح، فهـذه ثلاثة أقسام:

القسم الأول: الخوف الشركي وهو خـوف السر يعـني: أن يخـاف في داخله من هـذا المخـوف منـه، وخوفه لأجل ما عند هـذا المخــوف منه مما يرجــوه أو يخافه من أن يمسه ســرا بشــرك، أو أنه يملك له في آخرته ضــرا أو نفعــا، فــالخوف الشركي متعلق في الدنيا بالخوف السري بأن يخاف أن يصـيبه ذلك الإله بشر .

وذلك شـرك، وربما يـأتي تفصـيله والخـوف المتعلق بـالآخرة خـاف غـير اللـه، وتعلق خوفه بغـير اللـه؛ لأجل ذلك لأجل أنه يخــاف ألا ينفعه ذلك الإله في الآخــرة، فلأجل رغبة أن ينفعه ذلك الإله في الآخرة وأن يشفع له، وأن يقربه منه في الآخرة، وأن يبعد عنه العذاب في الآخرة خـاف منـه، فـأنزل خوفه بـه، فـالخوف من العبـادات العظيمة الـتي يجب أن يفـرد الله -جل وعلا- بها، وسيأتي مزيد تفصيل لذلك.

والخـوف المحـرم وهو القسم الثــاني أن يخــاف من مخلوق لامتثال واجب أو البعد عن المحـرم مما أوجبه اللـه، أو حرمه يخاف من مخلوق في أداء فرض من فرائض الله يخـاف من مخلـوق في أداء واجب من الواجبـات، لا يصـلي خوفا من مخلــوق، لا يحضر الجماعة خوفا من ذم المخلــوق لـــه، أو

استنقاصه له، هذا محرم، قال بعض العلماء: وهو نوع من أنواع الشرك يترك الأمر والنهي الواجب بشرطه خوفا من ذم الناس أو من ترك مدحهم له، أو من وصفهم له بأشياء، هذا خوف رجع على الخائف بترك أمر الله هذا محرم. لأن الوسيلة إلى المحرم محرمة .

النوع الثالث: الخوف الطبيعي المأذون به هذا أمر طبيعي كخوف من عدو أو خوف من سبع أو خوف من نار خوف من مؤذي ومهلك ونحو ذلك، قال: باب قول الله تعالى: [illegible] .

وجه الاستدلال من هذه الآية إنه قال: "فلا تخافوهم" وهذا نهي والنهي للتحريم، ونهى عن إنزال عبادة الخوف بغيره، فهذا يدل على أنه نهي عن أحد أفراد الشرك، قال: [illegible] وأمر بالخوف، فدل على أن الخوف عبادة من العبادات، وتوحيد الله بهذه العبادة توحيد وإشراك غير الله معه في هذه العبادة شرك؛ ولهذا قال [illegible] و الخوف من الخلق كما ذكرنا في ترك فريضة الجهاد إنما يكون من جراء الشيطان، فالشيطان هو الذي يخوف المؤمنين من أوليائه، ويخوف أهل التوحيد وأهل الإيمان من أعداء الله -جل وعلا- لكي يتركوا الفريضة؛ فلهذا صار ذلك الخوف محرما، يعني:

الخوف من الأعداء الذي يـترتب عليه تـرك فريضة من فـرائض الله من الجهاد وغيره .

والـواجب ألا يخـاف العبد إلا ربه -جل وعلا- وأن يـنزل خوفه به، وألا يخاف أولياء الشـيطان، وقوله -جل وعلا- هنـا: [illegible] معناها على الصـحيح من التفسير، أو على الـراجح، يخـوفكم أوليائـه، يعـني: يخـوف أهل الإيمـان أوليـاء الشـيطان، ففاعل يخـوف محـذوف دل عليه السياق، يخوف النـاس، الفاعل هو الشـيطان يخـوف الشـيطان النـاس أوليـاءه، أوليـاء الشـيطان يعـني: يجعل الشـيطان أهل التوحيد في خوف من أعدائهم؛ لهذا قال السلف في تفسيرها: [illegible] يعني: يخوفكم أولياءه .

وهذا ظاهر من الآيات قبلها، كقوله: [illegible] قال الشيخ -رحمه الله-: وقوله: [illegible] وجه الدلالة من الآية قوله: [illegible] وهذا نهي واستثناء، ومر معنا أن مجيء أداة الاسـتثناء بعد النفي يـدل على الحصر والقصـر، فـإذن الآية دالة بظهـور على أن الخشـية يجب أن تكـون في الله، وأن الله أثنى على أولئك بـأنهم جعلـوا خشـيتهم في الله وحده، دون ما سواه، والخشية أخص من الخوف .

قال: وقوله: [illegible] جعل فتنة الناس كعذاب الله بأن خاف منها، فترك ما أوجب الله عليه، أو أقدم على ما حرم الله عليه خشية من كلام الناس .

قال: عن أبي سعيد مرفوعا: إن من ضعف اليقين أن ترضي الناس بسخط الله، وأن تحمدهم على رزق الله، وأن تذمهم على ما لم يؤتك الله، إن رزق الله لا يجره حرص حريص ولا يرده كراهية كاره .

وجه الاستدلال من هذا الحديث: قوله: إن من ضعف اليقين أن ترضي الناس بسخط الله من ضعف اليقين يعني: من أسباب ضعف الإيمان، والذي يضعف الإيمان المحرمات، لأن الإيمان يزيد بالطاعة وينقص بالمعصية، فدل على أن إرضاء الناس في سخط الله معصية وذنب ومحرم؛ لأن هذا الذي أرضى الناس بسخط الله خافهم أو رجاهم، وهذا مناسبة إيراد الحديث بالباب .

قال: وعن عائشة -رضي الله عنها- أن رسول الله قال: من التمس رضا الله بسخط الناس وأرضى عنه الناس، ومن التمس رضا الناس بسخط الله سخط الله عليه وأسخط عليه الناس رواه ابن حبان في صحيحه .

هذا الجزاء الذي أفرد الله بعبادة الخوف هو جزاء الذي لم يكمل التوحيد بعبادة الخوف، فالذي التمس رضا الله في

سخط الناس، هذا عظم الله وخافه، ولم يجعل فتنة الناس كعذاب الله، بل جعل عذاب الله -جل وعلا- أعظم وخاف الله وخشيه، وطمع فيما عنده، فلم يلتفت إلى الناس، ولم يرفع بهم رأسا، قال: ومن التمس رضا الناس بسخط الله سخط الله عليه، وأسخط عليه الناس لأنه ارتكب ذنبا أن خاف الناس، وجعل خوفه من الناس سببا لعمل المحرم أو ترك فريضة من فرائض الله؛ لهذا قال: من التمس رضا الناس بسخط الله فكان جزاءه أن سخط الله عليه وأسخط عليه الناس.

ونقف عند هذا، وأسأل الله -جل وعلا- لي ولكم التوفيق والسداد، وأن يثيبكم على طول المقام والجلوس، وهي أيام قليلة لكن تكتسبون فيها -إن شاء الله- ما تقصرون به مدة القراءة في أشهر طويلة فيما لو فرقت هذه الدروس، وجعلت في دروس كل أسبوع أو كل أسبوع درس أو درسين أو ثلاثة، ربما لم تختم كتاب التوحيد إلا بعد زمن طويل.

فهذه المدة أيام قليلة أربعة أو خمسة، فتابعوا واصبروا وجزاكم الله خيرا ونفعكم بما علمتم، وزادكم علما وعملا، والله ولي التوفيق .

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وعلى آله وصحبه ومن اهتدى بهداه، اللهم إنا نسألك علما نافعا وعملا

صالحا، اللهم نور قلوبنا بطاعتك، وألهمنا ذكرك، واجعلنا من الشاكرين لنعمك المتبعين لشرعك، يا أرحم الراحمين.

أما بعد: فهذا باب قول الله تعالى: [illegible] وهذا الباب عقده الإمام المصلح المجدد الشيخ محمد بن عبد الوهاب -رحمه الله- في هذا الكتاب العظيم كتاب التوحيد عقده لبيان أن التوكل على الله فريضة من الفرائض وواجب من الواجبات، وأن إفراد الله -جل وعلا- به توحيد، وأن التوكل على غير الله شرك مخرج من الملة، والتوكل على الله شرط في صحة الإسلام، وشرط في صحة الإيمان، فالتوكل عبادة عظيمة، فعقد هذا الباب لبيان هذه العبادة .

وحقيقة التوكل على الله جل جلاله أن العبد يعلم أن هذا الملكوت إنما هو بيد الله -جل وعلا- يصرفه كيف يشاء، فيفوض الأمر إليه، ويلتجئ بقلبه في تحقيق مطلوبه وفي الهرب مما يسوءه، يلتجئ في ذلك ويعتصم بالله جل جلاله وحده، وينزل حاجته بالله، ويفوض أمره إلى الله، ثم يعمل السبب الذي أمر الله به، فحقيقة التوكل في الشرع تجمع تفويض الأمر إلى الله -جل وعلا- وفعل الأسباب، بل إن نفس الإيمان سبب من الأسباب التي يفعلها المتوكلون على الله، بل إن نفس التوكل على الله -جل وعلا- سبب من الأسباب، فالتوكل حقيقته في الشرع تجمع عبادة قلبية عظيمة، وهي

تفويض الأمر إليه والالتجاء إليه والعلم بأنه لا أمر إلا أمـره، ولا شيء إلا بما قدره وعلم به . كونه ثم فعل السبب الذي أوجب الله -جل وعلا- فعله أو أمر بفعله، فـترك فعل الأسـباب ينـافي حقيقة التوكل الشـرعية كما أن الاعتمـاد على السـبب وتـرك تفويض الأمر إلى الله -جل وعلا- ينافي حقيقة التوكل الشرعية .

فالمتوكل في الشرع هو من عمل السبب وفـوض الأمر إلى الله -جل وعلا- في الانتفاع بالسـبب وفي حـدوث المسـبب من ذلك السبب، وفي توفيق الله وإعانته، فإنه لا حول ولا قـوة إلا به -جل وعلا- .

والتوكل كما قـال الإمـام أحمـد: عمل القلب فالتوكل عبـادة قلبية محضـة؛ ولهـذا صـار إفـراد الله تعـالى بها واجبـا، وصـار صرفها لغير الله -جل وعلا- شركا .

والتوكل على غير الله -جل وعلا- له حالان:

الحالة الأولى: أن يكـون شـركا أكـبر، وهو أن يتوكل على أحد من الخلق فيما لا يقـــدر عليه إلا الله جل جلالـــه، يتوكل على المخلـوق في مغفـرة الـذنب، يتوكل على المخلـوق في تحصيل الخيرات الأخروية، أو يتوكل على المخلوق في تحصـين ولد له أو في تحصـيل وظيفة لــه، يتوكل عليه بقلبــه، وهو لا يقـدر على ذلك الشـيء، وهـذا يكـثر عند عبـاد القبـور وعبـاد الأولياء، فـإنهم يتوجهـون إلى المـوتى بقلـوبهم يتوكلـون عليهم،

بمعنى يفوضون أمر صلاحهم فيما يريدون في الدنيا والآخرة على أولئك الموتى وعلى تلك الآلهة والأوثان التي لا تقدر من ذلك على شيء، فهذا عبادة صرفت لغير الله -جل وعلا- وهو شرك أكبر بالله -جل وعلا- مناف لأصل التوحيد.

والنوع الثاني: أن يتوكل على المخلوق فيما أقدره الله -جل وعلا- عليه، يتوكل على مخلوق فيما أقدره الله عليه، وهذا نوع شرك، بل هو شرك خفي وشرك أصغر؛ ولذا قال طائفة من أهل العلم: إذا قال: توكلت على الله وعليك، فإن هذا شرك أصغر؛ ولهذا قالوا: لا يجوز أن يقول: توكلت على الله ثم عليك؛ لأن المخلوق ليس له نصيب من التوكل؛ فإن التوكل إنما هو تفويض الأمر والالتجاء بالقلب إلى من بيده الأمر، وهو الله -جل وعلا-، والمخلوق لا يستحق شيئا من ذلك، فإذن التوكل على المخلوق فيما يقدر عليه هذا شرك خفي ونوع شرك أصغر، والتوكل على المخلوق فيما لا يقدر عليه المخلوق، وهذا يكثر عند عباد القبور والمتوجهون إلى الأولياء والموتى، هذا شرك مخرج من الملة، وحقيقة التوكل الذي ذكرناه لا يصلح إلا لله -جل وعلا- ؛ لأنه تفويض الأمر إلى من بيده الأمر.

والمخلوق ليس بيده الأمر التجاء القلب وطمع القلب ورغب القلب في تحصيل المطلوب إنما يكون ذلك ممن يملكه، وهو الله -جل وعلا-، أما المخلوق فلا يقدر على شيء استقلالا،

وإنما هو سبب فإذا كان سببا، فإنه لا يجوز التوكل عليه؛ لأن التوكل عمل القلب، وإنما يجعله سببا بأن يجعله شفيعا، يجعله الواسطة ونحو ذلك، فهذا لا يعني: أنه متوكل عليه، فيجعل المخلوق سببا فيما أقدره الله عليه، ولكن يفوض أمر النفع بهذا السبب إلى الله -جل وعلا-، فيتوكل على الله، ويأتي بالسبب الذي هو الانتفاع من هذا المخلوق لما جعل الله -جل وعلا- له من الانتفاع أو من القدرة ونحو ذلك.

قال الإمام -رحمه الله- باب قول الله تعالى: هذه الآية فيها الأمر بالتوكل، ولما أمر به علمنا أنه من العبادة، ولما قدم الجار والمجرور في قوله: قدمه على ما يتعلق به وهو الفعل: توكلوا، دل على وجوب إفراد الله -جل وعلا- بالتوكل، وأن توكل العبادة يحب أن تحصر وتقصر في الله -جل وعلا-.

هذا وجه الدلالة من الآية، ودليل آخر في هذه الآية، وهو قوله: جعل الإيمان لا يصح إلا بالتوكل، قال: يعني: أفردوا الله بالتوكل وحده إن كنتم مؤمنين، فجعل الشرط إن كنتم مؤمنين، فأفردوا الله بالتوكل، جزاء الشرط هو إفراد الله بالتوكل، فصارت دلالة الآية من جهتين، وكذلك قوله -جل وعلا- في آية سورة يونس:

قال: أفرد التوكل به -جل وعلا-، وأمر به،

وقدم الجار والمجرور بما يفيد الحصر والقصر والاختصاص بالله -جل وعلا- بما جعل إفراد التوكل به -جل وعلا- شرط في صحة الإسلام، فقال: [illegible] فهاتان الآيتان دلتا على أن التوكل عبادة، وأن إفراد الله به -جل وعلا- واجب، وأنه شرط في صحة الإسلام، وشرط في صحة الإيمان، وهذا كله يدل على أن انتفائه مذهب لأصل التوحيد، ومناف لأصله إذا توكل على غير الله في ما لا يقدر عليه إلا الله -جل جلاله- قال: وقوله: [illegible] .

وجه الدلالة من الآية أنه وصف المؤمنين بهذه الصفات الخمس وآخرها قوله: [illegible] وظاهر من دلالة الآية حيث قدم الجار والمجرور على أنهم أفردوا التوكل في الله -جل وعلا- فوصف المؤمنين بهذه الصفات، فدل على أن هذه هي أعظم مقامات أهل الإيمان، وأن هذه العبادات الخمس هي أعظم المقامات، وهذا عظيم التنبه له في كل أمور الدين والعبادات، والفروع العملية التي يعملها العبد إنما هي فرع عن تحقيق هذه الخمس التي جاءت في هذه الآية: [illegible] .

وهذه الصفة تجمع الكلمات الشرعية، وتجمع الدين جميعا؛ لأن ذكر الله فيه القرآن وفيه السنة.

قال: وقوله: [illegible] قوله: [illegible] يعني: كافيك الله وكافي من اتبعك من المؤمنين؛ لأن الحسب هو الكافي والكلمة المشابهة لها: حَسَب، تقول: هذا بحسب كذا يعني: بناء على كذا.

وأما الكافي فهو الحسْب بسكون السين، [illegible] يعني: كافيك الله وكافي من اتبعك من المؤمنين.

وجه مناسبة هذه الآية لهذا الباب أن الله حسب من توكل عليه، قال -جل وعلا- [illegible] فالله حسب من توكل عليه، فدل على أن الله -جل وعلا- أمر عباده بالتوكل عليه حتى يكون كافيهم من أعدائهم، وحتى يكون -جل وعلا- كافي المؤمنين من المشركين، قال -جل وعلا-: [illegible] يعني: كافيك الله؛ ولهذا أعقبها بالآية الأخرى وهي قوله -جل وعلا-: [illegible] والتوكل على الله -جل وعلا- كما ذكرنا لك يرجع إلى فهم توحيد الربوبية، وإلى عظم الإيمان بتوحيد الربوبية، فإن بعض المشركين قد يكون عنده من التوكل على الله الشيء العظيم .

والتوكل على الله من العبادات التي تطلب من المؤمن، ومن العبادات الواجبة والعبادات العظيمة؛ لهذا نقول: إن إحداث التوكل في القلب يرجع إلى التأمل في آثار الربوبية، فكلما كان العبد أكثر تأملا في ملكوت الله، وفي السماوات والأرض وفي الأنفس وفي الآفاق كان علمه بأن الله هو ذو الملكوت، وأنه هو المتصرف، وأن نصره لعبده شيء يسير جدا بالنسبة إلى ما يجريه الله -جل وعلا- في ملكوته، فيعظم المؤمن بهذا التدبر الله -جل وعلا- ويعظم التوكل عليه، ويعظم أمره ونهيه، وينظر أن الله -جل جلاله- لا يعجزه شيء في الأرض ولا في السماء، سبحانه وتعالى .

قال: [illegible] رتب الحسب وهو الكفاية بالتوكل عليه، وهذا فضيلة التوكل وفضيلة المتوكلين عليه .

قال: وعن ابن عباس قال: [illegible] قالها إبراهيم -عليه السلام- حين ألقي في النار، وقالها محمد [illegible] حين قالوا له: [illegible] هذا يبين عظم هذه الكلمة، وهي قول المؤمن: [illegible] فإذا تحقق العبد التوكل على الله وحققه في القلب معناه أنه حقق هذا النوع من التوحيد توحيد التوكل في النفس، فإن العبد إذا أعظم رجاءه في الله وتوكله على الله،

فإنه وإن كادته السماوات والأرض ومن فيهن، فإن الله سيجعل له من أمره يسرا، وسيجعل الله من بينها مخرجا، "حسبنا الله" يعني: كافينا الله، "ونعم الوكيل" يعني: ونعم الوكيل ربنا هذه كلمة عظيمة، قالها إبراهيم -عليه السلام- في الكرب، وقالها النبي -عليه الصلاة والسلام- وأصحابه في الكرب لما [illegible] .

وذلك لعظم توكلهم على الرب -جل وعلا- نعم.

باب

قول الله تعالى:

أَفَأَمِنُوا مَكْرَ اللَّهِ فَلَا يَأْمَنُ مَكْرَ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْخَاسِرُونَ

باب قول الله تعالى: [illegible] .

وقوله: [illegible] .

وعن ابن عباس -رضي الله عنهما- [illegible] أن رسول الله [illegible] سئل عن الكبائر، فقال: الشرك بالله، واليأس من روح الله، والأمن من مكر الله [illegible] .

وعن ابن مسعود [illegible] قال: [illegible] أكبر الكبائر الإشراك بالله، والأمن من مكر الله، والقنوط من رحمة الله، واليـأس من روح الله [illegible] رواه عبد الرزاق.

هذا باب قول الله تعالى: [illegible] .

وقوله: [illegible] .

بـاب قـول الله تعـالى: الآية الأولى والآية الثانية جميع البـاب منعقد للآيـتين جميعا لاتصـالهما، والمـراد بهـذا البـاب بيـان أن الجمع بين الخوف والرجاء واجب من واجبـات الإيمـان، ولا يتم التوحيد إلا بذلك، فانتفاء الجمع بين الأمن والرجاء انتفـاء الجمع بين الخوف والرجاء هذا مناف لكمال التوحيد .

فـالواجب على العبد أن يجعل خوفه مع الرجــاء، وأن يجعل رجـاءه مع الخــوف، وألا يـأمن المكـر، كما لا يقنط من رحمة الله -جل وعلا-، فالآية الأولى وهي قـــــول الله تعـــــالى: [illegible] فيها أن المشركين من صـفاتهم أنهم أمنـوا عقـاب اللـه، فلم يخافوا .

والـواجب بالمقابل أن تكـون قلـوبهم خائفة وجلة من الله -جل وعلا- قال سبحانه: [illegible] يعني: أيعلمون تلك المثلات وفعل الله -جل وعلا- بـالأمم السـابقة الـتي قصـها الله في سـورة الأعـراف، فـأمنوا مكر اللـه، فـإذا كـان كـذلك،

وحصل منهم الأمن مع وجود النـذر فيما حـولهم، وأن الله قص عليهم القصص والأنباء، قال: [illegible] والأمن من مكر الله هو ناتج عن عدم الخوف وترك عبادة الخوف، وعبادة الخوف قلبية، الخوف خوف العبادة من الله -جل جلالـه- وهـذا الخـوف إذا كـان في القلب، فـإن العبد سيسعى في مرام الله، ويبتعد عما نهى الله، ويعظم الله -جل وعلا- ويتقـرب إليه بـالخوف؛ لأن الخـوف عبـادة، ويكـون عبـادة بمعـان، ومنها أن يتقـرب إلى الله -جل وعلا- بـالخوف، وأن يتقرب إلى الله -جل وعلا- بعدم الأمن من مكر الله.

فـذلك أن الله هو ذو الجـبروت، فعـدم الأمن من مكر الله راجع إلى فهم صفات الله -جل وعلا- وأسمائه التي منها القهار والجبار، وهو الـذي يجـير، ولا يجـار عليه ونحو ذلك من صـفات الربوبيـة، ومكر الله -جل وعلا- من صـفاته الـتي تطلق مقيـدة، فالله -جل وعلا- يمكر بمن مكر بأوليائه وأنبيائه وبمن مكر بدينه؛ لأنها في الأصل صـفة نقص، لكن تكـون صـفة كمـال إذا كـانت للمقابلـة؛ لأنها فيها حينئذ إظهـار العـزة والقـدرة والقهر والجبروت وسائر صفات الجلال.

فمكر الله -جل وعلا- من صفاته التي يتصف بها، لكن يكـون ذلك على وجه التقييد، نقـول يمكر بأعـداء رسـله يمكر بأعدائه يمكر بمن مكر به ونحو ذلك، وحقيقة مكر الله -جل وعلا-.

ومعنى هذه الصفة أنه -جل وعلا- يستدرج للعبد، و يملي له حتى إذا أخذه لم يفلته ييسر له الأمور حتى يظن أنه في مأمن غاية المأمن، فيكون ذلك استدراجا في حقه، كما قال النبي -عليه الصلاة والسلام-: ﴿ إذا رأيتم الله يعطي العبد وهو مقيم على معاصيه، فاعلموا أن ذلك استدراج ﴾ وهذا ظاهر من معنى المكر؛ لأن في معنى المكر والكيد وأمثالهما معنى الاستدراج، لا ترادف في اللغة، بل هناك فروق بين المكر والاستدراج، والكيد والاستدراج، ونحو ذلك، لكن نقول هذا من جهة التقريب، فالمكر فيه استدراج، وفيه زيادة أيضا على الاستدراج حتى يكون قلب ذلك المستدرج آمنا من كل جهة.

قال: وقوله: ﴿ [illegible] ﴾ هذا فيه أن صفة الضالين أنهم يقنطون من رحمة الله -جل وعلا-.

ومعنى ذلك المفهوم أن صفة المتقين كصفة المهتدين أنهم لا يقنطون من رحمة الله، بل يرجون رحمة الله -جل وعلا-، والجمع بين الخوف والرجاء واجب شرعا، فإن الخوف عبادة والرجاء عبادة، واجتماعهما في القلب واجب، فلا بد أن يكون هذا وهذا جميعا في القلب حتى تصح العبادة، ومن هنا اختلف العلماء: أي الخوف والرجاء يغلب في القلب، هل يغلب العبد جانب الرجاء أو يغلب جانب الخوف؟ .

والتحقيق أن الحال تختلف، فإذا كان العبد في حـال الصـحة والسلامة، فإنه إما أن يكون مسددا مسارعا في الخيرات، فهذا يتسـاوى، يعـني: يجب أن يتسـاوى في قلبه الخـوف والرجـاء، يخاف ويرجو؛ لأنه من المسارعين في الخـيرات، وإذا كـان في حـال الصـحة والسـلامة وعـدم دنو المـوت من أهل العصـيان، فـــالواجب عليه أن يغلب جـــانب الخـــوف حـــتى ينكف عن المعصية، وأما إذا كانت في حال المـرض، وهي الحـال الثانيـة، فإنه مـرض المخـوف، فإنه يجب عليه أن يعظم جـانب الرجـاء على الخـوف، فيكـون في قلبه الرجـاء والخـوف، ولكن يكـون رجـــاؤه أعظم من خوفـــه؛ وذلك لقـــول النـــبي -عليه الصـــلاة والسلام-: لا يمت أحدكم إلا وهو يحسن الظن بربه تعالى .

وذلك من جهة رجائه في الله -جل جلاله- .

ومن هنا اختلفت كلمات أهل العلم، فتجد أن بعضهم يقــول: يجب أن يتسـاوى الخـوف والرجـاء، وبعض السـلف قـال: يغلب جـانب الخـوف على جـانب الرجـاء وبعض السـلف قـال: يغلب جانب الرجـاء على جـانب الخـوف، وهي أقـوال متباينة ظـاهرا، لكنها متفقة في الحقيقـــة؛ لأن كل قـــول منها يرجع إلى حالة مما ذكرنا .

فمن قـال: يغلب جـانب الخـوف على الرجـاء، فهو في حق الصحيح العاصي، ومن قـال: يغلب جـانب الرجـاء على الخـوف، فهو في حق المريض الذي يخاف الهلاك أو من يخاف المـوت،

ومن قــال: يســاوي بين الخــوف والرجــاء، فنظر إلى حــال المسددين المسارعين في الخيرات، وهذه الحال التي هي حال المسددين هي التي وصف الله -جل وعلا- أهلها بقوله: [illegible] ونحوه قوله -جل وعلا- في سورة الإسراء: [illegible] وهذا ظاهر من ذلك، فالشيخ -رحمه الله- عقد هذا الباب لبيان وجـوب أن يجتمع الخـوف والرجـاء في القلب، كما ذكرنا لكم بــالأمس، هــذه أبــواب متتالية لبيــان حــالات القلب والعبادات القلبية وأحكام ذلك .

قـال: عن ابن عبـاس -رضي الله عنهمـا- أن رسـول الله سئل عن الكبـائر فقـال: الشـرك باللـه، واليـأس من روح اللـه، والأمن من مكر الله .

وجه الشــاهد من ذلك أنه جعل اليــأس من روح اللــه، وهو عـدم الرجـاء، وهـذا الرجـاء من القلب، وعـدم أو تـرك الإتيـان بعبادة الرجاء جعله من الكبـائر، وجعل الأمن من مكر الله وهو ذهاب الخوف من الله -جل وعلا- من القلب جعله من الكبــائر، فعدم الرجاء في الله من الكبائر، وعـدم الخـوف من الله -جل وعلا- من الكبائر، وهي كبـائر في القلب كبـائر من جهة أعمـال القلوب واجتنابهما جميعا يعني: لا يكـون عنـده رجـاء ولا خـوف

هذه كبـيرة أعظم من كبـيرة تـرك الخـوف وحـده من اللـه، أو كبيرة ترك الرجاء وحده من الله -جل وعلا-؛ ولهذا قـرن بينهما في هذا الحديث حيث قال: سـئل عن الكبـائر: فقـال: الشـرك بالله واليأس من روح الله والأمن من مكر الله .

وبهـذا يتـبين لك الفـرق بين اليـأس والأمن، اليـأس من روح الله أو القنـــــوط من رحمة الله والأمن من مكر الله من أن اليأس راجع إلى ترك عبادة الرجـاء، والأمن من مكر الله راجع إلى تــرك عبــادة الخــوف، واجتماعهما واجب من الواجبــات، وذهابهما أو الانتقاص منهما نقص في كمال توحيد من قام ذلك بقلبه.

قـال: وعن ابن مسـعود قـال: "أكـبر الكبـائر الإشـراك بالله والأمن من مكر الله والقنوط من رحمة الله، واليـأس من روح الله" .

فيها ما في الحــديث قبلــه، لكن هنا فصل في القنــوط من رحمة الله، واليأس من روح الله، فجعل القنوط من رحمة الله شيئا، وجعل اليأس من روح الله شيئا آخر .

وهـذا باعتبـار بعض الصـفات، لا باعتبـار أصل المعـنى، فـإن القنـوط من الرحمة واليـأس من الـروح في معـنى واحـد، لكن يختلفـان من حيث ما يتناوله هـذا، ويتناوله هـذا، فـالقنوط من رحمة الله عـام؛ لأن الرحمة أعم من الـروح، والرحمة تشـمل جلب النعم ودفع النقم، وروح الله -جل وعلا- يطلق في الغالب

في الخلاص من المصائب، فقوله القنوط من رحمة الله هذا عام؛ ولهذا قدمه؛ فيكون ما بعده من عطف الخاص على العام، أو أن يكون هناك ترادف في أصل المعنى واختلاف في الصفات أو بعض ما يتعلق بالوقت، بهذا نقول: هذا الحديث مع الحديث قبله مع الآيتين دلالتهما على ما أراد الشيخ من عقد هذا الباب واحدة، ودلالة الجميع أن الخوف والرجاء واجب، اجتماعهما في القلب وإفراد الله -جل وعلا- بهما، والمقصود خوف العبادة ورجاء العبادة.

باب

قول الله تعالى:

وَمَنْ يُؤْمِنْ بِاللَّهِ يَهْدِ قَلْبَهُ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ

باب قول الله تعالى: [illegible] .

باب من الإيمان بالله الصبر على أقدار الله وقوله تعالى: [illegible] .

قال علقمة: هو الرجل تصيبه المصيبة فيعلم أنها من عند الله فيرضى ويسلم وفي صحيح مسلم عن أبي هريرة [illegible] أن رسول الله [illegible] قال: [illegible] اثنتان في الناس هما بهم كفر: الطعن في النسب والنياحة على الميت [illegible] .

ولهما عن ابن مسعود مرفوعا: ليس منا من ضرب الخدود، وشق الجيوب ، ودعا بدعوى الجاهلية وعن أنس أن رسول الله قــال: إذا أراد الله بعبــده الخــير عجل له العقوبة في الدنيا ، وإذا أراد بعبـده الشر أمسك عنه بذنبه حـتى يـوافى به يوم القيامة .

وقـال   إن عظم الجـزاء مع عظم البلاء، وإن الله تعـالى إذا أحب قوما ابتلاهم ، فمن رضي فله الرضا، ومن سخط فله السخط حسنه الترمذي.

باب من الإيمـان بالله الصـبر على أقـدار الله الصـبر من المقامات العظيمة والعبادات الجليلة التي تكـون في القلب وفي اللسان وفي الجوارح، وحقيقة العبودية لا تثبت إلا بالصبر؛ لأن العبــادة أمر ونهي وابتلاء، العبــادة أمر شــرعي، أو نهي شرعي، هذا الـدين أمر شـرعي أو نهي شـرعي، أو أن يصـيب الله العبد بمصــيبة قدريــة، فحقيقة العبــادة أن يمتثل الأمر الشرعي، وأن يجتنب النهي الشرعي، وأن يصبر على المصائب القدرية الــتي ابتلى الله -جل وعلا- العبــاد بهــا؛ ولهــذا الابتلاء حاصل بالــدين، وحاصل بالأقـدار، فبالـدين كما قـال -جل وعلا- لنبيه في الحديث القدسي الـذي رواه مسـلم عن عيـاض بن حمـار قـال: قـال رسـول الله   قـال الله تعـالى: إنما بعثتك لأبتليك وأبتلي بك .

فحقيقة بعثه -عليه الصلاة والسلام- الابتلاء، والابتلاء يجب معه الصبر، والابتلاء الحاصل ببعثته بالأوامر والنواهي، فإذن الواجبات تحتاج إلى صبر، والمنهيات تحتاج إلى صبر، والأقدار الكونية تحتاج إلى صبر؛ ولهذا قال طائفة من أهل العلم: إن الصبر ثلاثة أقسام: صبر على الطاعة، وصبر عن المعصية، وصبر على أقدار الله المؤلمة، ولما كان الصبر على المصائب قليلا، ويظهر عدم الصبر عقد الشيخ -رحمه الله- تعالى هذا الباب لبيان أنه من كمال التوحيد، ومن الواجب على العبد أن يصبر على أقدار الله؛ لأن التسخط تسخط العباد وعدم صبرهم، كثيرا ما يظهر في حال الابتلاء بالمصائب، فعقد هذا الباب لبيان أن الصبر واجب على أقدار الله المؤلمة، ونبه بذلك على أن الصبر على الطاعة واجب، وأن الصبر عن المعصية واجب .

وحقيقة الصبر الحبس في اللغة، ومنه قولهم: قد قتل فلان صبرا، إذا حبس أو ربط أو فقتل من دون مبارزة ولا قتال، ويقال للصبر الشرعي: إنه صبر؛ لأن فيه حبسا، حبس اللسان؛ لأن فيه الحبس، وهو حبس اللسان عن التشكي وحبس القلب عن السخط وحبس الجوارح عن إظهار السخط من لطم الخدود وشق الجيوب ونحو ذلك، فحبس هذه الأشياء هو حقيقة الصبر، فالصبر إذن حبس اللسان عن التشكي وحبس القلب عن التسخط، وحبس الجوارح عن إظهار السخط بشق أو نحو ذلك .

قال الإمام أحمد -رحمه الله-: ذكر الصبر في القرآن في أكثر من تسعين موضعا، والصبر من الإيمان بمنزلة الرأس من الجسد؛ لأن من لا صبر له على الطاعة، ولا صبر له عن المعصية ولا صبر له على القدر على أقدار الله المؤلمة، فإنه يفوته أكثر الإيمان .

قال: باب من الإيمان بالله يعني: من خصال الإيمان بالله الصبر على أقدار الله .

جزى الله فضيلة الشيخ خير الجزاء، ونفعنا وإياكم بما سمعنا.

قال: باب من الإيمان بالله يعني: من خصال الإيمان بالله الصبر على أقدار الله، والإيمان له شعب، كما أن الكفر له شعب، فنبه بقوله: "من الإيمان بالله الصبر" على أن من شعب الإيمان الصبر، ونبه في الحديث الذي ساقه عن صحيح مسلم أن النياحة من شعب الكفر، فيقابل كل شعبة من شعب الكفر شعبة من شعب الإيمان، فالنياحة على الميت شعبة من شعب الكفر، يقابلها في شعب الإيمان الصبر على أقدار الله المؤلمة.

قال: وقول الله -تعالى-: □ □ □□□□□□□□□ □□□□□□ □□□□□□ □□□□□□□□□ □□□□□ □

قال علقمة: هو الرجل تصيبه المصيبة، فيعلم أنها من عند الله فيرضى، ويسلم، هذا تفسير من؟ علقمة أحد التابعين عن لهذه الآية، فهو تفسير ظاهر الصحة والصواب؛ وذلك أن قوله: □

[illegible] إنما سيق في سياق ذكر ابتلاء الله بالمصائب، "فمن يؤمن بالله" يعني: يعظم الله -جل وعلا - ويمتثل أمره، ويجتنب نهيه، يهدي قلبه للصبر، يهدي قلبه لعدم التسخط، يهدي قلبه للعبادات؛ ولهذا قال: الرجل تصيبه المصيبة، فيعلم أنها من عند الله. وهذا هو الإيمان بالله، فيرضى، ويسلم.

والمصائب من القدر، والقدر راجع إلى حكمة الله -جل وعلا - والحكمة حكمة الله -جل وعلا - هي وضع الأمور في مواضعها الموافقة للغايات المحمودة منها، فالحكمة بعامة مرتبطة بالغايات المحمودة، من وضع الأمر في موضعه، فمن وضع الأمر في غير موضعه فقد ظلم، ومن وضع الأمر في موضعه عدل، وقد يكون غير حكيم، عادل ولكن غير حكيم، فإذا وضع الأمر في موضعه الموافق للغاية المحمودة منه، فذاك هو الحكيم والله -جل وعلا - منفي عنه الظلم، ومثبت له كمال العدل -سبحانه- حيث يضع الأمور مواضعها، ومثبت له -جل وعلا - كمال الحكمة حيث إن وضعه الأمور في مواضعها موافق للغايات المحمودة منها.

فنعلم بذلك أن المصيبة إذا أصابت العبد، فإن الخير له فيها: إما أن يصبر، فيؤجر وإما أن يتسخط فيؤزر على ذلك، فهذا في حق الخاسرين، فالله -جل وعلا - له الحكمة من الابتلاء بالمصائب؛ لهذا يجب على العبد أن يعلم أن ما جاء من عند

الله هو قدر الله -جل وعلا - وقضاؤه الموافق لحكمته، فيجب الصبر على ذلك، قال: يعلم أنها من عند الله، يعني: أن الله هو الذي أتى بها، وهو الذي أذن بها قدرا وكونا، فيرضى، ويسلم.

والرضى بالمصيبة مستحب، وليس بواجب؛ ولهذا يختلط على كثيرين الفرق بين الرضا والصبر، وتحرير المقام في ذلك أن الصبر على المصائب واجب من الواجبات؛ لأن فيه ترك التسخط على قضاء الله وقدره.

والرضا هذا له جهتان: الجهة الأولى راجعة إلى فعل الله -جل وعلا - فيرضى بقدر الله الذي هو فعله، يرضى بفعل الله، يرضى بحكمة الله، يرضى بما قسم الله -جل وعلا - يعني: بقسمة الله، هذا الرضا بفعل الله -جل وعلا - واجب من الواجبات، وتركه محرم، ومناف لكمال التوحيد، والرضا بالمقضي، الرضا بالمصيبة في نفسها هذا مستحب، ليس واجبا على العباد أن يرضوا بالمرض، أن يرضوا بفقد الولد، أن يرضوا بفقد المال، لكن هذا مستحب، وهو رتبة الخاصة من عباد الله، لكن الرضا بفعل الله -جل وعلا- الرضا بقضاء الله من حيث هو هذا واجب، أما الرضا بالمقضي، فإنه مستحب؛ ولهذا قال علقمة هنا: الرجل تصيبه المصيبة، فيعلم أنها من عند الله، فيرضى يعني: على قضاء الله، ويسلم لعلمه أنها من عند الله -جل جلاله- فهذا من خصال الإيمان.

قال: وفي صحيح مسلم عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال: « اثنتان في الناس هما بهم كفر » يعني: خصلتان من شعب الكفر قائمتان في الناس، وستبقيان في الناس، « الطعن في النسب » من شعب الكفر « والنياحة على الميت » من شعب الكفر وجه الشاهد من هذا الحديث قوله: « والنياحة على الميت » النياحة مخالفة للصبر، فالصبر الواجب فيه حبس الجوارح عن لطم الخدود وشق الجيوب، ونحو ذلك، وحبس اللسان عن التشكي والعويل، وهذا هو النياحة، فالنياحة من شعب الكفر؛ لأنها منافية للصبر، وكونها من شعب الكفر لا يدل على أن من قامت به، فهو كافر الكفر المطلق المخرج من الملة، بل يدل على أن من قامت به، قامت به خصلة من خصال الكفار وشعبة من شعب الكفر؛ ولهذا قال هنا:

« اثنتان في الناس هما بهم كفر » فنكَّر كلمة كفر والقاعدة في فهم ألفاظ الكفر التي تأتي في الكتاب والسنة، أن الكفر إذا أتى معرفا بالألف واللام ، فإن المراد به الكفر الأكبر، وإذا أتى الكفر منكرا ، كفر كلمة هكذا بدون الألف واللام، فإنه يدل على أن الخصلة تلك من شعب الكفر، ومن خصال أهل الكفر، وأن ذلك كفر أصغر، كما قال -عليه الصلاة والسلام-: « لا ترجعوا بعدي كفارا؛ يضرب بعضكم أعناق بعض » يعني: لأن ذلك من خصال الكفار، ونحو ذلك قوله: « سباب المسلم فسوق، وقتاله كفر » هذا في الكفر الأصغر.

وأما الكفر المعـرف بـالألف واللام، فالقاعـدة الـتي حررها الأئمة كشـيخ الإسـلام وغـيره، أنه إذا أتى، فـيرد إلى الكفر الأكبر، كقوله -عليه الصلاة والسلام-: بين الرجل وبين الشـرك والكفر ترك الصلاة .

قـال: ولهما عن ابن مسـعود مرفوعا ليس منا من ضـرب الخدود، وشق الجيوب، ودعا بـدعوى الجاهلية ذلك يـدل على أن من فعل هـذه الأفعـال، فهو ليس من أهل الإيمـان، وقد ذكـرت لكم أن كلمة "ليس منـا" تـدل على أن الفعل من الكبائر؛ ولهـذا نقـول: تـرك الصـبر وإظهـار التسـخط كبـيرة من الكبـائر، والمعاصي تنقص الإيمـان؛ لأن الإيمـان يزيد بالطاعـة، وينقص بالمعصية، ونقص الإيمـان قد ينقص كمـال التوحيـد، بل إن ترك الصبر منافٍ لكمال التوحيد الواجب.

قال: وعن أنس أن رسـول الله قـال: إذا أراد الله بعبـده الخـير، عجل له العقوبة في الـدنيا، وإذا أراد الله بعبـده الشر أمسك عنه بذنبه، حتى يـوافى به يـوم القيامة هـذا فيه بيـان حكمة الله -جل وعلا - الـتي إذا استحضـرها المصـاب، فإنه يعظم عنده الصبر، ويتحلى بهذه العبـادة القلبية العظيمـة، وهي الرضـا، وهي تـرك التسـخط، والرضا بفعل الله -جل وعلا - وقضائه؛ لأن العبد إذا أريد به الخير، فإن العقوبة تعجل له في هذه الدنيا؛ لأن رفع أثر العقوبة عن العبد يكون بعشرة أشـياء: ومنها أن تعجل له العقوبة في الـدنيا، كـأن يعـاقب في الـدنيا

بمرض، بفقد مال، بمصـيبة؛ لأن مخالفة أمر الله في ملكوته لا بد أن تقع لها عقوبـــة، إن لم يغفر الله -جل وعلا - ويتجـــاوز، فـإذا كـانت العقوبة في الـدنيا، فإنها أهـون من أن تكـون في البرزخ، أو أن تكون يوم القيامة؛ فلهذا جـاء في الحـديث الآخر الذي رواه البخاري وغيره قال -عليه الصلاة والسلام-: من يرد الله به خيرا يصب منه .

ولهـذا كـان بعض السـلف يتهم نفسـه، إذا رأى أنه لم يصب ببلاء، أو لم يمرض، ونحو ذلك، فقد قال -عليه الصلاة والسلام- في الحمى -مثلا-: لا تسـبوا الحمى، فوالـذي نفسي بيـده، إنها لتنفي الـذنوب عن العبـد، كما ينفي الكـير خبث الحديد ففي المصائب نِعَم، المصائب فيها نعم على العبد، والله -جل وعلا - له الحكمة البالغة فيما يصلح عبده المؤمن.

قـال: وقـال النـبي   إن عظم الجـزاء مع عظم البلاء، وإن الله تعـالى إذا أحب قوما ابتلاهم، فمن رضي فله الرضـا، ومن سخط فله السخط دل قوله: من رضي فله الرضا يعــني: الرضا من الله عليـه، على أن الرضا عبـادة؛ لأن رضا الله عن العبد إذ رضي عنه دال على أن ذلك الفعل محبـوب لـه، وذلك دليل أنه من العبــادات، وكــذلك دليل الجملة الثانية دليل على أن السخط محرَّم قال: ومن سَخِطَ، فله السخط يعـني: من الله -جل وعلا -.

وحقيقة السخط على الله -جل وعلا - أن يقوم في قلبه عدم محبة ذلك الشيء، وكراهة ذلك الشيء، وعدم الرضا به واتهام الحكمة فيه، فمن قامت به هذه الأشياء مجتمعة فقد سخط، يظهر أثر السخط على اللسان، أو على الجوارح، يظهر السخط في القلب من جهة عدم الرضا بالأوامر، عدم الرضا بالنواهي، عدم الرضا بالشرع فيتسخط الأمر، يتسخط النهي، يتسخط الشرع، فهذا كبيرة من الكبائر، ولو امتثل ذلك، فإن تسخطه وعدم الرضا بذلك قلبا، دليل على انتفاء كمال التوحيد في حقه، فقد يصل بالبعض إلى انتفاء التوحيد من أصله إذا لم يرض بأصل الشرع، وسخطه بقلبه واتهم الشرع، أو اتهم الله -جل وعلا - في حكمه الشرعي.

باب

ما جاء في الرياء

باب ما جاء في الرياء، وقول الله -تعالى-: [illegible] .

وعن أبي هريرة مرفوعا، قال: قال الله -تعالى-: أنا أغنى الشركاء عن الشرك، من عمل عملا أشرك معي فيه غيري، تركته وشركه رواه مسلم.

وعن أبي سعيد مرفوعا ألا أخبركم بما هو أخوف عليكم عندي من المسيح الدجال؟ قالوا: بلى يا رسول الله، قال: الشرك الخفي، يقوم الرجل، فيصلي، فيزين صلاته لما يرى من نظر رجل رواه أحمد .

هذا باب ما جاء في الرياء؛ يعني: من الوعيد، وأنه شرك بالله -جل وعلا -، والرياء حقيقته من الرؤية، وهي البصرية، وذلك بأن يعمل عمل العبادة؛ لكي يرى أنه يعمل، يعمل العمل الذي هو من العبادة إما صلاة، أو تلاوة، أو ذكر، أو صدقة، أو حج، أو جهاد، أو أمر، ونهي، أو صلة رحم، أو نحو ذلك لا لطلب ما عند الله، ولكن لأجل أن يرى؛ لأجل أن يراه الناس على ذلك، فيثنوا عليه به هذا هو الرياء، وقد يكون الرياء في أصل الإسلام كرياء المنافقين، فالرياء على درجتين:

الدرجة الأولى: رياء المنافقين بأن يظهر الإسلام، ويبطن الكفر لأجل رضية الخلق، فهذا مناف للتوحيد من أصله، وكفر أكبر بالله جل جلاله. لهذا وصف الله المنافقين بقوله:
      يراءون الناس: يعني: الرياء الأكبر الذي هو إظهار أصل الإسلام وشعب الإسلام وإبطان الكفر وشعب الكفر.

والنـوع الثـاني من الريـاء: أن يكـون الرجل مسـلما، أو المرأة مسلمة، ولكن يرائي بعمله، أو ببعض عمله، فهذا شـرك خفي، وذلك الشـرك منـافٍ لكمـال التوحيـد، والله -جل وعلا - قال: [illegible] على اختيار من قال: إن قوله: [illegible] يدخل فيه الشرك الخفي والأصغر.

قال الشيخ -رحمه الله-: باب ما جاء في الرياء، وقول الله - تعالى-: [illegible] .

قوله: [illegible] هذا نهي عن الإشـراك، قـال: "ولا يشـرك" هـذا نهي، والنهي هنا عـام لجميع أنواع الشـرك الـتي منها شـرك الريـاء؛ ولهـذا يسـتدل السـلف بهـذه الآية على مسـائل الريـاء، كما أوردها الإمـام -رحمه الله تعالى- هنا لأنه قال: [illegible] يعـني: بما يشمل ترك المراءاة، فإن الرياء شرك، وقوله: "ولا يشرك" هذا عموم يعم أنواع الشرك جميعا؛ لأن "يشـرك" نكـرة جـاءت في سـياق النهي، فعمت أنـواع الشـرك، وقولـه: "أحـدا" يعم جميع الخلق بمراءاته، أو بتسـميع، أو بغـير ذلـك، فدلالة الآية ظـاهرة

على البـاب، وأن المـراءاة نـوع من الشـرك الأصـغر، نـوع من الشرك الخفي، تارة نقول:

الرياء شرك أصغر، باعتبار أنه ليس بأكبر مخـرج من الملـة، وتـارة نقـول: الريـاء شـرك خفي؛ لأنه ليس بظـاهر، وإنما هو بـاطن خفي في قلب العبـد؛ ولهـذا تجد أن كثـيرين من أهل العلم، يعبرون عن الشرك الأصغر بيسير الرياء، وتـارة يعـبرون عن الشـرك الخفي بالريـاء؛ ذلك لأن الشـرك يختلف من حيث الإطلاق، كما ذكرنا لكم في أول هــذا الشــرح من عــالم إلى آخــر، تـارة يقسـمون الشـرك إلى أكـبر، وأصـغر، ومنهم من يقســمه إلى أكــبر، وأصــغر، وخفي، وكل له اصــطلاحه، وكل الأقوال صواب.

قـال: وعن أبي هريـرة مرفوعا قـال: النـبي قـال الله -تعالى-: أنا أغـنى الشـركاء عن الشـرك، من عمل عملا أشـرك معي فيه غيري، تركته وشركه .

هذا الحـديث يـدل على أن الريـاء مـردود على صـاحبه، وأن الله -جل وعلا - لا يقبل العمل الذي خالطه الرياء.

والعلماء فصلوا في ذلك، فقالوا: الرياء إذا عرض للعبادة فله أحوال، فإما أن يعرض للعبـادة من أولهـا، فـإذا عـرض للعبـادة من أولهــا، فــإن العبــادة كلها باطلــة، مثــل: أن يصــلي، أنشأ الصلاة؛ لنظر فلان، لم يرد أن يصلي الراتبة لكن لما رأى فلانا ينظر إليه، فصلى الراتبـة؛ لكي يـراه، فهـذا عمله حابط يعـني:

هـذان الركعتـان حابطتـان، وهو مـأزور على مراءاتـه، ومـرتكب الشرك الخفي الشرك الأصغر.

والحـال الثانيـة: أن يكـون أصل العبـادة للـه، ولكن خلط ذلك العابد عمله برياء -مثلا- أطال الركوع، وأكثر التسـبيح لأجل من يـراه، أطـال القـراءة والقيـام لأجل من يـراه، فهـذا القـدر الواجب من العبـادة لـه، وما عـدا ذلـك، فهو حابـط؛ لأنه راءى في الزيادة على الـواجب، فيحبط ذلك الزائـد، وهو آثم عليه لا يؤجر عليـه، ويحبط ولا ينتفع منـه، ويـؤزر على إشـراكه، وعلى مراءاته هذا في الأعمال، أو في العبادات البدنيـة، أما العبـادات المالية، فيختلف الحال عن ذلك.

قــال هنــا: من عمل عملا أشــرك فيه معي غــيري تركته وشركه يعني: لجميع أنواع المشركين، ولجميع أنـواع الأعمـال من عمل عملا "عملا": هذه نكرة جاءت في سياق الشرط، فعمت جميع الأعمال: الأعمال البدنية، الأعمال المالية، والأعمال الـتي اشـتملت على مـال وبـدن، البدنيـة: كالصـلاة والصـيام، والمالية: كالزكاة والصدقة، والمشتملة على بـدن ومـال: كـالحج والجهــاد، ونحو ذلك هــذا يعم الجميع "من عمل عملا" يعــني: أنشأه.

 أشرك فيه معي غيري جعله لله ولغير الله جميعا، فـإن الله -جل وعلا - أغنى الشركاء عن الشرك، لا يقبل إلا ما كـان له وحده، سبحانه وتعالى.

قـال: وعن أبي سـعيد مرفوعا ألا أخـبركم بما هو أخـوف عليكم عنـدي من المسـيح الـدجال؟ قـالوا: بلى، قـال: الشـرك الخفي، يقوم الرجل، فيصلي، فيزين صـلاته؛ لما يـرى من نظر الرجل .

هـذا فيه بيـان أن هـذا النـوع من الشـرك، هو أخـوف من المسـيح الـدجال عند النـبي على هـذه الأمـة، ذلك أن أمر المسيح أمر ظـاهر بين، والنـبي -عليه الصلاة والسـلام- بين ما في شأنه، وبين صفته، وحذر الأمة منه، وأمرهم بأن يـدعو آخر كل صـلاة بالاسـتعاذة من شر المسـيح الـدجال، ومن فتنة المسـيح الـدجال ، لكن الريـاء هـذا يعـرض للقلب كثـيرا، والشيطان يأتي إلى القلوب، وهـذا الشـرك يقـود العبد إلى أن يتخلى شـيئا فشـيئا عن مراقبة الله -جل وعلا -، ويتجه إلى مراقبة المخلـوقين، وبـذلك صـار أخـوف عند النـبي علينا من المسيح الدجال، ثم فسره بقوله: الشرك الخفي، يقوم الرجل فيصلي، فيزين صلاته لما يرى من نظر رجل .

باب

من الشرك إرادة الإنسان بعمله الدنيا

باب من الشرك إرادة الإنسان بعمله الدنيا، وقوله -تعالى-:

[illegible]

[illegible]

[illegible] .

وفي الصحيح عن أبي هريرة قال: قال رسول الله   تعس عبد الدينار، تعس عبد الدرهم، تعس عبد الخميصة، تعس عبد الخميلة، إن أعطي رضي، وإن لم يعط سخط تعس، وانتكس وإذا شيك فلا انتقش، طوبى لعبد آخذ بعنان فرسه في سبيل الله، أشعث رأسه مغبرة قدماه، إن كان في الحراسة كان في الحراسة، وإن كان في الساقة كان في الساقة، إن استأذن لم يؤذن له، وإن شفع لم يشفع .

هذا الباب باب عظيم من أبواب هذا الكتاب، ترجمه الإمام -رحمه الله- بقوله: **باب: من الشرك إرادة الإنسان بعمله الدنيا** ؛ "من الشرك" يعني: الشرك الأصغر أن يريد الإنسان بعمله بأعماله، التي يعملها من الطاعات الدنيا، ولا يريد بها الآخرة، وإرادة الإنسان الدنيا يعني: ثواب الدنيا أعم من حال الرياء، فالرياء حالة واحدة من أحوال إرادة الإنسان الدنيا، فهو يصلي، أو يزيد، ويزين في صلاته؛ لأجل الرؤية؛ ولأجل المدح، لكن هناك أحوال أخر لإرادة الناس بأعمالهم الدنيا؛ فلهذا عطف الشيخ -رحمه الله- هذا الباب على الذي قبله؛ ليبين أن إرادة الإنسان الدنيا تأتي في أحوال كثيرة أعم من حال الرياء بخاصة، لكن الرياء جاء فيه الحديث وخافه النبي -عليه الصلاة والسلام- على أمته، فهو في وقوعه كثير، والخوف منه جلل،

وهذا الباب اشتمل على الحكم بأن إرادة الإنسان بعمله الـدنيا من الشـرك، وقولـه: "إرادة الإنسـان" يعـني: أن يعمل العمـل، وفي إرادته باعثه على العمل ثـواب الـدنيا، فهـذا من الشـرك بالله جل جلاله، وسيأتي تفصيل أحوال ذلك.

قال: وقول الله -تعـالى-: [illegible] هذه الآية، آية سورة هود مخصوصة بقوله -تعالى-: [illegible] فهي مخصوصة لمن شاء الله -جل وعلا - قال هنا: [illegible] يعـني: ممن أراد الله -جل وعلا - له ذلك، وممن شاءه الله، فهـذا العمـوم الـذي هنا مخصـوص بآية الإسراء وآية سورة الشورى، الـذين يريـدون الحيـاة الـدنيا أصلا وقصدا، وتحركا هم الكفار؛ ولهذا نـزلت هـذه الآية في الكفـار، لكن لفظها يشـمل كل من أراد الحيـاة الـدنيا بعمله الصـالح؛ ولهذا جمع الإمام محمد بن عبد الوهاب -رحمه الله- في رسالة له أحوال الناس فيما قـال السـلف تفسـيرا لهـذه الآيـة، وجعل كلام السلف يتناول أربعة أنواع من الناس، كلهم يدخل في هذا الوعيد:

النـوع الأول: ممن ركبـوا هـذا الشـرك الأصـغر، فـأرادوا بعملهم الحياة الدنيا، أنه يعمل العمل الصـالح، وهو فيه مخلص لله -جل وعلا - لكن يريد به ثـواب الـدنيا ، ولا يريد به ثـواب الآخـرة، مثلا يعمـل، يتعبد الله -جل وعلا - بالصـلاة وهو فيها مخلص لله أداها على طواعية واختيـار وامتثـال لأمر اللـه، لكن يريد منها أن يصح بدنـه، أو وصل رحمـه، وهو يريد منه أن يحصل له في الدنيا الذكر الطيب والصلة، ونحو ذلـك، أو عمل أعمـالا من التجـارة والصـدقات، وهو يريد بـذلك تجـارة؛ لكي يكون عنده مال، فيتصـدق، وهو يريد بـذلك ثـواب الـدنيا، فهـذا النوع عمل العبادة امتثالا للأمر، ومخلصا فيها لله، ولكنه طـامع في ثواب الدنيا، وليس له همة في الآخرة، ولم يعمل هربا من النار وطمعا في الجنـة، فهـذا داخل في هـذا النـوع وداخل في قوله: [illegible] .

والأعمال الـتي يعملها العبـد، ويستحضر فيها ثـواب الدنيا على قسمين:

القسم الأول: أن يكون العمل الذي عملـه، واستحضر فيه ثواب الدنيا، وأراده، ولم يرد ثواب الآخرة، لم يـرد الشـرع فيه بذكر ثواب الدنيا مثل الصلاة والصيام، ونحو ذلك من الأعمال والطاعـات، فهـذا لا يجـوز له أن يريد به الـدنيا، ولو أراد به الدنيا، فإنه مشرك ذلك الشرك.

والقسم الثاني: أعمال رتب الشارع عليها ثوابا في الدنيا، ورغب فيها بذكر ثواب لها في الدنيا، مثل صلة الرحم، وبر الوالدين، ونحو ذلك، وقد قال -عليه الصلاة والسلام- من سره أن يبسط له في رزقه، أو ينسأ له في أثره، فليصل رحمه فهذا النوع إذا استحضر في عمله، حين يعمل هذا العمل، استحضر ذلك الثواب الدنيوي، وأخلص لله في العمل، ولم يستحضر الثواب الأخروي، فاستحضر ذلك الثواب الدنيوي، وأخلص لله في العمل، ولم يستحضر الثواب الأخروي، فإنه داخل في الوعيد، فهو من أنواع ذلك الشرك، لكن إن استحضر الثواب الدنيوي والثواب الأخروي معا، له رغبة فيما عند الله في الآخرة يطمع في الجنة، ويهرب من النار، واستحضر ثواب هذا العمل في الدنيا، فإنه لا بأس بذلك؛ لأن الشرع ما رغب فيه بذكر الثواب في الدنيا إلا للحض عليه:

من قتل قتيلا فله سلبه فقتل القتيل في الجهاد؛ لكي يحصل على السلب هذا، ولكن قصده من الجهاد الرغبة فيما عند الله -جل وعلا - مخلصا فيه لوجه الله، لكن أتى هذا من زيادة الترغيب له، ولم يقتصر على هذه الدنيا، بل قلبه معلق -أيضا- بالآخرة، فهذا النوع لا بأس به، ولا يدخل في النوع الأول مما ذكره السلف في هذه الآية.

النوع الثاني: مما ذكره السلف مما يدخل تحت هذه الآية:

[illegible] أنه يعمل العمل الصالح لأجل المــال، فهو يعمل العمل لأجل ما يحصــله من المــال، مثل أن يــدرس ويتعلم العلم الشــرعي لأجل الوظيفة فقــط، وليس في همه رفع الجهالة عن نفســه، ومعرفة العبد بــأمر ربــه، ونهيه والرغبة في الجنــة، وما يقــرب منهــا، والهــرب من النــار، وما يقرب منها، فهذا داخل في ذلك، أو حفظ القرآن؛ ليكــون إماما في المســجد، ويكــون له الــرزق الــذي يــأتي من بيت المــال، فغرضه من هــذا العمــل، إنما هو المــال، فهــذا لم يعمل العمل صــالحا، وإنما عمل العمل الــذي في ظــاهره أنه صــالح، ولكن في باطنه قد أراد به الدنيا.

والنوع الثـالث: أهل الريــاء، الــذين يعملــون الأعمــال لأجل الرياء.

والنــوع الرابــع: الــذين يعملــون الأعمــال الصــالحة، ومعهم ناقض من نواقض الإسلام، يعمل أعمالا صالحة: يصلي، ويــزكي، ويتصدق، ويقرأ القرآن، ويتلو، ولكن هو مشرك الشــرك الأكــبر، فهذا وإن قال إنه مؤمن، فليس بصادق في ذلــك؛ لأنه لو كــان صادقا لوحد الله -جل وعلا - .

فهذه بعض الأنواع التي ذكرت في تفسير هــذه الآيــة، وكلها داخلة تحت قوله: [illegible] فهؤلاء جميعا أرادوا الحياة الدنيا وزينتهــا، ولم يكن لهم هم في

رضا الله -جل وعلا - وطلب الآخرة بذلك العمل من أصـله، بل بذلك العمل الذي عملوه.

هنا إشـكال أورده بعض أهل العلم، وهو أن الله -جل وعلا - قال في الآية التي تليها: [illegible]

[illegible]

وأن هـذه في الكفـار الأصـليين، أو فيمن قـام به مكفـر، أما المسـلم الـذي قـامت به إرادة الـدنيا، فإنه لا يـدخل في هـذه الآية.

والجـــواب: أنه يـــدخل؛ لأن الســـلف أدخلـــوا أصـــنافا من المسلمين في هذه الآية والوعيد بقوله: [illegible] فيمن كانت إرادته الحياة الدنيا، فلم يتقـــرب إلى الله -جل وعلا - بشـــيء [illegible]

[illegible] فهؤلاء أرادوا الدنيا بكل عمـــل، وليس معهم من الإيمـــان والإســـلام مصـــححا لأصل أعمالهم، فهؤلاء مخلدون في النار أما الذي معه أصل الإيمـان، وأصل الإسلام الذي يصح به عمله، فهـذا قد يحبط العمـل، بل يحبط عمله الـذي أشـرك فيـه، وأراد به الـدنيا، وما عـداه لا يحبـط؛ لأن معه أصل الإيمـان الـذي يصـحح العمـل، الـذي لم يخالطه شرك.

فإذا هذه الآية فيها الوعيد، وهـذا الوعيد يشـمل -كما ذكرنـا- أربعة أصـناف، وكما قـال أهل العلم: إن العـبرة هنا باللفظ لا بخصـوص السـبب، فهي وإن كـانت في الكفـار، لكن لفظها يشمل من أراد الحياة الدنيا من غير الكفار.

قال في الصحيح عن أبي هريـرة قـال: قـال رسـول الله   تعس عبد الدينار، تعس عبد الدرهم، تعس عبد الخميصة، تعس عبد الخميصة إلى آخر الحديث وجه الشاهد من ذلك أنه دعا على عبد الدينار، وعلى عبد الدرهم وعلى عبد الخميصـة، وعبد الـدينار هو الـذي يعمل العمل لأجل الـدينار، ولـولا الـدينار لما تحركت همته في العمل، لولا هـذه الخميصة لما تحـركت همته في العمل، فـأراد العمل وعمل العمل لأجل هـذا الـدينار؛ لأجل هـذه الـدنيا؛ لأجل الـدراهم؛ لأجل الجـاه؛ لأجل المكانـة؛ لأجل الخميصة، أو الخميلة، ونحو ذلك، وقد سماه النبي -عليه الصلاة والسـلام- عابـدا للـدينار، فـدل ذلك على أنه من الشـرك؛ لأن العبودية درجـات، منها عبودية الشـرك الأصـغر، ومنها عبودية الشـرك الأكـبر، فالـذي يشـرك بغـير الله -جل وعلا - الشـرك الأكـبر، وعابد لـه، أهل الأوثـان، عبـدة للأوثـان، وأهل الصـليب، عبدة للصليب، وكـذلك من يعمل الشـرك الأصـغر، ويتعلق قلبه بشيء من الدنيا، فهو عابد لذلك.

يقال: عبد هذا الشيء؛ لأنه هو الذي حرك همته، ومعلوم أن العبد مطيع لسـيده مطيع له أينما وجهـه، توجـه، فهـذا الـذي

حركته وهمته للدنيا وللدينار وللدرهم عبد لها، همته معلقة بتلك الأشياء، وإذا وجد لها سبيلا تحرك إليها، بدون النظر هل يوافق ذلك أمر الله -جل وعلا - أم لا يوافق أمر الله -جل وعلا - وشرعه. نعم.

باب

من أطاع العلماء والأمراء في تحريم ما أحل الله،
أو تحليل ما حرمه، فقد اتخذهم أربابا من دون الله

باب من أطاع العلماء والأمراء في تحريم ما أحل الله، أو تحليل ما حرمه، فقد اتخذهم أربابا من دون الله، وقال ابن عباس: يوشك أن تنزل عليكم حجارة من السماء أقول: قال رسول الله وتقولون قال أبو بكر وعمر .

وقال الإمام أحمد: عجبت لقوم عرفوا الإسناد وصحته، ويذهبون إلى رأي سفيان، والله -تعالى- يقول: [illegible] أتدري ما الفتنة؟ الفتنة الشرك، لعله إذا رد بعض قوله أن يقع في قلبه شيء من الزيغ، فيهلك.

وعن عدي بن حاتم أنه سمع النبي يقرأ هذه الآية [illegible]

[illegible]

[illegible] فقلت لـــه: إنا لســـنا نعبـــدهم، قـــال: أليس يحرمون ما أحل الله، وتحرمونه، ويحلون ما حـرم الله فتحلونه ؟ فقلت: بلى، قـــال: فتلك عبـــادتهم [illegible] رواه أحمد والترمـــذي وحسنه .

باب "من أطاع العلماء والأمـراء في تحـريم ما أحل الله، أو تحليل ما حرمه، فقد اتخذهم أربابا"؛ هذا الباب والأبواب بعده في بيان مقتضيات التوحيد ولوازم تحقيق شهادة أن لا إله إلا اللـــه، وأن شـــهادة أن لا إله إلا الله تقتضـــي، وتســـتلزم أن يكـــون العبد مطيعا لله -جل وعلا - فيما أحـــل، وفيما حـــرم، محلا للحلال، محرما للحـــرام، لا يتحـاكم إلا إليه -جل وعلا - ولا يحكم في الـــدين إلا شـــرع الله -جل وعلا - والعلماء وظيفتهم تبـيين معـاني ما أنـزل الله -جل وعلا - على رسوله [illegible] وليست وظيفة العلماء، التي أذن لهم بها في الشـرع أنهم يحللون ما يشاءون، أو يحرمون، بل وظيفتهم الاجتهاد في فقه النصوص، وأن يبينوا ما أحل الله، وما حرم الله -جل وعلا - فهم أدوات ووسـائل لفهم نصـوص الكتـاب والسـنة ؛ ولـذلك طاعتهم تبع لطاعة الله ورسوله ، يطـاعون فيما فيه طاعة لله -جل وعلا - ولرســـوله . وما كـــان من الأمـــور الاجتهاديـــة، فيطـاعون؛ لأنهم هم أفقه للنصـوص من غـيرهم، فتكـون طاعة العلماء والأمراء من جهة الطاعة بالتبعية لله ولرسوله.

أما الطاعة الاستقلالية ، فليست إلا لله -جل وعلا - حتى طاعة النبي -عليه الصلاة والسلام- إنما هي تبع لطاعة الله -جل وعلا -، فإن الله هو الذي أذن بطاعته، فهو الذي أمر بطاعة رسوله [illegible] وهذا معنى الشهادة له بأنه رسول الله، قال -جل وعلا - [illegible] وقال -جل وعلا -: [illegible] .

فإذًا الطاعة الاستقلالية هذه من العبادة، وهي نوع من أنواع العبادة، فيجب إفراد الله -جل وعلا - بها وغير الله -جل وعلا -، فإنما يطاع لأن الله -جل وعلا - أذن بطاعته، ويطاع فيما أذن الله به في طاعته، فالمخلوق لا يطاع في معصية الله؛ لأن الله لم يأذن في أن يطاع مخلوق في معصية الخالق -جل وعلا -، وإنما يطاع فيما أطاع الله -جل وعلا - فيه على النحو الذي يأتي، إذن هذا الباب عقده الشيخ -رحمه الله- ليبين أن الطاعة من أنواع العبادة، بل إن الطاعة في التحليل وفي التحريم، هذه هي معنى اتخاذ الأرباب ، حيث قال الله -جل وعلا -: [illegible] وما سيأتي من بيان حديث حاتم ، [illegible] .

قال -رحمه الله-: "باب من أطاع العلماء والأمراء" العلماء والأمراء هم أولو الأمر في قوله -جل وعلا:- [illegible] .

قال العلماء: أولو الأمر يشمل من له الأمر في حياة الناس في دينهم، وهم العلماء وفي دنياهم، وهم الأمراء، وقد قال هنا -جل وعلا - [illegible] ولم يكرر فعل الطاعة.

قال ابن القيم وغيره: دل هذا على أن طاعة أولي الأمر، ليست استقلالا، وإنما يطاعون في طاعة الله ورسوله [illegible] فإذا أمروا بمعصية، فإنه لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق، والأمور الاجتهادية التي ليس فيها نص من الكتاب والسنة، فإنهم يطاعون في ذلك لما أذن الله به في ذلك، ولما في ذلك من المصالح المرعية في الشرع.

إذا من أطاع العلماء والأمراء.. هنا ذكر هذا الباب لأجل أن الطاعة نوع من أنواع العبادة، وهذه العبادة يجب أن يفرد الله -جل وعلا - بها، فمن أطاع غير الله على هذا النحو الذي ذكره الشيخ، فقد أشرك الشرك الأكبر بالله -جل وعلا -، قال: "من أطاع العلماء والأمراء في تحريم ما أحل الله" يعني: في تحريم الذي أحل الله، فيكون هناك حلال في الشرع، فيحرمونه، يحرمه العالم، أو يحرمه الأمير، فيطيعه الناس، وهم يعلمون أنه حلال، لكن يطيعونه في التحريم، والحلال يعني: الذي أحله الله، أحل الله أكل الخبز، فيقولون: الخبر حرام عليكم دينا، فلا تأكلوا الخبز تدينا. ويحرمونه؛ لأجل ذلك هذا طاعة لهم في تحريم ما أحل الله.

قال: " أو تحليل ما حرم اللـه، فقد اتخـذهم أربابـا" أو تحليل ما حـرم اللـه، يعـني: أحلـوا ما يعلم أن الله حرمـه، حـرم الله الخمر، فأحله العلماء ، أو أحله الأمراء ، فمن أطاع عالما ، أو أمـيرا في اعتقـاده أن الخمر حلال ، وهو يعلم أنها حـرام، وأن الله حرمها، فقد اتخذه ربا من دون الله جل وعلا.

إذًا هنا في هذا الباب حكم وهناك شرط ، فالحكم قوله في آخره: "فقد اتخذهم أربابا" وهو جزاء الشرط ، والشـرط قولـه: "من أطاع العلمـاء والأمـراء " وضـابط هـذا الشـرط ما بينهمـا، وهو قوله: "في تحريم ما أحل اللـه، أو تحليل ما حرمـه" وهـذا يستفاد منه يعـني: من اللفظ أنهم عـالمون بما أحـل، فحرمـوه طاعــة، عــالمون بما حــرم، فــأحلوه طاعة لأولئــك، وقوله في آخره: " فقد اتخذهم أربابا " ذلك لأجل آية سورة بـراءة قـال: وحديث عدي بن حاتم في ذلك، والأربـاب جمع الـرب، والـرب والإله لفظـان يفترقان؛ لأن الرب هو السيد الملك المتصرف في الأمر، والإله هو المعبود، وقد سئل المصنف الإمام محمد بن عبد الوهـاب -رحمه الله- عن الفرق بين الإله والرب في مثل هذه السياقات في نحو قوله: وفي نحو قوله: ما معــنى الربوبية هنا ؟ قــال: الربوبية هنا بمعــنى الإلوهيــة، بمعنى المعبود، لأن من أطاع على ذلك النحو، فقد عبد؛ لقـول

النبي لعدي حين قال: إنا لسنا نعبـدهم. فعـدي فهم من كلمة أربابا العبادة .

وقال النبي مقررا لذلك: أليس يحرمون.. إلى آخـره فهو إقرار من النبي هنا بأن معنى الربوبية هنا العبودية.

فـإذًا قـال الشـيخ -رحمه اللـه- حينما سـئل قـال: الإلوهية والربوبية، أو كلمة الـرب والإله من الألفـاظ الـتي، إذا اجتمعت افترقت، وإذا افترقت اجتمعت يعني: كلفظ الفقـير والمسـكين، وكلفظ الإســلام والإيمــان، وكنحوهما لما لأن الإله يطلق على المعبـود والـرب، جـاء في نصـوص كثـيرة إطلاق الـرب على المعبــود، كما ذكرنا في الآيــات، وفي الحــديث، وكقوله -عليه الصلاة والسلام- في مسائل القبر: سيأتيه ملكان، فيسألانه من ربك ؟ يعني: من معبودك؛ لأن الابتلاء لم يقع في الرب الذي هو الخالق الرازق المحيي المميت.

فإذًا لفظ الأرباب والآلهة إذا اجتمعت افـترقت، وإذا افـترقت اجتمعت، فقد يطلق على الأرباب آلهة وعلى الآلهة أربابـا، فهل هذا الإطلاق لأجل اللغة ، يعني: أن أصـله في اللغة يـدخل هـذا في هــذا ، وهــذا في ذاك، أم أنه لأجل اللــزوم والتضــمن الظـاهر؟ عنـدي الأخـير، وهو أنه لأجل اللـزوم والتضـمن، فـإن الربوبية مستلزمة للألوهية والألوهية متضمنة للربوبية، فـإذا ذكر الإله، فقد تضمن ذلك ذكر الرب، وإذا ذكر الرب فاستلزم ذلك ذكر الإله؛ ولهذا قال -جل وعلا - هنا:

[illegible] يعـني: آلهة لاسـتلزام لفظ الربوبية للألوهية، وكذلك قوله: [illegible] يعني: آلهة معبودين، كما آتى تفصيله في الحديث.

قال: "وقال ابن عباس: [illegible] يوشك أن تـنزل عليكم حجـارة من السماء أقول: قال رسول الله [illegible] وتقولون: قـال أبو بكر وعمر [illegible] هذا الحديث رواه الإمام أحمد بإسناد صحيح، وإسـناده عن عبد الرزاق عن معمر عن طـاوس عن ابن عبـاس ، أو نحو ذلك ، فقد ذكر إسناده شيخ الإسلام ابن تيمية في موضع في الفتاوى بنصه ، ذكر الإسناد والمتن، وغالب الذين خرجوا كتـاب التوحيد قالوا: إن هـذا الأثر لا أصل له بهـذا اللفظ ، هـذه جـرأة منهم، حيث إنهم ظنـوا أن كل كتب الحـديث بين أيـديهم، ولو تتبعـوا كتب أهل العلم لوجـدوا أن إسـناده، والحكم عليه موجـود في كتبهم.

المقصود ما اشـتمل عليه هـذا الأثـر، وهو قولـه: [illegible] يوشك أن تـنزل عليكم حجـارة من السـماء أقـول: قـال رسـول الله [illegible] وتقولون: قال أبو بكر وعمر [illegible] .

الواجب على المسلم أنه إذا سمع حـديثا عن النـبي [illegible] وعلم فقهه، أو بينه له أهل العلم، فإنه لا يترك ذلك الحديث، والـذي فقهه لقـول أحد كائنا من كـان، إذا كـان الحـديث ظـاهرا في الدلالة على ذلك، وكان القول الآخر لا دليل عليه، أما إذا كانت المسـألة اجتهادية في الحـديث من جهة الفهم، فهـذا مجاله

واسع ، وابن عبـاس -رضي الله عنهمـا- يحمل كلامه هـذا على أن هؤلاء الذين قـالوا له تلك المقالة ، قـالوا لـه: قـال أبو بكر وعمر ، عارضـوا قوله المتعة لقـول أبي بكر وعمـر، الـذي هو منـاقض لصـريح قـول النـبي ﷺ فمعلـوم أن أبا بكر وعمر رضي الله عنهما كانا يـذهبان إلى أن إفـراد الحج أفضل من التمتـع، وابن عباس كان يوجب التمتع، ويسوق الأدلة في ذلك.

وقـــول أبي بكر وعمر أخذ به طائفة من أهل العلم كمالك وغـيره، بل قـال طائفـة: إن إفـراده الحج وسـفره مـرة أخـرى للعمـــرة خـــير له من أن يجمع بين حج وعمـــرة في ســـفرة واحدة، كما هو اختيار شيخ الإسلام واختيار غيره من المحققين .

المقصود من ذلك أن كلام ابن عباس هذا ليس في المسألة الفقهية ، يعـني: فقه كلام ابن عبـاس، فيما أراده الشـيخ ليس فيما يتعلق بمسـألة التمتع والإفـراد، ولكن في مسـألة عمـوم لفظـه، وهو أنه لا يعـارض قـول النـبي -عليه الصـلاة والسـلام- الظاهر معنـاه بقـول أحد لا دليل له على قولـه، ولو كـان ذلك القائل أبو بكر وعمر رضي الله عنهمـــا. فكيف بمن دونهما من التابعين، أو من الصحابة، فكيف بأئمة أهل المـذاهب، وأصـحاب هذه المذاهب رحمهم الله تعالى.

واحــترام العلمــاء ، وأهل المــذاهب واجب، لكن أجمع أهل العلم على أن من اسـتبانت له سـنة من سـنن الرسـول ﷺ لم يكن له أن يتركها لقول أحد كائنا من كان .

وقـال الإمـام أحمد بن حنبـل: عجبت لقـوم عرفـوا الإسـناد وصــحته، ويــذهبون إلى رأي ســفيان، ســفيان بن ســعيد بن مسروق الثوري، أحد العلماء المعروفين، وكان له مذهب، وكان له أتبـاع، قـال الإمـام أحمد ابن حنبـل: عجبت لقـوم عرفـوا الإسـناد وصـحته. يعـني: في ذلك الحـديث الـذي تنـازعوا فيـه، ويذهبون إلى رأي سفيان فقوله: ويذهبون إلى رأي سفيان. يدل على أن ســفيان لم يكن له مســتند على ما ذهب إليــه، وهو عـالم من العلمـاء ، وأحد الزهـاد الصـالحين المشـهورين، ولكن قد تخطئ في السنة، فيكون حكم برأيــه، أو بتقعيد عنــده لكن السنة جاءت بخلاف ذلك، فلا يسوغ أن يجعل رأي ســفيان في مقابل الحديث النبوي. عن النبي ﷺ .

قال: "والله -تعالى- يقـول: [illegible] أتدري ما الفتنة؟ الفتنة الشـرك، لعله إذا رد بعض قوله أن يقع في قلبه شيء من الزيغ فيهلك".

إذا رد بعض قـول النـبي -عليه الصـلاة والسـلام- لقـول أحد يخشى عليه أن يعاقب، فيقع في قلبه زيغ، قال الله -جل وعلا - عن اليهود: [illegible] فهم زاغوا

بمحض إرادتهم واختيـارهم مع بيـان الحجج، وظهـور الـدلائل والـبراهين، لكن لما زاغـوا أزاغ الله قلـوبهم عقوبة منه لهم على ذلك، وهذا معنى قولـه:

يعني: نوع شرك وقد يصل ذلك إلى الشرك الأكبر بالله -جل وعلا - إذا كـان في تحليل الحـرام، مع العلم بأنه حرام، وتحريم الحلال، مع العلم بأنه حلال.

قال: "عن عدي بن حاتم أنه سمع النبي يقـرأ هـذه الآية

الآيـــة، فقلت: له إنا لســنا نعبـدهم فيه أنهم فهمـوا من معـنى قولـه" "أربابـا" أنه معنـاه المعبود، قال -عليه الصلاة والسـلام-: أليس يحرمـون ما أحل اللـه، فتحرمونـه، ويحلـون ما حـرم الله فتحلونه ؟ فقلت: بلى، قال فتلك عبادتهم رواه أحمد والترمذي وحسنه.

هذا الحـديث فيه بيـان أن طاعة الأحبـار والرهبـان، قد تصل إلى الشرك الأكبر، واتخاذ أولئك أربابا، ومعبـودين، والأحبـار هم العلمـاء، والرهبـان هم العبـاد، وطاعة الأحبـار في التحليل والتحريم على درجتين:

الدرجة الأولى: أن يطيع العلمـاء، أو الأمـراء في تبـديل الـدين يعـني: في جعل الحـرام حلالا، وفي جعل الحلال حرامـا، فيطيعهم في تبديل الدين، وهو يعلم أن الحرام قد حرَّمه اللـه،

ولكن أطـــــاعهم تعظيما لهم، فحلل ما أحلـــــوه طاعة لهم، وتعظيمـــا، وهو يعلم أنه حـــرام حلل يعـــني: اعتقد أنه حلال، وأمضى أنه حلال ، وهو حـــرام في نفســـه، أو حـــرم تبعا لتحـريمهم، وهو يعلم أن ما حرمـوه من الحلال أنه غلـط، وأن الحلال حلال، ولكنه حـرم تبعا لتحـريمهم، هـذا يكـون قد أطـاع العلمـاء، أو الأمـراء في تبـديل أصل الـدين، فهـذا هو الـذي اتخذهم أربابا، وهو الكفر الأكبر، والشرك الأكبر بالله -جل وعلا - وهذا هو الذي صرف عبادة الطاعة إلى غير الله؛ ولهـذا قـال الشيخ سـليمان -رحمه اللـه- في شـرحه لكتـاب التوحيـد، قـال: الطاعة هنا في هـــذا البـــاب المـــراد بها طاعة خاصـــة، وهي الطاعة في تحليل الحرام، أو تحريم الحلال، وهذا ضعف.

والدرجة الثانية: أن يطيع الحـبر، أو يطيع الأمـير، أو يطيع الرهبـــان في تحـــريم الحلال، أو في تحليل الحـــرام من جهة العمل، أطـاع، وهو يعلم أنه عـاص بـذلك، ومعـترف بالمعصـية، لكن اتبعهم عملا وقلبه لم يجعل الحلال حراما، وقلبه لم يجعل طاعة أولئك في قلبهم الحلال حراما متعينـــا، أو ســـائغا، ولكن أطـاعهم حبا له في المعصـية، أو حبا له في مجـاراتهم، ولكن في داخله الحلال هو الحلال، والحـــرام هو الحـــرام، فما بـــدل الدين.

قال شيخ الإسلام -رحمه الله -: هذا له حكم أمثاله من أهل الذنوب، وهاتان الدرجتان هي من كلام شيخ الإســلام ابن تيمية

على هــذه الآيــة، هــذا وأمثاله له حكم أمثاله من أهل الــذنوب والعصيان؛ لأنه ما اعتقد؛ لأنه ما حرم الحلال، ولا أحل الحـرام، وإنما فعل الحــرام من جهة العصــيان، وجعل الحلال حراما من جهة العصيان، لا من جهة تبديل أصل الدين، والرهبان عبــادتهم هي عبادة العباد.

ويريد الشــيخ -رحمه اللــه- بــذكره الرهبــان، وبــإيراده للآية للتنبيه على أن الطاعة في تحــــريم الحلال، وتحليل الحــــرام جــاءت -أيضــا- من جهة الرهبــان من جهة العبــاد، وهــذا عند المتصــــوفة والطــــرق الصــــوفية، وأهل الغلاة، وأهل الغلو في التصـوف، والغلاة في تعظيم رؤسـاء الصـوفية، فـإنهم أطـاعوا مشايخهم والعباد والأولياء الـذين زعمـوا أنهم أوليـاء، أطـاعوهم في تغيـير الملـة، فهم يعلمـون أن السـنة هي كـذا وكـذا، وأن خلافها بدعــة، يعلمــون ذلــك، فأطــاعوا تعظيما للشــيخ، تعظيما للعابــد، أو يعلمــون أن هــذا شــرك في القــرآن، والــدلائل عليه ظاهرة، لكن تركوه، وأباحوا غيره، وأحلوا.. تركوه، وأبــاحوا ذلك الشــرك، وأحلــوه؛ لأن شــيخهم، ومقــدمهم، ورئيس طــريقتهم أحله.

وهــذا كــان في نجد كثـيرا إبـان ظهـور الشـيخ بدعوتـه، وهو موجود في كثير من الأمصار، وهو نـوع من اتخـاذ أولئك العبـاد أربابا من دون الله -جل وعلا - وهذا المقام -أيضـا- فيه تفصـيل

على نحو الــدرجتين اللــتين ذكرتهما عن شــيخ الإسـلام، رحمه الله. نعم.

باب

قول الله -تعالى-:

أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ آمَنُـوا بِمَا أُنْـزِلَ إِلَيْـكَ وَمَا أُنْـزِلَ مِنْ قَبْلِكَ يُرِيدُونَ أَنْ يَتَحَاكَمُوا إِلَى الطَّاغُوتِ وَقَدْ أُمِـرُوا أَنْ يَكْفُـرُوا بِـهِ وَيُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَنْ يُضِلَّهُمْ ضَلَالًا بَعِيـدًا وَإِذَا قِيـلَ لَهُمْ تَعَـالَوْا إِلَى مَا أَنْزَلَ اللَّهُ وَإِلَى الرَّسُولِ رَأَيْتَ الْمُنَافِقِينَ يَصُدُّونَ عَنْكَ صُدُودًا فَكَيْفَ إِذَا أَصَابَتْهُمْ مُصِيبَةٌ بِمَا قَـدَّمَتْ أَيْـدِيهِمْ ثُمَّ جَـاءُوكَ يَحْلِفُـونَ بِاللَّهِ إِنْ أَرَدْنَا إِلَّا إِحْسَانًا وَتَوْفِيقًا

باب قول الله -تعالى-: [illegible] وقوله [illegible] .

وقوله [illegible] .

وقوله [illegible] .

وعن عبد الله بن عمرو -رضي الله عنهما- أن رسول الله ﷺ قال: «لا يؤمن أحدكم حتى يكون هواه تبعا لما جئت به» قال النووي: حديث صحيح رويناه في كتاب الحجة بإسناد صحيح، وقال الشعبي: كان بين رجل من المنافقين ورجل من اليهود خصومة، فقال اليهودي: نتحاكم إلى محمد ﷺ لأنه عرف أنه لا يأخذ الرشوة، وقال المنافق نتحاكم إلى اليهود؛ لعلمه أنهم يأخذون الرشوة، فاتفقا على أن يأتي كاهنا في جهينة، فيتحاكما إليه، فنزلت: [illegible] الآية.

وقيل: نزلت في رجلين اختصما، فقال أحدهما: نترافع إلى النبي ﷺ وقال الآخر: إلى كعب بن الأشرف، ثم ترافعا إلى عمر، فذكر له أحدهما القصة، فقال للذي لم يرض برسول الله ﷺ أكذلك؟ قال: نعم، فضربه بالسيف، فقتله.

هذا الباب من الأبواب العظيمة المهمة في هذا الكتاب؛ وذلك لأن إفراد الله -جل وعلا - بالوحدانية في ربوبيته وفي ألوهيته يتضمن، ويقتضي، ويستلزم أن يفرد في الحكم، فكما أنه -جل وعلا - لا حكم إلا حكمه في ملكوته، فكذلك يجب أن

يكون لا حكم إلا حكمه، فيما يتخاصم فيه النــاس، وفي الفصل بين النـاس، فالله -جل وعلا - هو الحكم، وإليه الحكم -سـبحانه وتعالى- قال -جل وعلا - [illegible]
وقال -جل وعلا - [illegible] فتوحيد الله -جل وعلا - في الطاعـة، وتحقيق شـهادة أن لا إله إلا اللـه، وأن محمـدا رسول الله لا يكون إلا بأن يكون العباد محكمين لما أنـزل الله -جل وعلا - على رسوله.

وتــرك تحكيم ما أنــزل الله على رســوله [illegible] بــالحكم، بحكم الجاهليــة، بحكم القــوانين، أو بحكم ســواليف الباديــة، أو بكل حكم مخالف لحكم الله -جل وعلا - هـذا من الكفر الأكـبر بالله -جل جلاله- ومما يناقض كلمة التوحيد: أشهد أن لا إله إلا اللــه، وأن محمدا رسول الله.

لهذا عقد الشيخ -رحمه الله- هذا الباب؛ ليـبين أن الحكم بما أنزل الله فرض، وأن ترك الحكم بما أنزل الله وتحكيم غير ما أنـزل الله في شـئون المتخاصـمين، وتنزيل ذلك منزلة القـرآن أن ذلك شــرك أكــبر بالله -جل وعلا - وكفر مخــرج من ملة الإسلام.

قـال الإمـام الشـيخ محمد بن إبـراهيم -رحمه اللـه- في أول رسالته تحكيم القوانين:

إن من الكفر الأكبر المستبين، تنزيل القانون اللعين، منزلة ما نزل به الروح الأمين، على قلب سيد المرسلين، ليكون حكما بين العالمين مناقضة، ومحادة لما نزل من رب العالمين.

أو نحو ما قَالَ -رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى- فلا شك أن إفراد الله بالطاعة، وإفراد الله بالحكم، وتحقيق شهادة أن لا إله إلا الله محمد رسول الله، يقتضي ألا يحكم إلا بشرعه؛ ولهذا الحكم بالقوانين الوضعية، أو الحكم بسواليف البادية، هذا كله من الكفر الأكبر بالله -جل وعلا - وتحكيم القوانين كفر بالله -جل وعلا - لقوله -تعالى هنا في هذه الآية-: [illegible] .

فإذا مناسبة هذه الباب لكتاب التوحيد ظاهرة، وهي أن التحاكم إلى غير شرع الله، هذا قدح في أصل التوحيد، وأن الحكم بشرع الله واجب، وأن تحكيم القوانين، أو سواليف البادية، أو أمور الجاهلية هذا مناف لشهادة أن لا إله إلا الله، وأن محمدا رسول الله ، فإن من مقتضيات شهادة أن محمدا رسول الله، أن يطاع فيما أمر ، وأن يصدق فيما أخبر، وأن يجتنب ما عنه نهى وزجر، وألا يعبد الله إلا بما شرع، فالحكم بين المتخاصمين هذا لا بد أن يرجع فيه إلى حكم من خلق المتخاصمين، ومن خلق الأرض والسماوات.

فـــالحكم الكـــوني القـــدري لله -جل وعلا - كـــذلك الحكم الشرعي لله -جل وعلا - فيجب أن يكون العبـاد، ليس بينهم إلا تحكيم أمر الله -جل وعلا - ذلك هو حقيقة التوحيد في طاعة الله -جل وعلا - في مسائل التخاصم بين الخلق.

قَالَ -رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى- "باب قول الله -تعـالى-:

قوله: "يزعمون" يدل على أنهم كذبة، فلا يجتمع الإيمان مع إرادة الحكم والتحـاكم إلى الطـاغوت، قـال:

وقولـه: "يريـدون" هـذا ضـابط مهم، وشرط في نفي أصل الإيمان عمن تحاكم إلى الطـاغوت، فـإن من تحــاكم إلى الطـــاغوت قد يكـــون بإرادتـــه، وهي الطواعية والاختيــار والرغبة في ذلك وعـــدم الكراهـــة، وقد يكـــون بغـــير إرادته، بأن يكون مجـبرا على ذلـك، وليس له في ذلك اختيـار، وهو كاره لذلك.

فالأول هو الـذي ينتفي عنه الإيمـان، لا يجتمع الإيمـان باللـه، وبما أنــزل إلى النــبي وما أنــزل من قبله مع إرادة التحــاكم إلى الطـاغوت، فـالإرادة شـرط لأن الله -جل وعلا - جعلها في ذلك مساق الشرط، فقال:

"وأن يتحــاكموا" هــذا مصــدر يعــني: يريــدون التحـــاكم إلى الطــاغوت، والطــاغوت اسم لكل ما تجــاوز به العبد حــده من متبوع، أو معبود، أو مطاع قال -جل وعلا -:

[illegible] يعني: أن يكفروا بالطاغوت، أن يكفروا بكل تحاكم إلى غير شرع الله -جل وعلا -، فالأمر بالكفر بالتحاكم إلى الطاغوت هذا أمر واجب، ومن أفراد التوحيد، ومن أفراد تعظيم الله -جل وعلا - في ربوبيته، فمن تحاكم إلى الطاغوت بإرادته، فهذا انتفى عنه الإيمان أصلا، كما دلت عليه الآية، قال: [illegible] ويريد الشيطان أن يضلهم ضلالا بعيدا، دل ذلك على أن هذا من وحي الشيطان، ومن تسويله.

قال: وقوله: [illegible] الإفساد في الأرض بتحكيم غير شرع الله، وبالإشراك بالله، فالأرض إصلاحها بالشريعة وبالتوحيد، وإفسادها بالشرك بأنواعه الذي منه الشرك في الطاعة.

ولهذا ساق الشيخ هذه الآية، تحت هذا الباب لأجل أن يبين لك أن صلاح الأرض بالتوحيد، الذي منه إفراد الله -جل وعلا - بالطاعة، وألا يحاكم إلا إلى شرعه، وأن إفساد الأرض بالشرك الذي منه أن يجعل حكم غير الله -جل وعلا - جائزا في التحاكم إليه، قال: وقوله: [illegible] والآية التي قبلها: [illegible] ظاهرة في أن من خصال المنافقين، أنهم يسعون في الشرك وفي وسائله، وأفراده، ويقولون: إنما نحن مصلحون، وفي الحقيقة إنهم هم المفسدون ولكن لا

يشـــعرون، لأنهم إذا أرادوا الشـــرك، ورغبـــوا فيه وحـــاكموا، وتحاكموا إلى غير شـرع اللـه، فـإن ذلك هو الفسـاد، والسـعي فيه سعي في الإفساد.

قال: وقوله: [illegible] "الجاهلية": قوم يحكم بعضـهم على بعض، يعـني: البشر يسن شـريعة، فيجعلها حاكمـة، والله -جل وعلا - هو الـذي خلق العبـاد، وهو أعلم بما يصـلحهم، وما فيه العـــدل في الفصل بين تخاصـــماتهم، والفصل في أقضـــيتهم وخصوماتهم، فمن حاكم إلى شرائع الجاهلية، فقد حكم البشـر، ومعـنى ذلك أنه اتخـذه مطاعا من دون اللـه، أو جعله شـريكا لله -جل وعلا - في عبـادة الطاعـة، والـواجب أن العبد يجعل حكمه، وتحاكمه إلى الله -جل وعلا - دون ما سواه، والله -جل وعلا - حكمه هو أحسن الأحكـــــام [illegible] وقال هنا: [illegible] .

فدل على حكم غيره إنما هو كما قالت طائفة: زبالة أذهـان، ونحاسة أفكار، لا تساوي شـيئا عند من عقل تصـرف الله -جل وعلا - في ملكه، وملكوته، وأن ليس، ثم حكم إلا حكم الرب - جل وعلا - .

هذه المسألة، وهي مسألة التحـاكم إلى غـير شـرع الله من المسائل، الـتي يقع فيها خلق كثـير، خاصة عند الشـباب، وذلك

في هذه البلاد وفي غيرها، وهي من أسباب تفـرق المسـلمين؛ لأن نظر الناس فيها لم يكن واحدا.

والـواجب أن يتحـرى طـالب العلم ما دلت عليه الأدلـة، وما بين العلمـاء من معـاني تلك الأدلــة، وما فقهــوه من أصــول الشرع والتوحيد، وما بينوه في تلك المسائل، ومن أوجه الخلق في ذلك أنهم جعلــوا المســألة في مســألة الحكم والتحــاكم واحدة، يعني: جعلوها صورة واحدة، وهي متعـددة الصـور، فمن صورها أن يكون هناك تشريع لتقـنين مسـتقل يضـاهى به حكم الله -جل وعلا - يعني: قانون مسـتقل يشـرع، هـذا التقـنين من حيث وضـعه كفـر، والواضع له يعـني: المشـرع والسـان لـذلك، وجاعل هذا التشريع منسوبا إليه، وهو الذي حكم بهذه الأحكـام هذا المشرع كافر، وكفره ظاهر؛ لأنه جعل نفسه طاغوتا، فدعا الناس إلى عبادته، وهو راض، عبادة الطاعة.

وهناك من يحكم بهذا التقنيين، هذه الحالة الثانية، فالمشــرع حالة، ومن يحكم بذلك التشريع حالـة، ومن يتحـاكم إليه حالـة، ومن يجعله في بلده من جهة الدول هذه حالة رابعة.

فصارت عندنا الأحوال أربعة: المشــرع، ومن أطاعه في جعل الحلال حرامـا، والحـرام حلالا، ومناقضة شـرع اللـه، هـذا كــافر، ومن أطاعه في ذلــك، فقد اتخــذه ربا من دون اللــه، والحاكم بذلك التشريع فيه تفصيل، فإن حكم مـرة، أو مـرتين، أو أكثر من ذلك، ولم يكن ذلك ديدنا لـه، ولم يعلم أنه عـاص،

يعني: من جهة القاضي الذي حكم، يعلم أنه عاص، وحكم بغير شرع الله، فهذا له حكم أمثاله من أهل الذنوب، ولا يكفر حتى يستحل؛ ولهذا تجد أن بعض أهل العلم يقول: الحكم بغير شرع الله لا يكفر فيه إلا إذا استحل، وهذا صحيح، ولكن لا تنزل هذه الحالة على حالة التقنين والتشريع.

فالحاكم ، كما قال ابن عباس كفر دون كفر، ليس الذي يذهبون إليه هو كفر دون كفر، يعني: من حكم في مسألة، أو في مسألتين بهواه بغير شرع الله ، وهو يعلم أنه عاص ولم يستحل ، هذا كفر دون كفر، أما الحاكم الذي لا يحكم بشرع الله بتاتا، ويحكم دائما، ويلزم الناس بغير شرع الله، فهذا من أهل العلم من قال: يكفر مطلقا، ككفر الذي سن القانون لأن الله -جل وعلا - قال: [illegible] فجعل الذي يحكم بغير شرع الله مطلقا، جعله طاغوتا، وقال: [illegible] ومن أهل العلم من قال: حتى هذا النوع لا يكفر، حتى يستحل؛ لأنه قد يعمل ذلك، ويحكم وهو في نفسه عاص، فله حكم أمثاله من المؤمنين على المعصية الذين لم يتوبوا منها.

والقول الأول: من أن الذي يحكم دائما بغير شرع الله، ويلزم الناس بغير شرع الله، أنه كافر هو الصحيح عندي، وهو قول الجد الشيخ محمد بن إبراهيم -رحمه الله- في رسالة تحكيم القوانين، لأنه لا يصدر في الواقع من قلب قد كفر

بالطـاغوت، بل لا يصـدر إلا ممن عظم القـانون وعظم الحكم بالقانون.

الحــال الثالثة حــال المتحــاكم، الحــال الأولى ذكرنا حــال المشـرع، الحـال الثـاني حـال المتحـاكم حـال الحـاكم، الحـال الثالثة: المتحاكم يعني: الذي يـذهب هو وخصـمه يتحـاكمون إلى قـانون، فهـذا فيه تفصـيل أيضـا، وهو إن كـان يريد التحـاكم له رغبة في ذلـك، وهو يريد أن الحكم بـذلك سـائغ، وهو يريد أن يتحـاكم إلى الطـاغوت، ولا يكـره ذلـك، فهـذا كـافر أيضـا؛ لأنه داخل في هــذه الآيــة، ولا يجتمع ذلك كما قــال العلمــاء: إرادة التحـاكم إلى الطـاغوت، مع الإيمـان باللـه، بل هـذا ينفي هـذا، والله -جل وعلا - قال: ﴿ [illegible] ﴾ .

الحال الثانية: أنه لا يريد التحاكم، ولكنه حاكم إما بإجبــاره على ذلك، كما يحصل في البلاد الأخرى، أنه يجبر أن يحضر مع خصـمه إلى قـانون إلى قـاض يحكم بالقـانون، أو أنه علم أن الحق له في الشــــرع، فرفع الأمر إلى القاضي في القـــانون؛ لعلمه أنه يوافق حكم الشـــرع، فهـــذا الـــذي رفع أمـــره في الدعوى على خصمه إلى قاض قانوني؛ لعلمه أن الشرع يعطيه حقه، وأن القانون وافق الشـرع في ذلـك، فهـذا الأصح -أيضـا- عندي أنه جائز، وبعض أهل العلم يقـول يتركـه، ولو كـان الحق له.

والله -جل وعلا - وصف المنافقين بقوله: فالذي يرى أن الحق ثبت له في الشرع، وما أجاز لنفسه أن يترافع إلى غير الشرع، إلا لأنه يأتيه ما جعله الله -جل وعلا - له مشروعا، فهذا لا يدخل في إرادة التحاكم إلى الطاغوت، فهو كاره، ولكنه حاكم إلى الشرع، فعلم أن الشرع يحكم له، فجعل الحكم الذي عند القانوني، جعله وسيلة لإيصال الحق الذي ثبت له شرعا إليه، هذه ثلاثة أحوال.

الحال الرابعة: حال الدولة التي تحكم بغير الشرع، تحكم بالقانون، الدول التي تحكم بالقانون -أيضا- بحسب كلام الشيخ محمد بن إبراهيم، وتفصيل الكلام في هذه المسألة في فتاويه قال ..أو مقتضى كلامه وحاصله: أن الكفر بالقانون فرض، وأن تحكيم القانون في الدول، إن كان خفيًّا نادرا، فالأرض أرض إسلام، يعني: الدولة دولة إسلام، فيكون له حكم أمثاله من الشركيات، التي تكون في الأرض، قال: وإن كان ظاهرا فاشيا، فالدار دار كفر.

قال: وإن كان ظاهرا فاشيا، فالدار دار كفر يعني: الدولة دولة كفر، فيصبح الحكم على الدولة راجع إلى هذا التفصيل، إن كان تحكيم القانون قليلا وخفيا، فهذه لها حكم أمثالها من الدول الظالمة، أو التي لها ذنوب وعصيان وظهور، أو وجود

بعض الشركيات في دولتها، وإن كان ظاهرا فاشيا. الظهور يضاده الخفاء، والفشو يضاده القلة، قال: فالدار دار كفر. وهذا التفصيل هو الصحيح؛ لأننا نعلم أنه في دول الإسلام صار هناك تشريعات غير موافقة لشرع الله -جل وعلا- والعلماء في الأزمنة الأولى ما حكموا على الدار بأنها دار كفر، ولا على تلك الدول بأنها دول كفرية ؛ ذلك لأن الشرك له أثر على الدار إذا قلنا: الدار، يعني: الدولة، فمتى كان ظاهرا فاشيا، فالدولة دولة كفر، ومتى كان قليلا خفيا فالدولة.. أو كان قليلا ظاهرا، وينكر فالأرض أرض إسلام، والدار دار إسلام.

وبالتالي الدولة دولة إسلام، فهذا التفصيل يتضح به هذا المقام، وبه تجمع بين كلام العلماء، ولا تجد مضادة بين قول عالم وعالم، ولا تشتبه المسألة ، إن شاء الله تعالى.

وبقية الباب واضح في ضوء ما ذكرنا من التفصيل، ونقف عند قوله: "باب من جحد شيئا من الأسماء والصفات" وصلى الله وسلم وبارك على نبينا محمد. وأنا عاجل بعض الشيء، فأرجو الإذن.

باب

من جحد شيئا من الأسماء والصفات

 الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين، نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

قـال المصـنف -رحمه الله تعـالى-: بـاب من جحد شـيئا من الأسماء والصفات، وقوله -تعالى-: [illegible]

وفي صحيح البخاري قـال علي حـدثوا النـاس بما يعرفـون، أتريدون أن يكذب الله ورسوله وروى عبد الـرزاق عن معمر عن ابن طاوس عن أبيه عن ابن عباس -رضي الله عنهمـا- أنه رأى رجلا انتفض لما سـمع حـديثا عن النـبي في الصـفات استنكارا لذلك، فقال: ما فرقوا هؤلاء، يجدون رقة عند محكمه، ويهلكون عند متشابهه انتهى.

ولما سمعت قريش رسول الله يذكر الرحمن أنكروا ذلـك، فأنزل الله فيهم: [illegible] .

الحمد لله والصـلاة والسـلام على رسـول اللـه، وعلى آله وصحبه، ومن اهتدى بهداه.

أما بعد: فهذا الباب ترجم له إمام هذه الدعوة بقوله:

"باب من جحد شيئا من الأسماء والصفات" يعـني: وما يلحقه من الذنب، وأن جحد شيء من الأسماء والصفات منـاف لأصل التوحيد، ومن خصال الكفـار والمشـركين، وقد ذكرنا لكم -فيما سـبق- أن توحيد الألوهية عليه بـراهين، ومن براهينه توحيد المعرفة والإثبـات، وهو توحيد الربوبيـة، وتوحيد الأسـماء والصـفات، فمن أدلة توحيد الألوهية توحيد الربوبيـة، كما سـبق أن مر معنا في باب قول الله -تعالى-: [illegible]

وكذلك توحيد الأسماء والصفات برهان على توحيد الألوهية، ومن حصل عنده ضلال في توحيد الأسماء والصفات، فإن ذلك سيتبعه ضلال في توحيد الألوهية.

ولهذا تجدون أن المبتدعة الذين ألحدوا في أسماء الله وفي صفاته من هذه الأمة، من الجهمية والمعتزلة والرافضة والأشاعرة والماتريدية، ونحو هؤلاء تجد أنهم لما انحرفوا في باب توحيد الأسماء والصفات، لم يعلموا حقيقة معنى توحيد الألوهية، ففسروا الإله بغير معناه، وفسروا "لا إله إلا الله" بغير معناها الذي دلت عليه اللغة، ودل عليه الشرع، وكذلك لم يعلموا متعلقات الأسماء والصفات، وآثار الأسماء والصفات في ملك الله -جل وعلا- وسلطانه؛ لهذا عقد الشيخ -رحمه الله- هذا الباب لأجل أن يبين لك أن تعظيم الأسماء والصفات من كمال التوحيد، وأن جحد الأسماء والصفات مناف لأصل التوحيد.

والذي يجحد اسما سمى الله به نفسه، أو سماه به رسوله وثبت ذلك عنه وتيقنه، فإنه يكون كافرا بالله -جل وعلا- كما قال -سبحانه- عن المشركين .

والواجب على العباد، على أهل هذه الملة أن يؤمنوا بتوحيد الله -جل وعلا- في أسمائه وصفاته، ومعنى الإيمان بالتوحيد هذا يعني: بتوحيد الله في أسمائه وصفاته أن يتيقن، ويؤمن

بـأن الله -جل وعلا- ليس له مثيل في أسـمائه، وليس له مثيل في صفاته كما قـال -جل وعلا-: □□□□□□ □ □□□□□□ □□□□□□□□□□□ □□□□□□ □□□□□□ □ □ □□□□ □□□□□□□□□□□□ □□□□□□□□□□ فنفى، وأثبت، فنفى أن يماثل الله شيء -جل وعلا- وأثبت له صفتي السمع والبصر.

قـال العلمـاء: قـدم النفي قبل الإثبـات على القاعـدة العربية المعروفة: أن التخلية تسبق التحلية. حـتى يتخلى القلب من كل براثن التمثيـل، ومن كل ما كـان يعتقـده المشـركون الجـاهلون من تشبيه الله بخلقه، أو تشـبيه خلق الله بـه، فـإذا خلا القلب من كل ذلك من براثن التشبيه والتمثيل، أثبت ما يسـتحقه الله -جل وعلا- من الصـــفات، فـــأثبت هنا صـــفتين، وهما الســـمع والبصر.

وسبب ذكر السـمع والبصر هنا في مقـام الإثبـات، دون ذكر غير السمع والبصر من الصفات، أو دون ذكر غير اسم السميع والبصير من الأسـماء؛ لأن صـفتي السـمع والبصر مشـتركة بين أكـثر المخلوقـات الحيـة، وجل المخلوقـات الحية الـتي حياتها بـالروح بـالنفس، وليست حياتها بالنمـاء، فـإن السـمع والبصر موجـود فيها جميعـا، فالإنسـان له سـمع وبصر وسـائر أصـناف الحيوانات، كل له سمع وبصر، الـذباب له سـمع وبصر يناسـبه، والبعـير له سـمع وبصر يناسـبه، وسـائر الطيـور والسـمك في الماء والدواب الصغيرة والحشرات، كل له سمع وبصر يناسبه.

ومن المتقرر عند كل عاقل أن سمع هذه الحيوانات ليس متماثلا، وأن بصرها ليس متماثلا، وأن سمع الحيوان ليس مماثلا لسمع الإنسان، وسمع الإنسان ربما كان أبلغ وأعظم من سمع كثير من الحيوانات، وكذلك البصر، فإذا كان كذلك كان اشتراك المخلوقات التي لها سمع وبصر في السمع والبصر، اشتراك في أصل المعنى، ولكل سمع وبصر بما قدر له، وما يناسب ذاته، فإذا كان كذلك، ولم يكن وجود السمع والبصر في الحيوان وفي الإنسان مقتضيا لتشبيه الحيوان بالإنسان، فكذلك إثبات السمع والبصر للملك الحي القيوم، ليس على وجه المماثلة للسمع والبصر في الإنسان، أو في المخلوقات.

فلله -جل وعلا- سمع وبصر يليق به، كما أن للمخلوق سمع وبصر يليق بذاته الحقيرة الوضيعة، فسمع الله كامل مطلق من جميع الوجوه لا يعتريه نقص، وبصره كذلك واسم الله السميع هو الذي استغرق كل الكمال في صفة السمع، وكذلك اسم الله البصير، هو الذي استغرق كل الكمال في صفة البصر، فدل ذلك على أن النفي مقدم على الإثبات، والنفي يكون مجملا، والإثبات يكون مفصلا.

فالواجب على العباد أن يعلموا أن الله -جلا جلاله- متصف بالأسماء الحسنى وبالصفات العلا، وألا يجحدوا شيئا من أسمائه وصفاته، ومن جحد شيئا من أسماء الله وصفاته، فهو كافر؛ لأن ذلك صنيع الكفار والمشركين، والإيمان بالأسماء والصفات

يقـوي اليقين باللـه، وهو سـبب لمعرفة الله والعلم بـه، بل إن العلم باللـــه، ومعرفة الله -جل وعلا- تكـــون بمعرفة أســـمائه وصفاته، وبمعرفة آثار الأسماء والصـفات في ملكـوت الله -جل وعلا- وهـذا بـاب عظيم ، ربما يـأتي له زيـادة إيضـاح عند بـاب قول الله -تعالى-: ﴿ ﴾ .

إذا تلخص هنا أن قولــه: بــاب من جحد شــيئا من الأســماء والصفات. صلة ذلك بكتاب التوحيد من جهتين: الجهة الأولى: أن من براهين توحيد العبادة، توحيد الأسماء والصفات. والثانيــة: أن جحد شيء من الأسماء والصفات شرك وكفر مخرج من الملة، إذا ثبت الاسم، أو ثبتت الصــفة، وعلم أن الله -جل وعلا- أثبتها لنفسه، وأثبتها له رسوله ﷺ ثم جحدها أصلا ، يعني: نفاها أصــلا، فإن هذا كفر؛ لأنه تكذيب بالكتاب وبالسنة.

قال: وقول الله -تعالى-: ﴿ ﴾ الآية، الــرحمن من أســماء الله -جل وعلا- والمشــركون والكفــار في مكة قالوا: لا نعلم الرحمن، إلا رحمن اليمامة.

فكفروا باسم الله الرحمن، وهـذا كفر بنفسـه؛ ولهـذا قـال -جل وعلا-: ﴿ ﴾ يعــني: باسم الله الرحمن، وهذا اسم من أسماء الله الحسنى، وهو مشتمل على صفة الرحمة؛ لأن الرحمن مشتق، أو فيه صفة الرحمة، ومبني على وجه المبالغــة، فــالرحمن أبلغ في اشــتماله على صــفة الرحمة من اسم الــرحيم؛ ولهــذا لم يتسم به على الحقيقة إلا

الله -جل وعلا- فهو من أسـماء الله العظيمة الـتي لا يشـركه فيها أحـد، أما الـرحيم فقد أطلق الله -جل وعلا- على بعض عباده بأنهم رحماء، وأن نبيه [illegible] رحيم كما قـال: [illegible] .

الاسم والصفة بينهما ارتباط من جهـة، أن كل اسم لله -جل وعلا- مشـتمل على صـفة، أسـماء الله ليست جامـدة، ليست مشتملة على معان، بل كل اسم من أسماء الله مشـتمل على صـفة، فالاسم من أسـماء الله يـدل على مجمـوع شـيئين بالمطابقة، وهما الذات والصفة التي اشتمل عليها الاسم.

ويدل على أحد هذين: الـذات أو الصـفة بالتضـمن؛ ولهـذا نقول: كل اسم من أسماء الله متضمن لصفة من صفات اللـه، ومطابقة الاسم لمعنـاه؛ لأنه دال على كل من الـذات وعلى الصـفة، الـذات المتصـفة بالصـفة، حـتى اسم الله لفظ الجلالة الله، الذي هو علم على المعبـود بحق -جل وعلا- مشـتق، على الصـحيح من قـولي أهل العلم. مشـتق؛ لأن أصـله الإلـه، ولكن أطلق الله تخفيفا لكثرة دعائه، وندائه بـذلك في أصل العربيـة، فهو مأخوذ من الإله، وهي العبادة.

فالله هو المعبود، ليس اسما جامدا، بل هو مشتق من ذلك، وهكذا جميع الصفات التي في الأسـماء كلها ذات، وهكـذا جميع الصفات التي تتضمنها الأسـماء، كلها دالة على كمـال الله -جل وعلا- وعلى عظمتـه، فالعبد المـؤمن إذا أراد أن يكمل توحيـده،

فليعمل العناية بالأسـماء والصـفات؛ لأن معرفة الاسم والصـفة، يجعل العبد يراقب الله -جل وعلا- وتؤثر هذه الأسماء والصفات في توحيـــده وقلبه وعلمه بالله ومعرفتـــه، كما ســـيأتي في تقاسيم الأسماء والصفات.

قال: "وفي صحيح البخاري قال: قال علي: حدثوا الناس بما يعرفون، أتريدون أن يكذب الله ورسـوله هـذا فيه دليل على أن بعض العلم لا يصلح لكل أحد، فإن من العلم ما هو خـاص، ولو كـان نافعا في نفســه، ومن أمــور التوحيــد، لكن ربما لم يعرفه كثــير من النـــاس، وهـــذا من مثل بعض أفــراد توحيد الأسـماء والصـفات، من مثل بعض مبـاحث الأسـماء والصـفات، وذكر بعض الصـــفات لله -جل وعلا- فإنها لا تناسب كل أحـــد، حـــتى إن بعض المتجهين إلى العلم، قد لا تطـــرح عليه بعض المسائل الدقيقة في الأسماء والصفات، ولكن يأمرون بالإيمــان بذلك إجمالا.

والإيمان بالمعروف والمعلـوم المشـتهر في الكتـاب والسـنة، أما دقائق البحث في الأسماء والصفات، فإنما هي للخاصة، ولا تناسب العامـــة، أو لا تناسب المبتـــدئين في طلب العلم؛ لأن منها ما يشــكل، ومنها ما قد يئــول بقائلها إلى أن يكــذب الله ورســوله، كما قــال هنا علي   حــدثوا النــاس بما يعرفــون أتريدون أن يكذب الله ورسوله .

فمناسبة هذا الأثر لهذا الباب، أن من أسباب جحد الأسماء والصفات، أن يحدث المرء الناس بما لا يعقلونه من الأسماء والصفات، الناس عندهم إيمان إجمالي بالأسماء والصفات، يصح معه توحيدهم، وإيمانهم، وإسلامهم، فالدخول في تفاصيل ذلك غير مناسب إلا إذا كان المخاطب يعقل ذلك، ويعيه، وهذا ليست بحالة أكثر الناس؛ ولهذا الإمام مالك -رحمه الله- لما حدث عنده بحديث الصورة ، فقال.. فنهى، المتحدث بذلك؛ لأن العامة لا يحسنون فهم مثل هذه المباحث، وهكذا في بعض المسائل في الأسماء والصفات، لا تناسب العامة.

فقد يكون سبب الجحد إن حدثت من لا يعقل البحث، فيئول به ذلك، وهو أن البحث فوق عقله، وفوق مستواه، وفوق ما تقدمه من العلم أن يؤدي به ذلك إلى أن يجحد شيئا من العلم بالله -جل وعلا- أو أن يجحد شيئا من الأسماء والصفات، فالواجب على المسلم -وخاصة طالب العلم- أن لا يجعل الناس يكذبون شيئا مما قاله الله -جل وعلا- أو أخبر به رسوله ووسيلة ذلك التكذيب أن يحدث الناس بما لا يعرفون، يحدث الناس بحديث لا تبلغه عقولهم، كما جاء في الحديث الآخر ما أنت بمحدث قوما حديثا لا تبلغه عقولهم، إلا كان لبعضهم فتنة وقد بوب على ذلك البخاري في الصحيح في كتاب العلم بقوله: " باب من ترك بعض الاختيار؛ مخافة أن يقصر فهم بعض الناس عنه، فيقعوا في أشد منه" وهذا من الأمر المهم الذي ينبغي للمعلم، وللمتحدث، وللواعظ، وللخطيب أن

يعيه في أن يحـــدث النـــاس بما يعرفـــون ، وأن يجعل تقوية التوحيد، وإكمال توحيدهم والزيادة في إيمانهم، بما يعرفــون، لا بما ينكرون.

قال: وروى عبد الـرزاق ، عن معمر ، عن ابن طـاوس، عن أبيه عن ابن عبــاس -رضي الله عنهمــا- أنه رأى رجلا انتفض لما سمع حديثا عن النبي في الصفات؛ استنكارا لذلك فقـال: ما فرقـــوا هـــؤلاء، يجـــدون رقة عند محكمـــه، ويهلكـــون عند متشابهه .

هـذا لما لم يعـرف هـذه الصـفة انتفض؛ لأنه فهم من هـذه الصفة المماثلة، أو التشبيه، فخاف من تلك الصفة.

والـواجب على المسـلم أنه إذا سـمع صـفة من صـفات الله في كتـاب اللـه، أو في سـنة النـبي أن يجريها مجـرى جميع الصــفات، وهو أن إثبـــات الصـــفات لله -جل وعلا- إثبـــات بلا تكييف، إثبات بلا تمثيل، فإثباتنا للصـفات على وجه تنزيه الله -جل وعلا- عن المثيل والنظـير في صــفاته، وأســمائه، فله من كل اسم وصــفة أعلى، وأعظم ما يشــتمل عليه من المعــنى؛ ولهذا قال ابن عباس هنا: ما فرقوا هؤلاء. يعني: ما سبب خوف هؤلاء؟ لماذا فرقوا؟ خافوا من هذه الصفة، ومن إثباتها؟.

يجدون رقة عند محكمـه، يعـني: إذا خوطبـوا بـالمحكم الـذي يعرفون، المحكم: هو ما يعلم، هو الذي يعلمه سـامعه، هـذا هو المحكم، يجـــدون رقة عند محكمه ، يعـــني: إذا خوطبـــوا بما

يعلمونه، وجدوا في قلوبهم رقة لذلك، ويهلكـون عند متشـابهه، فإذا سمعوا في الكتاب، أو السنة شيئا لا تعقله عقولهم، هلكوا عنـده، وخـافوا، وفرقـوا، وأولـوا، ونفـوا، أو جحـدوا، وهـذا من أسباب الضلال.

وهنا استعمل ابن عبـاس -رحمه اللـه، ورضي عنـه- اسـتعمل كلمة المحكم، وكلمة المتشـــابه، ويريد بها هنا المحكم الـــذي يعلم، يعلمه سامعه، والمتشابه الذي يشتبه علمه على سـامعه، والقرآن والعلم جميعا والشريعة كلها محكمـة، وكلها متشـابهة، ومنها محكم، ومنها متشابه، فهذه ثلاثة أقسام:

فالأول: المحكم، كما قال -جل وعلا-: [illegible]

فــالقرآن كله محكم بمعــنى أن معنــاه واضــح، وأن الله -جل وعلا- أحكمــه، فلا اختلاف فيــه، ولا تبــاين، وإنما بعضه يصــدق بعضا كما قال -جل وعلا-: [illegible] والقرآن والشريعة -أيضا- متشابه كله بمعنى أن بعضه يشبه بعضا، فهذا الحكم، وهذه المسألة تشــبه تلـك؛ لأنها تجـري معها في قاعـدة واحـدة، فنصـوص الشـريعة يصـدق بعضـها بعضـا، ويئـول بعضـها إلى بعض، وقد قـال -جل وعلا-: [illegible] .

قال: كتابا متشابها، فالقرآن متشابه، يعني: بعضه يشبه بعضا، هذا خبر في الجنة، وهذا خبر في الجنة بعض الأخبار، يفصل بعضا، وهذه قصة، وهذه قصة، هذه تصدق هذه وتزيدها تفصيلا، وهكذا في كل ما في القرآن، والقرآن -أيضا- والشريعة والعلم منه محكم، ومنه متشابه باعتبار ثالث، فالمحكم والمتشابه هنا هو الذي جاء في آية آل عمران □□□□□□□ □□□□□□□□□ □□□□ □ □□□□□□□□□□□□ □□□□ □□□□ □□□□□□□□□□□ □□□□□□□□□□□ □□□□□□□□□ □□□□□□ □□□□□□ □□□□□□□□□□□□ □□□□□□□□□□□□□□ □□□□□□□□ □□□□□□□□□ □□□□□□□□□□□□□□□□ □ □ فمنه محكم ، وهو الذي اتضح لك علمه، ومنه متشابه، وهو الذي اشتبه عليك علمه، وبهذا نعلم أنه ليس عندنا في عقيدة أهل السنة والجماعة -أتباع السلف الصالح- ليس عندهم شيء من المتشابه المطلق، الذي لا يعلمه أحد، بمعنى أن ثمة مسألة من مسائل التوحيد، أو من مسائل العمل يشتبه علمها على كل الأمة، هذا لا يوجد، بل ربما اشتبه على بعض الناس، وبعضهم يعلم المعنى، كما قال -جل وعلا-: □ □□□□□ □□□□□□□□ □□□□□□□□□□□□□□ □□□□ □□□□ □ □□□□□□□□□□□□□□□□ □□□ □□□□□□□□□□ □ على أحد وجهي الوقف.

فهذا المتشابه الموجود الذي هو قسيم للمحكم، هذا يشتبه على بعض الناس، فإذا اشتبه عليك علم شيء من التوحيد، أو من الشريعة، فإن الواجب ألا تفرق عنده، وألا تخاف، وألا تتهم الشرع، أو يقع في قلبك شيء من الزيغ؛ لأن الذين يتبعون المتشابه بمعنى لا يؤمنون به، فإن هؤلاء هم الذين في قلوبهم

زيغ، وهذا هو الذي عناه ابن عباس -رضي الله عنهما- حين قال: يجدون رقة عند محكمه، ويهلكون عند متشابهه .

يريد به هذا الوجه من أن الذين يهلكون عند المتشابه، هم أهل الزيغ الذين قال الله -جل وعلا- فيهم:

                        فأهل الزيغ يستعملون في المتشابه هاتين الطريقتين، إما أن يبتغوا بالمتشابه الفتنة، وإما أن يبتغوا بالمتشابه التأويل.

والواجب أن يرد المتشابه إلى المحكم، فنعلم أن الشريعة يصدق بعضها بعضا، وأن التوحيد بعضه يدل على بعض، وكالقاعدة المعروفة في الصفات التي ذكرها عدد من الأئمة كالخطابي وكشيخ الإسلام في التدمرية: أن القول في بعض الصفات كالقول في بعض، وأن القول في الصفات كالقول في الذات، يحتذى فيه حذوه ، وينهج فيه على منواله .

قال: ولما سمعت قريش رسول الله يذكر الرحمن أنكروا ذلك، فأنزل الله فيهم: فإنكار الصفة، أو إنكار الاسم بمعنى عدم التصديق بذلك هذا جحد، وهذا يختلف عن التأويل، فالتأويل والإلحاد له مراتب يأتي بيانها، إن شاء الله تعالى.

باب

قول الله -تعالى-:
يَعْرِفُونَ نِعْمَةَ اللَّهِ ثُمَّ يُنْكِرُونَهَا وَأَكْثَرُهُمُ الْكَافِرُونَ

باب قـول الله -تعـالى-: قـال مجاهد -ما معنـاه-: هو قــول الرجل هـذا مـالي ورثته عن آبـائي . وقـال عـون بن عبد اللـه: يقولـون: لـولا فلان لم يكن كـذا. وقـال ابن قتيبة يقولـون: هـذا بشفاعة آلهتنا. وقال أبو العباس -بعد حديث زيد بن خالد الــذي فيه أن الله -تعالى- قال: أصبح من عبـادي مـؤمن بي وكـافر .. الحديث وقد تقـدم، وهـذا كثـير في الكتـاب والسـنة يـذم -سـبحانه- من يضـيف إنعامه إلى غـيره، ويشـرك بـه. قـال بعض السلف: هو كقولهم: كانت الريح طيبة والملاح حاذقا، ونحو ذلك مما هو جار على ألسنة كثير.

هذا الباب من الأبـواب العظيمة في هـذا الكتـاب، خاصة في هـذا الـزمن؛ لشـدة الحاجة إليـه، وترجمه المصـنف -رفع الله مقامه في الجنـة- بقولـه: "بـاب قـول الله -تعـالى-: " فوصف الكفار في سـورة النحـل، التي تسمى سورة النعم، وصفهم بأنهم يعرفـون نعمة اللـه، ثم ينكرونهـا، وإنكــار النعمة بــأن تنسب إلى غــير اللــه، إنكارها بأشياء، ومن ذلك أن تنسب إلى غير الله، وأن يجعل المتفضل بالنعمة غير الذي أسداها، وهو الله -جل جلاله-.

الـــــــواجب على العبد أن يعلم أن كل النعم من الله -جل وعلا- وأن كمال التوحيد لا يكـون إلا بإضـافة كل نعمة إلى الله -جل وعلا- وأن إضـــافة النعم إلى غـــير الله نقص في كمـــال التوحيد، ونوع شرك بالله -جل وعلا- ولهـذا تكـون مناسـبة هـذا الباب لكتاب التوحيد، أن ثمة ألفاظا يستعملها كثـير من النـاس في مقابلة النعم، أو في مقابلة انـــدفاع النقم، فيكـــون ذلك القول منهم نوع شرك بالله -جل وعلا- بل شرك أصـغر بالله -جل وعلا-.

فنبه الشـيخ -رحمه اللـه- بهـذا البـاب على ما ينـافي كمـال التوحيد من الألفاظ، وأن نسبة النعم إلى الله -جل وعلا- واجبة قال: [illegible] أخذ بعض أهل العلم من هذه الآية أن لفظ المعرفة، إنما يأتي في الذم، وأن النافع هو العلم، وأما المعرفة فتستعمل في القرآن وفي السنة غالبا، فيما يـــذم من أخذ المعلومـــات كقوله -جل وعلا-: [illegible] وكقوله في هذه الآية: [illegible] وهذا على جهة الأكثرية، وإلا فقد ورد أن المعرفة بمعـنى العلم، كما جـاء في صحيح مسـلم في حـديث ابن عبـاس أن النـبي ﷺ لما بعث معاذا إلى اليمن، قال له: « إنك تـأتي قوما أهل كتـاب ، فليكن أول ما تدعوهم إليه.. » أن يعرفـوا اللـه، فـإن هم عرفـوا اللـه، فهـذا يـدل على أن بعض من روى الحـديث من التـابعين، جعل

معنى العلم بالمعرفـة، وهم حجة في هـذا المقـام، فيـدل على أن استعمال المعرفة بمعنى العلم لا بأس به.

هـذا البـاب معقـود لألفـاظ يكـون اسـتعمالها من الشـرك الأصـغر؛ ذلك أن فيها إضـافة النعمة إلى غـير اللـه، والله -جل وعلا- قال: [illegible] وهذا نص صريح بالعموم؛ لأن مجيء النكرة في سياق النفي، يدل على الظهـور في العموم، فإن سبقت النكرة بمن حرف جر الـذي هو شـبيه بالزائد، فيكون العموم نصا فيه، والتنصيص في العمـوم بمعـنى أنه لا يخـرج شـيء من أفـراده، فـدلت الآية على أنه لا يخـرج شـيء من النعم، أيا كـان ذلك الشـيء صـغيرا كـان، أو كبـيرا، عظيما جليلا، أو حقيرا وضـيعا، لا يكـون إلا من الله -جل وعلا- فكل النعم صغرت، أو عظمت هي من الله -جل جلاله- وحده.

وأما العباد، فإنما هم أسـباب تـأتي النعم على أيـديهم، يـأتي واحد، ويكون سببا في إيصال النعمة إليـك، أو يكـون سـببا في معالجتـك، أو سـببا في تعيينـك، أو سـببا في نجاحـك، أو نحو ذلـك، لا يـدل على أنه هو ولي النعمـة، وهو الـذي أنعم، فـإن ولي النعمة هو الرب -جل وعلا- وهذا من كمـال التوحيـد؛ فـإن القلب الموحد يعلم أنه ما ثم شيء في هذا الملكـوت إلا والله -جل وعلا- هو الذي يفتحه، وهو الذي يغلق ما يشاء كما قال -سبحانه-: [illegible] فكل النعم من الله -جل

وعلا- والعباد أسباب في ذلك، فالواجب إذا أن تنسب النعمة إلى المسدي لا إلى السبب؛ لأن السبب لو أراد الله -جل وعلا- لأبطل كونه سببا، وقلب.. أو هذا السبب إذا كان آدميا، فقلبه بين أصبعين من أصابع الله -جل وعلا- لو شاء لصده عن أن يكون سببا، أو أن يكون ينفعك بشيء، فالله -جل وعلا- هو، ولي النعمة، قد قال شيخ الإسلام - رحمه الله تعالى- ما من أحد تعلق بمخلوق إلا وقد خذل، ما من أحد تعلق بمخلوق في حصول شيء له، أو اندفاع مكروه منه إلا خذل، وهذا في غالب المسلمين.

وذلك لأن الواجب على المسلم أن يعلق قلبه بالله، وأن يعلم أن النعم إنما هي من عند الله، والعباد أسباب يسخرهم الله -جل جلاله- وهذا هو حقيقة التوحيد، ومعرفة تصرف الله - جل وعلا - في ملكوته.

قال: قال مجاهد -ما معناه-: هو قول الرجل هذا مالي ورثته عن آبائي. هذا القول: مالي ورثته عن آبائي مناف لكمال التوحيد، ونوع شرك؛ لأنه نسب هذا المال إليه، ونسبه إلى آبائه، وفي الواقع أن هذا المال أنعم الله به على آبائه، ثم أنعم الله به على هذا المؤمن إذ جعل الله -جل وعلا- القسمة قسمة الميراث تصل إليه، وهذا كله من فضل الله -جل وعلا- ومن نعمته، والوالد سبب في إيصال المال إليك؛ ولهذا في قسمة الميراث لا يجوز للوالد أن يقسم الميراث، أو لصاحب

المال أن يقسم الميراث على ما يريد هو؛ لأن المال في الحقيقة ليس مالا له، كما قال -جل وعلا-: فهو مال الله -جل وعلا- يقسمه كيف يشاء.

إن الله قسم بينكم أخلاقكم، كما قسم بينكم أرزاقكم فالواجب على العبد أن يعلم أن ما وصله من المال، أو وصله من النعمة عن طريق آبائه، هو من فضل الله -جل وعلا- ونعمته. ووالده، أو والدته، أو قريبه سبب من الأسباب، فيحمد الله -جل وعلا- على هذه النعمة، ويسأل الله -جل وعلا- بذلك السبب، ويقابل ذلك السبب بجزائه إما بدعاء، وإما بغيره.

قال: وقال عون بن عبد الله يقولون: لولا فلان لم يكن كذا، لولا فلان لم يكن كذا. كقول القائل: لولا قائد الطيارة، لولا الطيار لذهبنا في هلكة، لولا أن صاحب السيارة كان ماهرا، السائق كان ماهرا لذهبنا في كذا وكذا، أو يقول: لولا أن الشيخ كان معلما، وأفهمنا المسألة لما فهمناها أبدا، أو يقول: لولا المدير الفلاني لفصلت، ونحو ذلك من الألفاظ التي فيها تعليق حصول الأمر بهذه الواسطة، والأمر إنما حصل بقضاء الله وبقدره، وبفضل الله، وبنعمته.

من حصول النعم، أو اندفاع المكروه والنقم؛ ولهذا الواجب على العبد أن يوحد فيقول: لولا الله، ثم فلان، فيجعل مرتبة

فلان ثانيــة، ولا يجعل مرتبة فلان هي الأولى، أو الوحيــدة؛ لأن الله -جل وعلا- هو المسدي للنعم المتفضل بها.

وقــال ابن قتيبة يقولــون: هــذا بشــفاعة آلهتنــا، لــولا فلان لم يكن كـــذا، هنا قـــال: فلان من جهة كـــثرة الاســـتعمال، أما في الواقع، فقد يأتي لولا في استعمالها بالناس، أو بتعلق بجمادات بيت، ونحو ذلك، أو سيارة، أو طيـارة يعـني: من جهة صـناعتها، أو التعلق ببقــاع، أو التعلق بشــيء من خلق اللــه: مطــر، مــاء، ســحاب، هــواء، ونحو ذلــك، فنســبة النعمة إلى إنســان، أو إلى بقعــة، أو إلى فعل فاعــل، أو إلى صــنعة، أو إلى مخلــوق، كل ذلك من نسبة النعم إلى غير الله، وهو نوع من أنــواع الشــرك في اللفظ، وهو من الشرك الأصغر بالله -جل وعلا- كما سيأتي في الباب بعده، إن شاء الله.

قــال: وقــال ابن قتيبــة: يقولــون: هــذا بشــفاعة آلهتنــا، هــذا بشـــفاعة آلهتنا يعـــني: إذا حصـــلت لهم نعمة جـــاءتهم أمطـــار، جاءهم مــال، نجحــوا في تجــارتهم، إذا حصل لهم ذلــك، تــذكروا أنهم توجهوا للأولياء، أو توجهوا للأنبيــاء، أو توجهــوا للأصــنام، أو الأوثــان تــذكروا أنهم، قد توجهــوا لهم، فصــرفوا لهم شــيئا من العبــادة، فقــالوا: الآلهة شــفعت لنــا، فلــذلك جاءنا هــذا الخــير، فيتـــذكرون آلهتهم، وينســـون أن المتفضل بـــذلك هو الله -جل وعلا-، وأن الله -ســـبحانه- لا يقبل شـــــفاعة شـــــركية كتلك الشفاعات التي يذكرونها.

قال: وقال أبو العباس -بعد حديث زيد بن خالد، وقد تقدم، وهذا كثير في الكتاب والسنة يذم -سبحانه- من يضيف إنعامه إلى غيره، ويشرك به قال بعض السلف: هو كقولهم: كانت الريح طيبة، والملاح حاذقا، ونحو ذلك مما هو جار على ألسنة كثير، وهذا باب ينبغي الاهتمام به، وتنبيه الناس عليه بأن نعم الله علينا في هذه البلاد، بل نعم الله على أهل الإيمان في كل مكان كثيرة لا حصر لها؛ ولهذا الواجب أن تنسب النعم إلى الله -جل وعلا- وأن يذكر بها، وأن يشكر؛ لأن من درجات شكر النعمة أن تضاف إلى من أسداها هذه أول الدرجات   أول درجات التحديث بالنعمة، أن تقول: هذا من فضل الله، هذه نعمة الله، فإذا التفت القلب إلى مخلوق، فإنه يكون قد أشرك، هذا النوع من الشرك المنافي لكمال التوحيد. نعم.

باب

قول الله -تعالى-
فَلَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَنْدَادًا وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ

باب قول الله -تعالى-   قال ابن عباس -رضي الله عنهما- في الآية: الأنداد هو الشرك، أخفى من دبيب النمل على صفاة سوداء في ظلمة

الليل، وهو أن تقول: والله وحياتك يا فلان، وحياتي، وتقول: لولا كليبة هذا، لأتانا اللصوص، ولولا البط في الـدار، لأتى اللصـوص وقول الرجل لصاحبه: ما شاء الله وشئت، وقـول الرجـل: لـولا الله وفلان، لا تجعل فيها فلانـا، هـذا كله شـرك رواه ابن أبي حـاتم، وعن عمر بن الخطـاب أن رسـول الله قـال: من حلف بغير اللـه، فقد كفـر، أو أشـرك رواه الترمـذي وحسـنه وصححه الحاكم.

وقـال ابن مسـعود: لأن أحلف بالله كاذبـا، أحب إلي من أن أحلف بغيره صادقا، وعن حذيفة عن النبي قال: لا تقولـوا ما شـاء الله وشـاء فلان، ولكن قولـوا ما شـاء اللـه، ثم شـاء فلان رواه أبو داود بسـند صحيح. وجـاء عن إبـراهيم النخعي: أنه يكره أن يقول: أعوذ بالله وبك، ويجـوز أن يقـول: باللـه، ثم بك. قال: ويقول: لولا الله، ثم فلان، ولا تقولوا: لولا الله وفلان.

هذا باب قول الله -تعالى-:   فيه بيان أن هنـاك ألفاظـا، فيها التنديـد، والتنديد معناه أن تجعل غير الله ندا له، فيكون التنديد في نسـبة النعم إلى غـير اللـه، ويكـون التنديد في الحلف بغـير اللـه، ويكـون التنديد في قـول: ما شـاء الله وشـاء فلان، وغـير ذلك من الألفـاظ، فهـذا البـاب فيه بيـان أن التنديد يكـون في الألفـاظ، والتنديد هنا المراد به التنديد الأصغر الذي هو شرك أصـغر في الألفاظ، وليس التنديد الكامل الذي هو الشـرك الأكـبر وقوله -

جل وعلا-: ﴿ [illegible] ﴾ هذا عام يشمل اتخاذ الأنداد بالشرك الأكبر، ويشمل -أيضا- اتخاذ الأنداد بأنواع الإشراك، التي دون الشرك الأكبر؛ لأن قوله: "أندادا" هذا يعم جميع أنواع التنديد، والتنديد منه ما هو مخرج من الملة، ومنه ما لا يخرج من الملة؛ ولهذا ساق عن ابن عباس أنه قال: الأنداد هو الشرك، أخفى من دبيب النمل، فجعل مما يدخل في هذه الآية الشرك الخفي، أو شرك الألفاظ التي تخفى على كثير من الناس.

ومناسبة هذا الباب لكتاب التوحيد ظاهرة؛ أن حقيقة التوحيد ألا يكون في القلب إلا الله -جل وعلا- وألا يتلفظ بشيء فيه جعل غير الله -جل وعلا- شريكا له، أو ندا له، كمن حلف بغير الله، أو كمن قال: ما شاء الله، وشاء فلان، أو لولا كليبة هذا لأتانا اللصوص، ونحو هذه الألفاظ.

الأول: ظاهر، وهو تبع للباب قبله يعني: كلام ابن عباس على الآية، ثم قال في آخره: لا تجعل فيها فلانا، هذا كله به شرك يعني: لا تقل لولا الله وفلان، قل: لولا الله لحصل كذا، هذا هو الأكمل، فالذي ينبغي في استعمال هذه الألفاظ أن تنسب إلى الله، فظهر لنا هنا أن ثمة درجتين جائزتين، وغير ذلك لا يجوز، وهاتان الدرجتان الأولى هي الكاملة، وهي أن يقول: لولا الله لما حصل كذا، والجائز أن يقول: لولا الله، ثم فلان لما حصل كذا هذه جائزة، وهي توحيد لجعله مرتبة فلان نازلة عن مرتبة

نعمة الله -جل وعلا- أو إنعام الله، ولكن هذا ليس هو الكمـال؛ ولهذا قال ابن عبـاس هنـا: لا تجعل فيها فلانـا؛ لأن الكمـال أن تقـول لـولا الله لأتانا اللصـوص، لـولا نعمة الله لما حصل كـذا، لولا فضل الله لما حصل كذا، هذه هي المرتبة الكاملة.

والجـواز أن تقـول: لـولا اللـه، ثم فلان، وأما الـذي لا يجـوز، والذي قال فيه ابن عبـاس: كله به شـرك، أن يقـول: لـولا الله وفلان بـــالواو؛ لأن الـــواو تفيد التشـــريك بين المعطـــوف والمعطوف عليه، دون تراخ في المرتبة، أما ثم فتفيد الـتراخي في المرتبة، أو التراخي في الزمن على ما هو معلوم في هـذا المبحث في حروف المعاني من النحو.

فلهذا صار قـول القائـل: لـولا الله وفلان شـرك، أو ما شـاء الله وشاء فلان، أن هذا شرك أصغر.

والـواجب أن يقـول: لـولا اللـه، أو أن يقـول: ما شـاء الله وحده، كما سيأتي في باب بعد ذلك، فإذا تحصل لنا أن الكمال أن ينسب ذلك إلى الله -جل وعلا- وأن الجـائز أن يقـول: لـولا الله، ثم فلان.

قال: وعن عمر بن الخطـاب أن رسـول الله قـال من حلف بغير الله، فقد كفـر، أو أشـرك رواه الترمـذي وحسـنه، وصححه الحاكم.

 من حلف بغـير الله يعـني: عقد اليمين بغـير الله -جل وعلا- فقد كفـر، أو أشـرك، واليمين هي تأكيد الكلام بمعظم به

بين المتكلم والمخـــاطب، يؤكد الكلام بمعظم به بأحد حـــروف القسم الثلاثة: الواو، أو الباء، أو التاء فاليمين، أو الحلف يكــون بتأكيد الكلام بمعظم به بالواو، أو بالباء، أو بالتـاء، والـواجب ألا يؤكد الكلام إلا بالله -جل وعلا-؛ لأن المعظم على الحقيقة هو الله -جل وعلا- وأما البشر، فليسوا بمعظمين بحيث يحلف بهم، وإنما ربما عظموا بشيء يناسب ذاتهم، تعظيم البشر اللائق.

أما التعظيم الذي يصل إلى حد أن يحلف بـه، فهـذا إنما هو لله -جل وعلا- فـإذا الـواجب ألا يؤكد الكلام إلا بالله -جل وعلا- إذا أراد الحلف، إذا أراد أن يكون حالفـا، فليحلف باللـه، فليؤكد الكلام بالله -جل وعلا- باستخدام أحد الأحـرف الثلاثـة: الـواو، أو الباء، أو التاء، وأما إذا استخدم غـير هـذه الأحـرف كلفـظ، في ونحو ذلـــك، فإنه لا يعد حلفا إلا إن كـــان في قلبه أنه يمين، ولكنه أخطأ التعبير، فـالعبرة بما في النفس من المعـاني، وأما ما في اللفظ، فإنه في هذا المقام يئول إلى ما في القلب.

لهـذا قـال هنـا: من حلف بغـير الله فقد كفـر، أو أشـرك لماذا كفر، أو أشـرك؟ لأنه عظم هـذا المخلـوق كتعظيم الله - جل وعلا- في الحلف بـه، وكفــره وشــركه شــرك أصــغر، وقد يصل إلى أن يشرك بالحلف، شركا أكبر إذا عظم المحلوف به كتعظيم الله -جل وعلا- في العبــادة، فــإذا صــار حقيقة الحلف بغير الله أنه تعظيم لذلك المحلوف به في الحلف، فإن انضاف إلى ذلك أن المحلوف به معظم في العبادة، صار شـركا أكـبر،

كحلف الذين يعبدون الأوثان بأوثانهم، فإنه شرك أكبر؛ لأنه يعظم ذلك الوثن، أو ذلك القبر، أو تلك البقعة، أو ذلك المشهد، أو ذلك الولي يعظمه كتعظيم الله في العبادة.

فيكون حلفه حلفا بمعظم به في العبادة، فإذا صار هنا الشرك الأصغر حاصل بمجرد الحلف بغير الله، فكل من حلف بغير الله، فهو مشرك.

الشرك الأصغر قد يصل في بعض الأحوال إلى أن يكون مشركا الشرك الأكبر، إذا كان يعبد هذا الذي حلف به، وهناك يمين بغير الله في اللفظ، فهذه -أيضا- شرك ، ولو لم يعقد القلب اليمين كمن يكون دائما على لسانه استعمال الحلف بالنبي، أو بالكعبة، أو بالأمانة، أو بولي، ونحو ذلك، وهو لا يريد حقيقة اليمين، وإنما يجرى على لسانه مجرى اللغو، فهذا -أيضا- شرك؛ لأنه تعظيم لغير الله -جل وعلا-.

قال: وقال ابن مسعود: لأن أحلف بالله كاذبا أحب إلي من أن أحلف بغيره صادقا. هذا لأجل عظم الحلف بغير الله -جل وعلا- وأن الحلف بغير الله شرك، وأما الكذب، فإنه كبيرة والشرك الأصغر هذا أعظم من الكبائر؛ فلهذا استحب أن يكذب مع التوحيد، وألا يصدق مع الشرك؛ لأن حسنة التوحيد أعظم من سيئة الكذب، ولأن سيئة الشرك أشنع من سيئة الكذب، قال: وعن حذيفة عن النبي   لا تقولوا ما شاء

الله وشاء فلان، ولكن قولوا ما شاء الله، ثم شاء فلان » رواه أبو داود بسند صحيح.

هـــذا من جهة الإرشـــاد إلى ما ينبغي أن يقـــال، فلا تجعل مشيئة العبد مقارنة مشـتركة مع مشـيئة اللـه، بل الـواجب أن يـــنزه العبد لفظه حـــتى يعظم الله -جل وعلا- والقلب المعظم لله -جل وعلا- لا يمكن أن يســـتعمل لفظا فيه جعل لمخلـــوق في مرتبة الله -جل وعلا- في المشـيئة، أو في الحلـف، أو في الصفات، ونحو ذلك.

لهذا قال: « لا تقولـوا ما شـاء الله وشـاء فلان » وهـذا النهي للتحريم؛ لأن هذا التشريك في المشيئة هذا شـرك أصـغر بالله -جل وعلا- قال: « ولكن قولوا ما شاء الله، ثم شـاء فلان » لأن "ثم" تفيد الـتراخي في المشـيئة، وهـذا؛ لأن مشـيئة العبد تبع لمشـيئة الله -جل وعلا- قـال -تعـالى-: [illegible] فمشيئة العبد ناقصة، ومشيئة الله كاملة.

قـال: وجـاء عن إبـراهيم النخعي أنه يكـره: أعـوذ بالله وبـك، أعــوذ بالله وبــك. لأن الــواو تقتضي التشــريك في الاســتعاذة والاستعاذة كما ذكرنا لها جهتـان: جهة ظـاهرة وجهة باطنـة، أما الجهة الباطنــة، وهي الالتجــاء والاعتصــام، والــرغب والــرهب، وإقبــال القلب على المســتعاذ بــه، فهــذا لا تصــلح إلا للــه، والاعتمـاد في الاسـتعاذة على المخلـوق فيما أقـدره الله عليه

هذا جائز؛ لأن الاستعاذة بالمخلوق ظاهرة فيما أقدره الله عليه ظاهرا جائز؛ لهذا كان يكره أن يقول أعوذ بالله وبك والكراهة في استعمال السلف، يراد منها غالبا المحرم، وقد ترد لغير المحرم، ولكن يستعملونها فيما لا نص فيه، ومجيء الكراهة بمعنى التحريم في القرآن في قوله -تعالى- لما ذكر الكبائر في سورة الإسراء: وفي القراءة الأخرى: " كل ذلك كان سيئة عند ربك مكروها" مكروها: أي محرما التحريم الشديد.

قال: ويجوز أن يقول: بالله، ثم بك لما فيها من التراخي قال: ويقول: لولا الله، ثم فلان، ولا تقولوا: لولا الله وفلان. نعم.

باب

ما جاء فيما لم يقنع بالحلف بالله

باب ما جاء فيمن لم يقنع بالحلف بالله . وعن ابن عمر -رضي الله عنهما- أن رسول الله قال لا تحلفوا بآبائكم، من حلف له بالله فليصدق، ومن حلف له بالله فليرض، ومن لم يرض فليس من الله رواه ابن ماجه بسند حسن.

وابن ماجه.. ابن ماجه.. يعني: ماجه أمه، وآخره هاء وصلا ووقفا، فلا يقال رواه ابن ماجة بسند حسن، أو روى ابن ماجة هذا غلط، والصواب أن تقول: وروى ابن ماجه بسند حسن؛

لأن الهاء هنا ليست لأجل السكون في التاء، وإنما هي أصلية في اسم أمه -رحمه الله تعالى- ورحمها.

هذا باب ما جاء فيمن لم يقنع بالحلف بالله، لما كان تعظيم الله -جل وعلا- في قلب العبد المؤمن واجبا، كان الرضا بكلام، أكد فيه الكلام بالحلف بالله كان ذلك مطلوبا، ومأمورا به، ومن لم يقنع بالحلف بالله، فقد فاته تعظيم الله -جل وعلا- وتعظيم شرعه، والواجب أن يقنع بكلام حلف عليه بالله تعظيما لجلال الله -جل وعلا- كما قال: ﴿ آمنت بالله وكذبت عيني ﴾ فيمن حلف له بالله، فالواجب على العبد، أن إذا حلف له بالله أن يرضى؛ لأن في ذلك تعظيما للرب -جل وعلا-.

باب ما جاء فيمن لم يقنع بالحلف بالله: لفظ "لم يقنع" استفاد منه كثير من الشراح بأن المراد بهذا الباب، ما يكون عند توجه اليمين على أحد المتخاصمين، فإنه إذا كانت الخصومة، وتوجهت اليمين في الدعوة، فإن الواجب على الآخر أن يقنع بما حلف عليه الآخر بالله -جل وعلا- فخصوا ما جاء من الدليل، وخصوا هذا الباب بمسألة الدعاوى يعني: اليمين عند القاضي، وقال بعض أهل العلم: إن الحديث عام، والحديث حسنه طائفة من أهل العلم، كما ذكر الشيخ رحمه الله.

فقوله: ﴿ من حلف له بالله فليرض ﴾ هذا عام في كل حلف، سواء كان عند القاضي، أو لم يكن عند القاضي، وهذا القول أوجه، وأصوب ظاهرا؛ لأن سبب الرضى بالحلف، سبب الرضى

بـــالكلام الـــذي حلف عليه بالله التعظيم لله -جل وعلا- فـــإن تعظيم الله في قلب العبد يجعله يصدق من حلف له بالله، ولو كان كاذبا، لكن له ألا يبني عليه، لكن يصدقه، ولا يظهر تكـذيبا له لتعظيم الله -جل وعلا- .

 من حلف له بالله فليرض فليجعل توحيـده وتعظيمه لله -جل وعلا- له وكذب ذاك في الحلف بالله عليـه. وقـالت طائفة من أهل العلم، وهـذا هو الثـالث، إن هـذا راجع إلى من عـرف صدقه في اليمين، أما من كان فاجرا فاسقا لا يبالي إذا حلف، أن يحلف كاذبــا، فإنه لا يجب تصــديقه؛ لأن تصــديقه، والحالة هذه مع قيام اليقين، أو القرائن العامة بكذبه، ليس بـداخل في الحديث لقوله في أول الحديث: من حلف بالله فليصدق، ومن حلف له بالله فليرض فتعلق قولـه: من حلف له بالله بما قبلها، وهو قوله: من حلف بالله فليصدق فتعلق من حلف له بالله فلـيرض يعـني: فيمن كــان صــادقا، ومن لم يــرض بالحلف، من لم يرض باليمين بالله فليس من الله، فيـدل على أن فعله من الكبــائر؛ لأن قولــه: "ليس من اللــه" هــذا ملحق لفعله بالكبائر.

وهذا الباب فيه نوع تردد عند الشـراح، والظـاهر في المـراد منه أن الإمــام المصــنف -رحمه اللــه- ذكــره تعظيما لله -جل وعلا- وقد ذكر في الباب قبله: من حلف بغـير اللـه، وأن حكمه أنه مشرك، فهذا فيه أن الحلف بالله يجب تعظيمه، وألا يحلف

المرء بالله إلا صادقا، وألا يحلف بآبائه، وألا يحلف بغير الله، ومن حلف له بالله فواجب عليه الرضا تعظيما لاسم الله، وتعظيما لحق الله -جل وعلا- حتى لا يقع في قلبه استهانة باسم الله الأعظم، وعدم اكتراث به، أو بالكلام المؤكد به.

فصار عندنا إذا: أن كثيرا من أهل العلم جعلوا قول المصنف: " باب ما جاء فيمن لم يقنع بالحلف بالله" أنه عند القاضي إذا توجهت اليمين على أحد المتخاصمين، وأن طائفة من أهل العلم قالوا: في قوله: ومن حلف له بالله فليرض أن هذا عام في كل من حلف له بالله، فإنه يجب عليه الرضا، وآخرون قالوا: يفرق بين من ظاهره الصدق، ومن ظاهره الكذب، والله أعلم. نعم.

باب

قول: ما شاء الله، وشئت

باب: قول: ما شاء الله، وشئت عن قتيلة أن يهوديا أتى النبي فقال: إنكم تشركون؛ تقولون: ما شاء الله وشئت، وتقولون: والكعبة، فأمرهم النبي إذا أرادوا أن يحلفوا أن يقولوا: ورب الكعبة، وأن يقولوا: ما شاء الله، ثم شئت رواه النسائي وصححه، وله -أيضا- عن ابن عباس -رضي الله عنهما-

 أن رجلا قال للنبي ما شاء الله، وشئت، فقال: أجعلتني لله ندا، بل ما شاء الله وحده .

ولابن ماجه عن الطفيل أخي عائشة لأمها قال: رأيت كأني أتيت على نفر من اليهود قلت: إنكم لأنتم القوم، لولا أنكم تقولون: عزير ابن الله، قالوا: وأنتم القوم، لولا أنكم تقولون: ما شاء الله، وشاء محمد، ثم مررت بنفر من النصارى فقلت: إنكم لأنتم القوم، لولا أنكم تقولون: المسيح ابن الله ،قالوا: وإنكم لأنتم القوم لولا أنكم تقولون: ما شاء الله وشاء محمد، فلما أصبحت أخبرت بها من أخبرت، ثم أتيت النبي فأخبرته، قال: هل أخبرت بها أحدا، قلت: نعم، قال: فحمد الله، وأثنى عليه، ثم قال: أما بعد، فإن طفيل رأى رؤيا أخبر بها من أخبر منكم، وإنكم قلتم كلمة كان يمنعني كذا وكذا أن أنهاكم عنها، فلا تقولوا ما شاء الله ،وشاء محمد، ولكن قولوا ما شاء الله وحده .

هذا الباب ترجمه بقوله: "باب: قول: ما شاء الله وشئت" وهذه المسألة مر الكلام عليها في باب قول الله -تعالى-:   وأن قول القائل: ما شاء الله وشئت شرك في اللفظ، وتشريك في المشيئة، وهذا من الشرك الأصغر، الباب واضح من حيث ما اشتمل عليه، لكن فيه فائدة، أو فيه فوائد منها:

أن قولـه: في حـديث قتيلة أن يهوديا أتى النـبي فقـال: إنكم تشركون تقولون: ما شاء الله وشـئت، وتقولـون: والكعبـة، فأمرهم النـبي إذا أرادوا أن يحلفـوا أن يقولـوا: ورب الكعبـة، ويقولوا: ما شاء اللـه، ثم شـئت رواه النسـائي وصـححه، فيه من الفوائد ما قاله الشيخ -رحمه الله- في مسائل البـاب، قـال فيـه: فهم الإنسـان إذا كـان له هـوى. فهـؤلاء اليهـود هم أهل الشـرك يقولـون: عزير ابن اللــه، ويشــركون بالله -جل وعلا- لكنهم مع كــونهم مشــركين، نقمــوا على أهل الإســلام أنهم يشـركون، وهـذا لأجل الطعن فيهم، فـالهوى وطلب تنقص أهل الإسلام والنقد عليهم، وقول القول لهم بمـا.. أو مخـاطبتهم بما يسوءهم هذا كان قصدا لهم؛ ولهذا فهموا من أين يدخلون.

فأهل الإسلام، أهل التوحيد فقـالوا لهم: إنكم تشـركون، وهم أهل الشرك، لكن فيه أن صاحب الهوى قد يفهم الصواب، فإذا فهم الصـواب، فـإن الـواجب أن يقبل منـه؛ لأن المـؤمن يجب عليه أن يقبل الحق ممن جاء به، ولو كان يهوديا، أو نصرانيا.

فهذا اليهـودي، أو النصـراني، أو النصـارى كما سـيأتي هـؤلاء توجهوا إلى المؤمنين بالقـدح فيهم بالشـرك، ولم يمنع النـبي من قبول الحق الذي قالوه، أنهم يهود، بل قبل ما جاء به ذلك اليهودي، فأوصاهم بأن يتركوا ذلك التنديـد، وهـذا فيه أن الحق هو ضالة المؤمن، أين وجـده أخـذه، فلا يمنعه من قبـول الحق أن قاله مشرك، أو قاله كافر، أو قاله فاسـق، أو قاله مبتـدع،

أو قاله ضال، إذا كان الكلام في نفسه حقا؛ لأنه كما قال النبي -عليه الصلاة والسلام-: ﴿ الحكمة ضالة المؤمن أينما وجدها أخذها ﴾ .

قال: وله -أيضا- والحديث الذي بعده واضح، ثم قال، ولابن ماجه عن الطفيل أخي عائشة لأمها، قال: ﴿ رأيت كأني أتيت على نفر من اليهود، قلت: إنكم لأنتم القوم لولا أنكم تقولون: عزير ابن الله، قالوا: وإنكم لأنتم القوم لولا أنكم تقولون: ما شاء الله، وشاء محمد.. ﴾ هذا في أن صاحب الهوى، أو صاحب الملة الباطلة، قد يرد على صاحب الحق بأن عنده باطلا، كما أن عند ذاك باطلا، فإذا واجهه بذلك، فالواجب عليه أن يتجرد للحق، وألا يرد الحق لأجل أن من أتى به صاحب باطل.

فالقاعدة عند أهل السنة والإيمان: أن البدعة لا ترد ببدعة، والباطل لا يرد بباطل.

وكثير مما حصل معه النقص في تاريخ الإسلام، وحصلت الشبهات، وقويت بعض الضلالات من جهة أن من ووجه بحق، وكان الذي واجهه بذلك صاحب باطل، أنه رد عليه الحق، فصار معنى ذلك أنه لا يقبل الحق، ثم صار يوجه الأدلة في إبطال ذلك الحق، وهذا كما فعله طائفة من أهل البدع.

والواجب -أيضا- ألا ترد البدعة ببدعة، وألا ترد البدعة إلا بحق، وإذا جهل المرء كيف يرد البدعة بحق، فيصبر حتى يتعلم، أو يسأل أهل العلم، وليس من الواجب عليك أن ترد

مباشـــرة، بل إذا ووجهت بحـــق، ولو كـــان من أضل الضـــلال فاقبل، فـإبليس الشـيطان قبل منه بعض الحق الـذي جـاء بـه، وأرشد إليه أبا هريـــرة، وهـــؤلاء اليهـــود والنصـــارى في هـــذين الحديثين قبل منهما، يعني: من تلك الطائفتين حقا أرشدونا إليه في أعظم المســـائل، وأجل المطـــالب، وهو توحيد اللـــه، جل جلاله.

هذه المسائل ليست من الشرك الأكـبر، بل من الأصـغر دل عليه قوله في آخـره: قلتم كلمة كـان يمنعـني، كـذا وكـذا أن أنهاكم عنها .

والشـــرك في الألفـــاظ ، أتى بالتـــدريج بخلاف يعـــني: نفي.. الشرك في الألفاظ وتحـريم الشـرك في الألفـاظ أتى بالتـدريج في تاريخ بعثة النبي -عليه الصـلاة والسـلام- وتبليغ أمته وتبليغه أمته بالأوامر والنـواهي، أما الشـرك الأكـبر، فقد نفـاه من أول الرسالة، أما شرك الألفاظ وبعض أنواع الشرك الأصـغر، فـأتى بالتدريج .

فكان الحلف بالآباء جائزا، ثم نهـاهم -عليه الصـلاة والسـلام- عن ذلك، وكذلك قول: ما شاء الله وشئت، ثم نهاهم عن ذلك؛ ولهذا قال المصنف في مسائل كتـاب التوحيـد: أن الشـرك فيه أكـبر، وأصـغر؛ لقولـه: "كـان يمنعـني كـذا وكـذا" وأما الشـرك الأكـبر: فلا يجـوز أن يـؤخر إنكـاره، أو أن يمنع عنه مـانع، أما شرك الألفاظ، فقد تكـون المصـلحة والفقه -فقه الـدعوة وفقه

ترتيب الأهم والمهم وتقديم الأهم على المهم- أن يؤخر بعضــه؛ لتتم المصلحة العظمى، أما الشرك الأكبر فلا مصـلحة تبقى مع وجوده. نعم.

باب

من سب الدهر، فقد آذى الله

بــاب: من سب الــدهر، فقد آذى اللــه، وقــول الله -تعــالى-: [illegible] [illegible] في الصحيح عن أبي هريرة [illegible] عن النبي [illegible] قال: [illegible] قال الله -تعـالى-: يؤذيـني ابن آدم يسب الـدهر، وأنا الـدهر أقلب الليل والنهـار [illegible] وفي رواية [illegible] لا تسبوا الدهر، فإن الله هو الدهر [illegible] .

باب: من سب الدهر، فقد آذى الله.

الـدهر: هو الزمـان اليـوم والليلـة، أسـابيع الأشـهر، السـنون، العقـود، هـذا هو الـدهر، وهـذه الأزمنة مفعولـة، مفعـول بها لا فاعلـة، فهي لا تفعل شـيئا، وإنما هي مسـخرة يسـخرها الله -جل جلالـه- وكل يعلم أن السـنين لا تـأتي بشـيء، وإنما الـذي يفعل هو الله -جل وعلا- في هذه الأزمنة؛ ولهذا صار سب هذه السنين سبا لمن تصرف فيهـا، وهو الله -جل جلالـه- لهـذا عقد هذا الباب بما يـبين أن سب الـدهر ينـافي كمـال التوحيـد، وأن

سب الـدهر يعـود على الله -جل وعلا- بالإيـذاء؛ لأنه سب لمن تصرف في هذا الدهر.

فمناسـبة هـذا البـاب لكتـاب التوحيد ظـاهرة، وهو أن سب الـــدهر من الألفـــاظ الـــتي لا تجـــوز، والتخلص منها واجب، واستعمالها مناف لكمال التوحيد، وهذا يحصل من الجهلة كثيرا، فـإنهم إذا حصل لهم في زمـان شـيء لا يسـرهم، سـبوا ذلك الزمان، ولعنوا ذلك اليـوم، أو لعنـوا تلك السـنة، أو لعنـوا ذلك الشهر، ونحو ذلك من الألفاظ الوبيلة، أو شتموا الزمـان، وهـذا لا شك لا يتوجه إلى الـزمن؛ لأن الـزمن شـيء لا يفعـل، وإنما يفعل فيه، وهو أذية لله، جل وعلا.

بـاب: "من سب الـدهر" السب يكـون بأشـياء، والسب في أصله التنقص، أو الشتم، فيكون بتنقص الدهر، أو يكـون بلعنـه، أو بشتمه، أو بنسبة النقـائص إليـه، أو بنسـبة الشر إليـه، ونحو ذلك، وهذا كله من أنواع سبه، والله -جل وعلا- هو الـذي يقلب الليل والنهار.

قال: "فقد آذى الله" ولفظ "آذى اللـه" لأجل الحـديث حـديث أبى هريـرة قـال: يؤذيـني ابن آدم؛ يسب الـدهر، وأنا الـدهر، أقلب الليل والنهـار ففيه رعاية للفظ الحـديث، سب الـدهر -كما ذكرنـا- محـرم، وهو درجـات، وأعلاه لعن الـدهر؛ لأن توجه اللعن إلى الـدهر أعظم أنـواع المسـبة، وأعظم أنـواع الإيـذاء، وليس من مسبة الدهر وصف السنين بالشدة، ولا وصف اليـوم

بالسواد، ولا وصف الأشهر بالنحس، ونحو ذلك؛ لأن هـذا مقيـد، وهـذا جـاء في القـرآن في نحو قوله -جل وعلا-: "في أيام نحسات" وصف الله -جل وعلا- الأيام بأنها نحسات.

فالمقصود في أيـام نحسـات عليهم، فوصف الأيـام بـالنحس؛ لأنه جـــرى عليهم فيها ما فيه نحس عليهم، ونحو ذلك قوله -جل وعلا- في ســورة القمر يوم نحس، أو يقول: يـوم أسـود، أو سـنة سـوداء، هـذا ليس من سب الدهر؛ لأن المقصود بهـذا الوصف ما حصل فيها كـان من صـفته كـذا وكـذا على هـذا المتكلم، وأما سـبه أن ينسب الفعل إليه، فيسب الدهر لأجل أنه فعل به ما يسوءه، فهذا هو الذي يكون أذية لله، جل وعلا.

قال: وقول الله -تعالى-: هذه الآية ظاهرة في أن نسبة الأشياء إلى الدهر هـذه من خصـال المشـركين أعـداء التوحيد، فنفهم منه أن خصلة الموحدين أن ينسبوا الأشـياء إلى الله -جل وعلا- ولا ينســـبوا الإهلاك إلى الـــدهر، بل الله -جل وعلا- هو الذي يحيي، ويميت قال في الصـحيح، عن أبي هريـرة عن النـبي قـال: قـال الله -تعـالى-: يؤذيـني ابن آدم؛ يسب الدهر، وأنا الدهر .

قوله هنا: وأنا الدهر لا يعني: أن الـدهر من أسـماء الله -جل وعلا- ولكنه رتبه على ما قبلــه، فقــال يسب الــدهر، وأنا الدهر؛ لأن حقيقة الأمر أن الدهر لا يملك شيئا، ولا يفعل شيئا، فسب الـدهر سب للـه؛ لأن الـدهر يفعل الله -جل وعلا- فيـه، الزمـان ظـرف للأفعـال، وليس مسـتقلا؛ فلهـذا لا يفعـل، ولا يحـرم، ولا يعطي، ولا يكـرم، ولا يهلـك، وإنما الـذي يفعل هـذه الأشياء مالك الملك، المتفرد بالملكوت وتدبير الأمر الذي يجير، ولا يجار عليه.

إذا فقولـه: وأنا الـدهر هـذا فيه نفي نسـبة الأشـياء إلى الــدهر، وأن هــذه الأشــياء تنسب إلى الله -جل وعلا- فــيرجع مسبة الدهر إلى مسبة الله -جل وعلا-؛ لأن الـدهر لا ملك لـه، والله هو الفاعل قـال: "أقلب الليل والنهـار" والليل والنهـار هما الدهر، فالله -جل وعلا- هو الذي يقلبهمـا، فليس لهما من الأمر شيء. نعم.

باب

التسمي بقاضي القضاة، ونحوه

بــاب: التســمي بقاضي القضــاة، ونحــوه في الصــحيح عن أبي هريرة عن النبي قال إن أخنع اسم عند الله رجلا تسـمى ملك الأملاك، لا مالك إلا الله قــال سـفيان: مثل شاهنشــاه،

وفي رواية « أغيظ رجل على الله يوم القيامة، وأخبثه » وقوله أخنع ، يعني: أوضع.

باب: التسمي بقاضي القضاة، ونحوه.

التوحيد يقتضي من الموحد المـــــــؤمن بالله -جل وعلا- أن يعظمـــــــــه، وألا يجعل مخلوقا في منزلة الله -جل وعلا- فيما يختص به، وتـارة يجعل المخلـوق في منزلة الله لشـبهة وصف قام به، أو شيء يكون عليه، ككون القاضي هو رئيس القضاة، أو أعلم القضـاة، فيجعل في اللفظ والتسـمية قاضـيا للقضـاة؛ فلهذا نبه الشيخ -رحمه اللـه- على أن التسـمي بالأسـماء الـتي معناهـــا، إنما هو لله -جل جلالـــه- أن هـــذا لا يجـــوز، والتوحيد يقتضي ألا يوصف بها إلا اللـــــه، وألا يســـــمى بها إلا الله -جل وعلا- فتسـمية غـير الله بتلك الأسـماء الـتي سـتأتي لا تجـوز، ومحـــرم بل هي أخنع الأســـماء، وأوضع تلك الأســـماء، وأبغض الأسماء إلى الله، جل جلاله.

قال: بـاب: التسـمي بقاضي القضـاة.. ونحـوه. قولـه: التسـمي يشمل ما إذا سمى نفسـه، أو سـماه غـيره به فرضـي، أما إذا سـماه غـيره به فلم يـرض، فإنه لا يـدخل في الـذنب؛ لعـدم الرضا، فـإذا سـمي بـذلك، فيلحق الوعيد المسـمي، ومن رضي بذلك الاسم بقاضي القضاة، ونحـوه، ونحو قاضي القضـاة، مثل ملك الأملاك شاهنشاه، ونحو ذلك.

القضاة كثيرون، قاضي القضاة هو الذي يقضي بين القضــاة، تقــول: قاضي المســلمين يعــني: الــذي يقضي بين المســلمين، قاضي الرياض، يعــني: الــذي يقضي بالخصــومات الــتي بين أهل الرياض، فقاضي القضــاة لفظ حقيقــة، معنــاه الــذي يقضي بين القضــاة، وهــذا إنما هو لله -جل جلالــه- هو الــذي يقضي بين العبــاد، بين القضــاة وبين العبيــد، فهو قاضي القضــاة على الحقيقة -سبحانه وتعالى- فيخبر عنه بــذلك؛ لأن قاضي القضــاة، ليست من أسماء البشر.

فالذي يقضي بين القضاة هو الله -جل جلاله- والذين أطلقــوا هذه التسمية على كبير القضاة، أو على كبير العلمــاء لا يعنــون بها، أن ذاك يقضي بين القضاة، وإنما يعنــون بها أنه وصل إلى مرتبة في القضاء، أو في العلم أعلى من درجة القاضي، فصار قاضي القضــاة، كما شــاع في الــزمن المتــأخر في الدولة العثمانية أنهم يســمون المفــتي شــيخ الإســلام، ووكيل المفــتي وكيل شــيخ الإســلام تســمية خاصــة، وهــذا انتشر في بلاد المسلمين عن التسمية بقاضي القضاة، ونحــوه من نحو القــرن الرابع الهجري إلى أوقات متأخرة قريبة من هذا الزمان.

فــإذا الــواجب على العبد ألا يجعل هــذه التســمية جارية على لســانه، ولا أن يرضى بهــا، كــذلك مالك الأملاك، أو شاهنشــاه، يعني: ملك الأملاك هذا فيه تسمية البشر بما يختص بالله، فــإن الأملاك الــذي يملكها هو الله -جل وعلا- والأملاك واســعة، وإنما

البشر يطلق عليه أنه مالك للشـــيء المعين، وليس مالكا لكل شيء، فالـذي يملك كل شـيء هو الله وحـده، والبشر يملكـون بالإضـافة بعض الأشـياء، وكـذلك الملك بـالظن، وهو نفـاذ الأمر والسيطرة، فإنه يكون في بعض الأرض، وليس في كل الأرض، فالذي يملك يقـال عنه ملـك، أو مالك إذا كـان يملك مِلكـا، أو ملك إذا كان يملك مُلكا، بمعنى نفاذ الأمر.

ويضـاف إلى بقعتـه، فيقـال: ملك المملكة العربية السـعودية، ملك الأردن، ونحو ذلـــك، وأما الإطلاق العـــام ملك الأملاك، أو شاهنشـــاه، فـــإن الأملاك منها ما هو على الأرض، ومنها غـــير ذلك، وهذا إنما هو لله، جل وعلا.

فالتوحيد يوجب ألا يتسـمى بـذلك أحـد، وألا يرضى بتسـميته أحد بـــذلك، حـــتى لو وجدته في بعض الكتب، فلا تنقله كما وجدتـه، فقد يغلط بعض البـاحثين وبعض طلبة العلم، فينقلــوا قـولا عن بعض أهل العلم المتقـدمين، ممن يتجـوزون في مثل هـذه الألفـاظ، وفيـه: وقـال قاضي القضـاة كـذا، وكـان قاضي القضاة كذا، ولا يغيره.

والواجب أن يغـيره تعظيما لله -جل وعلا- وأمانة النقل الـتي يـدعون، هي في مرتبة دون توحيد الله -جل وعلا- بكثـير كثـير. فالواجب تغيير ذلك، وهذا من توحيد الله، وتغيـير اشـتراك غـير اللـه، اشتراك الخلق مع الله -جل وعلا- في حقـه، فيما يزعمه بعض الخلق.

قال هنا: في الصحيح عن أبي هريرة عن النبي قال: إن أخنع اسم عند الله رجلا تسمى ملك الأملاك أخنع يعني: أوضع، وأحقر، وأبعد الأسماء عند الله رجل تسمى ملك الأملاك، لا مالك إلا الله، وهذا حصل لا مالك إلا الله ، يعني: المُلك، أو المِلك لا مالك إلا الله ، يعني: المِلك إنما هو لله وحده، وهناك فرق بين مالك، وملك، فمالك اسم فاعل من المِلك، ملك الشيء ، يعني: اقتناه، وصار مختصا به من المِلك، وهذا راجع إلى التصرف بالأعيان، وأما المُلك بالضم، فالاسم منه الملك، وهو الذي ينفذ أمره، ونهيه، فيرجع اسم المَلك، أو المُلك إلى المعاني، فصار عندنا مُلكا، وملكا.

المِلك راجع إلى الأعيان، والملُك راجع إلى المعاني، هذا في قول عدد من محققي أهل اللغة. قال سفيان: مثل شاهنشاه، وفي رواية: أغيظ رجل على الله يوم القيامة، وأخبثه وسبب كونه أغيظ رجل، وأخبث رجل أنه جعل نفسه مماثلا لله -جل وعلا- في الحق بهذه التسمية.

باب

احترام أسماء الله تعالى وتغيير الاسم لأجل ذلك

باب: احترام أسماء الله تعالى وتغيير الاسم لأجل ذلك

 عن أبي شريح أنه كان يكنى أبا الحكم، فقال له النـبي إن الله هو الحَكم وإليه الحُكم. فقال: إن قومي إذا اختلفوا في شـيء أتـوني فحكمت بينهم فرضي كلا الفـريقين، فقـال: ما أحسن هذا، فما لك من الولد؟ قال: شريح، ومسلم، وعبد الله. قال: فمن أكبرهم؟ قلت: شـريح. قـال: فـأنت أبو شـريح رواه أبو داود وغيره.

"باب احترام أسماء الله تعالى وتغيير الاسم لأجل ذلك".

هذا الباب فيه الإرشـاد إلى الأدب الـذي يجب أن يصـدر من قلب الموحد ومن لسـانه، فـإن الموحد متـأدب مع الله -جل جلاله-، متأدب مع أسمائه، متأدب مع صـفاته، متـأدب مع دينـه، فلا يهزل -مثلا- بشـيء فيه ذكر اللـه، ولا يلقي الكلمة عن الله -جل وعلا- هكذا، دون أن يتدبر ما فيها.

وكذلك لا يسـمي أحـدا بأسـماء الله -جل وعلا-، ويغيَّر الاسم لأجل هـذا؛ فأسـماء الله -جل وعلا- يجب احترامهـا، ويجب تعظيمهـا، ومن احترامها أن يُجعل ما لا يصـلح إلا لله منها لله وحده، وألا يُسمى به البشر.

قال: "باب احترام أسماء الله تعالى"، هذا الاحترام قد يكـون مستحبا من جهة الأدب، وقد يكـون واجبـا؛ فأسـماء الله تعـالى يجب احترامها، بمعنى يجب ألا تُمتهن.

ويستحب احترامها أيضا فيما كان من الأدب أن لا يوصف به غير الرب -جل وعلا-، وهـذا راجع إلى تعظيم شـعائر الله -جل

جلاله-، قال سبحانه: [illegible] وقال -جل وعلا-: [illegible].

قال أهل العلم: الشعائر جمع "شعيرة"، وهي كل ما أشعر اللهُ بتعظيمه، كل ما أشعر اللهُ -يعني أعلم- بتعظيمه فهو شعيرة، ومما أشعر الله بتعظيمه أسماء الله -جل وعلا-، فيجب احترامها وتعظيمها.

بهذا يستدل أهل العلم على وجوب ألا تُمتهن أسماء الله من جهة وجودها في الجرائد، أو في الأوراق، وأن ترمى، أو أن توضع في أمكنة قذرة، يستدلون على وجوب احترام ما فيه اسم من أسماء الله بهاتين الآيتين، وبالقاعدة العامة في ذلك.

فإذن احترام أسماء الله تعالى من الأدب الذي قد يكون واجبا، وقد يكون مستحبا، وتغيير الاسم لأجل ذلك ساق فيه هذا الحديث، وهو قوله: [illegible] عن أبي شريح أنه كان يكنى أبا الحكم [illegible] يُكْنَى هي الفصيحة، أما يُكَنَّى فهذه ضعيفة، تقول: فلان يُكْنَى بكذا، أما يُكَنَّى فليست بجيدة؛ لأن يُكْنَى هي التي كان عليها غالب الاستعمال فيما ذكره أهل اللغة.

[illegible] يكنى أبا الحكم [illegible] الحكم من أسماء الله -جل وعلا-، والله -جل وعلا- [illegible] فتكنيته بأبي الحكم غير لائقة؛ لأن الحكم من أسماء الله، والله -جل وعلا- [illegible] هذا من جهة.

ومن جهة أخرى أن الحَكم وهو بلوغ الغاية في الحُكم، أن هذا فيما فيه فصل بين المتخاصمين راجع إلى من له الحكم، وهو الله -جل جلاله-، وأما البشر فإنهم لا يصلحون أن يكونوا حكاما، أو أن يكون الواحد منهم حكما على وجه الاستقلال، ولكن يكون حكما على وجه التبع.

ولهذا أنكر النبي -عليه الصلاة والسلام- عليه هذه التسمية فقال له: ﴿ إن الله هو الحكم ﴾ ودخول "هو" بين لفظ الجلالة وبين اسمه الحَكم يدل على اختصاصه بذلك كما هو مقرر في علم المعاني؛ لأن "هو" هذا ضمير عماد، أو ضمير فصل لا محل له من الإعراب، فائدته أن يُحصر أو أن يُجعل الثاني مختصا بالأول.

قال: ﴿ وإليه الحكم ﴾ يعني أن الحكم إليه لا إلى غيره؛ فلهذا لفظ الحَكم الذي يفيد استغراق صفات الحُكم، هذا ليس إلا إلى الله -جل وعلا-.

ذاك الرجل علل فقال: ﴿ إن قومي إذا اختلفوا في شيء أتوني فحكمت بينهم فرضي كلا الفريقين، فقال: ما أحسن هذا ﴾ ما أحسن هذا راجع لا إلى الحكم، راجع إلى الصلح، وهو أن يصلح بينهم فيرضى كلا الفريقين، فحكم بينهم، هل حكم بينهم بالشرع، أم حكم بينهم بما عنده -يعني بما يراه-؟

الجواب: أنه حكم بينهم بما يراه، ولو كان الحكم بينهم بالشرع لجاز إطلاق الحَكم على من يحكم بين المتخاصمين

بالشـــرع، أما إطلاقه على الفاصل بين المتخاصـــمين بغـــير الشريعة فإن هذا مخالف للأدب.

[illegible] فقـال: ما أحسن هـذا. فما لك من الولـد؟ قلت: شـريح، ومسـلم، وعبد الله . فقـال: فمن أكـبرهم؟ قلت: شـريح. قـال: فأنت أبو شريح [illegible] .

لهذا نقول: من الأدب ألا يسـمي أحـدا بـالحَكم أو الحـاكم أو نحو ذلك، إلا إذا كان منفذا لأحكام الله -جل جلاله-؛ لهـذا قـال سبحانه: [illegible] سمى المبعوث من هذا وهذا حكما؛ لأنهما يحكمان بالشرع.

فالـــذي يحكم بما حكم به الله الـــذي هو الحكم يقـــال له حكمـــا؛ لأنه حكَم بحكم من له الحُكم، وهو الله -جل جلالـــه-، فيسوغ إطلاق ذلك ولا بأس بـه؛ لأن الله -جل وعلا- وصف من يحكم بشـرعه بأنه حـاكم، والـذين يحكمـون بـأنهم حكـام وهم القضاة، قال -جل وعلا- في سورة البقرة: [illegible] قال: [illegible] وهو جمع الحاكم، ساغ إطلاق ذلك؛ لأنه يحكم بالشرع.

المقصـود بـذلك أن الأدب في هـذا البـاب ألا يسـمى أحد بشيء يختص الله -جل وعلا- به؛ ولـذلك أتبع هـذا البـاب البـاب الذي قبله؛ لأجل هذه المناسـبة، فتسـمية ملك الأملاك مشـابهة

لتســـمية أبا الحكم من جهة أن في كل منهما اشـــتراك في التسمية، لكن فيها اختلاف أن أبا الحكم راجع إلى شـيء يفعله هو، وهو أنه يحكم فيرضـون بحكمـه، وذاك ملك الأملاك ادعـاء ليس له شيء؛ ولهذا كان أخنع اسم عند الله -جل جلاله-. نعم.

باب

من هزل بشيء فيه ذكر الله أو القرآن أو الرسول

باب من هزل بشيء فيه ذكر الله أو القرآن أو الرسـول، وقـول الله تعالى: [illegible] .

وعن ابن عمـر، ومحمد بن كعب، وزيد بن أسـلم، وقتـادة - دخل حديث بعضهم في بعض- أنه: قال رجل في غزوة تبـوك: ما رأينا مثل قرائنا هـؤلاء أرغب بطونـا، ولا أكـذب ألسـنة، ولا أجبن عند اللقاء، يعني رسول الله وأصحابه القراء .

فقـال له عـوف بن مالـك: كـذبت، ولكنك منـافق، لأخـبرن رسـول الله فـذهب عـوف إلى رسـول الله ليخـبره، فوجد القرآن قد سبقه.

فجاء ذلك الرجل إلى رسول الله وقد ارتحل وركب ناقته، فقـال يا رسـول اللـه: إنما كنا نخـوض ونتحـدث حـديث الـركب نقطع به عناء الطريق.

قال ابن عمر: كأني أنظر إليه متعلقا بنسعة ناقة رسول الله وإن الحجارة تنكب رجليه، وهو يقول: إنما كنا نخوض ونلعب. فيقـــول له رســـول الله □□□□□□□□□ □□□□□□□□□□□□□□ □□□□□□□□□□□□□ □□□□□□□□ □ □ □□□□□□□ □□□□□□□□□□□ □□□□ □□□□□□□□□□□□□ □□ □□□□ □□□□□□□□□□□□□□□ □□□□□□□ □ □ □□□□□□□□□□□□ ما يلتفت إليه، وما يزيده عليه □ .

هــذا بــاب من هــزل بشــيء فيه ذكر الله أو القــرآن أو الرســول، التوحيد الخــالص في القلب -بل أصل التوحيــد- لا يجــامع الاســتهزاء بالله -جل وعلا- وبرســوله وبــالقرآن؛ لأن الاستهزاء معارضة والتوحيد موافقة.

ولهـذا قـال بعض أهل العلم: الكفـار نوعـان: معرضـون كمن قال الله فيهم: □□□□□□□□□□ □□□□□□□□□□□ □□ □□□□□□□□□□□ □□□□□□□□ □ □□□□□ □□□□□□□□□□ □□□□ □ □ □□□□ ومعارضـون وهم المجـادلون، أو الـذين يعارضـون بـأنواع المعارضات لأجل إطفاء نور الله، ومن ذلك الاستهزاء ونحوه.

فالتوحيد استسلام وانقياد وقبول وتعظيم، والهُزْء والاســتهزاء بشيء فيه ذكر الله أو القـرآن أو الرسـول هـذا معارضـة؛ لأنه مناف للتعظيم؛ ولهذا صار كفرا أكبر بالله -جل وعلا-، لا يصـدر الاستهزاء بالله أو برسـوله أو بـالقرآن من قلب موحد أصـلا، بل لا بد أن يكون إما منافقا أو كافرا مشركا.

قال: "باب من هزل"، الهـزل خلاف الجـد، وصـفته: أن يتكلم بكلام فيه الهـزل والاسـتهزاء والعيب، إما باللـه، أو بـالقرآن، أو بالرسـول فقـول الشـيخ - رحمه الله - هنـا: "بـاب من هـزل

بشيء" الباء هذه هل هي التي يذكر بعدها وسيلة الهزل، أو الباء التي يذكر بعدها ما هزل فيه؟

الظاهر هو الثاني، الأول "باب من هزل بشيء فيه ذكر الله أو القرآن أو الرسول" يعني ذكر الله هازلا، ذكر القرآن بشيء فيه هزل، ذكر الرسول بشيء فيه هزل، يعني هزَل وهو يذكر هذه الأشياء.

والثاني من هزل بشيء فيه ذكر الله، يعني كان المستهزأ به أو المهزول به هو ذكر الله أو القرآن أو الرسول، ومعلوم أن المعنى هو الثاني؛ لأن الشيخ يريد أن المستهزأ به هو الله أو الرسول أو القرآن اتباعا لنص الآية.

فمناسبة هذا الباب لكتاب التوحيد ظاهرة، وهو أن الهزل والاستهزاء بالله أو بالرسول أو بالقرآن مناف لأصل التوحيد، وكفر مخرج من الملة، لكن بضابطه، وهو ما ذكرناه من أن الاستهزاء -وهو الاستنقاص واللعب والسخرية- يكون بالله -جل جلاله-، أو يكون بالرسول [illegible] أو يكون بالقرآن، وهذا هو الذي جاء فيه النص قال -جل وعلا-: [illegible] .

فمن استنقص الله -جل وعلا-، أو هزل بذكره لله -جل وعلا- يعني حينما ذكر الله -جل وعلا- استهزأ وهزل، ولم يظهر التعظيم في ذلك، فتَنقَّص الله -جل وعلا- كما يفعل بعض

الفسقة، والذين يقولون الكلمة لا يلقون لها بالا تهـوي ببعضـهم في النار سبعين خريفا، أو هزل بالقرآن، أو استهزأ بالقرآن، أو بالسـنة، يعـني بـالنبي -عليه الصـلاة والسـلام- فإنه كـافر الكفر الأكبر المخرج من الملة، هذا ضابط هذا الباب.

ويخرج عن ذلك ما لو استهزأ بالدين، فإن الاسـتهزاء بالـدين فيه تفصيل، فإن المستهزئ أو السـاب للـدين أو اللاعن للـدين أو المسـتهزئ بالـدين قد يريد دين المسـتهزأ بـه، ولا يريد دين الإسلام أصلا، فلا يرجع استهزاؤه إلى واحد من الثلاثة.

فلهـذا نقـول: الكفر يكـون أكـبر فيمن اسـتهزأ إذا كـان بأحد الثلاثة الــتي ذكرنا ونصت عليها الآيــة، أو كــان راجعا إلى أحد الثلاثة، أما إذا كان استهزاء بشيء خارج عن ذلــك، فإنه يكــون فيه تفصيل:

فإن هزل بالدين فينظر هل يريد دين الإسلام، أو يريد تــدين فلان ؟ مثلا يــأتي واحد من المســلمين ويقــول يســتهزئ مثلا بهيئة أحد النـاس، وهيئته يكـون فيها الـتزام بالسـنة، فهل هـذا يكون مستهزئا الاستهزاء الذي يخرجه من الملة؟

الجواب: لا؛ لأن هـذا الاسـتهزاء راجع إلى تـدين هـذا المـرء، وليس راجعا إلى الدين أصلا، فيعرَّف بأن هذا سنة عن النبي ﷺ .

فإذا علم أنه سنة، وأقر بذلك، وأن النبي فعله، ثم استهزأ -بمعنى استنقص- أو هزأ بالذي اتبع السنة، مع علمه بأنها سـنة، وإقراره بصحة كونها سنة، فهذا رجع إلى الاستهزاء بالرسول.

كذلك الاستهزاء بكلمات قد يكـون مرجعها إلى القـرآن، وقد لا يكون مرجعها إلى القرآن، فيكون فيه تفصيل.

فإذن إذا سـمعت الاسـتهزاء أو قرأتـه، فـإذا كـان راجعا إلى الاسـتهزاء باللــه، أو بصـفاته، أو بأسـمائه، أو بالرسـول -عليه الصلاة والسلام-، أو بالقرآن؛ فإن هذا كفر.

فإن كان الاستهزاء غير ذلـك، فتنظر في التفصـيل، إن كـان راجعا إلى أحد الثلاثة فهو كفر أكـبر، وإن كـان غـير ذلك فإنه يكون محرما ولا يكون كفرا أكبر.

قال: وقول الله تعالى: [illegible] .

هذه الآية نص في أن المسـتهزئ باللـه، وبالرسـول، وبآيـات الله -جل وعلا-، والمقصـود بها آيـات الله -جل وعلا- الشـرعية، يعني القـرآن، أن هـذا المسـتهزئ كـافر، وأنه لا ينفعه اعتـذاره بأنه كـان في هـزل ولعب ، بل هو كـافر؛ لأن تعظيم الله -جل وعلا- وتوحيـده يـوجب عليه ألا يسـتهزئ، إذن قولـه: [illegible] هو دليل كفر المستهزئ .

وهــذه الآية نــزلت في المنــافقين، وبعض أهل العلم قــال: ليست في المنافقين. وهذا غلـط، وليس بصـواب، ذلك لأسـباب ومنها:

أن هــذه الســورة -الــتي منها هــذه الآيــة- هي في حــال المنافقين، ولأن السياق -سباقه ولحاقه- يـدل على أن الضـمائر فيها ترجع إلى المنافقين.

قال -جل وعلا- قبل هذه الآية في سورة براءة:

[illegible] .

فهـذه ظـاهرة في أن سـباقها في المنـافقين، فالضـمير في قوله: [illegible] يعني من ذُكر قبل هـذه الآيـة، وهم المنافقون؛ لقوله: [illegible] ثم قال بعدها: [illegible] .

وكـذلك ما بعـدها من الآيـات في المنـافقين في قوله -جل وعلا-: [illegible] والأدلة على ذلك كثـيرة، فالصــواب في ذلك أن المــراد بهــؤلاء أنهم المنافقون.

وأما أهل التوحيد فإنه لا يصــدر منهم اســتهزاء أصــلا، ولو استهزأ لعلمنا أنه غير معظم لله، وأن توحيـده ذهب أصـلا؛ لأن

الاستهزاء يطرد التعظيم، والدليل الذي ذكره في سبب النزول، وقصة النزول ظاهرة.

فـالواجب على المسـلمين جميعا -وعلى طلبة العلم خاصـة- أن يحذروا من الكلام؛ لأن كثـيرين يتكلمـون بكلام لا يلقـون له بـالا، خاصة في مجـالس بعض المنتسـبين إلى الخـير وطلبة العلم، ربما اسـتهزءوا، أو ربما تكلمـوا بكلام فيه شـيء من الهزل، وفيه شيء من الضحك، وكان في أثنـاء هـذا الكلام فيه ذكر اللـه، أو فيه ذكر القـرآن، أو فيه ذكر بعض العلم، وهـذا مما لا يجوز.

وقد يدخل أحدهم في قول النـبي -عليه الصـلاة والسـلام-: وإن الرجل ليتكلم بالكلمة لا يلقي لها بـالا يهـوي بها في النـار سبعين خريفا نسأل الله -جل وعلا- السلامة والعافية.

فـالواجب على العبد أن يعظم اللـه، وألا يتلفظ بلسـانه إلا بكلام عقَله قبل أن يقوله؛ لأن اللسـان هو مـورد الهلكـة، قـال معـاذ للنـبي -عليه الصـلاة والسـلام-: أو إنا يا رسـول الله مؤاخذون بما نقول؟ قال: ثكلتك أمك يا معاذ، وهل يكب الناس في النـار على منـاخرهم - أو قـال: على وجـوههم - إلا حصـائد ألسنتهم؟ .

فالله الله في اللسـان، في أنه أعظم الجـوارح خطـرا، مما يسهل أو يتساهل به أكثر الناس، فاحـذر ما تقـول، خاصة فيما يتعلق بالدين، أو بالعلم، أو بأولياء الله، أو بالعلماء، أو بصـحابة

النبي -عليه الصلاة والسلام-، أو بالتابعين؛ فإن هذا مورده خطير، والله المستعان، قد عظمت الفتنة، والناجي من سلمه الله -جل وعلا-. نعم.

باب قول الله تعالى:

وَلَئِنْ أَذَقْنَاهُ رَحْمَةً مِنَّا مِنْ بَعْدِ ضَرَّاءَ مَسَّتْهُ لَيَقُولَنَّ هَذَا لِي وَمَا أَظُنُّ السَّاعَةَ قَائِمَةً وَلَئِنْ رُجِعْتُ إِلَى رَبِّي إِنَّ لِي عِنْدَهُ لَلْحُسْنَى فَلَنُنَبِّئَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِمَا عَمِلُوا وَلَنُذِيقَنَّهُمْ مِنْ عَذَابٍ غَلِيظٍ

باب قول الله تعالى: [illegible] .

قال مجاهد: "هذا بعملي وأنا محقوق به". وقال ابن عباس: "يريد من عندي".

وقوله: [illegible] قال قتادة: "على علم مني بوجوه المكاسب". وقال آخرون: "على علم من الله أني له أهل". وهذا معنى قول مجاهد: "أوتيته على شرف".

وعن أبي هريرة أنه سمع رسول الله [illegible] يقول:

 إن ثلاثة من بني إسرائيل أبرص وأقرع وأعمى، فأراد الله أن يبتليهم، فبعث إليهم ملكا فأتى الأبرص فقال: أي شيء أحب إليك؟ فقال: لون حسن، وجلد حسن، ويذهب عني الذي قد قذرني الناس به.

قال: فمسحه فذهب عنه قذره، فأعطي لونا حسنا، وجلدا حسنا. قال: فأي المال أحب إليك؟ قال: الإبل أو البقر - شك إسحاق-، فأعطي ناقة عشراء، وقال: بارك الله لك فيها.

قال: فأتى الأقرع، فقال: أي شيء أحب إليك؟ قال: شعر حسن، ويذهب عني الذي قد قذرني الناس به. فمسحه فذهب عنه، وأعطي شعرا حسنا، فقال: أي المال أحب إليك؟ قال: البقر أو الإبل، فأعطي بقرة حاملة. قال: بارك الله لك فيها.

فأتى الأعمى فقال: أي شيء أحب إليك؟ قال: أن يرد الله إليَّ بصري، فأبصر به الناس. فمسحه فرد الله إليه بصره. قال: فأي المال أحب إليك؟ قال: الغنم، فأعطي شاة والدة ، فأنتج هذان وولد هذا، فكان لهذا واد من الإبل، ولهذا واد من البقر، ولهذا واد من الغنم.

قال: ثم إنه أتى الأبرص في صورته وهيئته فقال: رجل مسكين قد انقطعت بي الحبال في سفري، فلا بلوغ لي اليوم إلا بالله ثم بك، أسألك بالذي أعطاك اللون الحسن والجلد الحسن والمال بعيرا أتبلغ به في سفري.

فقال: الحقـوق كثـيرة. فقـال: كـأني أعرفـك، ألم تكن أبـرص يقذرك الناس، فقيرا فأعطـاك الله المـال؟ فقـال: إنما ورثت هذا المال كابرا عن كابر. قـال: إن كنت كاذبا فصـيرك الله إلى ما كنت.

وأتى الأقرع في صورته، فقال له مثلما قال لهـذا، ورد عليه مثلما رد عليه هـذا، فقـال: إن كنت كاذبا فصـيرك الله إلى ما كنت.

قــال: وأتى الأعمى في صــورته، فقــال: رجل مســكين وابن سـبيل، قد انقطعت بي الحبـال في سـفري، فلا بلاغ لي اليـوم إلا بالله ثم بـك، أسـألك بالـذي رد عليك بصـرك شـاة أتبلغ بها في سفري.

فقــال: قد كنت أعمى فــرد الله إليَّ بصــري، فخذ ما شــئت ودع ما شئت، فوالله لا أجهدك اليوم بشيء أخذتَه للـه، فقـال: أمسك مالك فإنما ابتليتم، فقد رضي الله عنــك، وســخط على صاحبيك أخرجاه.

هذا الباب كالأبواب التي قبله في بيـان وجـوب تعظيم الله -جل وعلا- في الألفاظ، وأن النعم تنسب إليه، وأن يشكر عليها، فتعزى إليه، ويقول العبد: هـذا أنعم الله عليَّ بـه، والكـذب في هذه المسائل، أو أن يتكلم المــرء بكلام ليس موافقا للحقيقــة، أو هو مخـــالف لما يعلمه من أن الله -جل وعلا- قد أنعم عليه

بذلك، هـذا قد يوديه إلى المهالـك، وقد يسـلب الله -جل وعلا- عنه النعمة بسبب لفظه.

فالواجب على العبد أن يتحرز في ألفاظه، خاصة فيما يتصل بالله -جل وعلا-، أو بأسـمائه وصـفاته، أو بأفعاله وإنعامـه، أو بعدله وحكمته.

هذا يجب على العبد أن يكون متحرزا في ذلك، والتحرز في ذلك من كمـال التوحيـد؛ لأنه لا يصـدر التحـرز إلا عن قلب معظم للـه، مجِـلٍّ للـه، مخبت للـه، يعلم أن الله -جل جلالـه- مطلع عليـه، وأنه سـبحانه هو ولي الفضـل، وهو ولي الإنعـام، وهو الذي يستحق أن يُجَلَّ فوق كل جليل، وأن يُحَبَّ فـوق كل محبوب، وأن يعظم فوق كل معظم.

فالله -جل جلالـه- يجب توقـيره، وتعظيمه في الألفـاظ، ومن ذلك ما عقد له الشيخ هذا الباب، حيث قـال: بـاب ما جـاء في قول الله تعالى: [illegible] .

قال مجاهد في تفسيرها: "هذا بعملي وأنا محقوق به"، يعني نسب النعمة إلى نفسـه، أو نسب اسـتحقاق النعمة إليـه، وأنه يسـتحق ذلـك، وأن الله -جل وعلا- لم يتفضل عليه في هـذا الشيء، أو أنه تفضل عليه؛ لأنه مستحق لهذا الإنعام، مسـتحق للمال، مستحق للجاه، مستحق لرفعة القدر عند النـاس، فصـار إليه ذلك الشـيء من المـال والرفعة والسـمعة الطيبـة؛ لأنه

مستحق لذلك الشـيء بفعله وبجهـده، ونحو ذلك مما قد يطـرأ على قلوب ضعفاء الإيمان، وضعفاء التوحيد.

والواجب أن يعلم العبد أنه فقير، غـير مسـتحق لشـيء على الله -جل وعلا-، وأن الله هو الــرب المســتحق على العبد أن يشــكره، وأن يــذكره، وأن ينسب النعم إليــه، أما العبد فليس مســـتحقا في الــــدنيا لحق واجب على الله -جل وعلا- إلا ما أوجبه الله -جل وعلا- على نفسه.

فهذا الذي قال: "هـذا بعملي وأنا محقـوق بـه" يعـني بعد أن أتته رحمة من بعد الضراء قال: "هـذا بعملي وأنا محقـوق بـه"، وهـذا يـدخل فيه كثـير مما يحصل في ألفـاظ النـاس، كقـول الطـبيب مثلا: هـذا الـذي حصل من شـفاء المـريض هـذا بسب عملي، أو نجاحي، وتولِّيَّ لهذا الأمر، هـذا بسب جهـدي، وبسب تعـــــبي، ونحو ذلك مما يجعل أن فعل الله -جل وعلا- به ذلك بسب استحقاقه، أو أن ينسى الله -جل وعلا-، وينسب الأشــياء إلى نفسه.

ولهذا قال: وقال ابن عباس: "يريد من عندي" يعني هــذا لي، يقول: من عندي، أنا الـذي أتيت بهـذا المـال، أو بهـذه النعمـة، وهذا من عندي، ولم يُتفضل عليَّ به.

إذن فدخل في هـذا الوصف الـذي جـاء في الآية نوعـان من النـاس: من ينسب الشـيء إلى نفسه ولا ينسـبه إلى الله -جل وعلا- أصلا، والثـاني: أن ينسـبه إلى نفسه من جهة الاسـتحقاق،

وأنه يـرى نفسه مسـتحقا لـذلك الشـيء على الله -جل وعلا-، كما يحصل من بعض المغـــرورين أنه إذا أطـــاع الله واتقـــاه وحصـلت له نعمـة، فيقـول: حصـلت لي هـذه النعمة من جـراء استحقاقي لهـا، فأنا العابد لله -جل وعلا-، ولا يستحضر أن الله -جل وعلا- يرحم عبـاده، ولو حاسـبه على عمله لم تقم عباداته وعمله بنعمة من النعم التي أسداها الله -جل وعلا- له.

فــالواجب -إذن- على العبد أن ينسب النعم جميعا للـــه، وأن يشعر بأنه لا يستحق شـيئا على اللـه، وإنما الله هو المسـتحق للعبوديـة، هو المسـتحق للشـكر، هو المسـتحق للإجلال، والعبد فقير مذنب مهما بلغ.

وانظر إلى أبي بكر الصديق كيف علمه النبي -عليه الصلاة والسـلام- أن يقـول في آخر صـلاته: اللهم إني ظلمت نفسي ظلما كثيرا، ولا يغفر الذنوب إلا أنت، فاغفر لي .

هـذا أبو بكر علمه -عليه الصـلاة والسـلام- أن يقـول: اللهم إني ظلمت نفسي ظلما كثيرا فكيف بحال المساكين أمثالنـا، أو أمثـال أكـثر هـذه الأمـة، كيف يظنـون في أنفسـهم أنهم يستحقون على الله شيئا؟.

فإذن تمام التوحيد أن يُجِلَّ اللهَ العبـدُ، وأن يعظم العبـدُ ربه تبـــارك وتعـــالى، وألا يعتقد أنه مســـتحق للنعم، أو إنما أوتيها بجهـده وجهـاده وعمله وذهابه ومجيئـه، بل هو فضل الله يؤتيه من يشاء   .

فعل العبد سبب، وهذا السبب قد يتخلف، وقد يكون مــؤثرا، وكــان مــؤثرا بــإذن الله -جل وعلا-، فرجع الأمر إلى أنه فضل الله يؤتيه من يشاء.

قال: "وقوله: قال: [illegible] قال قتادة: "على علم مني بوجوه المكاسب".

هذا في قصة قارون، قال -جل وعلا-: [illegible] إلى أن قال: [illegible].

قال قتادة: "على علم مـني بوجـوه المكاسـب". وهـذا يحصل من كثــير ممن أغنــاهم الله -جل وعلا-، وصــاروا في تجــارة عظيمة، ينسب الشـيء إلى نفسـه، فيقـول: أنا خبـير، أنا أفهم، أنا عندي علم بوجـوه المكاسـب، ونحو ذلـك، وينسى أن الله -جل وعلا- هو الذي تفضل، ولو منع الله السبب الـذي فعله من التأثير لم يصر شيئا.

فالله -جل وعلا- هو الذي تفضل عليه، وهو الذي وفقـه، وهو الـذي هـداه للفكـرة، وهو الـذي جعل السـبب مـؤثرا، فالله هو المنعم ابتــداء، وهو المنعم ختامــا، فــالواجب -إذن- أن يتخلص العبد من رؤية نفسه، وأن يعلم أنه لا حـول ولا قـوة إلا باللـه، فإنها كنز من كنوز الجنة.

فهذا الباب معقود لما ذكرنا من تخليص القلب واللسان من ألفاظ واعتقادات باطلة، يظن المرء فيها أنه مستحق أشياء على الله -جل وعلا-، والتوحيد هو أن يكون العبد ذليلا خاضعا بين يدي الله، يعلم أنه لا يستحق شيئا على الله -جل وعلا-، وإنما هو فضل الله يؤتيه من يشاء.

قال: "وقال آخرون: "على علم من الله أني له أهل". وهذا يشمل أحد الدرجتين اللتين ذكرتهما، قال: وهذا معنى قول مجاهد "أوتيته على شرف".

ثم ساق حديث أبي هريرة الطويل، والدلالة منه ظاهرة، وأن الله -جل وعلا- عافى هؤلاء، ولكنه لما عافاهم نسب اثنان منهم النعمة إلى أنفسهم، وثالث نسبها إلى الله، فجزى الله الأخير خيرا، وأدام عليه النعمة، وعاقب ذينك الرجلين، وهذا فضل الله: ينعم، ثم يثبت النعمة فيمن شاء، ويصرفها عمن يشاء.

ومن أسباب ثبات النعمة أن يعظم العبد ربه، وأن يعلم أن الفضل بيد الله، وأن النعمة هي نعمة الله، ثم في ختام هذه الأبواب الوصية بأن تكون حذرا في اللسان، حذرا فيما تتكلم به، وأن تعلم أن كل خير إنما هو من الله، وأن لا حول ولا قوة إلا بالله، ولو سلبك الله العناية منه -جل وعلا- طرفة عين لكنت هالكا ومن الخاسرين.

فإن العبد أحوج ما يكون إلى الاعتراف والعلم بأسماء الله وبصفاته، وبآثار ذلك في ملكوته، وبربوبيته -جل وعلا- على خلقه، وبعبادته حق عبادته.

أسأل الله لي ولكم النور في القلوب، والصواب في الأقوال والأعمال والاعتقادات، وصلى الله وسلم وبارك على نبينا محمد.

باب

قول الله تعالى:

فَلَمَّا آتَاهُمَا صَالِحًا جَعَلَا لَهُ شُرَكَاءَ فِيمَا آتَاهُمَا فَتَعَالَى اللَّهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف المرسلين نبينا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين.

قال المصنف -رحمه الله تعالى-:

باب قول الله تعالى: [illegible] .

قال ابن حزم: اتفقوا على تحريم كل اسم مُعَبَّد لغير الله كعبد عمر، وعبد الكعبة، وما أشبه ذلك، حاشا عبد المطلب.

وعن ابن عبــاس في الآية قــال: لما تغشــاها آدم حملت، فأتاهما إبليس فقال: إني صـاحبكما الـذي أخرجتكما من الجنـة، لَتطيعانني أو لأجعلن له قرني أيّل، فيخـرج من بطنها فيشـقها، ولأفعلن ولأفعلن -يخوفهمـــا-، ســـمِّياه عبد الحـــارث. فأبيا أن يطيعـاه، فخـرج ميتـا، ثم حملت فأتاهما فقـال مثل قولـه، فأبيا أن يطيعاه، فخرج ميتا، ثم حملت فأتاهما، فذكر لهما، فأدركهما حب الولـد، فسـمياه عبد الحـارث، فـذلك قولـه: [illegible] رواه ابن أبي حاتم.

وله بسـند صـحيح عن قتـادة قـال: شـركاء في طاعته ولم يكن في عبادته وله بســند صـحيح عن مجاهد في قولــه: [illegible] قال: أشفقا ألا يكون إنسانا وذكر معناه عن الحسن وسعيد وغيرهما.

بســـم اللـــه الرحمن الرحيم

الحمد لله حق حمـــده، وأشـــهد أن لا إله إلا الله وحـــده لا شـريك لـه، وأشـهد أن محمـدا عبـده ورسـوله صـلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم تسليما كثيرا إلى يوم الدين، أما بعد..

فهذا الباب ترجمه المصنف الإمام -رحمه الله تعـالى- بقولـه: باب قول الله تعالى: [illegible].

مناسبة هذا الباب للأبواب قبله: أنه وتلك الأبـواب في معـنى واحـد، وذلك المعـنى أن شـكر النعمة لله -جل وعلا- فيما أنعم

به يقتضي أن تنسب إليه -جل وعلا-، وأن يُحمد عليهـا، ويثـنى عليه بهـا، وأن تسـتعمل في مراضـيه -جل وعلا-، وأن يتحـدث بنعمة الله.

فالـذي ينسب النعم إلى نفسه هـذا لم يحقق التوحيـد، فإنه جمع بين تـرك تعظيم الله -جل وعلا- وبين ادعـاء شـيء ليس لـه، كـذلك الـذي يعتقد في غـيره أنه هو المنعم عليه كقـول القائل: لولا فلان لم يكن كذا، أو نحو تلك العبارات التي تـدخل في قوله تعالى: [illegible] وفي قوله: [illegible] هذه وأمثالها راجعة إلى عدم شكر النعمة.

ومن شكر النعم أن الله -جل وعلا- إذا أنعم على عبد بولـد، وجعله سليما معافى، ورزقه بتلك النعمة الـتي هي نعمة الولـد، أن يشكر الله عليها.

ومن عـدم شـكر النعمة تلك ونسـبتها إلى غـير الله أن يُعَبِّد الولد لغير الله -جل وعلا-، فإن هذا مضاد للاعتراف بأن المنعم بـــذلك الولد هو الله -جل جلالـــه-، وقد يصل ذلك إلى حد الشـرك الأكـبر إذا عَبَّد الولد لـولي أو لعبد صـالح، وهو يعـني حقيقة العبودية، التي هي أن هذا عبد لذاك؛ لأن ذاك إله، كمن يعبد لبعض المشـايخ، فيقـول: عبد السـيد، ويعنـون به السـيد البدوي، ويقولون: عبد زينب، وعبد علي، وعبد عمرو، ونحو ذلك

من الأسماء التي فيها اعتقادات، فمن عَبَّد لغير الله -جل وعلا- فإن هذا ينافي شكر النعمة.

ولهذا أتبع الشيخ - رحمه الله - هذا الباب لأبواب قبله؛ لما يشترك معها في هذا المعنى، وأن الواجب على العبد أن يحقق التوحيد، وأن لا ينسب النعم لغير الله -جل وعلا-، فإن وقعت منه ذلك فواجب عليه أن يبادر بالتوبة، وألا يقيم على ذلك.

قال: باب قول الله تعالى: [illegible] قوله: [illegible] الضمير هنا يرجع إلى آدم وحواء، والذي عليه عامة السلف أن القصة في آدم وحواء، حتى قال الشارح الشيخ سليمان بن عبد الله - رحمه الله - قال: إن نسبة ذلك إلى غير آدم وحواء هو من التفاسير المبتدعة، والذي يعرفه السلف أن الضمير يرجع إلى آدم وحواء، وسياق الآية لا يقتضي غير ذلك إلا بأوجه من التكلف.

ولهذا الإمام الشيخ محمد بن عبد الوهاب -رحمه الله- اعتمد هذا الذي عليه عامة السلف، ففسر هذه الآية بأن المراد بها آدم وحواء، [illegible] يعني آتى الله آدم وحواء صالحا.

وقوله: [illegible] يعني من جهة الخلقة؛ لأنه كان يأتيهما ولد فيموت، أو يكون معيبا فيموت، فالله -جل وعلا- رزقهما هذا

الولد الصالح، السليم في خلقته، السليم في بنيتـه، وكـذلك هو صالح لهما من جهة نفعهما.

قال -جل وعلا-: [illegible] "جعلا " يعني آدم وحواء، "له" يعني لله -جل وعلا- [illegible] وكلمة "شركاء " جمع الشريك، والشريك في اللغـة: هو المقصـود بهـذه الآيـة، يعـني هـذه الآية فيها لفظة "شـركاء"، والمقصـود بها معـنى الشركة في اللغة، ومعنى الشركة في اللغة: اشتراك اثنين في شـيء، فجعلا لله -جل وعلا- شـركاء فيما آتاهمـا، حيث سـميا ذلك الولد عبد الحارث، والحارث هو إبليس.

ذلك أن إبليس -كما سـمعتم بالقصـة- هو الـذي قـال: إن لم تسـمياه عبد الحـارث لأفعلن ولأفعلن، ولأجعلن له قـرني أيّـل، وهو ذكر الوعل، وفي هـذا تهديد بـأن يشق بطن الأم فتمـوت، ويموت أيضا الولد.

فلما رأت حــواء ذلــك، وأنها قد مــات لها عــدة بطــون، فأطــاعت الشـيطان في ذلـك، فصـارت الشـركة شـركة في الطاعـة، وآدم وحـواء -عليهما السـلام- قد أطاعا الشـيطان من قبل حيث أمرهما بأن يأكلا من الشـجرة الـتي نهاهما الله -جل وعلا- عنها.

فوقوع طاعة الشيطان من آدم وحواء -عليهما السلام- وقـوع ذلك منهما لم يكن هذه هي أول مرة، وإنما وقع العصـيان قبل ذلك، كما جاء في الحديث أن النبي □ قال: □ خـدعهما مـرتين □

وهذا هو المعروف عند السلف، فيكون إذن قوله: [illegible] من جهة التشريك في الطاعة.

ومعلوم أن كل عاص مطيع للشيطان، وكل معصية لا تصدر من العبد إلا وثَم نوع تشريك حصل في الطاعة؛ لأنه إما أن يطيع هواه، وإما أن يطيع الشيطان.

ولهذا قال شيخ الإسلام وغيره من المحققين: إنه ما من معصية يعصي بها العبد ربه إلا وسببها طاعة الشيطان، أو طاعة الهوى، وذلك نوع تشريك، وهذا هو الذي حصل من آدم وحواء - عليهما السلام -، فهذا لا يقتضي نقصا في مقامهما، ولا يقتضي شركا بالله -جل وعلا-، وإنما هو نوع تشريك في الطاعة.

والمعاصي جائزة -يعني المعاصي الصغار- جائزة على الأنبياء كما هو معلوم عند أهل العلم، فإن آدم نبي مكلم، وصغار الذنوب جائزة على الأنبياء، ولا تقدح في كمالهم؛ لأنهم لا يستقيمون عليها، بل يسرعون وينيبون إلى الله -جل وعلا-، ويكون حالهم بعدما وقع منهم ذاك أعظم من حالهم قبل أن يقع منهم ذلك؛ لأنه يكون لهم مقامات إيمانية، واعتراف في العبودية أعظم، وخضوع بين يدي الله -جل وعلا- أعظم، ومعرفة بتحقيق ما يجب لله -جل وعلا- وما يستحب أعظم.

إذن هذه القصة -كما ذكرنا- صحيحة، وآثار السلف الكثيرة تدل عليها، والسياق أيضا -سياق الآيات في آخر سورة الأعراف- يدل عليها.

والإشكال الذي أورده بعض أهل التفسير من المتأخرين في أن آدم وحواء جعلا لله شركاء، هذا نص الآية، ولا يمنع بأن التشريك هنا -تشريك كما قلنا فيما يدل عليه المعنى اللغوي- ليس شركا أصغر، وليس -وحاشاهم- شركا أعظم من ذلك، وإنما هو تشريك في الطاعة، كما قال -جل وعلا-: [illegible] وكما قال أيضا في آية أخرى: [illegible] .

فكل من جعل هواه متَّبعا فقد جعله مطاعا، وهذا نوع تأليه، لكن لا يقال: عبد غير الله، أو ألَّه غير الله، أو أشرك بالله -جل وعلا-. لكن هو نوع تشريك، فكل طاعة للشيطان أو للهوى فيها هذا النوع من التشريك، إذ الواجب على العبد أن يعظم الله -جل وعلا-، وألا يطيع إلا أمره -جل وعلا- وأمر رسوله [illegible] .

فإذن ظاهر أن هذه القصة لا تقتضي نقصا في مقام آدم -عليه السلام-، ولا في مقام حواء، بل هو ذنب من الذنوب تابا منه كما حصل لهما أول مرة في الأكل من الشجرة، بل إن أكلهما من الشجرة ومخالفة أمر الله -جل وعلا- أعظم من هذا الذي حصل منهما هنا، وهو تسمية الولد عبد الحارث.

وذلك أن الخطـــــاب الأول كـــــان من الله -جل وعلا- لآدم مباشـرة، خاطبه الله -جل وعلا- ونهـاه عن أكل هـذه الشـجرة، وهذا خطاب متوجه إلى آدم بنفسه، وأما هذه التسمية فإنه لم ينه عنها مباشرة، وإنما يفهم النهي عنها من وجـوب حق الله -جل وعلا-، فذاك المقام زاد على هذا المقـام من جهة خطـاب الله -جل وعلا- المباشر لآدم، وهـــذا أمر معــــروف عند أهل العلم.

ولهـذا فسر قتـادة كلمة "شـركاء" بقوله - كما نقل الشـيخ - حيث قال: وله بسند صحيح عن قتادة قال: ﴿ شركاء في طاعته ولم يكن في عبادته ﴾ وهذا هو الصحيح في تفسير الآية.

قال الإمام: قال ابن حزم: "اتفقوا على تحريم كل اسم معبد لغير الله كعبد عمرو، وعبد الكعبـة، وما أشـبه ذلـك، حاشا عبد المطلب".

قول ابن حزم: "اتفقوا" يعني أجمعوا، يعــني أجمع أهل العلم -فيما علمه هــو- أن التعبيد لغــير الله محــرم؛ لأن فيه إضــافة النعم لغــير اللــه، وفيه أيضا إســاءة أدب مع الربوبية والإلهيــة، فــإن تعبيد النــاس لغــير الله -جل وعلا- هــذا غلط من جهة المعنى.

وأيضا فيه اهتضام -أو نـوع اهتضـام- لمقـام الربوبيـة؛ فلـذلك حُرِّم في هذه الشريعة هـذه التسـمية، بل وفي شـرائع الأنبيـاء جميعـا، فـاتفق أهل العلم على ذلـك، وأن كل اسم معبد لغـير

الله كعبد عمـــرو، وعبد الكعبـــة، وعبد علي، وغـــير ذلك من الأسماء؛ فإن هذا محرم ولا يجوز، وما أشبه ذلك.

قال: "حاشا عبد المطلب"، قوله: "حاشا عبد المطلب" يعـني لم يجمعوا عليه؛ فـإن من أهل العلم من قـال: تكـره التسـمية بعبد المطلب ولا تحرم؛ لأن النبي -عليه الصلاة والسـلام- قـال في غــزوة حــنين: ﴿ أنا النــبي لا كــذب أنا ابن عبد المطلب ﴾ وقالوا: جاء في أسماء الصحابة من اسـمه عبد المطلب؛ ولهـذا قالوا: لا يحرم.

وهذا القول ليس بصحيح في أن عبد المطلب تكره التسمية به ولا تحرم، وما استدلوا به ليس بوجيه؛ وذلك أن قول النــبي -عليه الصلاة والسلام-: ﴿ أنا النبي لا كــذب أنا ابن عبد المطلب ﴾ هذا من جهة الإخبار، والإخبار ليس فيه تعبــير مباشر لإضـافة ذلك المخلـوق إلى غـير خالقـه، وإنما هو إخبـار، وبـاب الإخبـار أوسع من باب الابتداء كما هو معلوم.

وأما تسـمية بعض الصـحابة بعبد المطلب، فـالمحققون من الــرواة يقولــون: إن من ســمي بعبد المطلب صــحة اســمه المطلب بــدون التعبيــد، ولكن نقل بعبد المطلب؛ لأنه شــاعت التســـمية بعبد المطلب دون المطلب، فوقع خطأ في ذلـــك، وبحث هذه المسائل يطول، محله كتب الحديث، وكتب الرجال، فنمر عن ذلك.

وقال بعده: "وعن ابن عباس في معنى الآية قال: لما تغشاها آدم حملت فأتاهما إبليس، فقال: إني صاحبكما.. إلى آخر القصة، قال: فذلك قوله [illegible] قال: رواه ابن أبي حاتم، وله بسند صحيح عن قتادة قال: [illegible] شركاء في طاعته، ولم يكن في عبادته [illegible] .

وهذا دليل على التفريق بين الشرك في الطاعة والشرك في العبادة، الشرك في العبادة كفر أكبر مخرج من الملة، أما الشرك في الطاعة فله درجات: يبدأ من المعصية وهي المحرم، وينتهي بالشرك الأكبر.

فالشرك في الطاعة درجاته كثيرة، ليس درجة واحدة، فيحصل شرك في الطاعة فتكون معصية، ويحصل شرك في الطاعة فيكون كبيرة، ويحصل شرك في الطاعة فيكون كفرا أكبر، ونحو ذلك.

أما الشرك في العبادة فهو كفر أكبر بالله -جل جلاله-؛ ولهذا فرق أهل العلم بين شرك الطاعة وشرك العبادة، مع أن العبادة مستلزمة للطاعة، والطاعة مستلزمة أيضا للعبادة، لكن ليس في كل درجاتها.

قال: وله بسند صحيح عن مجاهد في قوله: [illegible] يعني في الآية قبلها [illegible] قال: أشفقا ألا يكون إنسانا، يعني خافا أن يكون له -كما قال الشيطان- له قرنا أيّل، أو خلقته مختلفة، أو يخرج حيوانا،

أو قردا، أو نحو ذلك، فقالا: [illegible] يعني ولدا صالحا سليما من الآفات، سليما من الخلقة المشينة، فوعدا بأن يكونا من الشاكرين.

[illegible] عبّدا ذلك للحارث؛ خوفا من أن يكون الشيطان يتسلط عليه بالموت أو الإهلاك، أخذتهما شفقة الوالد على الولد، فكان ذلك خلاف شكر تلك النعمة؛ لأن من شكر نعمة الولد أن يعبَّد الولد لله الذي أنعم به وأعطاه وتفضل به. نعم.

باب

قول الله تعالى:

وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى فَادْعُوهُ بِهَا وَذَرُوا الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي أَسْمَائِهِ

باب قول الله تعالى: [illegible] الآية.

ذكر ابن أبي حاتم عن ابن عباس: [illegible] يشركون، وعنه: سموا اللات من الإله والعزى من العزيز، وعن الأعمش: يدخلون فيها ما ليس منها.

باب قول الله تعالى: [illegible]

 هذا الباب في وجوب تعظيم أسماء الله الحسنى، وأن من تعظيمها ألا يُلحَد فيها، وأن يُدعى الله -جل وعلا- بها.

والأسماء الحسنى هي الحَسنة البالغة في الحسن نهايته، فالخلق يتسمون بأسماء لكن قد لا تكون حسنة، أو قد تكون حسنة ولكن ليست بالغة في الحسن نهايته؛ لأن الحسن في الأسماء يكون راجعا إلى أن الصفة التي اشتمل عليها ذلك الاسم تكون حقا فيمن تسمى بها، ويكون قد بلغ نهاية ذلك الوصف، والإنسان لو تسمى باسم فيه معناه فإنه لا يُنظر فيه إلى أن المعنى قد اشتملت عليه خصاله، فيسمى صالحا وقد لا يكون صالحا، ويسمى خالدا وقد لا يكون خالدا، ويسمى محمدا وقد لا يكون كثير خصال الحمد.

وهكذا فإن الإنسان قد يسمى بأسماء، لكن لا تكون في حقه حسنى، والله -جل وعلا- له الأسماء الحسنى البالغة في الحسن نهايته، وهي الأسماء المشتملة على الصفات: صفات الكمال، والجلال، والجمال، والقدرة، والعزة، والجبروت، وغير ذلك ، وله من كل اسم مشتمل على صفة أعلى وأعظم الصفة والمعنى الذي اشتملت عليه الصفة.

والناس وأهل العلم إذا فسروا الأسماء الحسنى فإنما هو تقريب ليدلوا الناس على أصل المعنى، أما المعنى بكماله فإنه لا يعلمه أحد إلا الله -جل جلاله-؛ ولهذا قال -عليه الصلاة

والسلام- في دعائه: لا نحصي ثناء عليك أنت كما أثنيت على نفسك .

فالناس حين يفسرون أسماء الله -جل وعلا- فإنهم يفسرون ذلك بما يقرب إلى الأفهام المعنى، أما حقيقة المعنى على كماله فإنهم لا يعونه؛ لأن ذلك من الغيب، وكذلك الكيفية فإنهم لا يعونها؛ لأن ذلك من الغيب، فالله -جل وعلا- له الأسماء الحسنى، والصفات العلا.

ومن الأسماء ما لا يكون حسنا إلا بقيد مثل الصانع، والمتكلم، والمريد، والفعال، أو الفاعل، ونحو ذلك. فهذه الأسماء لا تكون كمالا إلا بقيد في أن يكون متكلما بما شاء إذا شاء بما تقتضيه الحكمة وتمام العدل فهذا يكون محمودا؛ ولهذا ليس من أسماء الله المتكلم، كذلك الصانع قد يصنع خيرا وقد يصنع غير ذلك، والله -جل وعلا- ليس من أسمائه الحسنى الصانع؛ لاشتماله على هذا وهذا.

فإذا أطلق من جهة الخبر فيعني به ما يقيد بالمعنى الذي فيه كمال، كذلك فاعل أو فعال، فإن الفعال قد يفعل أشياء قد لا توافق الحكمة، وقد يفعل أشياء لا يريدها، بل مجبر عليها، والكمال أن يفعل ما يريد، ولا يكون مجبرا؛ لكمال عزته وقهره، ولهذا قال الله -جل وعلا- عن نفسه: ؛ لأن تقييد كونه فعالا بـ "لما يريد" هذا هو الكمال، في أشياء كثيرة من ذلك معروفة في مباحث الأسماء والصفات.

وأسماء الله الحسنى تنقسم باعتبارات من جهة المعنى، قال طائفة من أهل العلم: إن منها أسماء الجمال، وأسـماء الجمـال لله -جل جلالـه- هي الأسـماء المحتملة على حسن في الـذات، أو حسن في المعــنى، وبر بالعبــاد والمخلــوقين، فيكــون من أسماء الجمال صـفات الـذات، واسم الله الجميـل، ويكـون من أسماء الجمال: البر، والرحيم، والـودود، ونحو ذلـك، والمحسـن، وما أشبه ذلك.

ومن أســماء الله ما هو من الجلال، يقــال: هــذه أســماء الجلال، وأسـماء الجلال لله هي الـتي فيها ما يـدل العبـاد على جلال اللـه، وهو عظمتـه، وعزته -جل وعلا-، وجلاله حـتى يُجَـلَّ من مثــل: القهــار، والجبــار، والقــدير، والعزيــز، ونحو ذلــك، والمقيت، وأشباه هذه الأسماء، فهذه أسماء الجلال.

وهنــاك أسـماء في تقسـيمات مختلفة تطلب من كلام ابن القيم -رحمه الله- أو من كلام الشراح.

فإن المقصود -إذن- أن العبد المؤمن الموحد أن يتعـرف إلى الله -جل وعلا- بأســمائه وصــفاته، ولا تتم حقيقة التوحيد في قلب العبد حتى يعلم أسماء الله -جل وعلا-، ويعلم صفات الله -جل وعلا-، فإن العلم بها تتم به حقيقة التوحيد.

والعلم بها على مراتب: منها: أن يعلمها إثباتـا، يعـني يثبت ما أثبت الله لنفسه، وما أثبته له رسـوله فيـؤمن أن هـذا الاسم من أسماء الله، وأن هذه الصفة من صفات الله -جل وعلا-.

والثاني: أن يسأل الله -جل وعلا- بأسمائه وصفاته بما يوافق مطلوبه؛ لأن الأسماء والصفات نتعبد لله -جل وعلا- بها، بأن ندعوه بها كما جاء في هذه الآية، وسيأتي بيان ذلك إن شاء الله.

والثالث: من الإيمان بالأسماء والصفات أن ينظر إلى آثار أسماء الله وصفاته في الملكوت، فإذا نظر إلى آثار الأسماء والصفات في الملكوت وتأمل ذلك علم أن كل شيء ما خلا الله باطل، وأن الحقيقة أن الحق الثابت اللازم هو الله -جل وعلا-، وأما ما سوى الله فهو باطل وزائل وآيل إلى الهلاك،   .

قال: اللام هنا في قوله "ولله" هي لام الاستحقاق، يعني الأسماء الحسنى البالغة في الحسن نهايته مستحقة لله -جل وعلا-، والله مستحق ذلك.

قال: يعني إذا علمتم أن الله هو المستحق لذلك، وآمنتم بذلك   وهذا أمر، وقوله: "ادعوه بها " الدعاء هنا فسر بالثناء والعبادة، وفسر بالسؤال والطلب، وكلاهما صحيح، فإننا ندعو الله بها، يعني نحمده ونثني عليه بها، فنعبده متوسلين إليه بهذه الأسماء والصفات، بالأسماء الحسنى وما اشتملت عليه من الصفات العلا.

والثاني: أن نسأل بها، يعني إذا كان لنا مطلوب نتوجه إلى الله، فنسأله بتلك الأسماء بما يوافق المطلوب، فإذا سألنا الله

المغفرة نأتي بصفات الجمال، إذا سألنا الله -جل وعلا- النصـرة نأتي بصفات الجلال، وهكذا فيما يناسب، وهناك تفصـيلات أيضا لهذا الأمر.

المقصود أن قوله -جل وعلا-: □ □ □□□□□ □□□□□□□□□□□ □ يعني اسألوه بهـا، أو اعبـدوه وأثنـوا عليه بها -جل وعلا-، فيشـمل دعـاء المسألة ودعاء العبادة، والباء في قوله: "بها" يعني متوسلين بها، هي باء الوسيلة.

□ □ □□□□□□□□□□□□□□ □□□□ □□□□□□□□□□□ □□□□□□□□□ □□□□□□□□□ □ "ذروا" يعني اتركوا، وهـذا يعـني أن المسـلم واجب عليه أن يبتعد عن حـال الـذين يلحدون في أسماء الله -جل وعلا-، والإلحاد في أسماء الله هو الميل والعـــــدول بها عن حقائقها إلى ما لا يليق بالله -جل وعلا-.

وهـذا الإلحـاد مـراتب: من مـراتب الإلحـاد في أسـماء الله وصفاته أن يسمي البشر المعبودين يسميهم بأسـماء اللـه، كما سموا اللات من الإله، والعزى من العزيز، ونحو ذلك.

ومن الإلحـاد في أسـماء الله أن يُجعل لله -جل وعلا- ولـد، وأن يضـاف المخلـوق إليه إضـافة الولد إلى والـده كحـال النصارى، هذا نـوع من الإلحـاد في أسـماء الله -جل وعلا- وفي صفاته.

ومن الإلحـاد إنكـار الأسـماء والصـفات، أو إنكـار بعض ذلـك، كما فعلت الجهمية الغلاة؛ فـإنهم لا يؤمنـون باسم من أسـماء

الله ولا بصفة من صفات الله إلا الوجود والموجود؛ لأن هذه الصفة هي التي يستقيم معها برهانهم بحلول الأعراض في الأجسام، ودليل ذلك على الوحدانية كما هو معروف في موضعه.

ومن الإلحاد أيضا والميل بها عن الحق الثابت الذي يجب لله -جل وعلا- فيها: أن تؤول وتُصرف عن ظاهرها إلى معانٍ لا يجوز أن تُصرف إليها، فيكون ذلك من التأويل، والواجب الإيمان بالأسماء والصفات، وإثبات الأسماء والصفات، واعتقاد ما دلت عليه، وترك التعرض لها بتأويل ونحوه.

وهذا هو قاعدة السلف، فنؤمن بها، ولا نصرفها عن حقائقها بتأويل، أو بمجاز، أو نحو ذلك، كما فعل المعتزلة، وفعلته الأشاعرة، والماتريدية، وطوائف.

كل هذا نوع من أنواع الإلحاد، وإذا تكرر ذلك فيكون الإلحاد إذن منه ما هو كفر، ومنه ما هو بدعة بحسب الحال الذي ذكرنا، فالحال الأخيرة -وهي التأويل وادعاء المجاز في الأسماء والصفات- هذه بدع وإلحاد لا يصل بأصحابه إلى الكفر، أما نفي وإنكار وجحد الأسماء والصفات كحال الجهمية فهذا كفر، وهكذا فعل النصارى ومشركي العرب.

قال: ذكر ابن أبي حاتم عن ابن عباس: يشركون يعني يجعلون اللات من الإله، فينادون اللات، وعندهم أنهم نادوا الإله فصار شركا. قال: وعنه: سموا

اللات من الإله، والعزى من العزيز. وعن الأعمش: يدخلون فيها ما ليس منها، وهذه مرتبة من مراتب الإلحـاد في أسـمائه؛ لأن الله -جل وعلا- □ □□□ □□□□□□□□□□□□□ □□□□□□□□□□□□□ □□□□ □ فمن أدخل اسما لم يثبت في الكتاب والسنة أنه من أسماء الله فقد ألحـد؛ لأنه مـال وعـدل عن الحق الـذي يجب في الأسـماء والصـفات إلى غيره.

والحق هو أن تثبت لله ما أثبته لنفسه، إذ لا أحد أعلم بالله من الله -جل جلاله وتعـاظم شـأنه-، وكـذلك لا أحد أعلم من الخلق بالله -جل وعلا- من رسوله الخاتم محمد □ .

فمن أدخل فيها ما ليس منها فقد ألحـــد، كمن قـــال في أسـماء اللـه: المـاكر، والمسـتهزئ، والصـانع، وجعل ذلك من الأسماء الحسنى، فإن هذا لا يجوز، وإطلاق هـذه الأسـماء على الله -جل وعلا- لا يجوز، ومنها ما يجوز بتقييد في بـاب الإخبـار، ومباحث هذا البـاب طويلـة؛ لاتصـالها بالأسـماء والصـفات، وهي معروفة في مبحث توحيد الأسماء والصفات. نعم.

بـــاب

لا يقــال: السلام على الله

بـــاب لا يقــال: السلام على الله .

في الصحيح: عن ابن مسعود قال: كنا إذا كنا مع النبي في الصلاة قلنا: السلام على الله من عباده، السلام على فلان وفلان، فقال النبي لا تقولوا: السلام على الله، فإن الله هو السلام .

باب لا يقال: السلام على الله، ومناسبة هذا الباب للباب الذي قبله أن ترك قول السلام على الله هو من تعظيم الأسماء الحسنى، ومن العلم بها، ذلك أن السلام هو الله -جل جلاله- والسلام من أسمائه سبحانه وتعالى، فهو المتصف بالسلامة الكاملة من كل نقص وعيب، وهو المنزه والمبعد عن كل آفة أو نقص أو عيب، فله الكمال المطلق في ذاته، وصفاته الذاتية، وصفاته الفعلية -جل وعلا-.

والسلام في أسماء الله معناه -أيضا- الذي يعطي السلامة ويجعل السلامة، وأثر هذا الاسم في ملكوت الله أن كل سلامة في ملكوت الله من كل شر يؤذي الخلق فإنها من آثار هذا الاسم السلام، فإنه لكون الله -جل وعلا- هو السلام فإنه يفيض السلامة على العباد.

إذا كان كذلك فالله -جل جلاله- هو الذي يفيض السلامة، وليس العباد هم الذين يعطون الله السلامة، فإن الله -جل وعلا- هو الغني عن خلقه، هو الغني بالذات، والعباد فقراء بالذات

فالعبد هو الـــذي يُعطَى السلامة، والله -جل وعلا- هو الذي يُسلِّم.

ولهذا كان من الأدب الواجب في جناب الربوبية وأسماء الله وصفاته ألا يقال: السـلام على اللـه، بل أن يقـال: السـلام علينا وعلى عبـاد الله الصـالحين، السـلام على فلان وفلان، السـلام عليك يا فلان ونحو ذلــك، فتــدعوا له بــأن يبــارَك باسم الله السلام، أو أن تحل عليه السلامة.

فإذن وجه مناسبة هـذا البـاب للـذي قبله ظـاهرة، ومناسـبته لكتاب التوحيد أن الأدب مع أسـماء الله -جل وعلا- وصـفاته ألا يخاطب بهذا الخطاب، وألا يقال: السلام على الله؛ لأن في هذا نقص لتحقيق التوحيـد، فتحقيق التوحيد الـواجب ألا تقـال هـذه الكلمة؛ لأن الله غني عن عباده؛ والفقـراء هم الـذين يحتـاجون إلى السلام.

قـال في الصـحيح: عن ابن مسـعود قـال: كنا إذا كنا مع النبي في الصـلاة قلنـا: السـلام على الله من عبـاده، السـلام على فلان وفلان .

السلام على الله من عباده قالوها مع كـونهم موحـدين، عـــالمين بحق الله -جل وعلا-، قالوها ظنا أنها تحية لا تحـــوي ذلك المعـــنى، فجعلوها من بـــاب التحيـــة، والتحية في هـــذه الشريعة مرتبطة بالمعنى، فالسـلام على الله من عبـاده كـأنهم قالوا: تحية لله من عباده.

وهذا المعنى وإن كان صحيحا من حيث القصد، لكنه ليس بصحيح من حيث اللفظ؛ لأن هذا اللفظ لا يجوز من جهة أن الله -جل وعلا- هو السلام كما قال النبي -عليه الصلاة والسلام-، والعباد مسلَّمون، هم الذين يسلمهم الله -جل وعلا- ويفيض عليهم السلامة، وهم الفقراء المحتاجون؛ فليسوا هم الذين يعطون الله السلامة.

فمعنى السلام على الله يعني السلامة تكون على الله من عباده، وهذا لا شك أنه باطل، وإساءة في الأدب مع ما يجب لله -جل وعلا- في ربوبيته وأسمائه وصفاته.

لهذا قال لهم النبي -عليه الصلاة والسلام-: لا تقولوا السلام على الله فإن الله هو السلام نهاهم، وهذا النهي للتحريم، ولا يجوز لأحد أن يقول: السلام على الله؛ لأن السلام على الله مقتضٍ لاهتضام جناب الربوبية، وتوحيد الأسماء والصفات.

إذا كان كذلك، فما معنى قولك حين تسلم على أحد: السلام عليك يا فلان، أو السلام عليكم ورحمة الله وبركاته ؟ هذه هي تحية المؤمنين في الدنيا وفي الآخرة [illegible] .

قال بعض أهل العلم: إن معناها -وهذا هو أحد المعنيين- معنى السلام عليكم، يعني كل اسم لله -جل وعلا- عليكم، يعني اسم السلام عليكم، فيكون ذلك تبركا بأسماء الله -جل

وعلا- وبصفاته، فاسم السلام عليكم يعني اسم الله عليكم، فيكون ذلك تبركا بكل الأسماء، ومنها اسم الله -جل وعلا- السلام.

والثاني: ما قاله آخرون من أهل العلم أن قول القائل: "السلام عليكم ورحمة الله" يعني السلامة التي اشتمل عليها اسم السلام عليكم، نسأل الله أن يفيضها عليكم، أو أن يكون المعنى: كل سلامة عليكم مني، فإنك لن تجد مني إلا السلامة، وهذا يصدق حين تُنكِّر فتقول: "سلام عليكم ورحمة الله وبركاته" يعني كل سلامة مني ستأتيك، فلن أخفرك في عرضك، ولن أخفرك في مالك، ولن أخفرك في نفسك.

فكثير من المسلمين يقول هذه الكلمة وهو لا يعني معناها، كيف أنه حين قال لمن أتاه: "السلام عليكم"، كأنه عاهده بأنه لن يأتيه منه إلا السلامة، ثم هو يخفر هذه الذمة، وربما أضره أو تناول عرضه، أو تناول ماله، أو نحو ذلك.

فهذا فيه التنبيه على فائدة مهمة، وهو أن طالب العلم بالخصوص، بل كل عاقل بعامة إذا نطق بكلام لا بد أن يتبين ما معنى هذا الكلام، فكونه يستعمل كلاما لا يعي معناه هذا من العيب، وليس من أخلاق الرجال أصلا أن يتكلموا بكلام ولا يعون معناه، فيأتي بكلام ثم ينقضه في فعله أو في قوله، هذا ليس من أفعال الذين يعقلون، فضلا عن أن يكون من أفعال

أهل العلم، أو طلبة العلم الـــذين يعـــون عن الله -جل وعلا- شرعه ودينه.

فإذن صار هنا قولان، وكلا القولين صواب، فإن قول القائـل: "السـلام عليكم" يشـمل الأول والثـاني، فتـبرُّك بكل اسم من أسماء الله، وتبرُّك باسم الله السلام، الذي من آثـاره السـلامة عليك في دينك ودنياك، فهو دعاء لك بالسلامة في الدين، وفي الدنيا، وفي الأعضاء، والصفات، والجوارح، إلى آخر ذلك، أو أن تكون بالمعنى الثاني، كل منهما صحيح. نعم.

باب

قول: اللهم اغفر لي إن شئت

باب قول: اللهم اغفر لي إن شئت .

في الصـحيح عن أبي هريـرة أن رسـول الله قـال: لا يقل أحدكم اللهم اغفر لي إن شئت، اللهم ارحمني إن شئت. ليعزم المسـألة؛ فـإن الله لا مُكـرِهَ له ولمسـلم: وليعظم الرغبـة؛ فإن الله لا يتعاظمه شيء أعطاه .

قال: بـاب قـول: اللهم اغفر لي إن شـئت. حقيقة التوحيد أن يوحد العبد ربه -جل وعلا- بتمام الـذل والخضـوع والمحبـة، وأن يتضـرع إلى الله -جل وعلا-، ويتـذلل إليه بإظهـار فقـره التـام إليه، وأن الله -جل وعلا- هو الغني عما سواه.

وقـــول القائـــل: "اللهم اغفر لي إن شـــئت" يفهم منه أنه مستغن عن أن يغفر له، كما يأتي العزيز أو المتكبر من الناس فيقول لآخر لا يريد أن يتذلل له فيقول: "افعل هـذا إن شـئت" يعني إن فعلت ذلك فحسن، وإن لم تفعل فلستُ بمُلِحٍّ عليـك، ولستَ بذي إكرام، فهو مناف، هذا القـول منـاف لحاجته الـذي قالها إلى الآخر.

ولهذا كان فيها عدم تحقيق للتوحيـد، ومنافـاة لما يجب على العبد في جنـــاب ربوبية الله -جل وعلا- أن يظهر فاقته وحاجته لربـه، وأنه لا غـنى به عن مغفـرة اللـه، وعن غـنى اللـه، وعن عفوه وكرمه وإفضاله ونعمه طرفة عين.

فقـول القائـل: "اللهم اغفر لي إن شـئت" كأنه يقـول: لست محتاجـا، إن شـئت فـاغفر، فـإن لم تشأ فلست بمحتـاج، وهـذا فعل أهل التكـبر، وأهل الإعــراض عن الله -جل وعلا-؛ ولهــذا حُــرم هــذا اللفــظ، وهو أن يقــول أحــد: "اللهم اغفر لي إن شئت".

ولهـذا سـاق الحـديث قـال: في الصـحيح عن أبي هريـرة أن رسـول الله قـال: لا يقل أحـدكم اللهم اغفر لي إن شـئت، اللهم ارحمني إن شئت. ليعزم المسألة؛ فإن الله لا مكره له ولمسلم: وليعظم الرغبة؛ فإن الله لا يتعاظمه شيء أعطـاه .

قوله: ليعزم المسألة يعني ليسأل سؤال عازم، سؤال محتاج، سؤال متذلل، لا سؤال مستغنٍ مستكبر، فليعزم المسألة، وليسأل سؤال جاد محتاج، متذلل فقير، يحتاج إلى أن يعطى ذلك، والذي سأل سأل أعظم المسائل، وهي المغفرة والرحمة من الله -جل وعلا-، فيجب عليه أن يعزم هذه المسألة، ويعزم الرغبة، وأن يعزم المسألة.

 فإن الله لا مكره له الله -جل وعلا- لا أحد يكرهه؛ لتمام غناه، وتمام عزته وقهره وجبروته، وتمام كونه مقيتا سبحانه وتعالى، وهذا من آثار الأسماء والصفات؛ لهذا لا يجوز في الدعاء أن يواجه العبد ربه بهذا القول: اللهم اغفر لي إن شئت، اللهم ارحمني إن شئت وهذا واضح ظاهر في الدعاء الذي فيه مخاطبة كهذا الخطاب: اللهم اغفر لي إن شئت هو يخاطب الله -جل وعلا- فيقول ذلك.

ولهذا قال بعض أهل العلم: إن هذا يتقيد بالدعاء الذي فيه خطاب، أما الدعاء الذي ليس فيه خطاب فيكون التعليق بالمشيئة ليس تعليقا لأجل عدم الحاجة، أو منبئا عن عدم الحاجة كهذا الدعاء، بل هو للتبرك، كمن يقول: رحمه الله إن شاء الله، أو غفر الله له إن شاء الله، أو الله يعطيه من المال كذا وكذا إن شاء الله، ونحو ذلك، فهذا قالوا: لا يدخل في هذا النوع؛ لأنه ليس على وجه الخطاب، وليس على وجه الاستغناء.

ولكن الأدب يقتضي ألا يستعمل هذه العبارة في الدعاء مطلقا؛ لأنها وإن كانت ليست بمواجهة، فإنها داخلة في تعليق الدعاء بالمشيئة، والله -جل وعلا- لا مكره له، فعموم المعنى المستفاد من قوله: ﴿ فإن الله لا مكره له ﴾ عموم هذا التعليل يشمل هذه وهذه، فلا شك أن قول: "اللهم اغفر لي إن شئت" أعظم، ولكن القول الآخر داخل أيضا في علة النهي ومعنى النهي؛ ولهذا لا يسوغ استعماله.

وقول النبي -عليه الصلاة والسلام- لمن عاده، كما رواه البخاري ومسلم وغيرهما، قال لمن عاده -وقد أصابته الحمى- قال: ﴿ طهور إن شاء الله. قال: بل هي حمى تفور ﴾ إلى آخر كلامه، هذا قوله -عليه الصلاة والسلام-: ﴿ طهور إن شاء الله ﴾ هذا ليس فيه دعاء، وإنما هو من جهة الخبر. قال: يكون طهورا إن شاء الله، فهو ليس بدعاء، وإنما هو خبر، فافترق عن أصل المسألة.

قال طائفة أيضا من أهل العلم من شراح البخاري: وقد يكون قوله: ﴿ طهور إن شاء الله ﴾ للبركة، فيكون ذلك من جهة التبرك، كقوله -جل وعلا- مخبرا عن قول يوسف: ﴿ [illegible] ﴾ وهم قد دخلوا مصر، وكقوله -جل وعلا-: ﴿ [illegible] ﴾ نعم.

باب

لا يقول: عبدي وأمتي

باب لا يقول عبدي وأمتي .

في الصحيح: عن أبي هريرة أن رسول الله قـال: لا يقل أحدكم: أطعم ربك، وَضِّئ ربك. وليقل: سيدي، ومــولاي. ولا يقل أحدكم: عبدي وأَمَتي. وليقل: فتاي، وفتاتي، وغلامي .

باب لا يقول: عبدي وأمتي.

هذا الباب مع الأبـواب قبله وما بعـده كلها في تعظيم ربوبية الله -جل وعلا-، وتعظيم أســماء الله -جل وعلا- وصــفاته؛ لأن تعظيم ذلك من كمال التوحيد، وتحقيق التوحيد لا يكون إلا بـأن يعظِّم الله -جل وعلا- في ربوبيتـه، وفي ألوهيتـه، وفي أسـمائه وصفاته.

فتحقيق التوحيد لا يكــون إلا بــالاحتراس من الألفــاظ الــتي يكون فيها إساءة أدب مع ربوبية الله -جل وعلا- على خلقه، أو مع أسماء الله -جل وعلا- وصفاته؛ ولهذا عقد هذا الباب فقـال: باب لا يقول: عبدي وأمتي.

العبودية -عبودية البشر لله جل وعلا- عبودية حقيقيــــة، وإذا قيل هذا عبد الله فهو عبد لله -جل وعلا- إما قهـرا أو اختيـارا، فكل من في السماوات والأرض عبد لله -جل وعلا- كما قـال -جل وعلا-:

[illegible]
[illegible] .

فعبودية الخلق لله -جل وعلا- ظـــاهرة؛ لأنه هو الـــرب، وهو المتصرف، وهو سيد الخلـق، وهو المـدبر لشـئونهم، فالله -جل وعلا- هو المتفرد بذلك سبحانه.

فإذا قال الرجل لرقيقـه: هـذا عبـدي، وهـذه أمـتي. كـان في نسبة العبودية عبودية أولئك له، وهذا فيه منافـاة لكمـال الأدب الـواجب مع الله -جل وعلا-؛ ولهـذا كـان هـذا اللفظ غـير جـائز عند كثـير من أهل العلم، ومكـروه عند طوائف آخـرين، فـإذن سـبب النهي عن اللفظ "عبــدي، وأمــتي" ما ذكرنا من تعظيم الربوبية، وعدم احترام عبودية الخلق لله -جل وعلا-.

قال في الصحيح: عن أبي هريرة أن رسـول الله [illegible] قـال: [illegible] لا يقل أحدكم: أطعم ربك، وضئ ربك. وليقـل: سـيدي ومـولاي. ولا يقل أحدكم: عبدي، وأمتي. وليقل: فتاي، وفتاتي، وغلامي [illegible] .

هـــذا النهي في هـــذا الحـــديث اختلف فيه أهل العلم على قولين:

الأول: أنه للتحـــريم؛ لأن النهي الأصل فيه للتحـــريم إلا إذا صرفه عن ذلك الأصل صارف.

وقال آخـرون: النهي هنا للكراهـة؛ وذلك لأنه من جهة الأدب، ولأنه جاء في القرآن من قول يوسف عليه السلام: [illegible]
[illegible]

   ولأن الربوبية هنا المقصود بما يناسب البشر، فرب الدار ورب العبد هو الذي يملك أمره في هذه الدنيا.

فلهـذا قـالوا: النهي للكراهة وليس للتحـريم، مع ما جـاء في بعض الأحـــاديث من جـــواز أو من تجـــويز إطلاق بعض تلك الألفاظ قال: وليقل سيدي ومـولاي السـيادة مع كـون الله -جل وعلا- هو السـيد، لكن السـيادة بالإضـافة لا بـأس بهـا؛ لأن للبشر سيادة تناسبه، ومولاي: المـولى يـأتي على معـان كثـيرة، وأن يخاطب البشر بقوله: "مولاي" أجـازه طائفة من أهل العلم بناء على هذا الحديث قال: وليقل سيدي ومولاي .

وقد جاء في صـحيح مسـلم النهي عن أن يقـول مـولاي: لا تقولـوا مـولاي إنما مـولاكم الله أو نحو ذلـك. وهـذا الحـديث أعلّه بعض أهل العلم بأنه نقل بـــالمعنى، فهو شـــاذ من جهة اللفظ، فهو معارض لهذا الحديث الذي هو نص في إجازة ذلك.

فيكون -إذن- الصحيح جـواز إطلاق لفظ مـولاي هنـا، سـيدي، مــولاي، ونحو ذلــك؛ لأن هنــاك سـيادة تناسب البشــر، وقــول مــولاي، هنــاك ما يناسب البشر من ذلــك، فليست في مقــام ربك، أو عبدي، وأمـتي؛ لأن ذاك أعظم درجـة، وواضح أن فيها اختصـــاص العبودية لله -جل وعلا-، وإطلاق ذلك على البشر لا يجوز.

قال: ولا يقل أحدكم: عبـدي وأمـتي. وليقـل: فتـاي، وفتـاتي، وغلامي لأجل ما ذكرنــا، فتحصل من ذلك أن هــذه الألفــاظ

يجب -كما ذكرنـا- يجب أن يحـترز فيها ما لا يكـون معه الأدب مع مقام ربوبية الله -جل وعلا- وأسمائه -سبحانه وتعالى-.

وعليه فلا يكون جائزا أن يقول: عبـدي وأمـتي، أو أن يقـول: أطعم ربك، وضئ ربك، ونحو ذلـك، هـذا كله مختص بالتعبيد أو الربوبية للمكلفين.

أما إضــافة الربوبية إلى غــير المكلف فلا بــأس بهــا، لأن حقيقية العبودية لا تتصــور فيها كــأن تقــول: رب الــدار، ورب المـنزل، ورب المـال، ونحو ذلـك، فـإن الـدار والمـنزل والمـال ليست بأشياء مكلفة بالأمر والنهي؛ فلهذا لا تنصرف الأذهان أو يـذهب القلب إلى أن ثمة نـوع من عبودية هـذه الأشـياء لمن أضيفت إليه، بل إن ذلك معروف أنه إضـافة مِلـك؛ لأنها ليست مخاطبة بالأمر والنهي، وليس يحصل منها خضوع أو تذلل.

فإذن يقيد النهي الوارد في ذلك بتعبيد المكلف، أو أن يقـال لمكلف وضئ ربك ، أو أنا رب هــــذا الغلام ، أو نحو ذلك من الألفاظ التي لا تناسب الأدب. نعم.

باب

لا يرد من سأل بالله

باب: لا يرد من سأل بالله .

عن ابن عمر -رضي الله عنهما- قال: قال رسول الله من سأل بالله فأعطوه، ومن استعاذ بالله فأعيذوه، ومن دعاكم فأجيبوه، ومن صنع إليكم معروفا فكافئوه، فإن لم تجدوا ما تكافئونه فادعوا له حتى تروا أنكم قد كافئتموه رواه أبو داود والنسائي بسند صحيح.

باب: لا يُرد من سأل بالله.

هذا الباب مع الباب الذي قبله ومع ما سبقه -كما ذكرنا- كلها في تعظيم الله -جل وعلا-، وربوبيته، وأسمائه وصفاته؛ لأن تعظيم ذلك من إكمال التوحيد، ومن تحقيق التوحيد.

ومن سأل بالله -جل جلاله- فقد سأل بعظيم، ومن استعاذ بالله فقد استعاذ بعظيم، بل استعاذ بمن له هذا الملكوت، وله تدبير الأمر، بمن كل ما تراه وما لا تراه عبد له -جل وعلا- فكيف يُرد من جعل مالك كل شيء وسيلة حتى تقبل سؤاله؟!

ولهذا كان من تعظيم الله التعظيم الواجب ألا يرد أحد سأل بالله -جل وعلا-، فإذا سأل سؤالا وجعل الله -جل وعلا- هو الوسيلة، فإنه لا يجوز أن يرد تعظيما لله -جل وعلا-.

والذي في قلبه تعظيم الله -جل وعلا- ينتفض إذا ذُكر الله، كما قال سبحانه: [illegible] بمجرد ذكر الله تَجِلُ القلوب لعلمهم بالله -جل وعلا- وما يستحق، وعلمهم بتدبيره وملكوته، وعظمة صفاته وأسمائه -جل وعلا-.

فإذا سأل أحد بالله فإن قلب الموحد لا يكون رادا له، لأنه معظم الله، مُجِلٌّ لله -جل وعلا-، فلا يرد أحدا جعل وسيلته إليه رب العزة -سبحانه وتعالى-.

أهل العلم قالوا: السائل بالله قد تجب إجابته ويحرم رده، وقد لا يجب ذلك، وهذا القول هو قول شيخ الإسلام ابن تيمية، واختيار عدد من المحققين بعده، وهو القول الثالث في المسألة.

وأما القول الأول: فهو أن من سأل بالله حَرُم أن يرد مطلقا.

والقول الثاني: أن من سأل بالله استُحب إجابته وكُره رده.

والقول الثالث: ما ذكرنا عن شيخ الإسلام أنه قد يكون واجبا، وقد يكون مستحبا، وقد لا يكون كذلك، يعني يكون مباحا.

تفصيل شيخ الإسلام ظاهر، وذلك أنه أراد بحالة الوجوب أن يتوجه السؤال لمعين في أمر معين، يعني أن لا يكون السائل سأل عددا من الناس بالله ليحصل على شيء، فلهذا لم يدخل فيه السائل الفقير الذي يأتي فيسأل هذا، ويسأل هذا، ويسأل هذا، ويسأل هذا، أو ممن يكون كاذبا في سؤاله.

فيقـــــول: يجب إذا توجه لمعين في أمر معين، أما إذا توجه لفلان، وفلان، وفلان، عــدد، فإنه لا يكــون توجه لمعين، فإنه لا يجب عليه أن يؤتيه مطلبه، ويجوز له أن يرد سؤاله.

وإذا كان كذلك فتكون الحالة على هذه الأحوال تكون ثلاثا:

حـال يحـرم فيها رد السـائل، وحـال يكـره فيها رد السـائل، وحال يباح فيها رد السائل بالله، على كلام شيخ الإسلام يحــرم رد الســـائل بالله إذا توجه لمعين في أمر معين خصك بهـــذا التوجه، وسألك بالله أن تعينـه، وأنت طبعا قـادر على أن تؤتيه مطلوبه.

ويستحب فيما إذا كان التوجه ليس لمعين، كأن يسأل فلانـا، وفلانـا، وفلانـا، ويبـاح فيما إذا كـان من سـأل بالله يعـرف منه الكذب.

فصــارت عنــدنا -إذن- الأقــوال ثلاثة في أصــلها: يحــرم رد السائل ويجب إعطاؤه، هذا واحد، الثـاني: يسـتحب ويكـره رده، والثالث: هو التفصيل، وهذا الثالث هو قول شيخ الإسـلام وعـدد من المحققين.

وقوله هنــا: بــاب لا يــرد من ســأل بالله فيه عمــوم لأجل الحديث الوارد، قال: عن ابن عمر -رضي الله عنهما- قال: قــال رسول الله   من سأل بالله فأعطوه لماذا؟ تعظيما لله و-جل وعلا-.

﴿ ومن استعاذ بالله فأعيذوه ﴾ من اسـتعاذ منك بالله فيجب أن تعيذه، من قـال: "أعـوذ بالله منـك" تعظيما لله -جل جلالـه- تجيبه إلى ذلك وتتركـــه، لأن من اســـتعاذ بالله فقد اســـتعاذ بـأعظم مسـتعاذ بـه، ولهـذا في قصة الجونية الـتي دخل عليها النـبي -عليه الصلاة والسـلام-، فلما دخل عليها واقـترب منها -عليه الصلاة والسلام- قالت لـه: ﴿ أعـوذ بالله منك ﴾ فابتعد عنها -عليه الصـلاة والسـلام- وقـال: ﴿ لقد اسـتعذت بمعـاذ، الحقي بأهلك ﴾ استعاذت بالله منه، فتركها -عليه الصلاة والسلام-.

قال: ﴿ ومن دعـاكم فـأجيبوه ﴾ عامة أهل العلم على أن هـذا مخصوص بدعوة العُـرس، وليس في كل الـدعوات، وأما سـائر الـدعوات فهي على الاسـتحباب، قـال طائفة آخـرون من أهل العلم: هـذا الـدليل ليس فيه التفصـيل، فيكـون كل دعـوة تجب إجابتها؛ لما في إجابتها من ائتلاف القلوب، وإصلاح ذات البين.

والقول الأول هو قـول الجمهـور، وهو الصـواب؛ لأن قولـه: ﴿ ومن دعـاكم فـأجيبوه ﴾ هـذا يحمل على ما جـاء في الأحـاديث الأخرى من تخصـيص ذلك بـدعوة الوليمـة، ولأن لفظ "دعـاكم" هـــذا في الغـــالب يطلق على الـــدعوة للوليمـــة، وهي دعـــوة العرس.

قــال: ﴿ ومن صــنع إليكم معروفا فكــافئوه ﴾ من صــنع إليك معروفا فكافئـــه، كافئه بجنس معروفـــه، إن كـــان معروفه من جهة المــال فكافئه من جهة المــال، يعــني بما يشــمل الهــدايا

المختلفــة، إن كــان معروفه من جهة الجــاه فكافئه من جهة الجاه، أو ما وجدت ما تكافئه من جهة الجـاه، فيكـون من جهة الهدية.

سبب ذلك وصلته بالتوحيد كما قال المحققون: إن الذي صُنع له معروف يكون في قلبه ميل، ونوع تذلل وخضـوع في قلبـه، واسـترواح لهـذا الـذي صـنع إليه المعـروف، ومعلـوم أن تحقيق التوحيد أن يكــــون القلب خاليا من كل ما ســــوى الله -جل جلاله-، وأن يكـون ذله وخضـوعه وعرفانه بالجميل هو لله -جل وعلا-، وتخليص القلب من ذلك يكون بالمكافئة على المعـروف، وأنه إذا أدى إليك معروفا فخلص القلب من رؤية ذلك المعروف بأن ترده إليه معروفه.

ولهذا قال: ﴿ فإن لم تجدوا ما تكافئونه فادعوا له حـتى تـروا أنكم قد كافئتموه ﴾ ﴿ حتى تـروا أنكم قد كـافئتموه ﴾ لأجل أن يتخلص القلب من أثر ذلك المعـروف، فـترى أنك دعـوت لــه، ودعوت لـه، ودعـوت له بقـدر ترجو معه أنك قد كافأتـه، وهـذا لتخليص القلب مما ســوى الله -جل وعلا-، وهــذه مقامــات لا يـدركها إلا أربـاب الإخلاص، وتحقيق التوحيـد. جعلنا الله وإيـاكم منهم. نعم.

باب

لا يُسأل بوجه الله إلا الجنة

باب: لا يُسأل بوجه الله إلا الجنة .

عن جابر قال: قال رسول الله ﴿ لا يُسأل بوجه الله إلا الجنة ﴾ رواه أبو داود.

هذا باب ﴿ لا يُسأل بوجه الله إلا الجنة ﴾ ومناسبته لكتاب التوحيد ظاهرة من أن تعظيم صفات الله جل وعلا -وسواء في ذلك صفات الذات، أو صفات الفعل- هذا من تحقيق التوحيد، ومن كمال الأدب والتعظيم لله -جل وعلا-.

فإن تعظيم الله -جل جلاله-، وتعظيم أسمائه، وتعظيم صفاته، يكون بأنحاء وأشياء متنوعة، ومن ذلك أنك لا تسأل بالله أو بوجه الله أو بصفات الله -جل جلاله- إلا المطالب العظيمة، التي أعلاها الجنة.

فقال: باب ﴿ لا يُسأل بوجه الله إلا الجنة ﴾ "لا يسأل" هذا نفي، والنفي هنا مضمن النهي المؤكد، كأنه قال: لا يَسأل بوجه الله إلا الجنة، أو لا تَسأل بوجه الله إلا الجنة، فعدل عن النهي إلى النفي لكي يتضمن أن هذا منهي عنه، وأنه لا يسوغ وقوعه أصلا.

﴿ لا يُسأل بوجه الله إلا الجنة ﴾ فلو فرض أنه يُختار هل سيقع أو لا يقع فإنه يُنفى وقوعه أصلا؛ لما يجب من تعظيم الله -جل جلاله-، وتعظيم توحيده، وتعظيم أسماء الله -جل وعلا- وصفاته.

□ لا يُسأل بوجه الله □ وجه الله -جل جلاله- صفة ذات من صفاته سبحانه، وهو غير الذات، الوجه صفة من الصفات، وهو ما يواجه به، الوجه في اللغة ما يواجه به، وهو مجمع أكثر الصفات في اللغة، الوجه ما يواجه به، ويكون مجمعا لأكثر الصفات.

فالله -جل وعلا- متصف بالوجه، متصف به على ما يليق بجلاله وعظمته، نثبت ذلك إثباتا، نعلم أصل المعنى، ولكن كمال المعنى أو الكيفية فإننا نكل ذلك إلى عالمه، وإلى المتصف به -جل جلاله-، ولكن نثبت على أصل عدم التمثيل والتعطيل، كما قال -جل وعلا-: □□□□□□ □ □□□□□□ □□□□□□□□□□□□ □□□□□□ □ □ □□□□ □□□□□□□□□□□ □□□□□□□□□□□ .

□ إلا الجنة □ الجنة هي دار الكرامة التي أعدها الله -جل وعلا- للمكلفين من عباده، الذين أجابوا رسله ووحدوه وعملوا صالحا، وهي أعظم مطلوب؛ لأن الحصول عليها حصول على أعظم ما يُسر به العبد؛ فلهذا كان من غير السائغ واللائق -بل كان من غير الجائز- أن يُسأل الله -جل وعلا- بنفسه أو بوجهه، أو بصفة من صفاته، أو باسم من أسمائه الحسنى إلا أعظم مطلوب.

فإن الله -جل جلاله- لا يُسأل بصفاته الأشياء الحقيرة الوضيعة، بل يُسأل أعظم المطلوب، وذلك لكي يتناسب السؤال مع وسيلة السؤال، وهذا معنى هذا الباب في أن

تعظيم صفات الله -جل وعلا- في أن لا تدعو الله بها إلا في الأمور الجليلة، فلا تسأل الله -جل وعلا- بوجهه أو باسمه الأعظم أو نحو ذلك في أمور حقيرة وضيعة لا تناسب تعظيم ذلك الاسم.

قال: عن جابر قال: قال رسول الله ﷺ ﴿ لا يُسأل بوجه الله إلا الجنة ﴾ رواه أبو داود، وهذا ظاهر فيما بوب له الإمام المصنف -رحمه الله- تعالى.

وقد قال العلماء هنا: إن وجه الله -جل جلاله- يسأل به الجنة، ولا يجوز أن يسأل به غيرها، إلا ما كان وسيلة إلى الجنة، أو كان من الأمور العظيمة، التي هي من جنس السؤال بالجنة، أو من لوازم السؤال بالجنة، كالنجاة من النار، وكالتثبيت عند السؤال، ونحو ذلك.

فالأمر المطلوب: الجنة أو ما قرب إليها من قول أو عمل، والنجاة من النار أو ما قرب إليها من قول وعمل، هذا يجوز أن تسأل الله -جل وعلا- إياه متوسلا بوجهه العظيم -سبحانه وتعالى-.

وأما غير الوجه من الصفات أو من الأسماء، فالأدب ألا تسأل إلا في المطالب العظيمة، وإذا كان ثمة شيء من المطالب الوضعية، أو التي تحتاجها مما ليس بعظيم، فلا يكن ثَمَّ توسل بصفات الله الجليلة العظيمة، بل تقول: اللهم أعطني كذا، اللهم أسألك كذا ونحو ذلك.

أما التوسل بصفات الله العظيمة كالوجه وكاسمه الأعظم ونحو ذلك، فإن ذلك يختص بالمطالب العالية؛ لما بين الاسم الأعظم والصفات العظمى مع المطالب العالية من المناسبة. والله أعلم.. نعم.

باب

ما جاء في الـ "لو"

باب: ما جاء في الـ "لو"، وقول الله تعالى: [illegible] وقوله: [illegible].

في الصحيح عن أبي هريرة أن رسول الله قال: احرص على ما ينفعك، واستعن بالله، ولا تعجزن، وإن أصابك شيء فلا تقل: لو أني فعلت لكان كذا وكذا، ولكن قل: قدر الله وما شاء فعل، فإن لو تفتح عمل الشيطان .

باب: ما جاء في الـ "لو" .

وقلب الموحد -قلب المؤمن- لا يكون محققا مكملا للتوحيد حتى يعلم أن كل شيء بقضاء الله -جل وعلا- وبقدره، وأن ما فعله سبب من الأسباب، والله -جل وعلا- مضى قدره في خلقه، وأنه مهما فعل فإنه لن يحجز قدر الله -جل وعلا-.

فإذا كان كذلك كان القلب معظِّما لله -جل وعلا- في تصرفه في ملكوته، وكان القلب لا يخالطه تَمَنٍّ أن يكون شيء فات على غير ما كان، وأنه لو فعل أشياء لتغير ذلك السابق، بل الواجب أن يعلم أن قضاء الله نافذ، وأن قدره ماضٍ، وأن ما سبق من الفعل قد قدره الله -جل وعلا- وقدر نتائجه.

العبد لا يمكنه أن يرجع إلى الماضي فيغيره، وإذا استعمل لفظ "لو" أو لفظ "ليت"، وما أشبهها من الألفاظ التي تدل على الندم وعلى التحسر على ما فات، فإن ذلك يضعف القلب، ويجعل القلب متعلقا بالأسباب، منصرفا عن الإيقان في تصريف الله -جل وعلا- في ملكوته.

وكمال التوحيد إنما يكون بعدم الالتفات إلى الماضي، فإن الماضي الذي حصل إما أن يكون مصيبة أصيب بها العبد، فلا يجوز له أن يقول: لو كان فعلت كذا لما حصل كذا. بل الواجب عليه أن يصبر على المصيبة، وأن يرضى بفعل الله -جل وعلا-، ويستحب له الرضا بالمصيبة.

وإذا كان ما أصابه في الماضي معصية، فإن عليه أن يسارع في التوبة والإنابة، وألا يقول لو كان كذا لم يكن كذا، بل يجب عليه أن يسارع في التوبة والإنابة، حتى يمحو أثر المعصية.

فإذن ما مضى من المقدر للعبد معه حالات، إما أن يكون مصائب، إما يكون ذلك الذي مضى مصائب فحالها كما ذكرنا، وإما أن يكون معايب ومعاصٍ، فالواجب عليه أن ينيب، وأن

يستغفر، وأن يُقبل على الله -جل جلاله- وقد قال سبحانه: [illegible] .

الشيطان يدخل على القلب، فيجعله يسيء الظن بربه -جل وعلا- وبقضائه وقدره، وإذا دخلت إساءة الظن بالله ضعف التوحيد، ولم يحقق العبد ما يجب عليه من الإيمان بالقدر، والإيمان بأفعال الله -جل جلاله-، ولهذا عقد المصنف هذا الباب، لأن كثيرين يعترضون على القدر من جهة أفعالهم، يظنون أنهم لو فعلوا أشياء لتغير الحال، والله -جل وعلا- قد قدر الفعل، وقدر نتيجته، والكل موافق لحكمته -سبحانه وتعالى-.

قال: وقول الله تعالى: [illegible] قال: وقوله: [illegible] ذكرنا أن قول "لو" في الماضي أن هذا لا يجوز، وأنه محرم، ودليل ذلك من الآيتين، ومناسبة الآيتين للباب ظاهرة، وهو أن التحسر على الماضي بالإتيان بلفظ "لو" إنما كان من خصال المنافقين.

قال -جل وعلا- عن المنافقين: [illegible] وقال: [illegible] وهذا في قصة غزوة أحد كما هو معروف، فهذا من كلام المنافقين، فيكون -إذن- استعمال "لو" من خصال النفاق، وهذا يدل على حرمتها.

قال: في الصحيح عن أبي هريرة أن رسول الله قال: احرص على ما ينفعك، واستعن بالله، ولا تعجزن، وإن أصابك شيء فلا تقل: لو أني فعلت لكان كذا وكذا، ولكن قل: قدر الله وما شاء فعل، فإن لو تفتح عمل الشيطان .

وجه مناسبة هذا الحديث قوله: وإن أصابك شيء فلا تقل لو أني فعلت لكان كذا وكذا "لو" هنا كانت على الماضي إن أصابك شيء فلا تقل -وهذا النهي للتحريم- لو أني فعلت لكان كذا ؛ وهذا لأنه سوء ظن، ولأنه فتح عمل الشيطان.

فالشيطان يأتي المصاب فيغريه بـ "لو"، حتى إذا استعملها ضعف قلبه وعجز، وظن أنه سيغير من قدر الله شيئا، وهو لا يستطيع أن يغير من قدر الله شيئا، بل قدر الله ماضٍ.

ولهذا أرشده -عليه الصلاة والسلام- أن يقول: قدر الله وما شاء فعل ؛ لأن ذلك راجع إلى قدره وإلى مشيئته، هذا كله من النهي والتحريم راجع إلى ما كان من استعمال "لو" أو "ليت" وما شابههما من الألفاظ في التحسر على الماضي، وتمني أن لو فعل كذا حتى لا يحصل له ما سبق، كل ذلك فيما يتصل بالماضي.

أما المستقبل، أن يقول: لو يحصل لي، لو فعلت كذا وكذا في المستقبل، فإنه لا يدخل في النهي، وذلك لاستعمال النبي -عليه الصلاة والسلام- لذلك حيث قال مثلا: لو استقبلت من

أمـري ما اسـتدبرت لما سـقت الهـدي ولجعلتها عمـرة [illegible] ونحو ذلك من الأدلة.

فاسـتعمال "لـو" في المسـتقبل الأصل فيه الجـواز، إلا إن اقترن بقول القائل لو يريد المستقبل اعتقـاد أن فعله سـيكون حاكما على القـدر، كاعتقـاد بعض الجـاهليين: لو حصل لي كـذا لفعلت كذا، تكبرا وأنفة واستعظاما لفعلهم وقدرتهم، فـإن هـذا يكون من المنهي؛ لأن فيه تجبرا، وفيه تعاظما.

والـواجب على العبد أن يكـون ذليلا؛ لأن القضـاء والقـدر مـاضٍ، وقد يحصل له الفعـل، ولكن ينقلب على عقبيـه، كحـال الذي قال الله -جل وعلا- فيه: [illegible] .

فإنهم قالوا: لو كان لنا كذا وكذا لفعلنا كذا وكـذا، فلما أعطـاهم الله -جل وعلا- المـال [illegible] فهذا فيه نوع تحكم على القدر وتعاظم، فاستعمال "لو" في المستقبل إذا كانت في الخير، مع رجـاء ما عند الله بالإعانة على أسـباب الخـير، فهـذا جـائز. أما إذا كـان على وجه التجبر والاستعظام فإنه لا يجـوز؛ لأن فيه نـوع تحكم على القدر.. نعم.

باب

النهي عن سب الريح

باب: النهي عن سب الريح .

عن أُبي بن كعب أن رسول الله قال: لا تسبوا الريح، فإذا رأيتم ما تكرهون فقولوا: اللهم إنا نسألك من خير هذه الريح وخير ما فيها وخير ما أُمرت به، ونعوذ بك من شر هذه الريح وشر ما فيها وشر ما أُمرت به صححه الترمذي.

بابٌ: النهي عن سب الريح.

الريح مخلوق من مخلوقات الله مسخر، وهي واحدة الرياح، يجريها الله -جل وعلا- كما يشاء، وهي لا تملك شيئا، كالدهر لا يملك شيئا، ولا يدبر أمرا.

فسب الريح كسب الدهر، يرجع في الحقيقة إلى أذية الله -جل وعلا-؛ لأن الله هو الذي يصرف الريح كيف يشاء، يأتي بالريح بأمر مكروه، فيُذكِّر العباد بالتوبة والإنابة، ويذكر العباد بمعرفة قدرته عليهم، وأنه لا غنى لهم عنه -جل وعلا- طرفة عين، ويأتي بالريح فيجعلها رياحا، فيسخرها -جل وعلا- لما فيه مصلحة العباد.

فالريح -إذن- لا تملك شيئا، فهذا الباب عقده لبيان تحريم سب الريح، كما عقد ما قبله لبيان أن سب الدهر لا يجوز

ومحـرم؛ لأنه أذية لله -جل وعلا-، وهـذا البـاب من جنس ذاك، لكن هـذا يكـثر وقوعـه، فـأبرزه لكـثرة وقوعـه، وللحاجة إلى التنبيه عليه.

قال: بابٌ: النهي عن سب الريح، النهي للتحريم، وسب الريح يكون بشتمها، أو بلعنهـا، وكما ذكرنا لكم في بـاب الـدهر ليس من سـبها أن توصف بالشـدة كقـول الله -جل وعلا-: [illegible] هذا وصف لها، ووصفها بالشدة، أو وصـفها بالأوصـاف الـتي يكـون فيها شر على من أتت عليـه، كقوله: [illegible] ليس هذا من المنهي عنه.

قـال: عن أُبي بن كعب أن رسـول الله قـال: لا تسـبوا الريح، فإذا رأيتم ما تكرهون فقولوا: اللهم إنا نسـألك من خـير هذه الريح وخير ما فيها وخير ما أُمرت به .

هذا يـدل على أن الـريح يكـون فيها أمـر، ويكـون عليها أمر ونهي، والله -جل وعلا- يرسل الرياح كيف يشاء، ويصـرفها أيضا -جل وعلا- عمن يشـــاء، فهي مســـخرة بـــأمره -جل وعلا- ، والملائكة هي الـتي تصـرِّف الـريح بـأمره -جل وعلا-، فللـريح ملائكة تصرِّفها كيف شاء ربنا -جل وعلا- وتقدس وتعـاظم، فيها خير، وقد يكون فيها عذاب.

ولهـذا قـال -عليه الصـلاة والسـلام-: إذا رأيتم ما تكرهـون فقولوا فأرشدهم إلى القول الآتي، وما يكرهون قد يكون من جهة صفة الريح، وقد يكون من جهة لون الـريح، يعـني صـفتها من جهة السـرعة أو الاتجـاه، وقد يكـون من جهة لونهـا، وقد يكون من جهة أثرها.

والنبي -عليه الصلاة والسلام- كان إذا رأى شيئا في السماء أقبل وأدبـر، ودخل وخـرج، ورئي ذلك في وجهـه، حـتى تمطر السماء فيُسرَّى عنه ويُسرُّ -عليه الصلاة والسلام-. قـالت له عائشة: يا رسول الله لم ذاك؟ قال: ألم تسمعي لقول أولئك - أو كما قـال -عليه الصـلاة والسـلام-: [illegible] .

فإذن الخوف من الله -جل جلاله- إذا ظهـرت هـذه الحـوادث أو التغيرات في السـماء أو في الأرض واجب، والله -جل وعلا- يتعرف إلى عباده بالرخاء، كما أنه يتعـرف إلى عبـاده بالشـدة؛ حـتى يعرفـوا ويعلمـوا ربوبيته وقهـره وجبروتـه، ويعلمـوا حلمه وتودده ورحمته أيضا لعباده.

فإذن إذا رأى العبد ما يكره ضرع إلى الله، واسـتغاث باللـه، وسأل الله بقوله: اللهم إنا نسألك من خـير هـذه الـريح وخـير

ما فيها وخير ما أمرت به، ونعوذ بك من شر هـذه الـريح وشر ما فيها وشر ما أمرت به صححه الترمذي.

بهذا نكون قد أخـذنا هـذا اليـوم تسـعة أبـواب، ويبقى عنـدنا تسعة أبواب، نكملها غدا إن شاء الله، وبها تمام الكتاب.

أســـأل الله -جل وعلا- أن يجعلكم مبـــارَكين، وأن ينفع بكم وبما تعلمتم، وأن يجعلنا وإيـاكم من ورثة جنة النعيم، وأن يغفر لنا ذنوبنا، وإسرافنا في أمرنا، وأن يجعل وسـيلتنا التوحيـد، وأن يجعل وسيلتنا إليه الإخلاص، فإنا مذنبون، ولـولا رحمة الله -جل وعلا- لهلكنا، فاللهم فاغفر جما، وصلى الله وسـلم وبـارك على نبينا محمد.

باب

قول الله تعالى:

يَظُنُّونَ بِاللَّهِ غَيْرَ الْحَقِّ ظَنَّ الْجَاهِلِيَّةِ يَقُولُـونَ هَـلْ لَنَا مِنَ الْأَمْـرِ مِنْ شَيْءٍ قُلْ إِنَّ الْأَمْرَ كُلَّهُ لِلَّهِ

الحمد لله رب العـالمين، والصـلاة والسـلام على أشـرف الأنبياء والمرسلين نبينا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعي.

قال المصـنف - رحمة الله تعـالى - بـاب قـول الله تعـالى:

[illegible]

 ... الآية، وقوله تعالى: ... .

قال ابن القيم في الآية: فُسر هذا الظن بأنه سبحانه لا ينصر رسوله، وأن أمره سيضمحل، وفُسر بأن ما أصابه لم يكن بقدر الله وحكمته، ففسر بإنكار الحكمة، وإنكار القدر، وإنكار أن يتم أمر رسوله وأن يُظهره الله على الدين كله.

وهذا هو ظن السوء الذي ظنه المنافقون والمشركون في سورة الفتح، وإنما كان هذا ظن السوء لأنه ظن غير ما يليق به سبحانه، وما يليق بحكمته وحمده ووعده الصادق، فمن ظن أنه يديل الباطل على الحق إدالة مستقرة يضمحل معها الحق، أو أنكر أن يكون ما جرى بقضائه وقدره، أو أنكر أن يكون قدره لحكمة بالغة يستحق عليها الحمد، بل زعم أن ذلك لمشيئة مجردة، فذلك ظن الذين كفروا ... .

وأكثر الناس يظنون بالله ظن السوء فيما يختص بهم، وفيما يفعله بغيرهم، ولا يسلم من ذلك إلا من عرف الله وأسماءه وصفاته، وموجب حكمته وحمده، فليعتنِ اللبيب الناصح لنفسه بهذا، وليتب إلى الله، وليستغفره من ظنه بربه ظن السوء، ولو فتشت من فتشت لرأيت عنده تعنتا على القدر، وملامة له، وأنه كان ينبغي أن يكون كذا وكذا، فمستقل ومستكثر، وفتش نفسك هل أنت سالم؟

فإن تنج منها تنج من ذي عظيمة ... وإلا فإني لا إخالك ناجيا

الحمد لله الذي له الحمد كله في ربوبيته، وإلاهيته، وفي أسمائه وصفاته، له الحمد على أفعاله، أفعال الحكمة والإحسان، وأفعال العدل، فهو ولي الفضل، وولي النعمة، وله الحمد على ما أنزل على رسوله [illegible] فله الحمد كله، وإليه يرجع الأمر كله، تبارك ربنا وتعالى وتقدس.

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدا عبد الله ورسوله، وصفيه وخليله، صلى الله عليه وعلى آله وصحبه، وسلم تسليما كثيرا إلى يوم الدين، أما بعد..

فهذا باب قول الله تعالى: [illegible] الآية، وقوله: [illegible] الآية.

هذا الباب ذكر فيه الإمام المصنف هاتين الآيتين، ومناسبة هذا الباب لكتاب التوحيد أن الله -جل وعلا- موصوف بصفات الكمال، وله -جل وعلا- أفعال الحكمة، وأفعال العدل، وأفعال الرحمة والبر -جل وعلا-، فهو سبحانه كامل في أسمائه، كامل في صفاته ، كامل في ربوبيته.

ومن كماله في ربوبيته وفي أسمائه وصفاته أنه لا يفعل الشيء إلا لحكمة بالغة، والحكمة في ذلك هي أنه -جل وعلا-

يضع الأمور مواضعها التي توافق الغايات المحمودة منها، وهذا دليل الكمال، فالله -جل وعلا- له صفات الكمال، وله نعوت الجلال والجمال.

فلهذا وجب لكماله -جل وعلا- أن يُظن به ظن الحق، وألا يُظن به ظن السوء، يعني أن يُعتقد فيه ما يجب لجلاله -جل وعلا- من تمام الحكمة، وكمال العدل، وكمال الرحمة -جل وعلا-، وكمال أسمائه وصفاته -سبحانه وتعالى-، فالذي يظن به -جل وعلا- أنه يفعل الأشياء لا عن حكمة، فإنه قد ظن به ظن النقص، وهو ظن السوء الذي ظنه أهل الجاهلية.

فإذن يكون الظن بالله غير الحق منافيا للتوحيد، وقد يكون منافيا لكمال التوحيد، فمنه ما يكون صاحبه خارج عن ملة الإسلام أصلا، كالذي يظن بالله غير الحق في بعض مسائل القدر كما سيأتي، ومنه ما هو منافٍ لكمال التوحيد بأن يكون غير مؤمن بالحكمة، أو بأفعال الله -جل وعلا- المنوطة بالعلل، التي هي منوطة بحكمته سبحانه البالغة.

ولهذا قال -جل وعلا-: [illegible] في الرد على القدرية المشركية، وقد قال أيضا -جل وعلا-: [illegible] .

فالله -جل وعلا- موصوف بكمال الحكمة، وكمال الحمد على أفعاله؛ لأن أفعال الله -جل وعلا- قسمان:

أفعـال ترجع إلى الحكمة والعـدل، وأفعـال ترجع إلى الفضل والنعمة والرحمة والبر بالخلق.

فالله -جل وعلا- يفعل هــذا وهــذا، وحــتى أفعاله الــتي هي أفعال بر وإحسان هي منوطة بالحكم العظيمة، وكذلك الأفعـال الـــتي قد يظهر للبشر أنها ليست في صـــالحهم، أو ليست موافقة للحكمـة، فـإن ظن الحق بالله -جل وعلا- أن يُظن بـه، وأن يُعتقد أنه ليس ثَمَّ شـــــــيء من أفعاله إلا وهو موافق لحكمته -جل وعلا- العظيمـة، إذ هو العزيز القهـار، الفعـال لما يريد.

إذن فـــالواجب -تحقيقا للتوحيـــد- أن يظن العبد بالله -جل وعلا- ظن الحق، وأما ظن السوء فهو ظن الجاهليـة، الـذي هو منافٍ لأصل التوحيد في بعض أحواله، أو منافٍ لكمال التوحيد.

فـترجم المؤلف -رحمه اللـه- بهـذا البـاب ليـبين لك أن ظن السـوء بالله -جل وعلا- من خصـال أهل الجاهليـة، وهو منـافٍ لأصل التوحيد، أو منافٍ لكماله بحسب الحال.

قال هنا: باب قول الله تعالى: [illegible] .

الظن يطلق ويــراد به الاعتقــاد، أو يــراد به ما يســبق إلى الوهن، يعني ما يسبق إلى الذهن، فهم يعتقدون -أو يسبق إلى أذهانهم لما معهم من الشرك- أن الله -جل وعلا- ليست أفعاله أفعال حق، والله سبحانه هو الحق، وأفعاله كلها أفعـال الحــق،

وذلك الظن ظن الجاهليــة، فكل من ظن بالله غــير الحق فقد ظن ظن الجاهليــة، بمعــنى ظن بالله -جل وعلا- غــير الكمــال، فهذا هو ظن الجاهلية.

وظن أهل التوحيد والإســلام أن يظنــون -يعــني يعتقــدون- ويعلمون، ويسبق إلى أذهـانهم في أي فعل يحصل لهم أن الله -جل وعلا- موصوف بالكمال، وبالحكمة البالغــة، فسر ذلك -جل وعلا- في قوله: وهذا فيه إنكار للحكمـة، أو إنكـار للقـدر   وهذا في حال الرد على هؤلاء المنافقين أو المشركين.

قال: وقوله:

 مر معنا في كلام ابن القيم من كلام المصــنف أن الســلف فســروا هــذا الظن الســوء بأحد ثلاثة أشــياء، وكلها صحيحة، فظن السوء الذي يظنه الجاهليون يشمل هذه الأشـياء الثلاثة جميعا:

أما الأول فهو إنكـار القـدر، وأما الثـاني فهو إنكـار الحكمـة، وأما الثـالث فهو إنكـار نصر الله -جل وعلا- لرسـوله أو لدينه أو لعباده الصالحين، فهذه ثلاثة أشياء.

ووجه كون إنكار القدر ظنا بالله ظن السوء: أن تقدير الأمور قبل وقوعها هذا من آثار عزة الله -جل وعلا- وقدرته، فإن العاجز هو الذي تقع معه الأمور استئنافا عن غـير تقـدير سـابق، وأما الـذي لا يحصل معه أمر حتى يقدِّره قبل أن يوقعه فيقع على وفق ما قدر فهو ذو الكمال، وهو ذو العزة، وهو الذي لا يغالَب في ملكوته. ولهذا قال الشاعر في وصف رجل كامل قال:

لأنت تدري ما خلقت وبعض القـوم يخلق ثم لا يدري

الخلق هنا بمعـنى التقـدير، يعـني لأنت تقطع ما قـدرت، وبعض القـوم -وهم الناقصـون إما لعـدم قـدرتهم، أو لعـدم عـزتهم، أو لجهلهم- وبعض القوم يخلق -يعني يقدر الأشـياء- ثم لا يـدري، ثم لا يستطيع أن يقطعها على وفق ما يريد.

إذن فإنكـار القـدر هو ظن بالله -جل وعلا- ظن السـوء لِمَ؟ لأن فيه نسـبة النقص لله -جل وعلا-، والله -جل وعلا- هو الكامل في أسمائه، الكامل في صفاته -جل وعلا-، الـذي يجـير ولا يجـار عليـه، والذي إليه الأمر كله، كما قال هنا:

فلهـذا كـان كل ما يحصل من الـرب -جل وعلا- في بريّته هو موافق لقـدره السـابق، الـذي هو دليل كمـال حكمتـه، وعلمـه، وخلقه، وعموم مشيئته.

أما التفسير الثاني: فهو إنكـار الحكمـة، وحكمة الله -جل وعلا- ثابتة بالكتاب والسنة وبإجمـاع السـلف، واسم الله الحكيم مشتمل على صفة الحكمة، فإنه -جل وعلا- حكيم بمعنى حاكم، وحكيم بمعـنى مُحكِم للأمـور، وحكيم بمعـنى أنه ذو الحكمة البالغة، فهذه ثلاثة تفسيرات لاسم الله الحكيم، وكلها صـحيحة، وكلها يستحقها الله -جل وعلا-.

فإنه -جل وعلا- حكيم بمعنى حكَم وحاكم، وحكيم بمعنى مُحكِم، كما قال: [illegible] وقال: [illegible] لأجل إحكامه، وقال -سبحانه وتعالى- أيضا: [illegible] ونحو ذلك من دليل إحكامه -جل وعلا- لما خلق.

والثالث: أنه ذو الحكمة، والحكمة في صفة الله -جل وعلا- تفسر -كما ذكرت لكم- بأنها وضع الأمور في مواضعها الموافقة للغايات المحمودة منها.

ولهذا نقول: إن أهل السنة والجماعة -أهل الأثر الفقهاء بالكتاب والسنة- قالوا: إن أفعال الله -جل وعلا- معللة، وكل فعل يفعله الله -جل وعلا- لعلة من أجلها فعله، وهذه العلة هي حكمته -سبحانه وتعالى-، فإن أفعال الله -جل وعلا- منوطة بالعلل، وهذا أنكره المعتزلة لأنهم قدرية، وأنكره الأشاعرة لأنهم جبرية، فقالوا: إن أفعال الله -جل وعلا- ليست مرتبطة بالحكم، وهو يفعل لا عن حكمة، وهذا سوء ظن بالله -جل وعلا-.

ولهذا أورد الشيخ -رحمه الله- هذا الباب ليبين لك أن تحقيق التوحيد، وتحقيق كمال التوحيد أن توقن بالحكمة البالغة لله -جل وعلا-، ومن نفى الحكمة في أفعال الله فهو مبتدع، توحيده قد انتفى عنه كماله؛ لأن بدعته شنيعة، وكل البدع تنفي كمال التوحيد، ومنها ما ينفي أصل التوحيد، هذا الثاني.

والتفسير الثالث: في ظن أهل الجاهلية وأهل النفاق ظن السوء بالله -جل وعلا- أن الله -جل وعلا- لا ينصر رسوله -سبحانه وتعالى-، وأن الله -جل وعلا- لا ينصر كتابه، أو أنه -جل وعلا- يجعل رسوله أو دينه في اضمحلال حتى يذهب ذلك الدين، هذا ظن سوء بالله -جل وعلا-.

ولهذا كان من براهين النبوات أن كل نبي ادعى النبوة اضمحل أمره، لم يأت نبي يقول أنا نبي يوحي إليّ من السماء وهو كاذب في دعواه إلا ويخذل، إلا ويضمحل أمره.

فكان من براهين النبوات عند أهل السنة أن كل نبي قال إنه مرسل من عند الله -جل وعلا- أُيِّد بالبراهين والآيات والبينات، ونُصر على عدوه، وجُعِل دينه وأهل دينه في عزة على من سواهم، كما قال -جل وعلا-:

[illegible] وقال -جل وعلا-: [illegible].

فظن الجاهلية أن الخير أو الدين سيضمحل، وأنهم إذا بذلوا إطفاء ذلك الأمر وحاربوه بكل ما أوتوا من وسيلة وقاوموه فإنه سينتهي، وهذا مع كونه عملا محرما فإذ به ما يشتمل على الظلم، فإنه أيضا سوء ظن بالله -جل وعلا-، وغرور بالقوة وبالنفس.

والله -جل وعلا- ناصر رسله، والله -جل وعلا- ناصر عباده المؤمنين، ولكن قد يبتلي الله -جل وعلا- المؤمنين بأن يكونوا في غير نصر زمنا طويلا، قد يبلغون مئات السنين، كما حصل في قصة نوح عليه السلام ثم بعد ذلك نصره الله -جل وعلا-.

وهذا يحصل -كما ذكر ابن القيم- من كثير من أهل الصلاح، بل من كثير من الناس، بل قد يحصل من بعض المنتسبين إلى العلم في أنواع شتى من سوء الظن بالله -جل وعلا-، وسبب حدوث ذلك الظن السيئ في القلوب: عدم العلم بما يستحقه الله -جل وعلا-، وما أوجبه -جل وعلا- من الصبر والأناة، ونحو ذلك من الواجبات.

فإذن المسألة متصل بعضها ببعض، فالذي يخالف ما أمر الله -جل وعلا- به شرعا فيما يتصل بنصرة الدين فإنه قد يقع في سوء ظن بالله -جل جلاله-، وهذا مما ينافي كمال التوحيد الواجب.

فهذه -إذن- ثلاثة أشياء ظنها أهل الجاهلية، وكلها باطلة، وكلام ابن القيم -رحمه الله- يدور على ذلك، ولهذا يجب عليك أن تتحرز كثيرا، وأن تحترس من سوء الظن بالله -جل وعلا- فيما ذكر -في آخر الكلام- ابن القيم -رحمه الله- من أن بعض الناس قد يحصل له الشيء فيرى أنه يستحق أكثر منه، وقد يحصل له الشيء بقضاء الله وبقدره فيظن أنه لا يستحق ذلك

الشـــيء، أو أن ذلك المفـــروض أن يصـــاب به غـــيره، وأنه لا يصاب بذلك.

فينظر إلى فعل الله -جل وعلا- وقضـــائه وقـــدره على وجه الاتهام، وقـلَّ من يسـلم باطنا وظـاهرا من ذلـك، فكثـيرون قد يسلمون ظاهرا، ولكن في الباطن يقـوم بقلـوبهم ظن الجاهلية واعتقاد السوء.

ولهـــذا قـــال -جل وعلا- في الآية الـــتي في صـــدر البـــاب: ﴿ [illegible] ﴾ والظن محله القلب، فلهذا يجب على المـــؤمن أن يخلِّص قلبه من كل ظن بالله غـــير الحـــق، وأن يتعلم أســـماء الله -جل وعلا-، وأن يتعلم الصـــفات، وأن يتعلم آثار ذلك في ملكوت الله؛ حتى لا يقوم بقلبه إلا وأن الله -جل جلاله- هو الحق، وأن فعله حق، حتى ولو كان في أعظم شأن، وأصيب بأعظم مصيبة، أو أهين بأعظم إهانـــة، فإنه يعلم أن ما أصابه بتمام ملك الله -جل وعلا-، وأنه يتصـرف في خلقه كيف يشاء، وأن العباد مهما بلغوا فإنهم يظلمون أنفسهم، والله -جل وعلا- يستحق الإجلال والتعظيم.

فخلص قلبك أيها المسـلم، وخاصة طـالب العلم، خلص قلبك من كل ظن سوء بالله -جل وعلا- بأن قلت: هذا لا يصلح، وهذا الفعل عليه كـذا وكـذا، ولا يصـلح أن يعطى هـذا المـال، أو أن تحسد فلانا أو فلانا، فإن كل ذلك سوء ظن بالله -جل وعلا-.

ولهذا قال العلماء في معنى قـول النـبي   إيـاكم والحسد فإنه يأكل الحسنات كما تأكل النار الحطب قـالوا: سـبب ذلك أن الحاسد ظن أن هذا الذي أعطـاه الله -جل وعلا- ما أعطـاه لا يستحق هذه النعمة فحسـده، وتمـنى زوالها عنـه، فصـار في ظن سوء بالله -جل وعلا-، فلهذا أكل الحسناتِ ظنُّه كما أكلت النار الحطب.

نســأل الله -جل وعلا- الســلامة والعافية من كل ظن بغــير الحق فيه -جل وعلا-، ونســـأله أن يجعلنا من المعظمين لــــه، ومن المجلِّين لأمــــره ونهيــــه، المعظمين لحكمته -ســـبحانه وتعالى-.. نعم.

باب

ما جاء في منكري القدر

باب ما جاء في منكري القدر .

وقال ابن عمر: والذي نفس ابن عمر بيده، لو كان لأحــدهم مثل أحد ذهبا ثم أنفقه في ســبيل الله ما قبله الله منه حــتى يــؤمن بالقــدر. ثم اســتدل بقــول النـبي   الإيمــان أن تـؤمن باللــه، وملائكتـه، وكتبـه، ورسـله، واليـوم الآخـر، وتـؤمن بالقـدر خـيره وشره .

وعن عبادة ابن الصامت أنه قال لابنه: يا بني، إنك لن تجد طعم الإيمـان حـتى تعلم أن ما أصـابك لم يكن ليخطئـك، وما أخطأك لم يكن ليصيبك. سمعت رسول الله يقول:

إن أول ما خلق الله القلم فقال له اكتب. فقـال: ربي ومـاذا أكتب؟ قال: اكتب مقادير كل شيء حتى تقوم الساعة .

يا بني، سمعت رسول الله يقول: من مات على غـير هـذا فليس مني .

وفي رواية لأحمد: إن أول ما خلق الله تعـالى القلم فقـال له: اكتب. فجرى في تلك الساعة بما هو كائن إلى يـوم القيامة .

وفي رواية لابن وهب: قـال رسـول الله   فمن لم يـؤمن بالقدر خيره وشره أحرقه الله بالنار .

وفي المسند والسـنن: عن ابن الـديلمي قـال: أتيت أُبي بن كعب فقلت: في نفسي شيء من القـدر، فحـدثني بشـيء لعل الله يذهبه من قلـــبي. فقـــال: لو أنفقت مثل أحد ذهبا ما قبله الله منك حــتى تــؤمن بالقــدر، وتعلم أن ما أصــابك لم يكن ليخطئك، وما أخطأك لم يكن ليصـيبك، ولو مت على غـير هـذا لكنت من أهل النار .

قـال: فـأتيت عبد الله بن مسـعود، وحذيفة بن اليمـان، وزيد بن ثابت، فكلهم حدثني بمثل ذلك عن النبي . حديث صحيح رواه الحاكم في صحيحه.

هذا باب ما جاء في منكري القدر، ومناسبة هذا الباب للـذي قبله ما ذكرنا أن إنكـــار القـــدر ســـوء ظن بالله -جل وعلا-، ويكون هذا الباب كالتفصيل لما اشتمل عليه الباب الـذي قبلـه، ومناسبته لكتاب التوحيد ظاهرة، وهي أن الإيمان بالقدر واجب، ولا يتم توحيد العبد حتى يؤمن بالقدر.

وإنكـار القـدر كفر بالله -جل وعلا- ينـافي أصل التوحيـد، كما قال ابن عباس -رضي الله عنهما-: القـدر نظـام التوحيـد، فمن كذب بالقدر نقض تكذيبه توحيده.

يعني الإيمان بالقدر هو النظام، يعني السلك الذي تجتمع فيه مسائل التوحيد حتى يقوم عقدها في القلب، فإذا كـذب بالقـدر معنى ذلك انقطع السـلك، فنقض ذلك التكـذيب أمـور التوحيـد، وهذا ظاهر؛ فإن أصل الإيمـان أن يـؤمن بالأركـان السـتة الـتي منها الإيمان بالقدر، كما ذكر ذلك الشيخ في حديث ابن عمر.

قال: "باب ما جـاء في منكـري القـدر"، القـدر في اللغة هو التقـدير كما هو معـروف، وهو وضع الشـيء على نحــوٍ ما بما يريده واضعه، قدّر الشيء تقديرا و قدَرا.

وفي العقيدة عرفه بعض أهل العلم بقوله: إن القدر هو علم الله السابق بالأشياء، وكتابته لها في اللـوح المحفـوظ، وعمـوم مشيئته -جل وعلا-، وخلقه للأعيان والصفات القائمة بها.

وهـذا التعريف صـحيح؛ لأنه يشـمل مـراتب القـدر الأربعـة، فالقـدر الإيمـان به إيمـان بـأربع مـراتب، وهـذه المـراتب على

درجتين: الأولى والثانية من المراتب تسبق وقـوع المقـدر، وهي الإيمان بـالعلم السـابق، والإيمـان بكتابة الله -جل وعلا- لعمـوم الأشـياء، كما قـال: ﴿ إن الله قـدر مقـادير الخلق قبل أن يخلق السـماوات والأرض بخمسـين ألف سـنة ﴾ قـدر مقـادير الخلق يعني كتبها.

هاتـان المرتبتـان أو هـذان الأمـران -الإيمـان بـالعلم السـابق والإيمـان بالكتابـة- تسـبق وقـوع المقـدَّر، فـأنت تـؤمن بها وهي سابقة للوقوع، وأما ما يقارن وقوع المقدر، ما يقـارن القضـاء، فهذا له مرتبتان:

الأولى منهما هي: مرتبة عموم المشـيئة، فـإن الله -جل وعلا- ما شـاء كـان وما لم يشأ لم يكن، والعبد لا يشـاء شـيئا فيحصل إلا إذا كـان الله -جل وعلا- قد شـاءه □□□□□ □ □□□□□□□□□□□ □□□□□ □□□□ □□□ □□□□□□□□□ □□□□ □ □□□□ □□□□ □□□□□ □□□□□□□□□ □ □□□□ □□□□□□□□□ وقـال: □□□□ □□□□ □□□□□□□□□ □□□ □□□□ □□□□□□□□□□□ □□□□□ □ □ □□□□ □□□□□□□□□□□□□□ فمشيئة العبد تابعة لمشيئة الله -جل وعلا-.

وكذلك المرتبة الأخيرة التي تقارن وقوع المقدر: الإيمان بـأن الله -جل وعلا- خالق لكل شيء: للأعيان، وللصفات الـتي تقـوم بالأعيان.

فالأعيـان مثل الـذوات، هــذه الله -جل وعلا- خالقهـا، هــذا باتفاق أهل الإسلام، يعـني الله -جل وعلا- هو الخـالق للإنسـان، الخالق للحيوان، الخالق للسماء، للأرض.

وكذلك الإيمان بأن الصفات التي تقوم بتلك الأعيان الله -جل وعلا- هو الخالق لها، ومن ذلك أفعال العباد، فأفعال العباد معانٍ، ففعل العبد داخل في عموم خلقه -جل وعلا-.

﴿ [illegible] ﴾ وكلمة شيء عندنا تعرف بأنها ما يصح أن يُعلم ، فكل ما يصح أن يُعلم يقال له شيء، ولهذا نقول يدخل في عموم قوله: ﴿ [illegible] ﴾ العباد وأفعال العباد.

فهذه أربع مراتب، إنكار القدر الذي بوب عليه الشيخ -رحمه الله- يصدق على إنكار أي مرتبة من هذه، أنكر المرتبة الأولى هو منكر، أو الثانية هو منكر ، أو الثالثة أو الرابعة فهو منكر للقدر ، ولا يقال عن أحد إنه مؤمن بالقدر إلا إذا سلَّم بها جميعا، وآمن بها جميعا؛ لدلالة النصوص على ذلك.

فمنهم -من منكري القدر- القدرية الغلاة، وإذا قيل القدرية يعني نفاة القدر الذين نفوا العلم ، أنكروا العلم السابق، فهم كفار ينافي فعلهم أصل التوحيد، فمن أنكر العلم السابق هذا أنكر القدر إنكارا انتفى معه أصل التوحيد، وكذلك من ينكر الكتابة، فإن إنكار الكتابة السابقة مع العلم بالنصوص الدالة عليها منافٍ لأصل التوحيد، ولا يستقيم معه الإيمان.

وأما المرتبتان الأخيرتان: عموم المشيئة، وعموم الخلق. فهذه إنكار عموم خلق الله للأفعال، هذا مما جرى من المعتزلة ونحوهم، وبُدِّعوا بذلك وضُلِّلوا، وجُعل إنكارهم لتلك

المرتبة ينافي كمال التوحيد، ولا يحكم عليهم بـالكفر والخـروج من الإسلام بذلك.

فـإذن إنكـار القـدر صـار منه ما هو كفر مخـرج من التوحيد مخرج من الملة، ومنه ما هو دون ذلـك، ويكـون منافيا لكمـال التوحيد، بهذا يظهر صلة هذا الباب بكتاب التوحيد.

قـال: "وقـال ابن عمـر: والـذي نفس ابن عمر بيـده لو كـان لأحـــدهم مثل أحد ذهبا ثم أنفقه في ســـبيل الله ما قبله الله منه حتى يؤمن بالقدر". لِمَ؟ لأن الله -جل وعلا- لا يقبل إلا من مسلم.

الإسلام شرط في صحة قبول الأعمال، ومن أنكر القدر ولم يؤمن بالقدر فإنه لا يُقبل منه، ولو أنفق مثل أحد ذهبا.

ثم استدل بقول النبي الإيمان أن تؤمن باللـه، وملائكتـه، وكتبه، ورسله، واليوم الآخر، وتؤمن بالقـدر خـيره وشـره هنا في قوله تؤمن بالقدر خيره وشـره القـدر منه ما هو خـير ومنه ما هو شر، خير بالنسبة لابن آدم، وشر بالنسبة لابن آدم.

فـالمكلف قد يكـون عليه قـدر هو بالإضـافة إليه خـير، وقد يكون عليه القدر بالإضـافة إليه شـر، وأما بالنسـبة لفعل الله -جل وعلا- فالله -جل وعلا- أفعاله كلها خـــــــــير؛ لأنها موافقة لحكمته العظيمة.

ولهذا جاء في الحديث: أن النبي قال في ثنائه على ربـه: والشر ليس إليك فالله -جل وعلا- ليس في فعله شـــــــر،

فالشر بما يضاف للعبد، أصيب العبد بمصيبة فهي شر بالنسبة إليه، أما بالنسبة لفعل الله فهي خير؛ لأنها موافقة لحكمة الله -جل وعلا- البالغة، والله -سبحانه وتعالى- له الأمر كله.

قال: "وعن عبادة بن الصامت أنه قال لابنه: يا بني إنك لن تجد طعم الإيمان حتى تعلم أن ما أصابك لم يكن ليخطئك، وما أخطأك لم يكن ليصيبك وهذا لأن القضاء والقدر قد فُرغ منه، يعني تقدير الأمور قد فرغ منه.

والله -جل وعلا- قد قدر الأشياء، وقدر أسبابها، فالسبب الذي سيفعله المختار من عباد الله مقدر، كما أن نتيجته مقدرة، ومن الإيمان بالقدر: الإيمان بأن الله -جل وعلا- جعلك مختارا، وأنك لست مجبورا، فالقول بالجبر منافٍ للقول بالقدر.

يعني القول بالجبر لا يستقيم مع الإيمان بالقدر؛ لأن الإيمان بالقدر إيمان معه الإيمان بأن العبد مختار وليس بمجبر؛ لأن التكليف وقع بذلك.

والجبرية طائفتان: طائفة غلاة وهم الجهمية، وغلاة الصوفية الذين يقولون إن العبد كالريشة في مهب الريح، وحركاته حركات اضطرارية.

ومنهم طائفة ليست بالغلاة، وهم الأشاعرة ونحوهم، الذين يقولون بالجبر في الباطن، وبالاختيار في الظاهر، ويقولون: إن العبد له كسب، وهذا الكسب هو أن يكون العبد في الفعل الذي فعله محلا لفعل الله -جل وعلا-، فيُفعل به، فيكون هو

محلا للفعل، ويضاف الفعل إليه على جهة الكسب، على ما هو معروف في موضعه من التفاصيل في كتب العقيدة المطولة.

قال في ذلك، ذكر مرتبة الكتابة: سمعت رسول الله يقول: إن أول ما خلق الله القلم فقال له: اكتب. فقال: ربي وماذا أكتب؟ قال: اكتب مقادير كل شيء حتى تقوم الساعة .

هذا فيه دليل على مرتبة الكتابة، وقوله: إن أول ما خلق الله القلم معناه -على الصحيح عند المحققين- أنه حين خلق الله القلم، فأول هنا ظرف بمعنى حين، وإن اسمها ضمير الشأن محذوف: إنه أول ما خلق الله القلم فقال له اكتب، يعني حين خلق الله القلم قال له اكتب، فيكون قول "اكتب" هذا من جهة الظرفية، يعني حين خلق الله القلم قال له: اكتب.

وأما أول المخلوقات فالعرش سابق في الخلق على القلم، كما قال -عليه الصلاة والسلام- في الحديث الذي في الصحيح: قدر الله مقادير الخلق قبل أن يخلق السماوات والأرض بخمسين ألف سنة، وكان عرشه على الماء .

فهمنا من قوله: إن أول ما خلق الله القلم قال له: اكتب أنه حين خلق قال له: اكتب. والعرش كان قبل ذلك، فإذن الكتابة كانت بعد الخلق مباشرة، بعد خلق القلم، وأما العرش فكان سابقا، والماء كان سابقا أيضا.

ولهذا نقول: الصحيح أن العرش مخلوق قبل القلم، كما قال ابن القيم -رحمه الله- في النونية:

والناس مختلفون في القلم الذي ... كتب القضاء به من الديان

هل كان قبل العرش أو هو بعده ... قولان عند أبي العلا الهمذاني

والحق أن العرش قبل لأنه ... عند الكتابة كان ذا أركان

إلى آخر ما في هذا الباب من مباحث في الإيمان بالقدر.. نعم.

باب

ما جاء في المصورين

باب ما جاء في المصورين .

عن أبي هريرة قال: قال رسول الله   قال الله تعالى: ومن أظلم ممن ذهب يخلق كخلقي، فليخلقوا ذرة، أو ليخلقوا حبة، أو ليخلقوا شعيرة أخرجاه.

ولهما عن عائشة -رضي الله عنها- أن رسول الله قال: أشد الناس عذابا يوم القيامة الذين يضاهئون بخلق الله .

ولهما عن ابن عباس: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «كل مصور في النار يجعل له بكل صورة صورها نفس يعذب بها في جهنم» .

ولهما عنه مرفوعا: «من صور صورة في الدنيا كلف أن ينفخ فيها الروح وليس بنافخ» .

ولمسلم عن أبي الهياج قال: قال لي علي: «ألا أبعثك على ما بعثني عليه رسول الله -صلى الله عليه وسلم-؟ ألا تدع صورة إلا طمستها، ولا قبرا مشرفا إلا سويته» .

هذا باب ما جاء في المصورين، والمصورون جمع تصحيح للمصور، والمصور هو الذي يفعل إحداث الصورة، يعني هو الذي يقوم بالتصوير، والتصوير معناه التشكيل، تشكيل الشيء حتى يكون على هيئة صورة.

والصورة قد تكون صورة لآدمي، أو لغير آدمي من حيوان، أو لنبات، أو لجماد، أو لسماء، أو أرض، فكل هذا يقال له مصور إذا كان يشكل بيده شيئا على هيئة صورة معروفة.

وقوله: "باب ما جاء في المصورين" يعني من الوعيد، ومن الأحاديث التي فيها أنهم جعلوا أنفسهم أندادا لله -جل وعلا-، وعموم ما ذكرنا في معنى المصور هذا من جهة المعنى، أما من جهة الحكم فسيأتي بيان التفصيل إن شاء الله.

مناسبة الباب لكتاب التوحيد: أن التوحيد هو أن لا يُجعل لله ند فيما يستحقه -جل وعلا-، والتصوير تنديد من جهة أن

المصور جعل فعله ندا لفعل الله -جل وعلا-، ولهذا يدخل الرضا بصنيع المصور في قول الله -جل وعلا-: [illegible] إذ ذلك حقيقته أنه جعل هذا المصور شريكا لله -جل وعلا- في هذه الصفة، مع أنه تصويره ناقص، وتصوير الله -جل وعلا- على جهة الكمال.

لكن من جهة الاعتقاد: لما جعل هذا المخلوق مصوِّرا، والله -جل وعلا- هو الذي ينفرد بالتصوير -سبحانه وتعالى- يعني بتصوير المخلوقات كما يشاء، كان من كمال التوحيد أن لا يُرضى بالتصوير، وأن لا يفعل أحد هذا الشيء؛ لأن ذلك لله -جل وعلا-.

فالتصوير من حيث الفعل منافٍ لكمال التوحيد، وهذا هو مناسبة إيراد هذا الباب في هذا الكتاب، والمناسبة الثانية له: أن التصوير وسيلة من وسائل الشرك بالله -جل وعلا-، والشرك ووسائله يجب وَصْدُها وغلق الباب؛ لأنها تحدث في الناس الإشراك أو وسائل الإشراك.

فصار -إذن- التصوير له جهتان: الجهة الأولى: جهة المضاهاة بخلق الله، والتمثل بخلق الله -جل وعلا- وبصفته واسمه.

والثانية: أنه وسيلة للإشراك، الصورة من حيث هي وسيلة، قد لا يشرك بالصورة المعينة التي عُملت، ولكن الصورة من حيث الجنس هي وسيلة -ولا شك- من وسائل الإشراك، وشرك

كثير من المشركين كان من جهة الصور، فكان من تحقيق التوحيد ألا تُقَرَّ الصور؛ لأجل أن الصورة وسيلة من وسائل المشركين في عباداتهم .

فصار -إذن- التصوير له جهتان:

الجهة الأولى: جهة المضاهاة بخلق الله، والتمثل بخلق الله -جل وعلا- وبصفته واسمه.

والثانية: أنه وسيلة للإشراك، الصورة من حيث هي وسيلة، قد لا يشرك بالصورة المعينة التي عُملت، ولكن الصورة من حيث الجنس هي وسيلة -ولا شك- من وسائل الإشراك، وشرك كثير من المشركين كان من جهة الصور، فكان من تحقيق التوحيد ألا تُقَرَّ الصور؛ لأجل أن الصورة وسيلة من وسائل المشركين في عباداتهم.

"قال: عن أبي هريرة قال: قال رسول الله   قال الله تعالى: ومن أظلم ممن ذهب يخلق كخلقي، فليخلقوا ذرة، أو ليخلقوا حبة، أو ليخلقوا شعيرة أخرجاه".

هذا الحديث فيه معنى، وفيه تمثيل، أما المعنى وهو قوله: ومن أظلم ممن ذهب يخلق كخلقي فصار الظلم معلقا بأن العبد يخلق كخلق الله -جل وعلا-، فالمقصود بذلك يصور كصورتي، أو كتصوير الله -جل وعلا- لخلقه.

ثم قال معَجِّزا: فليخلقوا ذرة، أو ليخلقوا حبة، أو ليخلقوا شعيرة معلوم أن الذرة -من حيث هي ذرة- هذا يمكن أن

تُعمل بأي شيء، وترمى فتراها في الضوء والشـمس أنها ذرة، وكذلك الحبة، يعني حبة الحنطة، حبة البر، أو حبة الأرز، ممكن أن تُصـنع، ولكن لا يمكن أن تكـون كخلق الله -جل وعلا-، وكذلك الشـعيرة يمكن أن تصـنع شـكلا وأن تصـور شـكلا، لكن يعجز أن يجعل فيها الحياة.

فمثلا: حب البر أو الشعير أو الأرز أو نحو ذلك يُنبت فيما إذا وضع في الأرض الـذي هو من خلق الله -جل وعلا-، أما ما صـنعه المخلـوق فإنه لا تكـون فيه حيـاة، فـالأرز الصـناعي مثلا الذي تأكلونه لو رمي في الأرض لما خرج منه ساق، ولما خلق له جذر، ولما كانت منه حياة، وأما الذي يكـون من خلق الله -جل وعلا- فهو الـذي أودع فيه سر حيـاة، ذلك الجنس من المخلوقات.

ولهـذا قـال بعض أهل العلم: إن هـذا على وجه التعجـيز، فالذي يخلق كخلق الله -جل وعلا- هـذا من جهة ظنـه، أما من جهة الحقيقة فإنه لا أحد يخلق كخلق اللـه، ولهـذا صـار ذلك مشبها نفسه بالله -جل وعلا-، فصار أظلم الخلق.

استدل مجاهد وغيرة من السـلف بقولـه: ﴿ فليخلقـوا ذرة، أو ليخلقوا حبـة، أو ليخلقـوا شـعيرة ﴾ على أن تصـوير ما لا حيـاة فيه أو ما لا روح فيه محـرم؛ لأنه هنا قـال: ﴿ فليخلقـوا ذرة، أو ليخلقوا حبة، أو ليخلقوا شعيرة ﴾ فذكر الحبة والشعيرة، قـالوا: فتصوير الأشجار، وتصوير الحَب، ونحو ذلك لا يجوز.

وجمهور العلماء على خلاف ذلك، وأن الأمر في هذا الحديث للتعجيز، وليس لجهة التعليل؛ ولهذا قال في الحديث الذي بعده قال: ﴿ من صور صورة في الدنيا كُلِّف أن ينفخ فيها الروح وليس بنافخ ﴾ فلما قال: ﴿ كلف أن ينفخ فيها الروح ﴾ علمنا أن النهي من جهة التصوير كان منصبا على ما فيه روح، يعني على ما حياته بحلول الروح فيه، أما ما حياته بالنماء -كالمزروعات والأشجار- ونحوها فليس داخلا في ذلك.

قال: ولهما عن عائشة -رضي الله عنها- أن رسول الله ﷺ قال: ﴿ أشد الناس عذابا يوم القيامة الذين يضاهئون بخلق الله ﴾ .

هذا فيه تنبيه للعلة، وهذه العلة هي المضاهاة بخلق الله -جل وعلا-، وهي أحد العلتين اللتين من أجلهما حُرم التصوير، فالتصوير حرم، وصار صاحبه من أشد الناس عذابا؛ لأجل أنه يضاهي بخلق الله -جل وعلا-، ولأن الصورة وسيلة للشرك.

المضاهاة بخلق الله -جل وعلا- التي رُتب عليها أن يكون فاعلها أشد الناس عذابا يوم القيامة في هذا الحديث عند كثير من العلماء أنها ما كانت على وجه الكفر، وتكون المضاهاة في التصوير كفرا في حالتين:

الحالة الأولى: أن يصور صنما ليُعبد، أو يصور إلها ليعبد، أو يصور إلها يعبد في الواقع، فيصور لأهل البوذية صورة بوذا، أو يصور للنصارى المسيح، أو يصور أُم المسيح، ونحو ذلك.

فتصــوير ما يعبد من دون الله -جل وعلا- مع العلم بأنه يعبد هــذا كفر بالله -جل وعلا-؛ لأنه صــوّر وثنا ليُعبــد، وهو يعلم أنه يُعبد، فيكون شركا أكبر، وكفرا بالله -جل وعلا-.

والدرجة الثانية: أن يصور الصورة، ويــزعم أنها أحسن من خلق الله -جل وعلا- فيقــول: هــذه أحسن من خلق اللــه، أو أنا فُقت في خلقي وتصــويري ما فعل الله -جل وعلا-. فهــذا كفر أكبر، وشرك أكبر بالله -جل جلاله-، وهــذا هو الــذي حُمل عليه هذا الحديث، وهو قوله: أشد الناس عــذابا يــوم القيامة الــذين يضاهئون بخلق الله .

ويدخل فيه أيضا من ضاهى بالتصوير عامة بما لا يخرجه من الملة، كالذي يرسم بيده، أو ينحت التمثال، وينحت الصورة مما لا يــدخل في الحــالتين الســابقتين، فهو كبــيرة من الكبــائر، وصاحبها ملعون ومتوعَّد بالنار.

قال ولهما عن ابن عباس سمعت رســول الله يقــول: كل مصور في النــار يجعل له بكل صــورة صــورها نفس يعــذب بها في جهنم قوله نفس أفــاد أن ذلك التصــوير وقع بشــيء أو وقع لشــيء تحله النفس. وهو الحيوانــات أو الآدمي لهــذا صــار الوعيد منصبا على ذلــك، وقوله كل مصــور في النــار هــذا يفيد أن التصوير كبيرة من الكبائر.

قـال: ولهما عنه مرفوعـا: من صـور صـورة في الـدنيا كلف أن ينفخ فيها الروح وليس بنـافخ ؛ لأن الـروح إنما هي لله -جل وعلا-.

ولمسلم عن أبي الهياج قـال: قـال لي عليٌّ: ألا أبعثك على ما بعثـني عليه رسـول الله -صـلى الله عليه وسـلم-؟ ألا تـدع صورة إلا طمستها، ولا قبرا مشرفا إلا سويته .

في هـذا الحـديث التنبيه على العلة الثانية من عِلَّتَي تحـريم التصوير، وهو أنه وسيلة من وسـائل الشـرك، ووجه الاسـتدلال من هذا الحديث: أنه قرن في الأمر، قـرن بين الصـورة والقـبر المشـرف، وبقـاء القـبر المشـرف وسـيلة من وسـائل الشـرك، وكذلك للاقتران بقاء الصورة أيضا وسيلة من وسائل الشرك.

فـالنبي -عليه الصـلاة والسـلام- بعث عليا ألا يـدع صـورة إلا طمسـها؛ لأن الصـور من وسـائل الشـرك، وأن لا يـدع قـبرا مشرفا إلا سواه؛ لأن بقاء القبور مشرفة يـدعوا إلى تعظيمهـا، وذلك من وسائل الشرك.

هنــاك خلاف في بعض مســائل التصــوير محله كتب الفقه والفتوى من جهة التصوير الحديث، هذا الذي يكون بـالآلات: إما ما يخرج منها ثابتا كالكـاميرا الفوريـة، أو ما يبقى على الـورق، أو ما يكـون منها متحركا كالتصـوير بالفيـديو، أو التليفزيـون، أو نحو ذلك، وهذا محل الكلام عليه كتب الفقه.

باب

ما جاء في كثرة الحلف

باب ما جاء في كثرة الحلف، وقول الله تعالى: [illegible] .

وعن أبي هريرة سمعت رسول الله يقول: الحلف منفقة للسلعة ممحقة للكسب أخرجاه.

وعن سلمان أن رسول الله قال: ثلاثة لا يكلمهم الله ولا يزكيهم ولهم عذاب أليم: أشيمط زان، وعائل مستكبر، ورجل جعل الله بضاعته لا يشتري إلا بيمينه ولا يبيع إلا بيمينه رواه الطبراني بسند صحيح .

وفي الصحيح: عن عمران بن حصين قال: قال رسول الله   خير أمتي قرني، ثم الذين يلونهم، ثم الذين يلونهم -قال عمران: فلا أدري أذكر بعد قرنه مرتين أو ثلاثة-، ثم إن بعدكم قوم يشهدون ولا يستشهدون، ويخونون ولا يؤتمنون، وينذرون ولا يوفون، ويظهر فيهم السِّمَن .

وفيه: عن ابن مسعود أن النبي قال: خير الناس قرني، ثم الذين يلونهم، ثم الذين يلونهم، ثم يجيء قوم تسبق شهادة أحدهم يمينه، ويمينه شهادته وقال إبراهيم: كانوا يضربوننا على الشهادة والعهد ونحن صغار.

هذا باب ما جاء في كثرة الحلف، ومن الظاهر والبيّن أن القلب المعظم لله -جل جلاله-، الذي إذا ذكر الله وَجِل قلبه، أنه لا يستعمل الحلف، وكثرة الحلف لا تجامع كمال التوحيد؛ فإن من كمل التوحيد في قلبه -أو قارب الكمال- لا يكون جاعلا لله -جل وعلا- في أيمانه.

يجعل الله -جل وعلا- في يمينه: إذا تكلم تكلم بالحلف، وإذا باع باع بالحلف، وإذا اشترى اشترى بالحلف، ونحو ذلك؛ فإن هذا ليس من التعظيم الواجب لله -جل وعلا-.

فإن الواجب على العبد أن يعظم الله -جل وعلا-، وأن لا يكثر اليمين، والمقصود باليمين والحلف هنا اليمين المعقودة، المنعقدة التي عقدها صاحبها، أما لغو اليمين فإن هذا معفو عنه، مع أن الكمال فيه والمستحب: أن يخلص الموحد لسانه وقلبه من كثرة الحلف -في الإكرام ونحوه- بلغو اليمين.

فمناسبة هذا الباب لكتاب التوحيد ظاهرة، وهي أن تحقيق التوحيد وكمال التوحيد لا يجامع كثرة الحلف، فكثرة الحلف منافية لكمال التوحيد، والحلف هو -كما ذكرنا- تأكيد الأمر بمعظَّم، وهو الله -جل جلاله-.

فمن أكد وعقد اليمين بالله -جل وعلا- وأكثر من ذلك وأكثر فإنه لا يكون معظِّما لله -جل جلاله-؛ إذ الله -سبحانه وتعالى- يجب أن يصان اسمه، ويصان الحلف به واليمين به إلا عند الحاجة إليها.

أما كثرة ذلك وكثرة مجيئه على اللسان فهو ليس من صفة أهل الصلاح؛ ولهذا أمر الله -جل وعلا- بحفظ اليمين فقال: وهذا الأمر للوجوب؛ لأنه وسيلة لتحقيق تعظيم الله -جل وعلا-، وتحقيق كمال التوحيد.

وقوله: هذا إيجاب بأن يحفظ العبد يمينه، فلا يحلف عاقدا اليمين إلا على أمر شرعي بيِّن، أما أن يحلف دائما ويجعل الله -جل وعلا- في يمينه فهذا ليس من تعظيم أسماء الله -جل جلاله-.

قال: عن أبي هريرة سمعت رسول الله يقول: الحلف منفقة للسلعة ممحقة للكسب وسبب ذلك أنه نوع عقوبة، أن هذا الذي يبيع بالحلف فإنه تنفق سلعته، ولكن كسبه يُمحق؛ لأن محق الكسب يكون عقوبة لأجل أنه لم يفعل الواجب من تعظيم الله -جل وعلا-.

قال: وعن سلمان أن رسول الله قال: ثلاثة لا يكلمهم الله ولا يزكيهم ولهم عذاب أليم: أشيمط زان يعني من شمطه الشيب، وقلبه متعلق بالزنا -والعياذ بالله-، فإنه ليس عنده من الدواعي للزنا ما يجعله يقبل عليه، ليس كحال من كان شابا، فهو قد وقفه+ الشيب، فيكون -إذن- في قلبه حب المعصية، وليست مسألة غلبة الشهوة؛ ولهذا كان من أهل هذا الوعيد العظيم بأن لا يكلمه الله ولا يزكيه وله عذاب أليم.

الصفة الثانية: قال: عائل مستكبر هـذا النـوع الثـاني، وهو من جنس الأول، فـإن الاسـتكبار -كما قـال العلمـاء- يكـون استكبارا للذات، ويكون استكبارا للصـفات، فـإذا كـان اسـتكبارا للصفات فهـذا محـرم، ولكنه أهـون، كمن يكـون ذا جـاه ورفعه فيتكبر لأجل ما له من الجاه والرفعة.

فهـذا لا يجـوز، لكن عنـده ما يوقع في قلبه الشـبهة والفتنة بالتكبر أو الاسـتكبار، أو يكـون ذا مـال، أو يكـون ذا جمـال، أو يكون ذا سـمعه، ونحو ذلـك، فعنـده سـبب يجعله يتكـبر، وهـذا يكثر في أهل الغنى، فإن أهل الغنى يكـون كثـيرا عنـدهم نـوع تكبر على من كانوا من أهل الفقـر، أو ليسـوا من أهل الغـنى، فهذا عنده وصف جعله يتكبر.

لكن الأعظم أن يكـون تكـبره في الـذات، بـأن ليس عنـده صفة تجعله متكبرا، وهذا هو النوع الأول، وهو اسـتكبار للـذات، يرى نفسه كبيرة، ويتعاظم وهو ليس عنده شـيء من الصـفات يجعله كـذلك، فهـذا يكـون فعله كبـيرة من الكبـائر العظيمـة، ويدخل في هذا الحـديث، ولهـذا قـال: وعائل مسـتكبر ؛ لأن العائل -وهو الفقـير الكثـير العيـال- ليس عنـده من الصـفات ما يكون الاستكبار شبهة عنده، أو لأجل تلك الصفات، أو يكون ثَمَّ فتنة عنده إلا لما قام في نفسه الخبيثة من الكبر.

قال: ورجل جعل الله بضاعته لا يشتري إلا بيمينه، ولا يـبيع إلا بيمينه وهذا مـوطن الشـاهد من الحـديث، وهو ظـاهر في

أنه مذموم، وأنه صاحب كبيرة؛ لأنه جعل الله بضاعته، ويبيع باليمين، ويشتري باليمين، وهذا لا يجامع كمال التوحيد، بل لا يجامع تعظيم الله -جل وعلا- التعظيم الواجب، فيكون مرتكبا لمحرم.

والحديث الذي بعده واضح، وكذلك الذي بعده، وآخره قول إبراهيم النخعي، قال إبراهيم: "كانوا يضربوننا على الشهادة والعهد ونحن صغار"، هذا فيه تأديب السلف لأولادهم ولذراريهم على تعظيم الله -جل وعلا-؛ فإن الشهادة والعهد واجب أن تكون مع التعظيم لله -جل وعلا-، والخوف من لقائه، والخوف من الظلم، فكانوا يؤدبون أولادهم على ذلك؛ حتى يتمرنوا وينشئوا على تعظيم توحيد الله، وتعظيم أمر الله ونهيه.. نعم.

باب

ما جاء في ذمة الله وذمة نبيه

باب ما جاء في ذمة الله وذمة نبيه، وقوله: [illegible] .

وعن بريدة قال: كان رسول الله ﷺ إذا أمّر أميرا على جيش أو سرية أوصاه في خاصته بتقوى الله ومن معه من المسلمين خيرا، فقال: اغزوا بسم الله في سبيل الله، قاتلوا

من كفر بالله، اغزوا، ولا تغلّوا، ولا تغدروا، ولا تمثلوا، ولا تقتلوا وليدا.

وإذا لقيت عدوك من المشركين فادعهم إلى ثلاث خصال أو خلال، فأيتهن ما أجابوك فاقبل منهم، وكف عنهم: ثم ادعهم إلى الإسلام فإن أجابوك فأقبل منهم، ثم ادعهم إلى التحول من دارهم إلى دار المهاجرين، وأخبرهم أنهم إن فعلوا ذلك فلهم ما للمهاجرين وعليهم ما على المهاجرين.

فإن أَبَوا أن يتحولوا منها فأخبرهم أنهم يكونون كأعراب المسلمين، يجري عليهم حكم الله تعالى، ولا يكون لهم في الغنيمة والفيء شيء إلا أن يجاهدوا مع المسلمين، فإن هم أبوا فاسألهم الجزية، فإن هم أجابوك فاقبل منهم وكف عنهم، فإن هم أبوا فاستعن بالله وقاتلهم.

وإذا حاصرت أهل حصن فأرادوك أن تجعل لهم ذمة الله وذمة نبيه فلا تجعل لهم ذمة الله وذمة نبيه، ولكن اجعل لهم ذمتك وذمة أصحابك، فإنكم أن تخفروا ذممكم وذمة أصحابكم أهون من أن تخفروا ذمة الله وذمة نبيه.

وإذا حاصرت أهل حصن فأرادوك أن تُنزلهم على حكم الله فلا تُنزلهم على حكم الله، ولكن أنزلهم على حكمك، فإنك لا تدري أتصيب فيهم حكم الله أم لا رواه مسلم.

هذا باب عظيم من الأبواب الأخيرة في هذا الكتاب، وهو باب ما جاء في ذمة الله وذمة نبيه وذِكر الإمام -رحمه الله

- لهـذا البـاب لأجل حـديث بريـده الـذي سـاقه وفيـه: وإذا حاصرت أهل حصن فـأرادوك أن تجعل لهم ذمة الله وذمة نبيه فلا تجعل لهم ذمة الله وذمة نبيه، ولكن اجعل لهم ذمتك وذمة أصـحابك، فـإنكم أن تخفـروا ذممكم وذمة أصـحابكم أهـون من أن تخفروا ذمة الله وذمة نبيه .

وهذا لأجل تعظيم الـرب -جل وعلا-، وتعظيم رسـوله فـإن تعظيم الله -جل وعلا- في مناجاتـه، وفي سـؤاله، وفي العبـادة له -جل وعلا-، وفي التعامل مع النــاس، هــذا كله من كمــال التوحيد.

وهذا الباب من جهة التعامل مع الناس، كما جـاء في البـاب الـذي قبلـه، فالبـاب الـذي قبله -وهو بـاب ما جـاء في كـثرة الحلـف- متعلق بتعظيم الله -جل وعلا- حين التعامل مع النـاس، وباب ما جاء في ذمة الله وذمة نبيه متعلق بالتعامل مع الناس في الحالات العسرة الصعبة، وهي حال الجهاد.

فنبه بـــذلك على أن تعظيم الـــرب -جل وعلا- يكـــون في التعامـــل، ولو كـــان ذلك التعامل في أعصب الحـــالات وهي الجهاد، فإن العبد يكـون مـوقرا لله مجلا للـه، معظما لأسـمائه وصفاته، ومن ذاك أن يعظم ذمة الله وذمة نبيه.

والذمة بمعـنى العهـد، وذمة الله يعـني عهد الله وعهد نبيـه، فإنه إذا كان يعطي بعهد الله ثم يخفر فقد خفر عهد الله -جل وعلا- وفَجَر في ذلك ، وهذا مناف لكمـال التوحيد الـواجب؛ لأن

الـواجب على العبد أن يعظم الله -جل جلالـه- وألا يخفر عهـده وذمته؛ لأنه إذا أعطى بذمة الله فإنه يجب عليه أن يوفي بهذه الذمة مهما كان؛ حتى لا ينسب النقص لعدم تعظيم ذمة الله -جل جلاله- من أهل الإسلام.

لهـذا كـان إعطـاء مثل هـذه الكلمة مثل كـثرة الحلـف، فلا يجـوز أن تجعل في العهد ذمة الله وذمة نبيه كما لا يجـوز كـثرة الأيمـان؛ لأن في كل منهما نقصا في تعظيم الـرب -جل جلاله-.

قـال: وقولة تعـالى: العهد في قولـه: فسر بالعقـد، وفسر بـاليمين، فالعهد بمعـنى العقد كما قـال -جل وعلا-: وقال -جل وعلا-: فالعقد والعهد بمعـنى؛ فلهـذا فُسِّـر بأنها العقـود الـتي تكـون بين النـاس، وفُسِّـر العهد هنا بأنه اليمين، ودل عليه قوله بعـدها: .

فيجب الوفاء بالعقد، ويجب الوفاء بـاليمين تعظيما لحق الله -جل وعلا-؛ لأن من أعطى اليمين بالله فـإن معنـاه أنه أكد وفاءه بهذا الشيء الذي تكلم بـه، وأكد ذلك بالله -جل جلالـه-، فـإذا خـالف وأخفر فمعـنى ذلك أنه لم يعظم الله -جل جلالـه-

تعظيما خاف بسببه من أن لا يقيم ما يجب لله -جل وعلا- من الوفاء باليمين؛ ولهذا قال: حين استشـهدتم الله -جل جلالــه-، أو حين حلفتم بالله -جل جلالــه-؛ لهــذا كفــارة اليمين واجبة على ما هو مفصل في موضـــــــــــعه من كتب الفقه والحديث.

ظــاهر الدلالة على ما ذكرنــا، ففيه تعظيم الله -جل جلالــه- بأن لا يعطي العبد النــاس بذمة الله وذمة نبيه بل أن يعطي بذمته هــو، وفي هــذا تنبيه عظيم لأهل التوحيــد، وطلبة العلم الــذين يهتمــون بهــذا العلم، ويعــرف النـاس منهم أنهم يهتمــون بهــذا العلم، ألا يبــدر منهم ألفــاظ أو أفعــال تــدل على عــدم تمثلهم بهذا العلم.

فإن التوحيد هو مقام الأنبياء والمرسـلين، ومقـام أوليـاء الله الصالحين، فأن يتعلم طالب العلم مسائل التوحيــد، ثم لا تظهر على لسانه، أو على جوارحــه، أو على تعاملــه، لا شك أن هــذا يرجع -ولو لم يشـــعر- يرجع إلى اتهـــام ذلك الـــذي حمله من التوحيد، أو من العلم الذي هو علم الأنبيــاء والمرسـلين -عليهم الصلاة والسلام-.

فتذكر قول النبي هنــا: وإذا حاصـرت أهل حصن فـأرادوك أن تجعل لهم ذمة الله وذمة نبيه فلا تجعل لهم ذمة الله وذمة نبيه لأجل أنه قد يُدخَل على أهل الإسلام، أو على الدين في

نفسه من جهة فعلهم، فيخفـرون هـذه الذمـة، فـيرجع الإخفـار ذلك إلى اتهام ما حملوه من الإسلام ومن الدين.

فهـذه مسـألة عظيمـة، فتستحضر أن النـاس ينظـرون إليـك، خاصة في هـذا الزمـان الـذي هو زمـان شُـبَهٍ وزمـان فتن، ينظـــرون إليك أنك تحمل ســنة، تحمل توحيـــدا، تحمل علما شـرعيا، فلا تعـاملهم إلا بشـيء يكـون معه تعظيم الـرب -جل وعلا-، وتجعل أولئك يعظمـون الله -جل وعلا- بتعظيمك لـه، ولا تخفر في اليمين، ولا تخفر في ذمة الله ، أو تكـــــــون في الشـهادة حائفـا، أو في التعامل حائفـا؛ لأن ذلك منقص لأثر ما تحمله من العلم والدين، فتذكر هذا.

وتذكر أيضا قوله -عليه الصلاة والسـلام- هنـا: وإذا حاصـرت أهل حصن فأرادوك أن تـنزلهم على حكم الله فلا تـنزلهم على حكم اللـه، ولكن أنـزلهم على حكمـك، فإنك لا تـدري أتصـيب فيهم حكم الله أم لا ؛ وذلك حـــتى إذا كـــان غلط فيكـــون الغلط منسوبا إلى من حَكم؛ إلى هذا البشر؛ ولا يكون منسـوبا إلى حكم الله؛ فيصد الناس عن دين الله.

وكم من النـــاس -ممن يحملــون ســنة أو علما أو يحملــون اسـتقامة- يسـيئون بأفعـالهم وأقـوالهم لأجل عـدم تعلمهم، أو فهمهم ما يجب لله -جل وعلا-، وما يجب لســنة النــبي وما يدعوهم إليه الرب الكريم -جل وعلا وتعالى وتقدس-، نـبرأ إلى

الله -جل وعلا- من كل نقص، و نســــأله أن يعفو ويتجـــاوز ويرحمنا جميعا.. نعم.

باب

ما جاء في الإقسام على الله

باب ما جاء في الإقسام على الله .

عن جندب بن عبد الله قال: قال رسول الله   قال رجـل: والله لا يغفر الله لفلان، فقـال الله من ذا الـذي يتـألى عليَّ ألا أغفر لفلان، إني قد غفـــرت لــــه، وأحبطت عملك رواه مسلم.

وفي حــديث أبي هريــرة: أن القائل رجل عابــد، قــال أبو هريرة: تكلم بكلمة أوبقت دنياه وأخرته .

باب ما جاء في الإقسام على الله.

الإقسام على الله يكون على جهتين:

جهة فيها التألي والتكـبر والتجـبر، ورفعة هـذا المتـألي نفسه حتى يجعل له على الله حقا، وهذا منـاف لكمـال التوحيـد، وقد ينافي أصله، وصاحبه المتوعَّد بالعقاب الـذي جـاء في مثل هـذا الحـديث، فهـذا يتـألى، فيجعل الله -جل وعلا- يحكم بما اختـاره هو من الحكم، فيقـــول: والله لا يحصل لفلان كـــذا؛ تكـــبرا واحتقـارا للآخـرين، فيريد أن يجعل حكم الله -جل وعلا- كحكمه

تأليا واستبعادا، أن يفعل الله -جل وعلا- ما ظنه هو، فهذا التألي والاستبعاد نوع تحكم في الله -جل وعلا- وفي فعله، وهذا لا يصدر من قلب معظم لله -جل وعلا-.

والحال الثانية: أن يقسم على الله -جل جلاله- لا على جهة التألي، ولكن على جهة أن ما ظنه صحيح في أمر وقع له، أو في أمر يواجهه، فهذا يقسم على الله أن يكون كذا في المستقبل على جهة التذلل والخضوع لله، لا على جهة التألي، وهذا هو الذي جاء فيه الحديث: ﴿ ومن عباد الله من لو أقسم على الله لأبره ﴾ ؛ لأنه أقسم على الله لا على جهة التعاظم والتكبر والتألي، ولكن على جهة الحاجة والافتقار إلى الله.

فحين أقسم أقسم محتاجا إلى الله، وأكد ذلك بالله وبأسمائه من جهة ظنه الحسن بالله -جل وعلا-، فهذا جائز: ﴿ ومن عباد الله من لو أقسم على الله لأبره ﴾ ؛ لأنه قام في قلبه من العبودية لله والذل والخضوع ما جعل الله -جل وعلا- يجيبه في سؤاله، ويعطيه طلبته ورغبته.

وأما الحال الأولى فهي حال المتكبر المترفع، الذي يظن أنه بلغ مقاما بحيث يكون فعل الله -جل وعلا- تبعا لفعله، فتكبر واحتقر غيره، وبهذا التفصيل يتضح ما جاء في هذا الباب من الحديث.

قال: عن جندب بن عبد الله □ قال: قال رسول الله □ □ قال رجل: والله لا يغفر الله لفلان، فقال الله □ من ذا الذي يتألى عليَّ ألا أغفر لفلان □ .

هذا الذي قال: □ والله لا يغفر الله لفلان □ كان رجلا صالحا، والآخر كان رجلا فاسقا، فقال هذا الصالح: □ والله لا يغفر الله لفلان □ ؛ لأن فلانا هذا كان رجلا فاسقا مَريدا كثير العصيان، فتألى هذا العابد، وعظم نفسه، وظن أنه بعبادته إلى الله -جل وعلا- بلغ مقاما يكون متحكما فيه بأفعال الله، وألا يُردَّ شيء طلبه، أو له أن يتحكم في الخلق.

وهذا ينافي حقيقة العبودية التي هي التذلل لله -جل وعلا-، فالله -سبحانه وتعالى- عاقبه فقال: □ من ذا الذي يتألى عليَّ □ يعني يتعاظم ويتكبر عليَّ، ويحلف عليَّ، أو يقسم عليَّ؛ لأن يتألى من "الأليَّة"، وهي الحلف، ومنه قوله تعالى: [illegible] والإيلاء من "الأليَّة"، وهي الحلف، فيتألى يعني يحلف على جهة التكبر والتعاظم.

□ ألا أغفر لفلان، إني قد غفرت له، وأحبطت عملك □ فغُفر للطالح، وأُحبط عمل ذلك الرجل العابد، وهذا يبين لك عظم شأن مخالفة تعظيم الله -جل جلاله-، وعظم مخالفة توحيد الله -سبحانه وتعالى-.

فهذا الرجل الفاسد، هذا الرجل الطالح، الرجل الفاسق أتـاه خـير من حيث لا يشـعر، وقيلت في حقه كلمة بحسب الظـاهر أنها مؤذية لــه، وأنها فيها من الاحتقــار والازدراء له ما يجعله في ضعة بين الناس؛ حيث شهد عليه هذا الصالح بقوله: والله لا يغفر الله لفلان فكانت هذه الكلمة التي ساءته وكـان فيها إيذاء له كانت فيها مصلحة عظيمة له ؛ أن غُفر له ذنبه.

ولهذا نبه الشـيخ في مسـائل البـاب بمسـألة معناهـا: أن من الابتلاء والإيــذاء وكلام النــاس في المكلف -في الشــخص- ما يكـون أعظم أسـباب الخـير لـه؛ ولهـذا ليست العـبرة باحتقـار النــاس، ولا بكلامهم، ولا بإيــذائهم، ولا بتصــنيفهم للنــاس، أو بقولهم هذا فلان كذا، وهـذا فلان كـذا. العـبرة بحقيقة الأمر بما عند الله -جل جلاله-.

فالواجب على العباد جميعا أن يعظموا الله، وأن يخبتوا إليه، وأن يظنـوا أنهم أسـوأ الخلـق؛ حـتى يقـوم في قلـوبهم أنهم أعظم حاجة لله -جل وعلا-، وأنهم لم يوفوا الله حقه.

أما التعاظم بالنفس، والتعاظم بالكلام، والمدح والثنـاء، ونحو ذلـك؛ فليس من صــنيع المجلِّين لله -جل وعلا-، الخـائفين من تقلب القلـوب؛ فالله -جل وعلا- يقلب القلـوب، ويصـرفها كيف يشاء.

فـالقلب المخبت المـنيب يحـذر، ويخـاف دائما من أن يتقلب قلبــه، فينتبه لِلَفْظــه، وينتبه لِلَحْظــه، وينتبه لســمعه، وينتبه

لحركاته، لعل الله -جل وعلا- أن يميته غير مفتون ولا مخــزي.. نعم.

باب

لا يُستشفع بالله على خلقه

باب لا يُستشفع بالله على خلقه .

عن جبير بن مطعم قال: جاء أعرابي إلى النبي فقال: يا رسـول اللــه، نهكت الأنفس، وجـاع العيـال، وهلكت الأمــوال، فاستسق لنا ربـك، فإنا نستشـفع بالله عليـك، وبك على اللـه. فقال النبي سبحان اللـه، سـبحان الله -فما زال يسـبح حـتى عُرف ذلك في وجوه أصحابه-، ثم قـال: ويحك أتـدري ما اللـه؟ إن شأن الله أعظم من ذلك، إنه لا يُستشفع بالله على أحـد... وذكر الحديث. رواه أبو داود.

باب لا يُستشفع بالله على خلقه.

لا يُستشفع يعني لا يُجعل الله شفيعا على الخلق؛ لأن شـأن الله -جل وعلا- أعظم وأجـــلُّ من أن يستشـــفع بـــه، ويجعل واسطة للانتفاع من أحد من الخلق.

فالشفاعة المعروفة: تـأتي إلى أحد وتطلب أن يكـون شـفيعا عند آخر؛ لأن ذلك الآخر هو الذي يملك ما تريـد، والنفع عنـده، وهذا يكـون واسـطة، ولا يسـتطيع أن ينفعك هو بنفسه إلا بـأن

يتوسط، والله -جل جلاله- لا يجــوز أن يُظن به ذلك الظن؛ لأنه ظن سوء بالله -جل جلاله-.

فالله سبحانه لا يصلح أن يُجعل واسطة لأحـد، وإلى أحد من الخلـق، أو على أحد من الخلـق، بل هو -جل وعلا- الـذي يملك الأمور جميعا، فالاستشفاع بالله على الخلق يعني أن يُجعل الله واسـطة يتوسط العبد بربه على أحد من الخلــق، هــذا منــاف لكمال التوحيد، وعمل وقول من الأقوال المنافية لتعظيم الله -جل وعلا- التعظيم الواجب.

ولهـذا لما ذكر الشـيخ -رحمه اللـه- حـديث جبـير بن مطعم، كـــان الشـــاهد منه أنه قـــال الأعـــرابي للنـــبي -عليه الصـــلاة والسلام-: ﴿ فاستسق لنا ربـك، فإننا نستشـفع بالله عليـك، وبك على الله ﴾ يعني نستشفع باللـه، نجعل الله -جل وعلا- واسـطة يتوسط لنا عندك حتى تدعو.

والله -جل وعلا- هو الملك الحي القيوم، الملك الحق المبين، الذي نواصي العباد بيديه يصرفها كيف يشـاء، شـأن الله أعظم من أن يُستشفع به على أحد من خلقــه، بل الرجل أو المكلف يستشـفع بأحد من الخلق عند مخلـوق آخر يحتاجه في شـيء، والله -جل وعلا- هو الـــذي يملك الأشـــياء جميعـــا، وهو الـــذي يصرف القلوب، هو الذي بيده الملك والملكوت، هو الذي بيــده مقاليد السماوات والأرض، وبيده خزائن كل شيء

[illegible]

فالعباد هم المحتاجون إلى الله، وشأن الله أعظم من ذلـك؛ إذ المخلوق حقير وضيع بالنسبة إلى الـرب -جل جلالـه-، وهو -هذا المخلوق- لا يصـلح أن يُجعل الله -جل وعلا- واسـطة عنـده حتى يقبل هـذه الواسـطة، بل شـأن الله -جل وعلا- أعظم من ذلك.

ولهذا كان سيد الخلق، وسيد ولد آدم -عليه الصلاة والسلام- رادًّا على هـذا الأعـرابي حيث قـال له الأعـرابي: إنا نستشـفع بالله عليك، وبك على الله، فقال النبي -عليه الصلاة والسـلام-: سبحان الله، سبحان الله، فما زال يسبح .

سبحان الله يعني تنزيها وتعظيما للــه، تنزيها وإبعـادا لله عن كل وصف سوء أو شـائبة نقص، سـبحان الله يعـني أسـبح الله تسبيحا، أسبح الله، وأنزهه تنزيها، وأبعِّده تبعيـدا عن كل شـائبة نقص، وعن كل ظن سوء به -جل وعلا- فما زال يكررها حتى عرف ذلك في وجوه أصحابه من شدة تســبيحه وتنزيهه لربه -جل وعلا-، فهذا من الغضب لله -جل جلاله-.

صلى الله وسلم على نبينا محمد، فما كان أعلمه بربــه، وما كان أعرفه بربه.

ثم قـال: ويحـك، أتـدري ما اللـه؟ إن شـأن الله أعظم من ذلك، إنه لا يستشفع بالله على أحد فالله -جل وعلا- مَن علم

أسماءه وعلم الصفات المستحقة له -جل وعلا- فإنه لن يدور بخاطره ظن سوء به -جل وعلا-، أو استنقاص له -جل وعلا-.

إذن في هذا الباب، من هذا الباب فيه -كما في الأبواب قبله- ما يتحرز به الموحد من الألفاظ التي فيها سوء ظن بالله -جل وعلا-، وتنقُّص بمقام الربوبية لله -جل جلاله-.. نعم.

باب

ما جاء في حماية النبي حمى التوحيد وسده طرق الشرك

باب ما جاء في حماية النبي حمى التوحيد وسده طرق الشرك .

عن عبد الله بن الشخير قال: انطلقت في وفد بني عامر إلى رسول الله فقلنا: أنت سيدنا. فقال: السيد الله تبارك وتعالى. قلنا: وأفضلنا فضلا، وأعظمنا طَولا. فقال: قولوا بقولكم أو بعض قولكم، ولا يستجرينكم الشيطان رواه أبو داود بسند جيد.

وعن أنس   أن ناسا قالوا: يا رسول الله، يا خيرنا وابن خيرنا، وسيدنا وابن سيدنا. فقال: يا أيها الناس، قولوا بقولكم، ولا يستهوينكم الشيطان، أنا محمد عبد الله ورسوله، ما أحب أن ترفعوني فوق منزلتي التي أنزلني الله   رواه النسائي بسند جيد.

باب ما جاء في حماية النبي حمى التوحيد وسده طرق الشرك.

النبي -عليه الصلاة والسلام- حَمى وحرس جناب التوحيد، وحَمى حِمى التوحيد، وسد كل طريق توصل إلى الشرك؛ فإن في سنة النبي -عليه الصلاة والسلام- من الدلائل على قاعدة سد الذرائع ما يبلغ مائة دليل أو أكثر، وأعظم الذرائع التي يجب أن تسد ذرائع الشرك التي توصل إليه.

ومن تلك الذرائع: قول القائل: أنت سيدنا وابن سيدنا، وخيرنا وابن خيرنا، ونحو ذلك؛ فإن هذا فيها التعظيم الذي لا يجوز أن يواجَه به بشر، فإن النبي هو سيد ولد آدم كما أخبر به -عليه الصلاة والسلام-، لكن كره المواجهة كما سيأتي.

إذن فحماية النبي حِمى التوحيد، وسده طرق الشرك كان في جهة الاعتقادات، وكان في جهة الأعمال والأفعال، وكان في جهة الأقوال.

فإذا تأملت سنته وما جاء في هذا الكتاب -كتاب التوحيد- وجدت أنه -عليه الصلاة والسلام- سد الباب في الاعتقادات الباطلة، وسد الباب في الأفعال الباطلة كقوله: اشتد غضب الله على قوم اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد .

وسد الباب -أيضا- في الأقوال التي توصل إلى الغلو المذموم، فقال: لا تطروني كما أطرت النصارى ابن مريم، إنما أنا عبد، فقولوا: عبد الله ورسوله وهذا الباب أيضا من

ذلك في بيـان حماية النـبي حِمى التوحيد فيما يتعلق بـالقول الذي قد يتبعه اعتقاد.

قال: عن عبد الله بن الشخير قال: انطلقت في وفد بني عـامر إلى رسـول الله فقلنـا: أنت سـيدنا فقـال: السـيد الله تبارك وتعالى. قلنا: وأفضلنا فضـلا، وأعظمنا طَـولا. فقـال: قولـوا بقـولكم أو ببعض قـولكم، ولا يسـتجرينكم الشـيطان رواه أبو داود بسند جيد.

في هــذا الحــديث أن إطلاق لفظ ســيد على البشر هــذا مكروه، ومخاطبته بذلك يجب سدها، فلا يخاطُب أحد بأن يقـال لـه: "أنت سـيدنا" على جهة الجمـع؛ وذلك لأن فيها نـوع تعظيم من جهة المخاطبة، يعني الخطاب المباشر.

والجهة الثانية: من جهة استعمال اللفظ، والنبي -عليه الصلاة والسلام- سيد كما قال عن نفسه: أنا سيد ولد آدم ولا فخر ولكن مخاطبته -عليه الصــلاة والســلام- مع كونه ســيدا، لكنه كرههـا، ومنع منهـا؛ لئلا تـؤدي إلى ما هو أعظم من ذلـك، من تعظيمه والغلو فيه -عليه الصلاة والسلام-.

فهذا مناسبة هذا الحديث لهـذا البـاب: أن من صـدق قوله - عليه الصلاة والسـلام-: السـيد الله تبـارك وتعـالى -مع كونه عليه الصــلاة والســلام هو ســيد ولد آدم- ما يفيد أنه -عليه الصلاة والسلام- حمى حِمى التوحيد، وسد الطرق الموصلة إلى الشــرك، ومنها طريق الغلو في الألفــاظ، والقــول للرجل بأنه

سيد، ونحو ذلك، إذا كان على وجه المخاطبة له، والإضافة إلى الجمع، فهذا أشدها.

وإذا كان بدون المخاطبة له ولفظ الجمع فإنه أهون منه، ومما ذكر العلماء أن قوله -عليه الصلاة والسلام-: السيد الله تبارك وتعالى أنه يكره كراهة شديدة أن يقال لبشر إنه السيد هكذا بالألف واللام وكلمة سيد؛ لأن هذا قد يُفهم منه استغراق معاني السيادة؛ لأن البشر له سيادة تخصه، لكن الألف واللام هنا قد يُفهم منها استغراق ألفاظ السيادة.

ولهذا ترى أن الذين يشركون ببعض الأولياء كالسيد البدوي يعظمون كلمة السيد، ويكثر عندهم التعبير بالسيد، ويريدون به السيد البدوي، فيكثر عندهم عبد السيد ونحو ذلك، ولا يريدون به الله -جل وعلا-، ولكن يريدون به ذلك الذي اتخذوه معبودا، وتوجهوا إليه ببعض أنواع العبادة، فيفهمون من كلمة السيد أنه ذو السيادة، وذو التصرف في الأمر، وهذا هو الذي اعتقدوه من أن للبدوي ولأمثاله أن لهم تصرفا في الأرض، وقبولا للمطالب في الحاجات.

 قلنا: وأفضلنا فضلا، وأعظمنا طولا. فقال: قولوا بقولكم أو بعض قولكم، ولا يستجرينكم الشيطان ؛ لأن هذا فيه الثناء والمدح بالمواجهة، وهذا من الشيطان، فالشيطان هو الذي يفتح هذا الباب: أن يُمدح أحد ويُعظَّم في مواجهته؛ وذلك حتى يَعظُم في نفسه، فيأتيه الخذلان؛ لأن كل أحد تخلى عن "لا

حـول ولا قـوة إلا باللـه"، وتخلى عن الازدراء بـالنفس والـذل والخضـوع الـذي يعلمه الله من قلبـه، فإنه يُخـذل، ويأتيه الأمر على غِرة.

ولهذا نهى النبي أن يقال بمثل ذلك القـول مواجهـة، ونهى عن المـدح؛ لأن فيه إضـرارا بـالمتكلم، وإضـرارا بـالمقول فيه ذلك الكلام.

قـال: وعن أنس   أن ناسا قـالوا: يا رسـول اللـه، يا خيرنا وابن خيرنـا، وسـيدنا وابن سـيدنا. فقـال: يا أيها النـاس قولـوا بقولكم، ولا يستهوينكم الشـيطان، أنا محمد عبد الله ورسـوله، ما أحب أن ترفعوني فـوق منزلـتي الـتي أنزلـني الله   رواه النسائي بسند جيد.

هو -عليه الصــلاة والســلام- كما وصــفوه، هو خــيرهم، وهو سيدهم -عليه الصلاة والسلام-، لكنه حمى ذلك الجنـاب -جنـاب التوحيد-، وحَمى حِمى التوحيد حـتى لا يسـتدل أحد بعـده -عليه الصلاة والسلام- بهـذا الكلام على أنه يجـوز أن يقـال لمن ظن الناس فيه ذلك، بل سد الباب في نفسه.

وهو ســيد ولد آدم، وهو خــيرهم -عليه الصــلاة والســلام- وأفضلهم، ولكن سد الباب حتى لا يدخل أحد منه بـإقراره هـذا الفعل فيعظَّم أحـد، ويـدخل الشـيطان إلى ذلك المعظَّم، وإلى المعظِّم، فيجعل القلوب تتعلق بذلك المعظَّم حـتى يشـرَك بـه، وحتى يعظَّم بما لا يجوز له من التعظيم.

هــذا البــاب كالجــامع لما يجب من سد الــذرائع الموصــلة للشــرك، وهــذا واجب على المســلم: أن كل طريق أو ســبيل يجعل نفسه تتعـــــاظم من نفسه لنفسه أو من الخلق له يجب عليه أن يسده؛ لأن أعظم مقامات الشـرف لك أن يعلم الله -جل وعلا- منك أنك متذلل خاضع بين يديـه، وأنك خـائف وَجِـل، تدعوه راغبا راهبا، هذه صفة الخُلَّص من عبـاد الله -جل وعلا-، الذين وعدهم الله -جل وعلا- بالخيرات، قال سـبحانه: [illegible].

والخشوع نوعان: خشوع في القلب، وخشوع في الجوارح، وخشــوع القلب بالتطــامن والــذل والخضــوع بين يــدي اللــه، وخشوع الجوارح بسكونها كما قال -جل وعلا-: [illegible] نعم.

باب

ما جاء في قوله تعالى:

وَمَا قَــدَرُوا اللَّهَ حَــقَّ قَــدْرِهِ وَالْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَــتُهُ يَــوْمَ الْقِيَامَــةِ وَالسَّماوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ

بـاب ما جـاء في قوله تعـالى: [illegible]

[illegible] .

عن ابن مسـعود □ قـال: □ جـاء حَـبر من الأحبـار إلى رسـول الله □ فقـال:يا محمـد، إنا نجد أن الله يجعل السـماوات على إصبع، والأرضين على إصـبع، والشـجر على إصـبع، والمـاء على إصبع، والثرى على إصبع، وسائر الخلق على إصـبع، فيقـول: أنا الملك.

فضحك النبي □ حتى بـدت نواجـذه تصـديقا لقـول الحـبر، ثم قرأ: [illegible] □ □ .

وفي رواية لمسلم: □ والجبال والشجر على إصبع، ثم يهـزهن فيقـــول: أنا الملـــك، أنا الله □ وفي رواية للبخـــاري: □ يجعل السماوات على إصبع، والماء والثرى على إصـبع، وسـائر الخلق على إصبع □ .

ولمسلم عن ابن عمر مرفوعا: □ يطـوي الله السـماوات يـوم القيامــة، ثم يأخــذهن بيــده اليمــنى، ثم يقــول: أنا الملــك، أين الجبــارون؟ أين المتكــبرون؟ ثم يطــوي الأرضــين الســبع، ثم يأخــذهن بشــماله، ثم يقــول: أنا الملــك، أين الجبــارون؟ أين المتكبرون؟ □ .

وروي عن ابن عباس قال: ما السماوات السبع والأرضون السبع في كف الرحمن إلا كخردلة في يد أحدكم.

وقال ابن جرير: حدثني يونس قال: أخبرنا ابن وهب قال: قال ابن زيد: حدثني أبي قال: قال رسول الله   ما السماوات السبع في الكرسي إلا كدراهم سبعة ألقيت في ترس .

وقال: قال أبو ذر سمعت رسول الله يقول: ما الكرسي في العرش إلا كحلقة من حديد ألقيت بين ظهري فلاة من الأرض .

وعن ابن مسعود قال: بين السماء الدنيا والتي تليها خمسمائة عام، وبين كل سماء وسماء خمسمائة عام، وبين السماء السابعة والكرسي خمسمائة عام، وبين الكرسي والماء خمسمائة عام، والعرش فوق الماء، والله فوق العرش، لا يخفى عليه شيء من أعمالكم. أخرجه ابن مهدي، عن حماد بن سلمة، عن عاصم، عن زر، عن عبد الله، ورواه بنحوه المسعودي، عن عاصم، عن أبي وائل، عن عبد الله، قاله الحافظ الذهبي -رحمه الله تعالى-، قال: وله طرق.

وعن العباس بن عبد المطلب قال: قال رسول الله
 هل تدرون كم بين السماء والأرض؟ قلنا: الله ورسوله أعلم. قال: بينهما مسيرة خمسمائة سنة، ومن كل سماء إلى سماء مسيرة خمسمائة سنة، وكثف كل سماء مسيرة

خمسمائة سنة، وبين السماء السابعة والعـرش بحر بين أسـفله وأعلاه كما بين السـماء والأرض، والله -سـبحانه وتعـالى- فـوق ذلك، وليس يخفى عليه شيء من أعمال بني آدم .

أخرجه أبو داود وغيره، وصلى الله وسلم على نبينا محمد.

سبحان الله وبحمده، سبحان الله العظيم، هـذا بـاب ما جـاء في قول الله تعالى: [illegible] .

هــذا البــاب ختم به إمــام هــذه الــدعوة -شــيخ الإســلام والمسـلمين- محمد بن عبد الوهـاب -رحمه اللـه- تعـالى كتـاب التوحيـد، وخَتْمه هـذا الكتـاب بهـذا البـاب ختم عظيم؛ لأن مَن علم حقيقة ما اشــتمل عليه هــذا البــاب من وصف الله -جل وعلا- وعظمة الله -جل وعلا- فإنه لا يملك إلا أن يـــــــذل ذلا حقيقيا، ويخضع خضوعا عظيما للرب -جل جلاله-.

والصـحيح والواقع من حـال الخلق أنهم لم يـوقروا الله -جل وعلا-، وما قـــــــــدروا الله -جل وعلا- لا من جهة ذاته وقدرته وصـفاته، ولا من جهة حكمته وبعثه لرسـله، قـال -جل وعلا-: [illegible] فهـذا في الإنـزال، في إنـزال الكتـاب، وفي إرسـال الرسول.

وقال -جل وعلا- في بيان صفة ذاته قال: [illegible] .

[illegible] يعني ما عظموه حق تعظيمه، ولو عظموه حق تعظيمه لما عبدوا غيره، ولما أطاعوا غيره، ولعبدوه حق العبادة، ولذلوا له ذلا وخضوعا دائما، وأنابوا إليه بخشوع وخشية، ولكنهم ما قدروه حق قدره، يعني ما عظموه حق تعظيمه الذي يجب لقدره -جل وعلا-، وعِظم ذاته -سبحانه وتعالى- وصفاته.

ثم بين -جل وعلا- شيئا من صفة ذاته العظيمة الجليلة، فقال سبحانه: [illegible] فإن عقل الإنسان لا يمكن أن يتحمل صفة الله -جل وعلا- على ما هو عليه، والله -جل وعلا- بين لك بعض صفاته، فقال سبحانه: [illegible] .

فإذا نظرت إلى هذه الأرض على عِظمها، وعلى غرور أهلها فيها، ونظرت إلى حجمها، وإلى سعتها، وإلى ما فيها، فهي قبضة الرحمن -جل وعلا-، يعني في داخل قبضة الرحمن -جل وعلا- يوم القيامة، كما وصف ذلك بقوله: [illegible] .

فنفهم من ذلك أن كف الرحمن -جل وعلا-، وأن يد الرحمن -جل وعلا- أعظم من هذا، وكذلك السماوات مطويات كطي

السجل في كف الرحمن -جل وعلا-، كما قال سبحانه هنا: [illegible] وقال في آية سورة الأنبياء: [illegible] .

فهذه صفات الله -جل جلاله-، هذه صفاته، فإن الأرض التي يتعاظمها أهلها، والسماوات التي يتعاظمها من نظر فيها، هي صغيرة وآيلة في الصغر إلى أن تكون في كف الرحمن -جل وعلا-، والله -سبحانه وتعالى- أعظم من ذلك وأجلُّ، بل هو -سبحانه وتعالى- الواسع الحميد، الذي له الحمد كله، وله الثناء كله، ويبين لك ذلك، يبين لك عظمة الرب -جل وعلا- في ذاته، وعظمة الرب -جل وعلا- في صفاته، إذا تأملت هذه الأحاديث.

فإنك إذا نظرت إلى هذه الأرض، ونظرت سعة هذه الأرض، وغرور أهل الأرض بها، غرور أهل الأرض في الأرض بهذه الأرض وبسعتها، وبقواهم فيها، نظرت إلى أن الأرض بالنسبة إلى السماء أنها صغيرة، وأن بين الأرض وبين السماء الأولى مسيرة خمسمائة سنة في مسير الراكب السريع، وكذلك بين السماء الأولى والسماء الثانية مسيرة خمسمائة سنة، وهكذا حتى تنتهي السبع سماوات.

والأرض بالنسبة للسماوات صغيرة، ولهذا مثّل السماوات السبع النبي -عليه الصلاة والسلام- في الكرسي الذي هو فوق ذلك وهو أكبر بكثير من السماوات بقوله: [illegible] إن السماوات

السبع كدراهم سبعة ألقيت في تـرس □ يعـني هـذه السـماوات صغيرة جدا بالنسبة إلى الكرسي، بل كدراهم سبعة ألقيت في ترس، والترس مكتنفها متقـوس عليهـا، فهي صـغيرة فيـه، وهو واسـعها كما قــال -جل وعلا- عن الكرســي: □□□□□□□□□□□ □□□□□□ □□□□□□ □
□ □ □□□□□□□□□□□ □□□□□□□□□□□□ □□□□□ □ □□□□□□□□□□ □□□□□□□□□□□□□□ .

فالأرض التي أنت فيها، وأنت فيها في نقطة صغيرة صغيرة، هي بالنســبة إلى الســماء هــذا وصــفها، والأرض والســماوات بالنسبة للكرسي هذا وصفه، والكرسي أيضا فوقهما وفوق ذلك العــرش -عــرش الــرحمن جل وعلا-، والكرسي بالنســبة إلى العرش كحلقة ألقيت في فلاة من الأرض، فهو متنـاهي الصـغر بالنسـبة إلى عـرش الـرحمن، الـذي الـرحمن -جل وعلا- مسـتو عليه، وهو فوقه -سبحانه وتعالى-.

فتلحظ أن هذه المخلوقـات جميعا تتنـاهى في الصـغر، وأنك على الأرض هذه التي تتعاظمها تتناهى في الصغر، فما بقي إلا أن تعلم أن الله -جل جلالـه- المسـتوي على عرشـه، الـذي له علو الـــذات على خلقـــه، وله علو الصـــفات، علو القهر وعلو القــدر، أنه -جل وعلا- هو العظيم، وهو الواســع، وهو الحميــد، وأن الخلق ما قدروه حق قدره -جل وعلا- كما قـال سـبحانه: □
□ □□□□□□□□□□ □□□□ □□□□ □□□□□□□□□ □□□□□□□□□ □□□□□ .

ما عظمـوه حق تعظيمـه؛ لأنهم تعـاظموا وتكـبروا وتجـبروا، ونظـروا إلى أنفسـهم أنهم كـذا وكـذا من الصـفات، ولو تـأملوا

صـفة الـرب -جل وعلا-، وما يجب له من الجلال، وما هو عليه -سبحانه وتعالى- من صفات الذات، ومن صفات الفعل، وما هو في ذلك على الكمـال الأعظم؛ فـإنهم سـيحتقرون أنفسـهم، وسيعلمون أنه ما ثَمَّ ينجيهم ويشـرفهم إلا أن يكونـوا عبيـدا له وحده دون ما سواه، فهل يعبد المخلوق المخلوق؟

الواجب أن يعبد المخلوق هذا الذي هو متصف بهذه الصفات العظيمة؛ فهو الحقيق بأن يذل له، وهو الحقيق بأن يطاع، وهو الحقيق بـأن يُجَـلَّ، وهو الحقيق بـأن يُسـأل، وهو الحقيق بـأن يُبذل كل ما يملكه العبد في سبيل مرضاته -جل وعلا-، إذ هـذا من قدره حق قدره، ومن تعظيمه حق تعظيمه.

فـإذا تأمل العبد صـفات الربوبيـة، وصـفات الجلال، وصـفات الجمـال لله -جل وعلا-، وأن ذات الله -جل وعلا- عظيمـة، وأنه -سبحانه وتعالى- مستو على عرشه، بـائن من خلقـة، على هـذا العِظم؛ وجد أنه ما ثَم إلا أنه يتوجه إليه بالعبـادة، وألا يعبد إلا هو، وأن من عبد المخلوق الحقير الوضـيع فإنه قد نـازع الله -جل وعلا- في ملكـه، ونـازع الله -جل وعلا- في إلاهيتـه، ولهـذا يحق أن يكون من أهل النار المخلـدين فيهـا، عـذابا دائمـا؛ لأنه توجه إلى هـذا المخلـوق الضـعيف، وتـرك الـرب العلي القـادر على كل شيء -سبحانه وتعالى-.

ثم إذا تـأملت ذاك، تـأملت ربك العزيز الحكيم، المتصف بصـفات الجلال، وهو -جل وعلا- فـوق عرشه يـأمر وينهى في

ملكوته الواسـع، الـذي الأرض كشِـبْه لا شـيء في داخل ذلك الملكـوت، يفيض رحمته ويفيض نعيمه على من شـاء، ويرسل عذابه على من شاء، وينعِّم من شاء، ويصرف البلاء عمن شاء.

وهو سـبحانه ولي النعمة والفضـل، فـترى أفعـال الله -جل وعلا- في السـماوات، وتـرى عبودية الملائكة في السـماوات، تراها متجهة إلى هذا الـرب العظيم المسـتوي على عرشه كما قـال -عليه الصـلاة والسـلام-: ﴿ أطت السـماء وحق لها أن تئط ما فيها موضع أربعة أصـابع إلا وملك قـائم وملك راكع أو ملك ساجد ﴾ ؛ وهذا لأجل تعظيمهم لأمر الله.

فتنظر إلى نفوذ أمر الله في ملكوته الواسع، الـذي ما نعلم منه إلا ما حولنا من هذه الأرض وما هو قـريب منهـا، بل نعلم بعض ذلك، والله -جل وعلا- هو المتصرف.

ثم تنظر إلى أن الله -جل وعلا- هـذا الجليل العظيم، المتصف بهـذا الملك العظيم، أنه يتوجه إليك -أيها العبد الحقـير الوضيع- فيأمرك بعبادته، وهي شرف لك -لو شـعرت-، ويـأمرك بتقـواه، وهو شـرف لك -لو شـعرت-، ويـأمرك بطاعتـه، وذاك شرف لك -لو شعرت-.

فإنه إذا علمت حق الله، وعلمت صـفات اللـه، وما هو عليه من العلو المطلق في ذاته وفي صـفاته -جل وعلا-، وفي نفـوذ أمره في هذه السماوات السبع، التي هي في الكرسي كدراهم ألقيت في ترس، ثم ما فوق ذلك، والجنة والنار وما في ذلـك؛

وجـــــدت أنك لا تتمالك إلا أن تخضع له -جل وعلا- خضـــــوعا اختياريا، وأن تذل له، وأن تتوجه إلى طاعتــه، وأن تتقــرب إليه بما يحب.

وأنك إذا تلـوت كلامــه، تلـوت كلام من يخاطبك بــه، ويــأمر وينهى بــه، فيكـون عنـدك حينئذ التوقـير غـير التوقـير، ويكـون التعظيم غير التعظيم.

ولهـذا كـان من أسـباب رسـوخ الإيمـان في القلب وتعظيم الرب -جل وعلا- أن يتأمل العبد، ويتفكر في ملكوت السماوات والأرض، كما أمر الله -جل وعلا- بذلك حين قال: [illegible].

وقال -جل وعلا-: [illegible].

وقال أيضا -جل وعلا- في وصف الخلَّص من عباده: [illegible] إلى آخر دعواتهم، وهم يذكرون الله قياما وقعـودا وعلى جنـوبهم ويتفكـرون، ومع ذلك يسألون النجاة من النار، فهم في ذل وخضـوع لما عرفـوا

من آثار توحيد الربوبية، ولما عرفوا من آثار توحيد الألوهية في القلب وفي النفس.

أسأل الله -جل وعلا- في ختام هذا الكتاب أن يجزي عنا مؤلفه الإمام الشيخ محمد بن عبد الوهاب خير الجزاء، أن يجزيه عن المسلمين خير الجزاء، وكل من ساهم في شرح هذا الكتاب بما أفهمنا من معانيه؛ فإنه والله لكتاب عظيم، اشتمل على ما به نجاة العباد -لو شعروا-، وقرب الإمام -رحمه الله- فيه من نصوص الكتاب والسنة، وأفهمنا دلائلها، بما نرجو معه النجاة بعفو الله -جل وعلا- وكرمه.

هذا، ووصيه أخيرة نختم بها هذا المجلس المبارك، وهذا الدرس المبارك الذي يعز عليَّ أن أفارق فيه هذه الأوجه وطلبة العلم:

أوصي بالعناية بهذا الكتاب عناية عظيمة من جهة حفظه، ومن جهة دراسته، ومن جهة تأمل مسائله، ومن جهة معرفة ما فيه؛ فإنه الحق الذي كان عليه الأنبياء والمرسلون، ومن تبعهم من صالح عباد الله.

هذا واعتنوا -رحمكم الله- بذلك أعظم العناية؛ فإن فيه خيركم -لو تعقلون-، ووالله إن الانصراف عنه لنذير سوء، وإن الإقبال عليه لنذير بشرى، ومؤذن بالخير والبشرى.

هذا، وأسأل الله أن ينفعني وإياكم بما سـمعنا، وأن يغفر لنا ذللنا وخطلنـا، وأن يعفـوا عنا ما أخطأنا فيـه، وأن يجعلنا من المعفو عنهم.

ونسـأل الله التسـامح، وأن يجعلنا من المحققين لتوحيـده، وإنه لا حـول لنا ولا قـوة إلا بـه، اللهم فكن لنا يا كـريم. اللهم فكن لنا يا كريم، اللهم فكن لنا يا كريم.

هذا واستودعكم الله الذي لا تضيع ودائعه، وصلى الله وسلم وبارك على نبينا محمد.